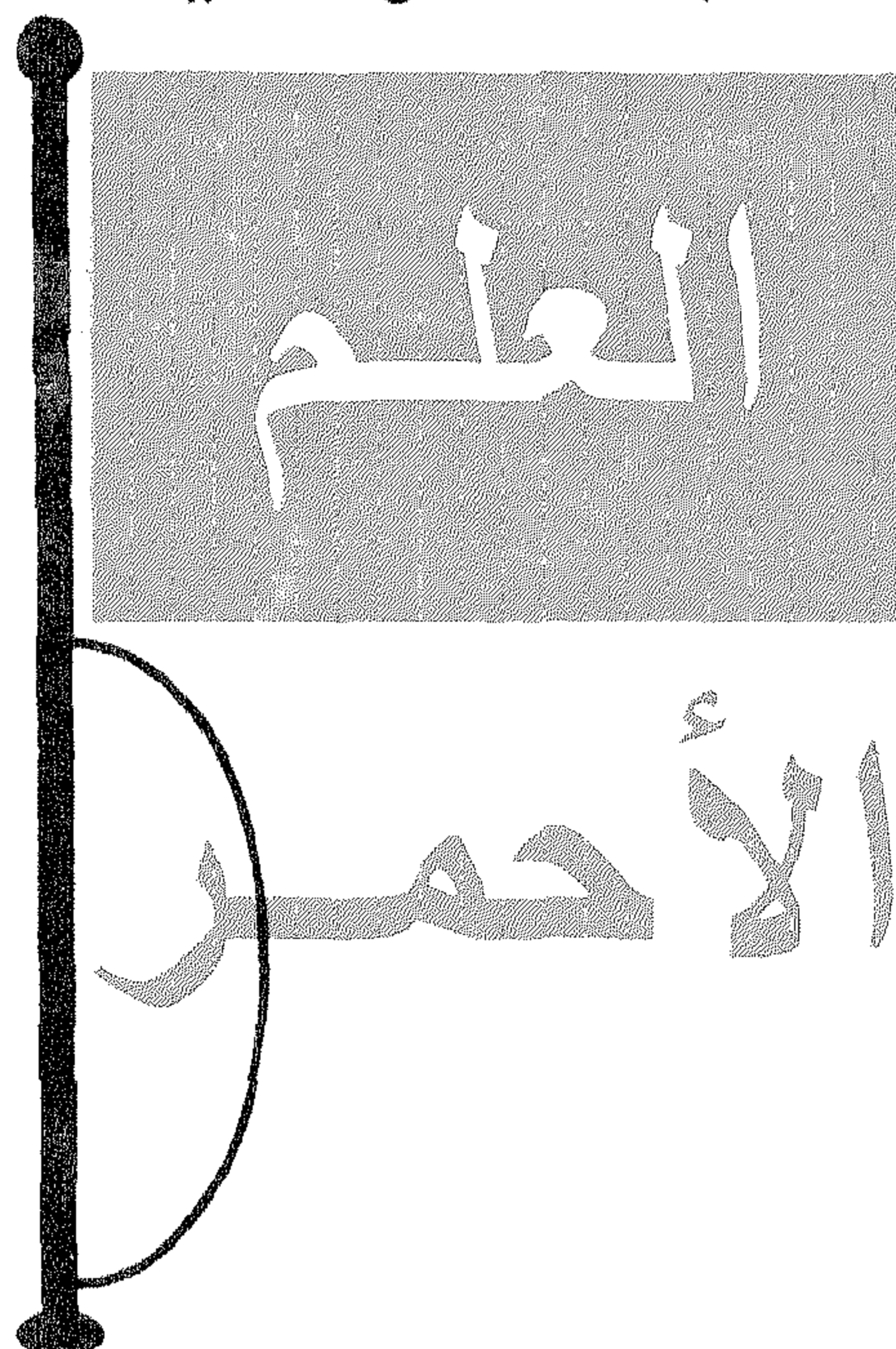


جويل بينن

ترجمة: كمال السيد



هل كان يرفرف هناك
؟

السياسات الماركسية
والنزاع العربي الإسرائيلي

دار الثقافة الجديدة

العلم الأحمر

الترجمة الكاملة لكتاب :

Was the Red Flag Flying There?

Marxist politics and the Arab-Israeli.

Conflict in Egypt and Israel

by Joel Beinin

University of California Press, 1990

العلم الأحمر
(هل كان يرفرف هناك؟)

السياسات الماركسية
والنزاع العربي الاسرائيلي

جويل بينين

ترجمة: كمال السيد

© جميع حقوق النشر لهذه الترجمة الكاملة

محفوظة لدار الثقافة الجديدة

١٩٩٦

دار الثقافة الجديدة

٣٢ ش صبرى أبو علم باب اللوق

القاهرة - جمهورية مصر العربية

ت وفاكس : ٣٩٢٢٨٨٠

العلم الأحمر

السياسات الماركسية
والنزاع العربي الاسرائيلي

جويل بينن

ترجمة كمال السيد

المحتويات

٦ - أهداء
٧ - مقدمة الناشر العربى
١١ - شكر وتقدير
١٣ □ الفصل الأول (تقديم) □
١٧ - مقارنة مصر واسرائيل
١٨ - تاريخ تنقيحي للنزاع العربى الاسرائيلى
٢٥ - هل كان المابام حزبا ماركسيا ؟
٢٧ - الأمم ، بناء الهيمنة ، والخطاب السياسى
٢٩ - هيكل الكتاب
٣٠ - الرواية والسياسات
٣٣ □ الفصل الثانى (إنشاء إسرائيل) □
٣٣ - الصهيونية باعتبارها معادية للامبريالية
٣٤ - توحيد اليسار الماركسى الصهيونى
٣٩ - المابام وحرب ١٩٤٨ - ٤٩
٤٦ - طريق الحزب الشيوعى الفلسطينى نحو ثنائية القومية
٤٨ - الرابطة التعليمية الشيوعية
٤٨ - طبقة المثقفين العربى الفلسطينية وعصبة التحرر الوطنى
٤٩ - طريقان للتصديق على تقسيم فلسطين
٥٤ - نحو حزب شيوعى اسرائيلى
٥٩ - القضية الفلسطينية والشيوعيون المصريون
٦٧ - اليسار الماركسى بعد التقسيم
٦٩ □ الفصل الثالث (الاقتصاد السياسى للهيمنة) □
٧٠ - العمل ورأس المال فى الحركة الصهيونية
٧٦ - إضراب البحارة والاتجاه الدولى لإسرائيل
٧٨ - تأكيد هيمنة الماباى
٨٠ - إزالة الطابع الراديكالى والسياسى عن الكيبوتسات
٨٥ - النظام القديم والحركة الوطنية المصرية
٨٧ - انقلاب ٢٣ يوليو ١٩٥٢
٨٨ - مجلس قيادة الثورة والطبقة العاملة
٩١ - الحركة العمالية وحرب ١٩٥٦
٩٢ - الرأسمالية الموجهة
٩٦ - الانتلجنسيا الشيوعية والتراضى مع الناصرية
٩٧ - الاشتراكية العربية
٩٩ □ الفصل الرابع (نافذة للفرصة؟ ١٩٤٩-١٩٥٥) □
١٠٠ - المسألة اليهودية فى الشيوعية المصرية
١٠٥ - صعود الانتلجنسيا المحلية
١٠٨ - «قضية يونس»
١٠٩ - هل هناك انحراف صهيونى فى حدثو؟
١١٢ - جبهة موحدة للمابام وماكى؟
١١٤ - الانتخابات للجمعية التأسيسية (الكنيست الأولى)

١١٦	- ماركسية منغمسة فى إشكالية يهودية.....
١١٩	- صعود اليسار فى المابام وأنهياره
١٢٦	- الحزب الاشتراكى اليسارى
١٢٩	- الدفاع عن حقوق الأقلية العربية
١٣٥	□ الفصل الخامس (الأهمية فى التطبيق: العلاقات بين الماركسيين المصريين والإسرائيليين) □
١٣٦	- حركة السلام الدولية.....
١٣٨	- مجموعة زوما واتصالات حدتو - ماكى
١٤٣	- مبادرة يوسف حلمى من أجل السلام
١٤٩	□ الفصل السادس (تعزيز السياسات القومية ١٩٥٥ - ١٩٥٨) □
١٥١	- وهم النجاح
١٥٢	- باندونج وصفقة الأسلحة التشيكية
١٥٩	- حرب السويس / سيناء واستسلام المابام
١٦٤	- التحالف الناصرى الشيوعى
١٧٠	- توحيد الحركة الشيوعية المصرية
١٧٥	- المؤتمر العشرون للحزب الشيوعى السوفيتى والشيوعية القومية
١٧٧	- الحقبة العربية لماكى
١٨٧	□ الفصل السابع (انتصار القومية ١٩٥٩-١٩٦٥) □
١٨٧	- تحطم التحالف الناصرى الشيوعى
١٩٠	- حل الحزبين الشيوعيين المصريين
١٩٣	- الناصرية، المابام، ماكى، والمواطنون الفلسطينيون العرب فى إسرائيل
١٩٩	- هزيمة اليسار فى انتخابات الكتيسيت فى ١٩٥٩
٢٠٤	- بداية جديدة - أم بداية النهاية؟
٢١٠	- ماكى والشيوعية الوطنية العربية
٢١٣	- نحو الانقسام فى ماكى
٢١٧	- انهيار نفوذ ماكى بين الطبقة العاملة اليهودية
٢١٨	- حشد المواطنين الفلسطينيين العرب فى إسرائيل
٢٢٣	□ الفصل الثامن (خاتمة) □
٢٢٥	- الماركسية والصهيونية والقومية العربية
٢٢٩	- الخطاب السياسى والعمل السياسى
٢٣٠	- خاتمة: نحو دولة فلسطينية وما وراء ذلك
٢٣٣	□ الهوامش □
٢٣٣	- هوامش الفصل الأول
٢٣٦	- " " الثانى
٢٤١	- " " الثالث
٢٤٥	- " " الرابع
٢٥١	- " " الخامس
٢٥٢	- " " السادس
٢٥٧	- " " السابع
٢٦١	- " " الثامن
٢٦٢	- التسلسل الزمني للأحداث
٢٦٤	- Glossary
٢٦٥	- بيبليوغرافيا

إهداء

إلى ابني چامى

الذي قد يرث عالما أفضل إذا ناضل من أجله

المؤلف

كلمة الناشر العربي

عندما عرض على جويل بينين نشر هذا الكتاب باللغة العربية وافقت على الفور لأنه يتعرض لمرحلة هامة من تاريخ الشيوعيين المصريين ويتحدث بالتفصيل عن موقف تميزوا به وانفردوا بين كل القوى السياسية في البلاد العربية ودافعوا عن هذا الموقف بشجاعة، وتعرضوا في سبيل ذلك للهجوم والتشهير والاعتقال. وذلك أنهم وقفوا ضد حرب فلسطين وأيدوا قرار التقسيم الذي صدر عن هيئة الأمم المتحدة سنة ١٩٤٧ واتهموا في ذلك الوقت بالخيانة والتحالف مع الصهيونية.. ولكنهم ثبتوا على الموقف لاقتناعهم بسلامته وظلوا بعد ذلك يدعون للسلام العادل بين البلاد العربية واسرائيل وقد اتخذوا هذا الموقف للأسباب التالية:

أولا - أن هذه الدعوة للحرب في فلسطين كانت كما رأى الشيوعيون واليسار المصري في ذلك الوقت محاولة من الحكومات الرجعية ومنها الحكومة الملكية المصرية لحرف الأنظار عن القضية الأساسية في ذلك الوقت وهي النضال ضد الاستعمار وبالنسبة لمصر كانت الحركة الوطنية في أوجها تطالب بجلاء القوات البريطانية والتحرر من الاستعمار. وقد استخدمت حكومة ابراهيم عبد الهادي وقتها الحرب لإعلان الأحكام العرفية واعتقال المناضلين في الحركة الوطنية وعلى رأسهم الشيوعيين. وقد تبين بعد ذلك أن تلك الحكومة المصرية الرجعية قد استخدمت حرب ١٩٤٨ للاتجار في السلاح الفاسد الذي كان ينفجر في جنودنا وضباطنا الذين كانوا يحاربون في فلسطين. وقد وقف الشيوعيون المصريون ضد هذه المهزلة من بدايتها واعترضوا على الحرب واستخدموا في ذلك كل وسائل الدعوة العلنية والسرية. ومنها المنشور الذي صدر بعد اعتقال غالبية القيادات الشيوعية وعنوانه «أبطال الفالوجا يجب أن يكونوا أبطال القتال».

ثانيا - رغم أن الشيوعيين المصريين قبل صدور قرار هيئة الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين كانوا يقفون ضد هجرة اليهود إلى فلسطين وكون اليهود المصريون المرتبطون بالحركة الشيوعية في نشأتها «رابطة اليهود لمكافحة الصهيونية» التي حلها

النقراشى باشا، ورغم أنهم كانوا يطالبون دائما بدولة ديمقراطية واحدة يعيش فيها العرب واليهود وجنبا إلى جنب فى فلسطين إلا أن المؤامرة الامبرالية بالتعاون مع القوى الصهيونية وتواطؤ الرجعية العربية خلقت وضعا لم يعد ممكنا أن يتعايش فيه العرب مع اليهود فى دولة واحدة، وهو الأمر الذى رفضه اليهود المطالبون بإنشاء دولة اسرائيل ورفضته الرجعية العربية مما خلق وضعا أصبح فيه التقسيم هو الحل الوحيد فى ذلك الوقت خصوصا بعد صدور قرار الأمم المتحدة الذى لو كان العرب قد قبلوه لضمنوا وجود دولة فلسطينية بمساحة أكبر بكثير من الدولة التى يطالبون بها اليوم. ولم تضطر الحكومة المصرية لقبوله والمطالبة به إلا فى مؤتمر باندونج عام ١٩٥٥.

ثالثا - استمر الشيوعيون المصريون وأنصار السلام فى مصر يدعون إلى السلام بين العرب واسرائيل على أساس قرارات الأمم المتحدة ودعوا إلى توحيد الجهود فى هذا السبيل مع قوى السلام فى اسرائيل وكانوا يدعون إلى التفرقة بين اليهود والصهيونية ويقفون ضد الدعوات التى كانت ترتفع أحيانا بتدمير دولة اسرائيل أو إزالتها من الوجود والتى لنجح حكام اسرائيل فى استغلالها أسوأ استغلال لتصوير أنفسهم أمام الرأى العام العالمى بأنهم طلاب السلام فى مواجهة العرب المعتدين طلاب الحرب. وظل قادة اسرائيل يتحدثون كثيرا عن السلام وهم يعدون للحرب والعدوان والتوسع. أما العرب فكانوا يتحدثون عن الحرب وهم فى حقيقة الأمر يريدون السلام.

رابعا - حاول عبد الناصر التوصل إلى حل لمشكلة النزاع العربى الاسرائيلى وكانت صيغة باندونج، ثم اتصالات أخرى ذكر بعضها هيكلا فى كتابه « المفاوضات السرية » وذكر جويل بينين البعض الآخر. وقد ظهر التوجه الجديد فى صيغة باندونج التى وافق عليها عبد الناصر ثم محاولة اتصالات أخرى أجهضها العدوان الاسرائيلى على غزة ثم العدوان الثلاثى فى عام ١٩٥٦. وانتبه عبد الناصر إلى أنه يجب أن يولى الاهتمام للتحصن والتسلح ضد العدوان الاسرائيلى. وتبين أن كل الأحاديث الاسرائيلية عن السلام هى للاستهلاك المحلى ولتضليل الرأى العام العالمى.

وكانت مقالات ورسائل يوسف حلمى هى الاستمرار الطبيعى لموقف الشيوعيين المصريين الحريص على السلام الذى يقوم على حق الشعب الفلسطينى فى دولته المستقلة ووجود اسرائيل الذى قرره الواقع والمجتمع الدولى وكان أول من دعا إلى مؤتمر دولى تحضره الأطراف المتنازعة إلى جانب الدول الخمس الكبرى.

وقد أصبحت الدعوة إلى مؤتمر دولى بعد ذلك هى مطلب الدول العربية والدول

الاشتراكية التي تساندها في مقابل محاولات اسرائيل وأمريكا لقصر التفاوض على اسرائيل وكل بلد عربى على حدة. وقد وجه السادات ضربه شديدة للتوجه لتدويل القضية بسفره إلى القدس وعقده صلحا منفردا مع اسرائيل مما أدى إلى وقف التحرك من أجل المؤتمر الدولى وأدى إلى عزلة مصر عن البلاد العربية مما قوى الموقف الاسرائيلى وسهل لاسرائيل عملياتها العدوانية على لبنان وزيادة تصلب موقفها بعد ذلك.

ولهذا السبب وقف اليسار المصرى ضد كامب ديفيد رغم أنهم يريدون السلام ويناضلون من أجله.

وكانت مساندة القسم الأكبر من اليسار المصرى لاتفاقيات أوصلو ومديرد رغم بعض الانتقادات استمرارا لخطهم من أجل السلام واضعين فى الاعتبار أن الموقف التفاوضى للجانب العربى اليوم أضعف بعد كامب ديفيد الذى أدى إلى عزل مصر وانقسام العالم العربى الذى زاد مرة أخرى بعد الغزو العراقى للكويت. وتزايد هذا الضعف بعد انهيار الاتحاد السوفيتى والبلدان الاشتراكية وانفراد الولايات المتحدة الأمريكية بالهيمنة الدولية.

وإن توحيد الموقف العربى الذى بدأ بعد قمة القاهرة الأخيرة يونيو ١٩٩٦ والخطوات التى نرجو اتخاذها فى هذا الطريق سيدعم الموقف العربى فى مواجهة العدوان الاسرائيلى المستمر والمسنود من الولايات المتحدة الأمريكية.

وإن بيان القمة العربية الأخير هو تأكيد لمواقف اليسار المصرى الذى ناضل ودافع عنها باستمرار، من أجل السلام فى الشرق الأوسط مع حق الفلسطينيين فى إقامة دولتهم على أرضهم فلسطين إلى جانب الدولة الاسرائيلية وتطبيق كل قرارات مجلس الأمن ٢٤٢، ٣٣٨ وانسحاب اسرائيل من كل الأراضى العربية المحتلة وحق اللاجئين فى العودة.

ويتميز جويل بينين أنه قام بجهد علمى جبار من البحث والدراسة واللقاءات والتوثيق لدور اليسار المصرى والاسرائيلى وموقفهم فى النزاع العربى الاسرائيلى. وهذا عمل كبير وإن نشر ذلك فى كتاب يرجع الفضل فيه بلا شك إلى جويل بينين أستاذ التاريخ فى جامعة ستانفورد الامريكية.

مع ذلك فمن الطبيعى مع الكمية الهائلة من المعلومات التى جمعها المؤلف عن الحركة الشيوعية فى مصر أن نجد اختلافا فى بعض المعلومات التى عاصرناها ونستطيع أن نورد شهادتنا بالنسبة لها. ومن الطبيعى أيضا أن يحدث هذا الاختلاف خصوصا مع وجود الانقسام الذى حدث بعد ٨ يناير ٥٨ واختلافات وجهات النظر خصوصا وأن الشهادات التى حصل عليها كانت من تيار واحد ولم تحدث منه مقارنة أو تدقيق للمعلومات التى حصل عليها بتوثيقها من ممثلى التيار الآخر «حدثو».

وسأتعرض هنا لبعض هذه الوقائع التى أوردتها المؤلف.

أولا - عن موقف حدثو من الاتحاد القومى، فإذا كان بين الشيوعيين تيار يرى فيه حزب البورجوازية، فقد كانت حدثو تراه تجمعا يمكن الدخول فيه والعمل على تحويله إلى جبهة وطنية.

ثانيا - أما بالنسبة للقاء السادات مع محمود أمين العالم ورفضه اقتراحه بحل الحزب والدخول كأفراد فى الاتحاد القومى، فقد قال المؤلف فى سياق حديثه ما يوحى بأن الأربعة كانوا مستعدين لقبول اقتراح السادات. وهذا غير صحيح لأن السادات قابل شهدى عطية من مجموعة حدثو ومن الأربعة، وقد رفض شهدى أيضا اقتراح السادات بحل الحزب. ومن المؤكد تاريخيا أن فكرة حل الحزب لم تكن مطروحة عند أى من الجانبين فى ذلك الوقت، وأن أيا من الطرفين لم يتخذ هذا القرار داخل السجن. وغير صحيح ما قاله المؤلف من أن تخفيف التعذيب هو الذى أدى إلى ما يسمى «بحل الحزب» بل إن هذا القرار الذى اتخذ فى المجموعتين فى وقت متقارب عام ١٩٦٥ كانت له أسباب موضوعية وذاتية أخرى كتب عنها الكثير ومن المفيد فى ذلك مراجعة العدد «١١» من قضايا فكرية عن «٧٠ عاما من تاريخ الحركة الشيوعية المصرية».

ثالثا - إن حديثه عن تقرير فؤاد موسى الذى يقول بالطريق المصرى الاستثنائى للاشراكية هو المقدمة الأيديولوجية لحل الحزب، فليس صحيحا على الأقل بالنسبة لحدثو الذى لاقى هذا التقرير منها نقدا ورفضاً كاملا فى وقتها.

ولهذا كنا نفضل ألا يتعرض فى هذا الكتاب القيم لهذه القضايا الخلافية خصوصا وإنها ليست موضوع الكتاب

ويرجع الفضل للمؤلف أيضا، على أنه قدم للقارئ صورة غنية عن اليسار الاسرائيلى فى أغلبها غائبة عن القارئ العربى، ونأمل أن نكون بإصدارنا الطبعة المصرية قد نجحنا فى تقديم إضافة هامة لم يسبقنا إليها أحد للمكتبة العربية ونود هنا أن ننوه بالمساهمة التى قدمتها جامعة ستانفورد والتى ساعدت على صدور هذا الكتاب فى طبعته العربية.

محمد يوسف الجندى

شكر وتقدير

تعلمت كثيراً مما أعرفه عن أمور السياسة في مصر وإسرائيل من محمد سيد أحمد وروثين كاميز. ورغم أن رؤية سياسية واجتماعية متماثلة، كانت تحركهما عدة عقود، فإنهما لم يلتقيا أبداً وجها لوجه. ولو كنا نعيش في عالم أفضل، لكانا قد التقينا منذ وقت طويل واستمد كل منهما القوة من التعلم من جهود الآخر. ربما لا تزال هناك فرصة لذلك. وسيجد كل منهما في هذه الصفحات أصدقاء لكثير من المناقشات التي أجريناها على مر السنين، رغم أن كلاهما سيجد أيضاً أن مالن يوافق عليه فيها ليس بالقدر القليل والأمر الأكثر أهمية من المعرفة التي أشركتني فيها، هو أن كلاهما منحني، بطريقة الخاصة، إحساساً دائماً بالمكان والهدف في بلده. فليس هناك أحد جعلني أشعر بالارتباط بمصر ثقافياً أكثر من محمد سيد أحمد. وكانت عشيرة كاميز بأسرها أسرة ثانية في إسرائيل لي ولأسرتي.

ورحب بي يوسف وإقبال وناولا درويش أحرّ الترحيب في مصر، وقاسموني بيتهم، وذكرياتهم، ورؤاهم المتبصرة بالأحوال الراهنة، وشجعوني على مواصلة تحقيق اهتماماتي في مجال البحوث" وقدموا لي مؤازرة مادية ومعنوية. وعرفوني أثناء هذه المسيرة، بجوانب لمصر لا يمكن إدراكها من خلال القراءة وحدها.

ويدين هذا الكتاب كثيراً للدعم الودي لكثيرين آخرين أتاحوا لي فرصة الحوار معهم (وترد قائمة بهم في البليوغرافيا) و أشركوني في وثائق تاريخية بحوزتهم. فقد اتاحت لي جويس بلاو، فرصة الاطلاع على أوراق هنري كورييل في منزلها في باريس وزودني يوسف حزان بنسخ من مطبوعات مجموعة روما. وسمح لي مكسيم رودنسون باستخدام مجموعة الأوراق والمطبوعات الخاصة بالحركة الشيوعية المصرية، التي جمعها خلال سنوات كثيرة. وزودني أبو سيف يوسف بنسخ من بعض وثائق مجموعة الديمقراطية الشعبية والحزب الشيوعي المصري الموحد. وأتاحت لي نولا درويش فرصة للاطلاع على أوراق والدها عندما كنت منغمساً في مراحل البحث الأولى لمشروع آخر. وكان التفكير في سيرة يوسف درويش من الحوافز الأصلية التي أفضت لهذا الكتاب. وقد ناقش رفعت السعيد معي تاريخ اليسار المصري طوال ما يزيد على عقد من الزمان وقاسموني بصفة دورية الوثائق التي كان يحصل عليها. وأعارني روثين. كاميز مجموعته الكبيرة من مطبوعات الحزب الشيوعي الإسرائيلي (ماكي) وحزب العمال الموحد (المابام). وأطلعني شموئيل أمير على أوراق المتعلقة بتكوين الحزب الاشتراكي اليساري وساعدني على فهم هذه العملية ومنحني مائير لام الإذن بالاطلاع علي أوراق ماكي المودعة في أرشيف كيبوتس ميثوحاد، وسمح لي موشى فلزنستين وأعضاء آخرون من هيئة الكمبيوتر باستخدام الأوراق حتى على الرغم من أنها لم تكن قد فُرزت وصنفت بالكامل في

ذلك الوقت. وكان نوعام كامينر وأشر ديفيدى عونا صادقا بصفة خاصة فى معهد لافون لبحوث العمل. وكان العاملون فى أرشيف هاشومير هاتسجير فى جفعات جابيبا جدّ ودودين ويدعوننى دائما لتناول القهوة والكعك المحلى معهم فى وقت الراحة من العمل، رغم خشيتهم من أنى قد أكون «شاهدا معاديا» كما قال أحدهم.

وتلقت البحوث التى أجريت من أجل هذا الكتاب ، دعما من منح قد مها المركز الأمريكى للبحوث فى مصر، وصندوق الوقف القومى للدراسات الإنسانية، ومؤسسة بيو، وقسم التاريخ بجامعة ستانفورد. وتم وضع مسودته الأولى عندما كنت زميلا فى مركز الدراسات الإنسانية فى ستانفورد. لقد ترأس المدير السابق للمركز ومديره المساعد السابق، و. بليس كارنو تشان ومورتون سوسنا، مؤسسة رائعة وفرت مناخا ملائما وداعما للتفكير والكتابة.

وقد قرأ بنيامين بينن، واستيل فريدمان، وباربرا هارلو، وريوفن كاميز، وزاخارى لو كمان ، وتيموثى ميتشل، وريتشارد روبرتس، وميخائيل شاليف، ومحمد سيد أحمد، مسودة هذا الكتاب بأكملها أو قرأوا أجزاء منها وعلقوا على ذلك. وتكرم عاموس منكنشتاين فعرض قراءة المسودة الأخيرة. وأعرب عن تقديره الكريم ونقده النفاذ فى حديث مكثف ومشجع سأظل أذكره طويلا. كذلك كانت التعليقات التى أدلى بها مراجع لم اعرفه يعمل فى دار جامعة كاليفورنيا للنشر، والتعليقات، التى ابدتها لجنة التحرير بها، عونا كبيرا. وأبدى لين ويذاى، مارى لامبريتش، وآن جيسمان كانرايت من دار جامعة كاليفورنيا، روحا اتسمت بالإنسانية والمساندة والكفاءة وهم يقدمون لى مساعدة تحريرية مثالية. وكانت صداقة زاخارى لو كمان وفطنته الثقافية جوهرية بالنسبة إلى وعيى بدرجة يصعب معها تخيل كيف كان يمكن العمل بدونها. وكان واحداً من أول العروض الشفوية التى تناولت فيها الحركة الشيوعية فى مصر أمام اجتماع موسع للجنة تحرير ميدل إيست ريبورت. واختلف معى بشدة حنا باتاتو، رشيد خالدى، وآخرون فى تلك المناسبة، لكنهم حفزوني على مواصلة التفكير فى القضايا التى أثّرت.

وقد شاركتنى زوجتى ميريام، كثيرا من التجارب الحية فى مصر وإسرائيل مما وفر لى الرفقة والمساندة اللتين كان من المستحيل إتمام هذا العمل بدونهما. وصحبنى جامى، ابنى فى رحلة بحث لإسرائيل وبذلك وفر لى فرصة رؤيتها من جديد من منظور طفل.

لقد كان تأليف كتاب يتخذ المرء مواقف تتراوح بين التأييد والمعارضة من موضوعاته، تحديا. وكثيرون ممن كتبت عنهم هم بالنسبة لى منذ زمن بعيد أصدقاء أو لأصدقاء، أو آباء لأصدقاء، أصدقاء لأصدقاء، أو أصدقاء لآباء، وماضى الخاص جد متشابك بموضوع هذا الكتاب. وكانت كتابته طريقتى لفرز الأمور. ولا يشاركنى أى من الذين ساعدوني على امتداد هذا الطريق، مسؤولية الأخطاء والاستنتاجات الواردة فيه، إلا إذا اختاروا هم ذلك.



الفصل الأول

تقديم

هذا الكتاب هو محاولة لإعادة تشكيل مفهوم تاريخ النزاع الفلسطيني / العربي - الإسرائيلي من خلال عدسات تاريخ السياسات الماركسية. والغرض من القيام بهذا هو دراسة العملية التي تحققت بها هيمنة السياسات القومية وتأكيد الوجود التاريخي لسياسات بديلة مع تحليل أسباب فشلها. وقد عولجت ثلاثة تشكيلات سياسية ماركسية في مصر وإسرائيل بصورة مقارنة وبالنسبة لبعضها البعض: الحركة الشيوعية في مصر (في المحل الأول، الاتجاهات الكبيرة الثلاثة) والحزب الشيوعي الإسرائيلي (ماكي) وحزب العمال الموحد الإسرائيلي (مابام)، الذي حاول الاستمرار في الالتزام المزوج بالماركسية والصهيونية، لكنه فشل في نهاية المطاف.

وقد نادت هذه التشكيلات السياسية قبل حرب ٤٨ - ١٩٤٩ وبعدها على حد سواء، بحل سلمي للقضية الفلسطينية والنزاع العربي الإسرائيلي على الأساس الذي استهدفه مشروع الأمم المتحدة للتقسيم في نوفمبر ١٩٤٧: الاعتراف بحق تقرير المصير لكل من الشعبين العربي والإسرائيلي، وتكوين دولة عربية ودولة فلسطينية في فلسطين/ أرض إسرائيل (ارتس إسرائيل)، وإقامة سلام يقوم على الاعتراف المتبادل بين إسرائيل والدول العربية. ومع اشتداد، ساعد الخطاب السياسي القومي الداعي للهيمنة في كلا البلدين في منتصف الخمسينيات، بدأ الماركسيون يعدلون مواقفهم الأصلية بدرجات متفاوتة. وبحلول منتصف الستينيات، كانت الأحزاب الشيوعية قد فشلت في إقناع شعب مصر أو إسرائيل بأن يتبنى نهجها إزاء النزاع الفلسطيني / العربي - الإسرائيلي، ومع ذلك كانت مواقفها لا تزال تضعها فيها وراء توافق الرأي القومي السائد. ونتيجة لعزلتها، تخلت تدريجياً عن معارضتها الأمية المتميزة للخطاب القومي الداعي للهيمنة، وتخلت أخيراً عن كيائها التنظيمي المستقل. ففي ١٩٦٥، حلّ الحزبان الشيوعيان المصريان نفسيهما وانضمّا لحزب النظام الناصري، الاتحاد الاشتراكي العربي. وانقسم ماكي إلى عنصرين أحدهما قاصر على اليهود والثاني مكون من العرب أساساً: (ماكي) والقائمة الشيوعية الجديدة (راكاح). وتبنى ماكي اليهودي نظرة صهيونية وانحلّ في

نهاية المطاف. واستمر راحا كاح باعتباره قوة معارضة فى الأساس فى السياسة الإسرائيلية، واسترد مؤخرا اسم ماكى. ولكنه نظرا لأنه حدد هويته بصورة متزايدة باعتباره حزبا عربيا، فقد أصبح معزولا على هامش السياسة الإسرائيلية. وكفّ المابام عن أن يكون حزبا للمعارضة يطرح بديلا لتوافق الرأى الصهيونى عندما انضم للحكومة الائتلافية التى قادها حزب عمال إسرائيل (الماباى) فى ١٩٥٥ ووافق بأثر رجعى على حرب ١٩٥٦.

ونظرا لأن النزاع العربى الإسرائيلى كان قد أصبح قضية بارزة فى السياسات القومية فى كل من مصر وإسرائيل بحلول منتصف الخمسينيات فإن موقف الماركسيين من هذه القضية يوفر مدخلا إلى المسألة الأوسع الخاصة بدور الأحزاب الماركسية فى الحلبة السياسية التى شكلها النضال الوطنى. وقد كتب ايريك هوسباوم أن الأحزاب الشيوعية، الشكل التنظيمى البارز للحركة الاشتراكية الدولية من ١٩١٧ وحتى وقت قريب نسبيا جاءت نتاجا «لزواج تم بين شريكين يفتقران للتجانس، اليسار الوطنى وثورة أكتوبر»^(١). ولم يكن اليسار فى الشرق الأوسط وأجزاء أخرى من العالم استعمرتها الدول الأوروبية، يسارا قوميا فحسب، بل كان ذا نزعة قومية متطرفة جدا. وأصبحت الماركسية قوة سياسية باعتبارها عنصرا فى حركة التحرر الوطنى المعادية للاستعمار فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية.

ومثلما قال هنرى كورييل، مؤسس الحركة المصرية للتحرر الوطنى فإنه «إذا كانت طلقات مدافع أكتوبر قد وصلت بالماركسية إلى الصين (حسبما قال ماو)، فإن طلقات مدافع ستالينجراد قد أوصلتها لمصر»^(٢). وكان العمل السياسى الماركسى حاسما فى تعبئة الحركة الوطنية المصرية فيما بعد الحرب وإضفاء طابع راديكالى عليها. ومن ثم، اكتسب المفهوم الماركسى عن الامبريالية رواجا واسعا بين المثقفين، وأصبح العمل المنظم عنصرا بارزا بصورة كبيرة فى الجبهة الوطنية. ومع ذلك، فنظرا لأن الماركسية لم تقو اجتماعيا أو تنظيميا، فقد استطاع الضباط الأحرار فى نهاية الأمر تولى قيادة الحركة الوطنية - وهو دور كان الماركسيون يعتقدون أنه مكتوب لهم. وفى النهاية قمع النظام العسكرى المنظمات الماركسية وإن تبنى اسميا كثيرا من شعاراتها وبرامجها.

وفى المجتمع العربى فى فلسطين، فإنه مع دوى طلقات ستالينجراد فى خلفية الصورة، أصبحت الماركسية للمرة الأولى قوة اجتماعية وسياسية نتيجة للاتجاه الوطنى الجديد للشيوعيين الفلسطينيين وانتقادهم لقيادة الحركة الوطنية الفلسطينية، التى افترضت سياساتها التقليدية التى سيطر عليها الأعيان باعتبارها غير كفء مع هزيمة الثورة العربية فى ١٩٣٦ - ١٩٣٦.

وكانت طلقات مدافع أكتوبر قد وصلت أصلا بالماركسية إلى المجتمع اليهودى (اليشوف)^(*) فى فلسطين وأثرت بقوة على الصهيونية العمالية - الاتجاه المهيمن فى الحركة الصهيونية من الثلاثينيات إلى السبعينيات. وفى داخل الصهيونية العمالية. كان الماباى هو أكبر تيار - وهو سلف

(*) تطلق كلمة «يشوف» بالعبرية على المجتمع اليهودى المنظم فى مرحلة ما قبل الدولة.

حزب العمل. ورغم أن ديفيد بن جوريون زعيم الماباي كان قد غازل الماركسية في بداية حياته السياسية، فإنه تبنى قبل أن يتقوى الحزب تنظيميا بفترة طويلة نظرة معادية للماركسية، نظرة إصلاحية، ديمقراطية اجتماعية أخضعت الصراع الطبقي صراحة لضرورة الحفاظ على التحالف مع اليهود المؤسرين خارج فلسطين ومع الحكومة البريطانية (ومع حكومة الولايات المتحدة فيما بعد) لتحقيق الأهداف الصهيونية. وكانت معارضة الماباي التاريخية، والناجحة حتى عام ١٩٦٥، لعضوية العرب في الهستدروت (الاتحاد العام للعمال اليهود في أرتس إسرائيل)، والذي كان يعد فيه هو أكبر حزب حتى ذلك الحين، هي أبرز تعبير عن رفضه للنهج الماركسي الأحمر التقليدي لحل النزاع الفلسطيني الصهيوني على أساس موقف للطبقة العامة.

وكانت العناصر المكونة للمابام تعتبر نفسها ماركسية، ومع ذلك فقد منحتها المنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية، الموارد المالية والتنظيمية والأراضي اللازمة للاستيطان فيها. ومن ثم، ففي داخل الحركة العمالية الصهيونية، تم تحديد مفاهيم الكيبوتزات والنقابات والثقافة العمالية، وبالطبع الاشتراكية والصراع الطبقي بتهجئة ماركسية وغير ماركسية - ولم يكن ذلك يتم دائما بتمييز حاد بينهما. ومن ثم، فإن الأفكار الماركسية لم تكن غريبة أو غير مشروعة في حد ذاتها داخل اليسوف، خاصة بعد أن أيد الاتحاد السوفيتي مشروع التقسيم. وبالإضافة لذلك، فإن النضال المعادي للفاشية للأحزاب الشيوعية الأوروبية في الثلاثينيات والدور البطولي للاتحاد السوفيتي في هزيمة النازية، أخرجوا الحزب الشيوعي الفلسطيني من عزلته، وخلقوا تعاطفا واسعا مع الاتحاد السوفيتي، وأقنعا كثيرين في اليسوف بأن الماركسية كانت هي النظرة العالمية المعادية للفاشية الأشد اتساقا، وأضفيا طابعا راديكاليا على الطبقة العاملة اليهودية في الكيبوتزات والمدن على حد سواء. وأدت المنزلة المهيمنة للصهيونية العمالية، وبروز المابام، والمشروعية قصيرة الأجل التي حظي بها الحزب الشيوعي، بكثيرين من المراقبين المحليين والأجانب للسياسات الإسرائيلية بعد إقامة الدولة مباشرة، إلى استنتاج أن الطبقة العاملة اليهودية قد تتبنى منظورا ثوريا وتصبح طليعة الثورة الاشتراكية في الشرق الأوسط بأسره^(٣).

وعلى نقيض ميزان القوى السياسية فيما بعد ١٩٦٧، فإن عناصر المابام الماركسية كانت في السنوات الأخيرة للانتداب والسنوات الأولى لقيام الدولة، قد أصبحت قوة في الحلبة السياسية أكثر أهمية من تنظيم إسحاق شامير، ليحيى (المقاتلون من أجل حرية إسرائيل) أو تنظيم مناحم بيجن، ايتزل (المنظمة العسكرية الوطنية)، اللذين تم استبعادهما باعتبارهما تنظيمين انقساميين خارج الإجماع القومي، وذلك من قبل الكثيرين من (وليس كل) الليبراليين والصهيونيين العماليين. وقد رفض بن جوريون بعناد أن ينظر في قبول حزب حيروت (الحرية) الذي انشأه بيجن بعد حلّ ايتزل في أي ائتلاف حكومي. وانظم بيجن إلى الحكومة لأول مرة فقط عشية حرب ١٩٦٧. وكان للصهيونيين العموميين من دعاة الوسط (الليبراليون فيما بعد) والأحزاب الدينية، أهميتهما قبل ١٩٦٧ أساسا بسبب أنهما كانا يحطيان بتأييد كبير بين الصهيونيين الأمريكيين ولسبب أن بن جوريون كان يفضلهما على المابام كشريكين في ائتلاف حكومي. وفيما قبل ١٩٦٧، بدا من غير المتصور قيام

تحالف بين الليكود (وحزب حيروت التاريخي هو العنصر الرئيسي فيه) والأحزاب الدينية اليهودية الأرثوذكسية، ليصبح القوة السائدة في السياسات الإسرائيلية.

وهكذا، فإن الماركسيين في كل من مصر وإسرائيل كانوا يسعون فيما بعد الحرب العالمية ليشذوا لنفسهم مكانا داخل الحركة الوطنية لكنهم كانوا أضعف من أن يقودوا تلك الحركة. وأصبح كثير من الأفكار الماركسية رائجا فيما وراء صفوف الأحزاب الشيوعية، لكن الاشتراكيين غير الماركسيين الذين كانوا يمثلون تحالفا واسعا من القوى الطبقة كانوا قد أصبحوا هم القوة المسيطرة في الحركات الوطنية، وكان هذا الموقف يرجع في الأساس إلى السمات الهيكلية المميزة للطبقة العاملة وعلاقتها بالطبقات الأخرى في التحالف الوطني. ففي مصر، كانت الطبقة العاملة صغيرة وغير متطورة سياسيا، وفي إسرائيل، كانت أيضا معتمدة عضويا على رأس المال، على الرغم من أنها كانت كبيرة ومنظمة في مجمع متقدم من المؤسسات.

وفي حين أنه من المستحيل كتابة تاريخ أي حركة شيوعية وطنية بدون أن نضع في الاعتبار الدور القيادي للاتحاد السوفيتي في الحركة الدولية والمحددات الدولية الأخرى، فإن هذا الكتاب يركز على العوامل الوطنية المحلية في صعود وانحيار السياسات الماركسية في مصر وإسرائيل. ذلك أن الحالة الخاصة لصعود الحركات المعادية للاستعمار والامبريالية في العالم الثالث، والتجاوز الغريب للستالينية الراحلة والحرب الباردة، قد جعلت فك الارتباط بين العنصرين الوطني والدولي للماركسية في الشرق الأوسط، أمرا صعبا بصفة خاصة. وفي الغالب الأعم، كانت الأحزاب الشيوعية تعتبر دالة للسياسة الخارجية السوفيتية، وتم إلقاء قليل من الاهتمام للقوى الاجتماعية المحلية التي جعلتها قوى عاملة فاعلة على الساحة السياسية الوطنية على الرغم من الحجم الصغير لعضويتها بصفة عامة^(٤). وبالإضافة لذلك، فإن التزام الماركسيين بالأممية في معارضة الاتجاه الوطني المتطرف السائد في مصر وإسرائيل، أعتبر قمعا غير طبيعي للنضال الوطني «الحقيقي» لأعضاء الحزب، فرضته عليهم متطلبات السياسة السوفيتية أو اعتبارات تكتيكية مؤقتة أخرى^(٥).

وبالإضافة لذلك، لم يكن لدى الأحزاب الماركسية فهم كاف للنزعة القومية وقوتها السياسية، وذلك كجزء من التراث المشترك للماركسية الاقتصادية والاختزالية للدولتين الثانية والثالثة، وإذا استندت هذه الأحزاب إلى كتابات ستالين وماو، فقد اعتنقت وجهة نظر نفعية إزاء نضال التحرير الوطني باعتباره أداة، ومرحلة أولية ضرورية من المحتم أن تحل محلها سياسات الصراع الطبقي. ومن ثم، فقد شارك الماركسيون في، وأضافوا مشروعية على الخطاب السياسي الوطني بدون أن يدركوا أنهم إذ يفعلون ذلك، فإنهم يشتركون في خلق الظروف اللازمة لنزع المشروعية عن مشروعهم السياسي الأحمر المستند لطبقة.

ولتلخيص الفكرة نوضح أن الهيكل الداخلي للحركة الصهيونية والدولة الإسرائيلية التي أقامتها من ناحية والتحالف الطبقي الوطني والمعادي للامبريالية الذي شكله جمال عبد الناصر من ناحية أخرى، هما اللذان همشا في المحل الأول، السياسات الماركسية ومن ثم المنهج الماركسي تجاه

النزاع العربى الاسرائيلى. وبالإضافة لذلك، كان الماركسيون مسؤولين إلى حد ما عن العملية التى أدت إلى فشلهم، وقد تراءى هذا فى عمليات تكوين المفاهيم الايديولوجية والنظرية التى قاموا بها وكذلك فى التكوين الاجتماعى للأحزاب والعلاقات بين عناصرها الطبقية والاثنية المختلفة. وهذا التحليل ليس اتهاما تاريخيا للتشكيلات السياسية الماركسية ولا نقدا بأرا فى عين نفسه «للأخطاء» الايديولوجية التى كانت ستؤدى للنجاح لو «صححت». إنه مجرد القول بأن الحركات السياسية الماركسية هى نتاج للتاريخ التى سعت هى نفسها لفهمه وتشكيله، وأنه يمكن فهمها بطريقة سليمة فى ذلك السياق فحسب..

□ مقارنة مصر واسرائيل

قد يبدو غريبا تناول مصر واسرائيل فى نفس الإطار التحليلي، لأنه للوهلة الأولى تبدو نظمها السياسية وثقافتاهما ومسارهما التاريخيان جدّ مختلفين. وهذا الكتاب لا يقارن بين البلدين وتشكيلاتهما السياسية الماركسية وفق محاور ثابتة. فلا يمكن تناول الصهيونية والقومية العربية بصورة متماثلة بسبب علاقاتهما غير المتماثلة بصورة أساسية بالدول الغربية الامبريالية التى هيمنت على الشرق الأوسط، ومن ثم، فهذه محاولة لبناء ما أسماه بيرى اندرسون «تاريخا علائقيا: تاريخا يدرس تواتر تأثير مختلف الواحدات والثقافات القومية أو الإقليمية - المتبادل أو اللامتماثل-على بعضها البعض». وعلى الرغم من الافتقار للتماثل بين مصر واسرائيل، فإن العمليات التى أصبحت بها الايديولوجيات الوطنية هى الخطاب السياسى السائد فى البلدين كانت متماثلة ومترابطة من الناحية الجدلية. ويشير هذا إلى أن مصائر الماركسيين المصريين والإسرائيليين، كانت إلى حد ما مترابطة فيما بينها ومرتبطة بنفس القوى التاريخية.

لكن لماذا نقارن بين المصريين فى مصر واسرائيل؟ فهناك حركات شيوعية أيضا فى سوريا ولبنان والعراق والأردن تشارك لحد كبير النظرة العالمية للماركسين الإسرائيليين. وفى حين أن الصلة كانت قليلة بين الشيوعيين السوريين - اللبنانيين والاسرائيليين بعد ١٩٤٨، فإن الشيوعيين العراقيين والأردنيين كانوا مرتبطين بالشيوعيين الفلسطينيين والإسرائيليين بطرق قد تستدعى تحليلا علائقيا. فقد كان الحزب الشيوعى العراقى، مثله مثل الحركة الشيوعية فى مصر، يضم عددا من الاعضاء اليهود أكبر من غيرهم، وانضم كثيرون منهم إلى ماكى بعد الهجرة لإسرائيل فى ١٩٥٠-١٩٥١. وقد تأسس الحزب الشيوعى الأردنى على أيدي العرب الفلسطينيين فى ١٩٥١، وكان معظم أنصاره حتى ١٩٦٧ من المقيمين فى الضفة الغربية - أرض فلسطينية سابقة احتلتها الاردن وكان ينبغى بموجب مشروع الأمم المتحدة للتقسيم أن تصبح جزءا من الدولة الفلسطينية العربية. لكن الشيوعيين المصريين هم وحدهم الذين حاولوا إقامة علاقة مع نظرائهم الاسرائيليين، رغم أن ذلك تم فى معظم الأحوال فى ظل خلاف شديد بشأنه وبصورة غير مباشرة من خلال هنرى كورييل ومجموعة الشيوعيين اليهود المصريين المهاجرين التى كان يقودها فى باريس.

وربما كان الأمر الأكثر أهمية، هو أن مصر كانت حتى توقيع معاهدة السلام المصرى الإسرائيلى

في ١٩٧٩، هي الخصم العربي الأشد بأسا لإسرائيل، فقبل إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية في ١٩٦٤ وإعادة تنظيمها في ١٩٦٧، كان العمل الفلسطيني المستقل في النزاع مع إسرائيل، قد أصبح كاسفا بصورة متعمدة عادة، من جراء دور الدول العربية. ومن ثم، كانت مصر وإسرائيل تعتبران القوتان الأساسيتان في النزاع. ولهذه الأسباب، اخترت التركيز على الماركسيين في البلدين، رغم إنني أتعرض بإيجاز لذكر الأحزاب الشيوعية في البلدان العربية الأخرى عند الاقتضاء.

□ تاريخ تنقيحي للنزاع العربي الاسرائيلي

إن تفسير أصول وأسباب النزاع العربي الاسرائيلي والقضايا المرتبطة به والذي تقاسمته الأحزاب الماركسية، شكلته مقاييس مختلفة كلية عن تلك السائدة في مجتمعاتها، فخلال الثلاثينيات، تبنى الحزب الشيوعي الفلسطيني منهجا متمركزا على العرب، فسر النزاع العربي اليهودي في فلسطين باعتباره نزاعا بين السكان الأصليين ومستوطنين استعماريين، واستمر هذا المنهج في عصبة التحرر الوطني العربي الفلسطيني ومجموعة الفجر الجديد المصرية. ومع ذلك، فبحلول ١٩٤٧-٤٨، تبنى الماركسيون رأيا يقول إن التوترات بين العرب واليهود في فلسطين قد أثارها الامبرياليون البريطانيون تطبيقا لتاكتيك فرق تسد الذي يتيح لبريطانيا الاستمرار في احتلال البلاد. وفي حين أن بعض الأحداث في تاريخ الانتداب على فلسطين تؤيد هذا، فقد كانت تلك المقولة في الأساس أسطورة نافعة أتاحت للماركسيين الفرصة لتنظيم أنفسهم والعمل على أساس من الاعتقاد بأنه ليس هناك أية تناقضات بين المصالح الوطنية «الحقيقية» لكلا الشعبين وأن أية تناقضات بادية يمكن حلها بالاتحاد معا ضد العدو الامبريالي المشترك. وكانت هناك عناصر أخرى في التفسير الماركسي لها أساس تاريخي أكثر رسوخا.

وبالطبع، فقد روى الفلسطينيون العرب دوما قصة لتاريخ نزاعهم مع إسرائيل، مختلفة عن الرواية الصهيونية الأكثر شيوعا في الغرب، لكنها ظلت حتى وقت قريب، موضع تجاهل كبير، وقد فضحت البحوث التي أجراها في الأساس اسرائيليون في محفوظات دولة إسرائيل وفي محفوظات اسرائيلية عامة وخاصة أخرى، زيف كثير من عناصر الميثولوجيا الوطنية الصهيونية، وبدرجة أقل زيف الميثولوجيا الوطنية العربية^(٧). ولسوء الحظ، فإنه لا الحكومة المصرية ولا أي حكومة عربية أخرى جعلت المواد المتعلقة بفترة ما بعد الحرب العالمية الثالثة في محفوظاتها الوطنية، متاحة للبحث التاريخي. ونتيجة لذلك، انصب العمل التنقيحي للتاريخ على إسرائيل وأعمالها.

ومن بين المؤرخين التنقيحيين الاسرائيليين، تبنى سيمحا فلابان، النهج الأكثر شمولا واستفزازا عن قصد، عن طريق محاولة تفنيد سبع أساطير أساسية عن ميلاد إسرائيل كانت جوهرية بالنسبة للتأريخ الرسمي الصهيونية - ألا وهي (١) أن الصهيونيين قبلوا مشروع الأمم المتحدة للتقسيم وخططوا للسلام، (٢) أن العرب رفضوا التقسيم وشنوا الحرب، (٣) وأن الفلسطينيين هربوا طوعا، (٤) وأن الدول العربية اتحدت لطرد اليهود من فلسطين، (٥) وأن الغزو العربي جعل الحرب لا مفر منها، (٦) وأن إسرائيل واجهت قوات عربية متفوقة عسكريا في حرب ١٩٤٨-٤٩، (٩) وأن

اسرائيل قد سعت دوما للسلم، لكن لم يستجب لها أى من القادة العرب^(٨). وعمل فلابان أضعف ما يكون فيما يتعلق بالقضايا المتصلة بالنوايا السياسية العربية والحملة العسكرية العربية على اسرائيل، ومع ذلك، فإن دراسات تفصيلية وموثقة بصورة وفيرة أجراها بنى مورس وأخى شلايم قد عززت مقولات فلابان، خاصة تلك المتعلقة بنوايا اسرائيل فى تفادى التطبيق الكامل لمشروع الأمم المتحدة للتقسيم، وطرده السكان العرب، واستعداد بعض الدول العربية لتجنب الحرب وإبرام السلام مع اسرائيل^(٩).

ووظيفة الأساطير التى انتقدها فلابان فى الخطاب الصهيونى هى تصوير القضية الأساسية للنزاع بأن رغبة اسرائيل المستمرة فى السلام قابلها رفض «العرب» الاعتراف «بحق اسرائيل فى الوجود». ولو كان هذا التشخيص سليما، فإن كل أعمال اسرائيل العسكرية ضد الفلسطينيين والدول العربية تكتسب بحكم هذا التعريف صفة الدفاع المشروع عن النفس، وبالنسبة للماركسيين، فإن لبّ النزاع هو أن الشعب اليهودى طبق حقه فى تقرير المصير الوطنى بإقامة دولة اسرائيل، فى حين أن حق شعب فلسطين العربى فى تقرير المصير لم يتحقق، نتيجة لتواطؤ بين اسرائيل وشرق الأردن، ومشاركة بريطانيا والولايات المتحدة من بعد فى الجريمة. وبالإضافة لذلك، عرقلت اسرائيل والدول العربية الموالية للغرب، خاصة الأردن، باستمرار تطبيق حق تقرير المصير لعرب فلسطين منذ ١٩٤٨.

وحسب توافق الرأى الاسرائيلى، كان الفلسطينيون الذين بقوا فى اسرائيل، طابورا خامسا محتملا ينبغى مراقبته بعناية، وقد اضطلعت اسرائيل بهذه المهمة مع مراعاة للقواعد الديمقراطية بقدر اتفاقها مع الاعتبارات المشروعة لامنها، وعلى النقيض من ذلك، كان الماركسيون يرون المواطنين الفلسطينيين، هم، أقلية وطنية مضطهدة تسلبها دولة اسرائيل أرزاقها وحقوقها السياسية، وقد ظهر تقرير صبرى جرجس الكلاسيكى عن نزع ملكيات المواطنين الفلسطينيين العرب واضطهادهم لأول مرة بالعبرية فى ١٩٦٦^(١٠). وحتى ذلك الحين، لم يكن الرأى العام الاسرائيلى مهتما بهذه القضية، وكان رد الفعل النقدى الشائع للكتاب هو إدانة جرجس باعتباره متطرفا قوميا متعصبا ناكرا لجميل التعليم القانونى الذى تلقاه فى الجامعة العبرية، وبالإضافة لذلك، فإنه نظرا لأن الطبعة الانجليزية الأولى منه قد نشرتها منظمة التحرير الفلسطينية بعد أن ترك جرجس اسرائيل وأصبح مستشارا لياسر عرفات، فإن كتابه لم يحظ بمصداقية دولية واسعة، لكن «وازنه» فيما بعد اعتذار علمى عن معاملة اسرائيل لمواطنيها الفلسطينيين العرب، يحمل نفس العنوان^(١١). فبعد ما يزيد على العقد من ذلك، أكدت دراسات أجراها إلبازريق، لان لوستيك، وتشارلس كامن بصورة جوهرية وفصلت رواية جرجس وجعلته معروفا ومقبولا على نطاق أوسع^(١٢).

وقد تشبث كل من التأريخ الرسمى الصهيونى والقومى العربى بأسطورة أن الدول العربية شكلت على الدوام جبهة راسخة ضد اسرائيل، ترفض عروض اسرائيل لحل النزاع سلميا، ولكن مثلما بين فلابان وشلايم، فإن الأردن توطأ مع اسرائيل قبل حرب ٤٨-١٩٤٨ ويعدها لمنع قيام دولة

فلسطينية عربية، وأن سوريا كانت لفترة وجيزة مستعدة للنظر في توقيع معاهدة سلام تنهى حالة الحرب في ١٩٤٨. وعلى الرغم من أنه كانت هناك فجوة بين وجهتي النظر المصرية والاسرائيلية في النزاع والأساس الذي يمكن حله اعتمادا عليه، فإن مصر لم تتبع سياسة العداء الذي لا يهن إزاء اسرائيل الذي كان محتما معه أن تنشب «الجولة الثانية» لعام ١٩٥٦ (١٣). ورغم أنه لم تواصل أى دراسة شاملة بعد ذلك الخط التصحيحي للمقولات التي شاعت في الخمسينيات وأن كثيرا من الوثائق الحاسمة المتعلقة بهذه الفترة لا تزال سرية لم يكشف عنها، فإننا نعرف ما يكفي ويزيد لتحديد إطار سليم من أجل قصة تاريخية بديلة.

فخلال السنوات التي انقضت بين الحرين الأوليين بين العرب واسرائيل، لم تكن حدود اسرائيل، ووضع اللاجئين الفلسطينيين ومستقبلهم السياسي، وعلاقات اسرائيل مع جيرانها العرب، أمورا محددة، وكان التصور الشائع عنها أنها قابلة للمراجعة. ولم تؤد اتفاقات الهدنة الموقعة بين اسرائيل وجيرانها العرب في مطلع ١٩٤٩ إلى إقامة حدود دولية معترف بها. وبصفة خاصة، رفضت مصر ادعاءات اسرائيل في النقب لأن اسرائيل احتلت المنطقة بعد أن انتهكت وقف إطلاق النار من جانب واحد في ١٥ (تشرين أول) ١٩٤٨. وقد أمر قرارا مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة الصادران في ٤ نوفمبر و١٦ نوفمبر ١٩٤٨، كلا الجيشين بالرجوع إلى المواقع التي كانا يحتلانها في ١٤ أكتوبر، لكنهما لم يمتثل لذلك. وفي ١١ ديسمبر، كررت الجمعية العامة هذه الدعوة وأصدرت أيضا توجيهها لاسرائيل بإعادة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم. وفي (نيسان) ١٩٤٩ عقدت لجنة التوفيق من أجل فلسطين التابعة للأمم المتحدة مؤتمر لوزان في محاولة لوضع حد للنزاع عن طريق التفاوض. وهناك، وافق الاسرائيليون لفترة وجيزة، وتحت ضغط من الولايات المتحدة، على إعادة مائة ألف لاجئ. وقد تم إسقاط هذا العرض ولم يقدم ثانية عندما أصبح واضحا أن الدول العربية لن تعترف في مقابله، بمكاسب اسرائيل الإقليمية خلال الحرب وتتخلى عن مبدأ أن لكل اللاجئين حق العودة لديارهم، وبعد ذلك، أصبح الموقف الاسرائيلي الرسمي هو «لن يعود لاجئ واحد».

ورغم المأزق الدبلوماسي في لوزان، لم يسد في مطلع الخمسينيات رأى موحد ومتصلب إزاء النزاع لا في مصر ولا في اسرائيل. وفي الفترة من ١٩٤٨ إلى ١٩٥٦، انهمك البلدان في تبادل دبلوماسي موسع للآراء، تضمن إجراء محادثات بين السفيرين المصري والاسرائيلي في الأمم المتحدة في ١٩٥١ و١٩٥٢، وقيام اتصالات منتظمة بين الدبلوماسيين في العواصم الأوروبية، خاصة باريس، حتى ١٩٥٥، وتبادل للخطابات ومحاولة لعقد اجتماع بين موسى شاريت وجمال عبد الناصر في أواخر ١٩٥٣، وجهود للوساطة من قبل أطراف ثالثة من بينهم مورييس أورباتسن عضو البرلمان عن حزب العمال البريطاني في ١٩٥٤، والمور جاكسون من اللجنة الأمريكية لخدمة الأصدقاء في ١٩٥٥، وروبرت اندرسون مبعوث الرئيس الأمريكي في ١٩٥٥ - ٥٦ ودوم منتوف زعيم حزب العمال في مالطة في ١٩٥٦.

وقبل انقلاب ٢٣ يوليو ١٩٥٢ العسكري وبعده، أصدر مسؤولون حكوميون، وزعماء

سياسيون وشخصيات عامة في مصر بيانات كثيرة تعلن أن الحل السلمي للنزاع والتعايش مع إسرائيل أمر ممكن ومستصوب، رغم أن البيانات الرسمية كانت ملتوية ومتناقضة^(١٤). ومع ذلك، فلم يُسلم أى زعيم مصرى أو عربى أبدا بصحة مكاسب إسرائيل الإقليمية فيما وراء الحدود التى عينها مشروع الأمم المتحدة للتقسيم ولا بالفكرة، التى أصبحت عمليا حقيقة بديهية بذاتها فى إسرائيل فى بداية الخمسينيات، والقائلة بأن الفلسطينيين الذين هربوا أو طردوا خلال حرب ١٩٤٩-٤٨ خسروا حقوقهم فى ديارهم وأراضيهم.

وكشف نشر يوميات موسى شاريت أن القسم من المabay الذى كان يقوده ديفيد بن جوريون رئيس الوزراء ونوابه الشبان - وكان من أبرزهم موسى ديان، رئيس أركان قوات الدفاع الإسرائيلية من ١٩٥٤ إلى ١٩٥٧، وشمعون بيرس المدير العام لوزارة الدفاع فى الخمسينيات ومهندس التحالف الاسرائيلى الفرنسى - كان يعمل باستمرار على تفاقم التوترات على حدود إسرائيل وتضييع فرص التفاوض مع الدول العربية والتى قد يتوقع خلالها أن تتنازل إسرائيل عن أراض أو تعيد عددا كبيرا من اللاجئين الفلسطينيين. وقد استحدثوا مبدأ عسكريا سياسيا للعمل الفعال: سياسة ضربات الإجهاض الوقائية، والردع واسع النطاق، وخلق «الحقائق». وكانوا يعتقدون أن الإظهار المتكرر لتفوق إسرائيل العسكرى الحاسم، سيجبر العرب على الاعتراف بإسرائيل بشروطها، وإن لم يحدث ذلك، فإنه سيوفر إمكانات التوسع الإقليمى لإسرائيل.

وأصبح الأمن عبادة وطنية اسرائيلية بعد ١٩٤٨. وجعل بن جوريون من قوات الدفاع الاسرائيلية المؤسسة المركزية فى الدولة ودعم سيطرته عليها بشغل منصب رئيس الوزراء ووزير الدفاع والقضاء على كل مصادر السلطة المنافسة المحتملة^(١٥). وفى نوفمبر (تشرين ثانى) ١٩٤٨، حتى قبل نهاية الحرب من أجل استقلال إسرائيل، حلّ وحدة البالماخ التى كانت تضم النخبة المتميزة فى عصر ما قبل الدولة لأنه لم يكن يثق فى هيئة ضباطها التى كان المابام يسيطر عليها. وبحلول عام ١٩٥٠ ثم طرد معظم أعضاء المابام فى المراتب العليا من هيئة الضباط من قوات الدفاع الاسرائيلية. ورقى بن جوريون المتشددى النشاط الشبان للمناصب الرئيسية فى مؤسسة الأمن.

وكانت الوحدة ١٠١، وهى سرية للكوماندوز غير تقليدية انشئت للقيام بغارات انتقامية على انتهاك حدود إسرائيل تحت قيادة آرئيل شارون، رمزا لسلطة المتشددى النشاط. وفى مطلع الخمسينيات تسلل آلاف من اللاجئين الفلسطينيين إلى إسرائيل. جاء البعض منهم لرؤية أسرهم أو استرداد ممتلكاتهم، وارتكب البعض منهم أعمالا للتخريب والإرهاب. وإذ شعرت قوات الدفاع الاسرائيلية بالإحباط لعجزها عن وقف التسلل، فقد أنشأت الوحدة ١٠١ فى (آب) ١٩٥٣. وهاجمت هذه الوحدة أهدافا لا ترتبط بمصدر انتهاكات الحدود وأوقعت خسائر كبيرة بالمدينين الأبرياء تتجاوز أبعادها بدرجة كبيرة الخسائر التى عانى منها الاسرائيليون. ورغم أن معظم المتسللين جاؤا من الأردن، فإن أعمال الانتقام وجهت أيضا إلى مصر بغية إضعاف النظام الذى كان خصم إسرائيل الأشد بأسا^(١٦). وكان أول عمل افتتاحى للوحدة ١٠١ هو غارة على معسكر البريج للاجئين

الفلسطينيين فى قطاع غزة، قُتل فيها تسعة عشرة لاجئا -منهم سبع نساء وأربعة أطفال- وجرح ثمانية عشر^(١٧). وفى ١٤ (تشرين اول)، هاجمت الوحدة ١٠١ قرية قيبية فى الضفة الغربية، وقتلت ثلاثة وخمسين مدنيا، وجرحت خمسة عشر، ونسفت أربعين منزلا ردا على اغتيال امرأة اسرائيلية وابنيها. وأعلن بن جوريون فى الإذاعة الاسرائيلية أن الغارة التى وصفها رئيس لجنة الهدنة المشتركة التابعة للأمم المتحدة بأنها «تدمير وحشى» و«عمل شنيع»، قد نفذها أعضاء مدنيون فى لجان الأمن الأهلية المستشيطين غضبا، «وهم أساسا من اللاجئيين اليهود من البلدان العربية أو ممن بقوا على قيد الحياة من معسكرات الاعتقال النازية، وليس من قوات الدفاع الاسرائيلية»^(١٨). وفى أعقاب حادثة قيبية استقال بن جوريون من منصبه كرئيس للوزراء ليحل محله موسى شاريت.

وأصبح أعضاء الوحدة ١٠١ أبطال الشفافة الجديدة لاسرائيل، وشجعت «نجاحات» الوحدة عقلية متهورة فى الدوائر العسكرية. ونتيجة لذلك، صدرت فى (تموز) ١٩٥٤ الأوامر لمجموعة من اليهود المصريين الذين كانوا من قبل منظمين كحلقة تجسس اسرائيلية، بإلقاء القنابل على المؤسسات البريطانية والأمريكية فى مصر. وكان الهدف من ذلك هو إقناع الحكومة البريطانية والأمريكية فى مصر. وكان الهدف من ذلك هو إقناع الحكومة البريطانية بأن مصر دولة قومية متطرفة غير مستقرة ومن ثم لا يجدر بالقوات البريطانية أن تنسحب من منطقة قناة السويس. وسرعان ما تم القبض على ملقى القنابل الذين كانوا يفتقرون للبراعة وقدموا للمحاكمة، وأنكرت اسرائيل أى علاقة لها بالمجموعة. والواقع أن شاريت لم يكن يعرف بالأمر الصادر بالبدء فى أعمال الارهاب. وأدانت اسرائيل محاكمة الإرهابيين وما ترتب عليها من إعدام اثنين منهم باعتبارها «محاكمة استعراضية صورية». وقالت عنها. دافار (الكلمة)، الصحيفة اليومية للهستدروت، إنها «سياسة تستلهم النازى». وفى خضم هذه الهستيريا، أعيد بن جوريون للحكومة كوزير للدفاع. وكان رده على عملية الإعدام، هو إصدار أمر بشن هجوم كبير على قطاع غزة فى ٢٨ (شباط) ١٩٥٥، قُتل فيه تسعة وثلاثون من المصريين والفلسطينيين وجُرح ثلاثون. وبدأت هذه الغارة سلسلة من الأحداث بلغت ذروتها فى حرب السويس/ سيناء^(١٩).

وفى ١٩٦٠، فجر فضخ احتمال أن يكون صنيعة بن جوريون وريبه، بينامين جيفلى رئيس المخابرات العسكرية، قد أصدر أوامره، ربما بموافقة ديان، بيريز، أو آخرين من المقربين لبن جوريون، بتنشيط حلقة المخرين اليهود فى مصر بدون موافقة شاريت أو بنحاس لافون وزير الدفاع، فضيحة سياسية كبيرة فى اسرائيل. أصبحت تعرف باسم «قضى لافون» بعد محاولة بن جوريون إجبار لافون على تحمل المسؤولية عن الحادث وحده. وأدت هذه القضية إلى سقوط الحكومة الاسرائيلية فى ١٩٦١، وقوضت السلطة السياسية لبن جوريون، وأسهمت فى إبعاده كرئيس للوزراء واحلال ليفى اشكول محله فى ١٩٦٣^(٢٠).

لقد أدرك بن جوريون، مثلما لم يفعل أى زعيم صهيونى آخر، أن القدرة على نشر جيش قوى مهاب سيدعم على نحو لا يمكن قياسه المشروع الصهيونى، ويغير ميزان القوى بين اليشوف وجيرانه

العرب، ويتيح لإسرائيل تشكيل جدول الأعمال السياسى فى المنطقة.

لقد كان نشوب نزاع شامل للجميع مع «الآخرين» العرب دون تمييز، تجربة شكلت طبائع الأمة الاسرائيلية، وحددت هويتها الجماعية واتجاهها الدولى. وأسهمت بصورة كبيرة فى قدرتها على البقاء اقتصاديا. وقد فاقم الخلق المستمر للحقائق السياسية والعسكرية، النزاع وقوض تدريجيا قواعد جمهور الداعين للسلام فى اسرائيل، وأضفى مشروعية على المفهوم الاسرائيلى الرسمى للسلام باعتباره وضعاً تحتفظ فيه اسرائيل بالتفوق العسكرى المطلق على جيرانها وبحق النقص والاعتراض على أى تطورات اقليمية تعتبرها مهددة لها. وفى هذا السياق، استمر المشروع الصهيونى فى التطور باعتباره مجموعة من الممارسات الاقتصادية والسياسية والعسكرية وخطابا سياسيا يدعم قدرتها التفسيرية حتى مع تحول النزاع العربى الاسرائيلى من نزاع طائفى محلى إلى جبهة اقليمية للحرب الباردة.

إن الافتقار إلى التوثيق يجعل من الصعب بصورة متزايدة توسيع نطاق التفسير التصحيحي للعلاقات العربية الاسرائيلية فيما وراء حرب ١٩٥٦. لكن هذه الثغرة ليست حاسمة بالنسبة للفكرة الأساسية لهذا الكتاب، لو صحت النظرية (التي عبر عنها بتفصيل كبير كينت لاف ودونالد ليف)^(٢١) القائلة بأن أحداث ١٩٥٥ وحرب السويس / سيناء تشكل نقطة تحول حاسمة فى تحديد مسار النزاع العربى الاسرائيلى ومسار مستقبله، واعتقد أنها نظرية صحيحة.

وقد تدعم التصوير الاسرائيلى للرفض العربى لقبول عمليات الاستيلاء على الأراضى التى قامت بها اسرائيل والتشريد للدائم للاجئين، باعتباره عداء لا يهن، فى الغرب عن طريق توليفة من الإحساس بالذنب بشأن ضحايا المحرقة (الهولوكست)، والإيمان المسيحى بالعصر الألفى السعيد الذى يسوده المسيح (الأحلام الألفية)، والخوف من القومية العربية الناصرية، والتأثير السياسى لجماعة الضغط الصهيونية فى الولايات المتحدة، والالتزام الأمريكى المتنامى بمفهوم أن اسرائيل هى «أصل استراتيجى» لا يُعوض، وأنه حيوى للإبقاء على قوة الولايات المتحدة ونفوذها فى الشرق الأوسط، ومن ثم، أصبحت الرواية الاسرائيلية الرسمية هى التفسير السائد للنزاع فى الولايات المتحدة وأوروبا مثلما هى فى اسرائيل.

ومن المستحيل فهم المسار التاريخى ليسار الماركسى والقضايا التى كانت تشغله دون الرجوع إلى التاريخ التصحيحي للنزاع الفلسطينى / العربى - الاسرائيلى الذى أوجزناه آنفاً. والواقع أن عضوين فى حزب مالكى، هما موشى ماحوثر واكيفا أور، قاما بإسهام رائد فى هذا المشروع التاريخى -والذى لم يحصلأ بشأنه على التقدير الذى يستحقانه- وذلك بوضع تقرير وتفسير للنزاع من الصحف الاسرائيلية والمصادر العبرية المنشورة الأخرى، والذى يشترك رغم عدم خلوه من العيوب، فى الكثير من الآراء مع ذلك الكيان المتنامى من الكتابات التى وضعها المؤرخون التصحيحيون

وغيرهم^(٢١). وفى حين اعتمدت على التأريخ الرسمى التصحيحى، والموجز الذى تم استنتاجه منه فيما سبق، فإننى لم أخلص كل الدلائل الداعمة للحججى. ويستطيع من يرغبون فى تتبع قضايا معينة على نحو أكثر اكتمالا، أن يدرسوا الأعمال المذكورة فى الحواشى والمصادر الوثائقية التى استندت إليها.

لقد تمثل الاتجاه الأساسى للتأريخ التصحيحى فى نقل عبء المسؤولية عن النزاع الفلسطينى العربى - الاسرائيلى إلى الجانب الاسرائيلى بدرجة أكبر كثيرا مما كان مقبولا على نحو شائع فى اسرائيل أو فى الغرب. وفى هذا الإطار، يمكن أيضا إيضاح بعض الموضوعات التى قد تتحدى توافق الآراء السائد للتأريخ الرسمى الوطنى المصرى فيما يتعلق بنهج مصر إزاء النزاع، رغم أن الدلائل الوثائقية هنا أكثر ندرة حتى منها بالنسبة لاسرائيل. وسيمثل أهم موضوع من هذه الموضوعات فى النقطة السابق ذكرها: إن مصر لم تكن معادية لاسرائيل بصورة لا لبس فيها وبشكل مستمر من ١٩٤٩ إلى ١٩٥٦، وبالتأكيد لم تكن معادية لوجودها باعتبارها دولة - رغم أن حدود اسرائيل كانت بالنسبة لمصر، موضع نزاع.

وفى حين كانت الغالبية الساحقة من المصريين الذين كان لهم رأى فى الموضوع، تعتقد أن إنشاء دولة اسرائيل يشكل ظلما تجاه الشعب الفلسطينى، فإن تعاطف الشعب المصرى مع الفلسطينيين نادرا ما أدى للضغط على الحكومة لاتخاذ مواقف معادية لاسرائيل بصورة قوية. واستغلت الملكية دون حياء القضية الفلسطينية لتعزيز سلطتها ومكانتها، داخليا وكذلك بالنسبة إلى المنافسين الهاشميين فى العالم العربى. وضلل رجال دعاية النظام الملكى الشعب المصرى بشأن الطابع الاجتماعى للبشوف والوضع العكسرى خلال ١٩٤٨-٤٩ وما بعدها على حد سواء.

وفى ظل الملكية المصرية وبعد ٢٣ يوليو ١٩٥٢ على حد سواء، كانت نظم الحكم والناطقون باسمها يخلطون أحيانا وبصورة غوغائية بين العداء للصهيونية والعداء للسامية. وكانت هذه الأنظمة تساوى أيضا بين الصهيونية والشيوعية ولم يسع النظام الناصرى إلى تحقيق فهم أكثر جدية لمصادر قوة اسرائيل وما الذى قد تعنيه هذه القوة بالنسبة لمصر والعالم العربى بأكثر مما فعل النظام القديم، وهكذا استمر سوء فهم الشعب المصرى لطبيعة اسرائيل والصهيونية. ومع ذلك، فإن العداء للسامية من الطراز الاوروبى لم يكن جد بارز فى مصر قبل الحرب العالمية الثانية. ولم تصبح التفرقة الصريحة ضد غالبية اليهود المصريين - الذين لم يكونوا شيوعيين أو صهيونيين - واضطهادهم، شائعة إلا بعد مهاجمة اسرائيل لمصر فى ١٩٥٦.

وفسرت مصر والعالم العربى توسيع اسرائيل لحدودها فيما وراء تلك الحدود التى عينها مشروع الأمم المتحدة للتقسيم، باعتباره برهانا حاسما على أن الصهيونية توسعية بصورة لصيقة بصيغتها وعلى نحو غير محدود. فكيف بغير هذا يمكن إعادة توطين كل يهود العالم فى اسرائيل كما تسعى اليه الصهيونية؟

ومن المؤكد، أن نزعة توسعية تكمن وراء الروح الصهيونية السائدة. فمنذ مرحلة مبكرة ترجع إلى ١٩٣٧، عندما كان اقتراح اللجنة الملكية بتقسيم فلسطين قيد المناقشة، أوضح بن جوريون لابنه أن تأييده للتقسيم لا يعنى أنه يقبل حدود التقسيم باعتبارها الحدود النهائية للدولة اليهودية. وأرجز بن جوريون رؤيته المفصلة، التى تضمنت عنصرا عسكريا بارزا وتنبأ بتوسع لاحق للدولة اليهودية فى كل أنحاء أرض اسرائيل. وكتب يقول إن الهدف هو «إقامة دولة يهودية فى الحال، حتى وإن لم يكن ذلك فى الأرض كلها. فالبقية ستأتى على مر الزمن. ولا بد أن تأتى». (٢٣).

ومع ذلك، ربما كانت هناك لحظتان فى تاريخ اسرائيل لم يحظ فيهما التوسع الاقليمى بتأييد كبير ولم يكن عاملا أساسيا فى منظور قياداتها السياسية. فخلال مطلع الخمسينات، كانت اسرائيل جد مشغولة باستيعاب الهجرة الضخمة وضم الأراضى المكتسبة حديثا، بدرجة كان يتعذر معها النظر فى مزيد من التوسع. وحتى تمت عملية إعادة التوجيه التى رمز لها تشكيل الوحدة ١٠١ فى ١٩٥٣، كانت قوات الدفاع الاسرائيلية تتبنى نظرة دفاعية انتقدها المتشددون باعتبارها نظرة انهزامية. وبعد الانسحاب الاسرائيلى من سيناء وغزة فى ١٩٥٧، تباطأت الهجرة الكبيرة وبدأ الاقتصاد فترة من التوسع السريع أتاح الفرصة لتحسين مستوى المعيشة بالنسبة إلى كثيرين. وانهار الحماس الصهيونى، وسعى معظم اليهود الاسرائيليين إلى «التطبيع»، بما فى ذلك الرضا العام بالأمر الواقع الاقليمى. وسادت هذه الروح حتى قبل حرب ١٩٦٧ بوقت قصير.

وخلال هاتين الفترتين - اللتين يصعب تحديد تاريخهما بدقة لأن التشدد والنزعة التوسعية لم يكونا أبدا غائبين بصورة كلية عن الثقافة السياسية الاسرائيلية ولم يتعرضا أبدا لنقد أساسى من دعائهما الصهيونيين - يمكن تخيل أن نظاما مصريا أكثر ثباتا فى سعيه للسلام وأقل التزاما بالقومية العربية، ربما كان قادرا على الوصول لتسوية مع اسرائيل مماثلة لتلك التى تحققت فى ١٩٧٩. ولم يكن هذا ليعنى بالضرورة حل المشكلة الفلسطينية. فالواقع، ان تجاهل مطالب الفلسطينيين العرب، كان من المرجح أن يكون شرطا ضروريا لقبول اسرائيل لأى تسوية مصرية اسرائيلية، تماما مثلما حدث فى التفاوض على معاهدة السلام فى ١٩٧٩.

□ هل كان المابام حزبا ماركسيا ؟

لقد كانت الصهيونية تقليديا، تعتبر من قبل معتنقيها وخصومها على حد سواء، حدا لا يمكن اختراقه يقسم اليسار الاسرائيلى إلى جماعة حدية وصغيرة وهامشية، غير صهيونية أو معادية للصهيونية (من الشيوعيين فى المحل الأول) خارجة على حدود توافق الآراء الوطنى (اليهودى) من ناحية، ومن ناحية أخرى اليسار الصهيونى الذى يتبنى النظرة العالمية الأساسية لتوافق الرأى الصهيونى، الذى شارك بصورة كاملة فى الحياة السياسية الوطنية لاسرائيل، ومن ثم شارك فى مسؤولية معاملة الصهيونية للشعب الفلسطينى والشعوب العربية (٢٤). ومن الواضح، أنه كان هناك انقسام أيديولوجى واضح بين الصهيونية والعداء للصهيونية، وبعد حرب ١٩٥٦ أصبح ماكى والقوى السياسية غير الصهيونية الأخرى (مثل مجموعة يورى افيرى للعمل السامى) معزولين بصورة واضحة فى المجتمع اليهودى. لكن إقامة الحد الفاصل الصارم بين اليسار الصهيونى وغير الصهيونى،

تمت كما أعتقد من خلال تدعيم الهيمنة السياسية للماباي.

وخلال أوائل الخمسينات، اقترح ماكي والمابام معا في الكنيست بشأن عدة قضايا حاسمة، وتعاوننا في تنظيمات مثل مجلس السلام الاسرائيلي وعصبة الصداقة الاسرائيلية السوفيتية ونظما أحيانا مظاهرات مشتركة حول المطالب الاقتصادية والقضايا الأخرى للطبقة العاملة. وفي عدة مناسبات، كان أعضاء أحد الحزبين يستقبلون وينضمون للحزب الآخر. وعلى الأقل حتى محاكمة سلاتسكى في ١٩٥٢ وطرد موشى سنيه والقسم اليسارى، كان المابام يعتبر نفسه عضوا مخلصا في المعسكر الاشتراكي الدولي الذي يرأسه الاتحاد السوفيتي. والواقع أن يعقوب حزان زعيم المابام أعلن ذات مرة في الكنيست أن الاتحاد السوفيتي كان هو «الوطن الثانى للشعب اليهودي»^(٢٥). وفى حين اعترف المابام دوما باختلافه مع الكتلة السوفيتية والحركة الشيوعية الدولية حول قضية الصهيونية، فإن كثيرين من أعضاء الحزب كرسوا جهدا كبيرا للإعراب عن هذا الخلاف فى أقل حد ممكن. وكان بن جوريون ينظر لماكي والمابام عادة من نفس المنظور ويجادلها بنفس الطريقة^(٢٦). ومنذ ظهور حركات جماهيرية تعارض غزو اسرائيل للبنان فى ١٩٨٢ وقمعها للانتفاضة الفلسطينية، فإن الحد السياسى - التاكتيكى الفاصل بين اليسار الصهيونى وغير الصهيونى أصبح مرة أخرى أقل وضوحا، مما يبين حتى بدرجة أقوى الحاجة إلى تأريخ الظروف التى أصبح فيها انقسام لا مفر منه.

ويمكن التساؤل عن ماركسية المابام بمعنى آخر. فقد تأسس الحزب باعتباره ائتلافا لعدة قوى، ضم عناصر كانت تعتبر نفسها ماركسية لينينية ثورية تختلف عن الحركة الشيوعية الدولية فقط حول المسألة الوطنية اليهودية (الصهيونية)، وضم كذلك عناصر مكونة أخرى كانت تعتبر نفسها ماركسية، ولها اتجاه دولى موال للسوفيت بقوة، لكنها كانت ترفض اللينينية باعتبارها مبدأ تنظيميا للحزب وتسمح لنفسها بمدى أوسع من الخروج على خط الاتحاد السوفيتي والحركة الشيوعية الدولية. لقد كان الماركسيون اللينينيون الارثوذكس أقلية هامة فى المابام وكانوا بارزين بين المتحدثين باسمه وبين المحترفين الحزبيين، رغم أنهم لم يستطيعوا أبدا أن يفرضوا خطهم على الحزب بأسره.

وفى مصر، لم تنظم الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى (حدثو) ومجموعة الفجر الجديد نفسيهما رسميا باعتبارهما حزبين شيوعيين حتى ١٩٥٥ و ١٩٥٧ على التوالى، رغم أنه لم تكن هناك أى خلافات ايدولوجية بينهما وبين الحركة الشيوعية الدولية. فقد جعلتهما استراتيجيتهما الوطنية الراديكالية وممارساتهما التنظيمية غير الأرثوذكسية، موضع ريبة بين كثير من الأحزاب الشقيقة، خاصة الحزب الشيوعى الفرنسى. ومن ثم، قامت فى كلا البلدين أحزاب ماركسية موالية للسوفيت لا تتفق بصورة دقيقة مع القالب الذى حددتها الشروط الواحد والعشرون للكونترن..

لقد شكلت الماركسية تاريخيا حركة اجتماعية وسياسية أوسع من الشكل التنظيمى الخاص الذى سعى الكومنترن إلى فرضه، ولم تكن شيطانا انطلق من الاتحاد السوفيتي واكتسب شكلا ماديا.

ومن ثم، فإن تاريخ الماركسية باعتبارها حركة سياسية، ينبغي له أن ينظر في الأحزاب القائمة قعلا وألا يسقط من حسابه تلك التي تختلف عن النموذج الأرثوذكسي بصورة طفيفة. ومن ثم، فإننى سأعامل المابام باعتباره حزبا ماركسيا وسأحاول إثبات أن انهياره جاء نتيجة لفعل نفس القوى التي أدت لانهيار مكانة الشيوعيين، رغم أن التزامات المابام الصهيونية جعلته مكشوبا لتأثير هذه القوى بدرجة أكبر.

□ الامم، بناء الهيمنة، والخطاب السياسى

أشرت إلى خطاب سياسى وطنى مهيمن فى مصر واسرائيل على حد سواء وسوف أستم فى استخدام هذا المفهوم، ومن ثم فإننى أستسمح القارئ فى أن أوضح ما أقصده بذلك. لقد وصف بندكت اندرسون الأمم باعتبارها «مجتمعات متصورة»^(٢٧). وينبغى بناؤها وإعادة إنتاجها عن طريق كل من العلاقات الاجتماعية والمؤسسات التي تعمل بداخلها، وبذلك تدعم، الحدود الوطنية والممارسات الاستطراذية التي تفسر الظواهر الثقافية والسياسية، الماضية والراهنة، فى إطار وطنى. وينبغى جعل الأفراد والجماعات يشعرون بأنهم جزء من الأمة بالحصول على المؤازرة المادية وكذلك الروحية منها. وسأنظر فى المكونات المادية لبناء المجتمعات الوطنية وإعادة إنتاجها فى مصر واسرائيل فى إطار ثلاث فئات تحليلية: الاقتصاد السياسى، الديناميات العسكرية للصراع العربى الاسرائيلى، بما فى ذلك الدور الاجتماعى للجيش، والاتجاه الدولى. ويمكن فهم العلاقات الاجتماعية والمؤسسات الاجتماعية والقوى الاجتماعية التي تخدم مصالحها، على أفضل وجه باستخدام أدوات الاقتصاد السياسى والتحليل الطبقي، وهو النهج الذى اعتمدته فى مناقشة هذه الأمور.

ورغم أنى أعتقد أن النظام التاويلى الذى يساند الوعى الوطنى مقيد بالظروف المادية، فإنه ليس مستمدا بصورة آلية من طبيعة العلاقات الاقتصادية القائمة داخل المجتمع. وقد أوضح انطونيو جرامشى أن الطبقات الحاكمة لا تجبر المجموعات الاجتماعية التابعة على قبول النظام السائد، بل إن المجموعات التابعة هى التي تعتبر النظم مشروعة لأن سلطتها تتدعم فى كل أنحاء المجتمع المدنى بواسطة القواعد التعليمية والثقافية، وخاصة بواسطة نشاط المثقفين العضويين الذين يعبرون عن، ويصوغون، مصالح طبقة معينة فى سياق الثقافة القومية. ويرى جرامشى أن الهيمنة تُقاوم من خلال مكونات غير قسرية للحكم الطبقي. ولهذه المكونات حياة مستقلة ولا تعكس ببساطة العلاقات الطبقيّة والمصالح الاقتصادية، لكن لا يمكن أيضا فصلها عنهما. وقد استخدمت تعبير هيمنة بهذا المعنى، رغم أنى وسعت نطاق تطبيقه ليشمل العلاقات بين الجماعات الوطنية المهيمنة والتابعة، ويشمل بصفة خاصة العلاقات بين اليهود والعرب فى فلسطين/ اسرائيل والعلاقات بين العرب واليهود داخل المجتمع الوطنى للقومية العربية.

وقد أولى جرامشى أهمية كبيرة لخصوصيات التاريخ الوطنى الايطالى والثقافة الوطنية الايطالية فى تحليل البناء التاريخى لهيمنة الطبقة الحاكمة فيهما. ودعم المثل الذى ضربه، تيارا فى النظرية الماركسية استمر يركز على السياق الوطنى الخاص للحركات السياسية الماركسية رغم

الالتزامات الأهمية للنظرة العالمية الماركسية. ولابد من تحليل هيكل النظام التفسيري الذى يعيد إنتاج عرض وطنى محدد للأحداث التاريخية والراهنة، وذلك لفهم سيطرة الأفكار السياسية الوطنية على الناس بدون اللجوء للإكراه ودور هذه الأفكار فى تشكيل حدود البدائل السياسية الممكنة.

وقد أكد جاريت ستدمان جونز أن لغة السياسة قد تحدد مدى الخيارات التى ترى الحركات السياسية أنها متاحة لها^(٢٨). ويدرك كل من يشترك فى مناقشات جادة مع دعاة الوطنية الصهيونية ودعاة الوطنية الفلسطينية بشأن النزاع العربى الاسرائيلى، أن الطرفين لا يتقاسمان عادة نفس الإطار التفسيري وأن اللغة علامة فارقة قوية تفصل بين ما يمكن تحويله إلى مفاهيم وما لا يمكن تحويله فى كل معسكر. بل إن الطرفين لا يتفقان حتى على ما إذا كانت الأراضى محل النزاع تسمى فلسطين أو أرض اسرائيل. وهذا هو ما أعنيه بالخطاب السياسى: إطار هيكلى من التفسير مطمور فى رحم السلطة الاجتماعية التى تحدد، من الناحية الثقافية، كيف يتم تكوين المفاهيم عن القضايا، وما هى الخيارات التى يمكن اعتبارها مشروعة، وتدعم فى حالة الخطاب السياسى الوطنى، علامات فارقة للمحدود التى تفصل بين مجتمع وطنى وآخر.

ولم تأخذ ماركسية الامميتين الثانية والثالثة موضوع القومية والثقافة السياسية القومية بجدية، رغم أن القومية هى التى قوضت الامميتين فى نهاية الأمر وبطرق مختلفة. لقد تم الاعتراف للأمم بوجودها، بل لقد طور ستالين تعريفا للأمم تم استنساخه باعتباره أمرا واجبا فى كل المناسبات التى جرت فيها مناقشة «المسألة القومية» تقريبا، لكن معظم الماركسيين لم يعتبروا الأمم والقومية مسألة «حقيقية» بسبب اعتقادهم أن نضالات التحرر الوطنى كانت مجرد مرحلة على الطريق للثورة البروليتارية وإن «البروليتاريا ليس لها وطن»، وأن الأهمية البروليتارية تستند إلى واقع أكثر ثباتا ومادية من القومية. ونتيجة لذلك، اتبع الماركسيون بصورة نموذجية نهجا نفعيا إزاء القومية باعتبارها أداة ولم يعترفوا بالقوة المستقلة للسياسات القومية.

وفى معارضة لهذا الرأى أود التأكيد أن الخطاب السياسى ليس مجرد مسألة تكتيكية بل أكثر من ذلك. فالاستخدام المتصل للتصورات القومية واللغة القومية يسهم فى نهاية المطاف فى إقامة حاجز أمام الأهمية. والخطاب السياسى باعتباره من مكونات الهيمنة، قد يصبح قوة مستقلة تعرقل وضع سياسات بديلة، إن لم يتم تحديده بصورة أساسية بطريقة علنية منظمة عبر فترة متطاولة من الزمن. وبالطبع، فإنه ليس لمجرد أن الماركسيين المصريين والاسرائيليين استخدموا اللغة الخاطئة، إن أصبحوا هامشين فى السجال السياسى حول النزاع العربى الاسرائيلى. بل نستطيع أن نبين عن طريق دراسة الخطاب السياسى المدى الذى اسهمت به البيئات القومية فى تشكيل الماركسيين الذين عملوا فى داخل حدودها، ومن ثم، فإن الخط الفاصل بين المشروعين السياسيين القائم على الهيمنة والمعادى لها، لم يكن واضحا على الدوام مثلما كان يتخيل الكثيرون على جانبى خط التقسيم.

□ هيكل الكتاب

يلخص الفصل الثانى إعادة التوجه السياسى للماركسيين وقرارهم بتأييد مشروع الأمم المتحدة لتقسيم فلسطين. وهذه القصة معروفة جيدا نسبيا، وقد اعتمدت فى نقاط كثيرة على أعمال الآخرين. وقصدى من إعادة روايتها هو أن أرسم خطأ أساسيا يحدد الموقف المشترك للغالبية العظمى من الماركسيين فى مصر واسرائيل (ومعظم أقطار العالم العربى) وإبراز الملاءمة بين هذا الموقف وبين الإجماع الدولى حول الحل المناسب للقضية الفلسطينية. وتتيح لنا هذه الخلفية تقدير ضخامة عمليات إعادة الترتيب التى أثارته حرب ١٩٤٨-٤٩ العربية الاسرائيلية وقيام اسرائيل، وعندها نستطيع أن نبحث كيف غيرت هذه الحقيقة الجيوبوليتيكة الجديدة، بصورة حاسمة، لغة الخطاب بشأن النزاع، ومكنت الإجماع الصهيونى من فرض هيمنته فى اسرائيل والغرب، فى حين فقد رأى العربى الذى كان فى مطلع الخمسينات أقرب عمليا للإجماع الدولى فى الأعوام ١٩٤٧-٤٨ من موقف الحكومة الاسرائيلية، مشروعيته وتم تجاهله لحد كبير.

ويبين المسح التاريخى للاقتصاد السياسى فى مصر واسرائيل فى الفصل الثالث كيف أضعفت أحلاف الطبقات الحاكمه فى كل بلد الأساس الاجتماعى للسياسات الماركسية، ومن ثم أضعفت من قدرة الأحزاب الماركسية على ترويج برنامجها لحل النزاع العربى الاسرائيلى. وبالإضافة لذلك، كان الاتجاه الدولى للبلدين ناتجا، فى المحل الأول، نتيجة لهياكلهما الاجتماعية الداخلية. ويوضح الفصل الرابع أنه فى الفترة من ١٩٤٩ إلى ١٩٥٥، ظل الماركسيون قوة سياسية قادرة على البقاء بل عززوا من قوتهم، وبالإضافة لذلك فإنه فى حين كانت الفرص الواقعية لحل النزاع خلال هذه الفترة بعيدة باعتراف الجميع، فلم تكن حرب سيناء/ السويس فى ١٩٥٦ نتيجة حتمية لعداء عربى لايهن لاسرائيل. ومثلما يروى الفصل الخامس، فقد كان الماركسيون المصريون والاسرائيليون على اتصال ببعضهم البعض خلال هذه السنوات، رغم أن دور هنرى كوريل ورفاقه فى هذا النشاط كان موضع كثير من الخلاف والتجريم بين الشيوعيين الماركسيين.

ويؤكد الفصل السادس أنه بعد حرب ١٩٥٦ فقط تدعم الخطاب القومى الداعى للهيمنة فى كل من مصر واسرائيل، ومن ثم، انعزل ماكى فى اسرائيل (رغم أنه احتفظ بمعارضته لسياسات الحكومة السائدة بشأن النزاع العربى الاسرائيلى بل كشفها)، بينما تخلى المابام عن محاولته تشكيل بديل راديكالى للمفهوم العسكرى السياسى المتشدد. وأقعد الشيوعيين المصريين، تأييدهم لنظام حدّ من حريتهم فى العمل بصورة قاسية. ويروى الفصل السابع إدانة وانتهاء الشيوعية المصرية والاسرائيلية فى السنوات الأخيرة قبل حلّ الأحزاب المصرية واقتسام ماكى.

وهناك عدم توازن هيكلى معين فى الرواية التالية نتج عن طبيعة التشكيلات السياسية قيد النظر وميراثها من الوثائق. ونظرا لأن المابام لم يكن حزبا لينينيا يعمل على أساس مبادئ المركزية الديمقراطية، فكثيرا ما كان قادته يعلنون على الملأ خلافاتهم مع بعضهم البعض. وبالإضافة لذلك، فإنه على الرغم من بعض الثغرات، فإن سجلات محفوظات هاشومير هاتسعين فى جفعات حابيبا

غنية بالدلائل المتعلقة بالصراعات داخل الحزب. إن كل الحركات السياسية تفصل، بالتوتر والخلاف، بين الايديولوجية والاستراتيجية السياسية، وبين الممارسة الاجتماعية. وقد جعلت روابط المابام الوثيقة بشبكة من المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية -الكيبوتزات- فصل هذه المكونات بالنسبة للمابام أسهل منه بالنسبة للأحزاب الشيوعية، التي كانت موارد المادية وقاعدتها الاجتماعية أضعف كثيرا. وبالإضافة لذلك، فإن الأحزاب الشيوعية سعت بحكم طبيعتها للتعطيم على كل العلامات العامة التي تدل على وجود خلاف داخلي. فيبدو مثلا، أن أى تسجيل للمناقشات داخل الحزب قد استبعد أو لم يدرج أبدا في أوراق ماكي المودعة في ياد تابنكين، سجل محفوظات كيبوتس ميئو حاد في إفعال. وتحتوى أوراق شموئيل ميكونس في معهد لابون لبحوث العمل في تل أبيب، تسجيله الشخصي للصراع داخل الحزب في أعلى هيثات ماكي، لكن من ١٩٦١ فصاعدا فحسب.

والسجل الوثائقي للحركة الشيوعية المصرية ضئيل ومتفرق. أوراق هنرى كوربيل في باريس هي المجموعة الوحيدة من سجلات الحزب الداخلية المتاحة، وقد تقلصت قيمتها بالبعد عن مصر وحقيقة أن ما هو محفوظ هو خطابه إلى مصر في حين لا توجد خطابات من مصر لباريس. وقد اعتمدت كثيرا على اللقاءات مع الأعضاء القياديين السابقين للحركة الشيوعية المصرية لإعادة تصوير تاريخها، مع الانتباه الشديد إلى أن أعضاء الفرق التاريخية المتنافسة «يتذكرون» الأحداث والمناقشات بطرق مختلفة. وقد تم موازنة الذكريات المتناقضة ومقارنتها بالسجلات المكتوبة عندما كانت متوفرة، لكن النتيجة كانت تقريرا «أكثر ضآله» ويتضمن هامشا أكبر للخطأ مقارنة مع ما أمل أن يكون عليه الحال بالنسبة للأحزاب الاسرائيلية.

□ الرواية والسياسات

نظرا للدور البارز للنزاع الفلسطيني/ العربى - الاسرائيلى فى السياسات الغربية وخاصة الامريكىة، فإننا جميعا وإلى حد ما واعون بالعرض الصهيونى لتاريخه المستند إلى الهيمنة. وسأحاول بناء رواية بديلة لاسترجاع تاريخى للنزاع لا يستند إلى الهيمنة مثلما تصوره اليسار الماركسى وإثباته بوضعه فى إطار التاريخ التصحيحي السابق ذكره. وإنى إذ أفعل ذلك، فإنى أشرع فى مناقشة ما هو مهم فى الماضى وأبنى رواية لها مغزى مختلف عن مغزى الرواية التى تلقيناها. ويتمثل جانب من هدفى فى الإسهام فى تصحيح ما أعتقد أنها تفسيرات خاطئة شائعة لتاريخ النزاع الفلسطيني/ العربى - الاسرائيلى ونضال اليسار الماركسى من أجل حله سلميا. وهناك هدف أوسع هو إعادة تشكيل مفاهيم قضايا النزاع للتمكين من حلها.

ومن المشروع التساؤل عما إذا كان التركيز على قوى سياسية كان نفوذها محدودا، يشوه بغير موجب السجل التاريخى. لقد حذر جرامشى فى مبادئه التوجيهية لكتابة تاريخ الأحزاب السياسية، من أن النزعة الخلقية ستغدو مستثارة حول أمور داخلية تافهة، وسيكون لها دلالة خفية بالنسبة للمؤرخ، وستملؤه بحماس صوفى. وسيركز المؤرخ فى المحل الأول على الكفاءة الحقيقية للحزب» (٢٩). ..إنى إذ أؤيد هذا القول ولا أنوي أن أنسب للماركسيين تأثيرا أكبر مما كان لهم حقا،

لكنى أعتقد أيضا أن المنهج الذى قدمه الماركسيون لحل النزاع العربى الاسرائيلى له دلالة تتجاوز عجزهم عن تنفيذ رؤيتهم خلال الفترة قيد النظر.

وهناك عنصر طوباوى يتضمنه التأكيد على الدور التاريخى للقوى الفاعلة التى ربما كانت مبادؤها محل إعجاب لكن فعاليتها كانت مقيدة بصورة جذرية نتيجة للظروف التى عملت فيها. وقد أعلن طونى جودت بصورة مثيرة للاستفزاز أننا نعيش «فى ذيل نهاية تاريخ الماركسية باعتبارها فكرة حية»^(٣٠). وفى حين أنه من الممكن أن تكون الامكانيات التاريخية للتشكيلات السياسية المحددة التى تمت دراستها فى هذا الكتاب قد انهارت منذ بعض الوقت، فإن هذا التعليق البليغ يوضح بصورة سليمة أن تاريخ الماركسية باعتبارها فكرة حية لم ينته تماما. إذ أنه لا يزال حياً فعلاً فى أجزاء معينة من العالم الثالث، بما فى ذلك مصر، حيث لا تزال الماركسية هى الضد الذى تتميز إزاءه كل الايديولوجيات السياسية الأخرى. وفى حين أن الحزب الشيوعى لا يزال يعمل فى اسرائيل، فإنه تأثيره السياسى يرجع إلى موقفه باعتباره الممثل القيادى للمواطنين الفلسطينيين العرب فى اسرائيل. وهذه الوظيفة، التى لا يمكن مهاجمتها فى ذاتها، هى مشروع مختلف تماما عما كان ماكنى يغيه لنفسه فى وقت إنشائه. لقد كان الوجود التنظيمى المستقل للمابام هامشياً بين ١٩٦٩ و١٩٨٤، عندما كان الشريك الصغير لتنظيم ائتلاف القوى الذى يهيمن عليه حزب العمل، خليفة الماباى. وقد ترك المابام هذا الائتلاف فى ١٩٨٤، رافضاً الانضمام لحكومة الوحدة الوطنية التى شكلها حزب العمل والليكود، لكنه كان قد أصبح فى ذلك الوقت ظلاً تنظيمياً وايديولوجياً لما كان عليه من قبل.

ورغم أننا قد لا نكون قادرين على «تعلم دروس» تاريخ النزاع الفلسطينى/ العربى- الاسرائيلى، فإن دراسة ما حدث لأولئك الذين ناضلوا للحفاظ على مبادئ تقرير المصير، والاعتراف المتبادل، والتعايش السلمى توفر جزءاً آخر. إذ تظل هذه القيم مهمة للنزاع حالياً، والواقع أنها تحظى باعتراف مطرد باعتبارها مكونات أساسية فى حل النزاع.

ويطرح مثل هذا الشاغل الذى لا يتزعزع بالحاضر مسألة الموضوعية التاريخية بصورة أكثر حدة مما هو معتاد. بالطبع إن الموضوعية تعنى كما هو شائع الأفكار التى تتفق مع أحكامنا المسبقة ومفاهيمنا المشبعة التى نعتنقها من قبل. ويستخدم بعض دعاة الموضوعية فى الدراسة التاريخية هذا المعيار لإثبات التفسير المريح الذى يحظى بتوافق الرأى والذى يثبت ويدعم هيكل السلطة والمعرفة السائد. ومع ذلك، فإن الدراسة التاريخية قد تتحدى أيضاً هذه الهياكل وقد تزيل ألغاز الايديولوجيات وتفحص بصورة نقدية الأساطير التى تقوم عليها. ولست أنكر أن التزاماتى المسبقة قد أثرت على التفسير التاريخى المقدم فى هذا الكتاب، لكنى لا أعتقد أن هذا يجعلنى مختلفاً عن المؤرخين الآخرين كما أنى لم أشوه عامدا القضايا عن طريق اختيار إطار الرواية من زاوية الخطاب الذى أحاول تحليله.

لقد ألح هايدن وايت على أن هدف الروى هو استخراج الدروس الأخلاقية^(٣١). وآمل أن تنجو

هذه الرواية من ان تصبح لعبة الأخلاقيات عن طريق رفضها للإطار التاريخي الديميجاجوجي للحرب الباردة من ناحية تفادي الغائية الماركسية من ناحية أخرى. وفي حين يتخذ هذا الكتاب شكل الرواية، فإنه رواية غير كاملة تتوقف عند لحظة فشل للأمم، وانتصار للقومية التي لا تعرف الحلول الوسط، واستمرار وتفاقم النزاع الفلسطيني/ العربي- الاسرائيلي. ولا أعتقد أنه من المحتم تاريخيا أن ينعكس اتجاه هذا الفشل، كما أنى لا أخفى رغبتى فى هذه النتيجة.



الفصل الثاني

إنشاء إسرائيل:

□ الصهيونية باعتبارها معادية للامبريالية

خلال عصر الانتداب البريطاني على فلسطين، كانت الحركة الشيوعية الدولية تنظر للصهيونية باعتبارها حركة استيطانية استعمارية تصادر حقوق السكان الأصليين بالتحالف مع الامبريالية البريطانية. وقبل أكتوبر ١٩٤٧، كان الشيوعيون يحاجون بأن إنشاء دولة يهودية سيفاقم تدهور العلاقات بين العرب واليهود باستمرار ويوفر للقوى الامبريالية الغربية ذريعة لمواصلة التدخل في الشؤون الداخلية. كذلك كانت هاشومير هاتسعير (الحارس الشاب)، وهي أكبر مكونات المابام بعد ذلك، فرغم التزامها الكامل بالصهيونية كانت تعتبر أن إقامة دولة يهودية خالصة في فلسطين سيلحق ظلما غير مقبول بالأغلبية العربية في فلسطين، ومن ثم رأت أن الدولة ثنائية القومية هي الطريق العادلة الوحيدة لتحقيق أهداف الصهيونية.

وفي الشهور الأخيرة بالذات من الانتداب، قبل معظم الماركسيين العرب واليهود في فلسطين ومصر ما حدده الاتحاد السوفيتي من أن الأولوية الأولى للنضال المعادي للامبريالية في الشرق الأوسط (وهي بالطبع أولوية لا تنفصل عن المصالح القومية السوفيتية) هي طرد الامبريالية البريطانية من المنطقة. وكانت هذه القضية حاسمة في تحديد موقفهم تجاه تقسيم فلسطين وإنشاء دولة يهودية. هكذا، ولفترة وجيزة، أصبحت الحركة الصهيونية قوة قادرة معادية للامبريالية في الشرق الأوسط. وكان المابام يأمل في أن يشجع هذا التطور على تحقيق مصالح تاريخية بين الصهيونية والشيوعية. وأصبح الشيوعيون اليهود في فلسطين للمرة الأولى، قادرين على التغلب على عزلتهم في مجتمعهم والمشاركة في مشروعه الوطني. وكان على الشيوعيين العرب، حتى وإن لم يكونوا متحمسين بشأن إمكانية قيام دولة يهودية في فلسطين، أن يسلموا بأن الحركة الصهيونية أقوى من القوى العربية المعادية للامبريالية في فلسطين، وأن الحركات الوطنية في البلاد العربية المحيطة بها، ظلت عاجزة بدورها عن أن تغير الملكيات التي أقامها البريطانيون في بلادها أو النظامين التابعين في لبنان وسوريا في فترة ما بعد الاستعمار.

جعل الحكم الذى أصدره الاتحاد السوفيتى بأن الصهيونية كانت القوة المعادية لبريطانيا الأشد جدارة بالتعويل عليها فى الشرق الأوسط، إلى جانب الحاجة الإنسانية الملحة لإيجاد ملاذ لليهود الناجين من النازية متوقفاً أن يؤثر امتنانهم للاتحاد السوفيتى -لدوره القيادى- فى الانتصار على الفاشية على سياسات الدولة اليهودية، كثيرون من الماركسيين يتبنون آمالا غير واقعية بشأن الاتجاه الدولى للحركة الصهيونية مستقبلا. وبمجرد إعادة تعريف الصهيونية باعتبارها جزءا من الجبهة المعادية للامبريالية، أسقطت التساؤلات السابقة عن طبيعتها من جدول الأعمال. ولم يدرس الماركسيون فى الشرق الأوسط بعناية الأثر الإقليمى لإنشاء دولة يهودية، لأنهم كانوا يهتدون باعتبارات تكتيكية وثقتهم بالقيادة الحكيمة للاتحاد السوفيتى. كانت رؤيتهم محدودة بالماركسية الخطية والغائية للكونترن، التى اعتبرت حركات التحرر الوطنى المعادية للامبريالية حليفا حتميا لتقدم الاشتراكية الدولية. بيد أن الأحداث فى فلسطين كانت أكثر تعقدا من هذا النموذج. لم تتوقع الأحزاب الماركسية أن يعيد إنشاء دولة يهودية تحديد الخطوط الهيكلية الاستراتيجية للشرق الأوسط بسبب تأثيره على السياسات العربية، أو أن يدفع الهيكل الداخلى للدولة الصهيونية صوب اتجاه دولى موال للغرب على الرغم من الصدام مع بريطانيا العظمى عقب الحرب العالمية الثانية مباشرة. وبالإضافة لذلك، فإن الشيوعيين لم يتوقعوا أبدا أن يضاف إنشاء دولة يهودية، المشروعية على الخطاب السياسى الصهيونى، لأن تأييدهم لإنشاء اسرائيل لم يكن بسبب الصهيونية. كما لم يتوقع المابام أن يضعف تياره المعارض داخل الصهيونية بصورة مميّزة بمجرد أن يصبح بن جوريون والماباى قادرين على استخدام قوة الدولة ضده.

□ توحيد اليسار الماركسى الصهيونى

تأسس المابام فى يناير ١٩٤٨ باتحاد ثلاثة اتجاهات صهيونية عمالية عارضت تاريخيا سيطرة الماباى فى اليسوق والهستدروت. وجاء كل مكون من مكونات المابام - احدث هاعفودا (اتحاد العمل)، وبعلى تسيون اليسارية (عمال صهيون) وحزب عمال هاشومير هاتسعين - إلى الحزب الموحد بقاعدة اجتماعية متميزة، واتجاه ايدىولوجى متميز، وأسلوب سياسى متميز ولكن هذه الاختلافات قد نحيث جانبا لدعم معارضة يسارية للماباى عشية إنشاء دولة اسرائيل.

وقد نشأ «حدث هاعفودا» أصلا كتكتل للجناح اليسارى فى الماباى فى أواخر الثلاثينيات. ثم طرده فى ١٩٤٤ فأصبح حزبا مستقلا. وكانت القضية السياسية الكامنة وراء الانقسام هى ارتياب «أحدث هاعفودا» فى أن بن جوريون كان مستعدا لتقسيم فلسطين بغية إنشاء دولة يهودية عقب الحرب العالمية الثانية مباشرة. لقد انجذب «أحدث هاعفودا» للاتحاد السوفيتى خلال الحرب، لكنه عارض أسلوب التنظيم اللينينى للحزب: ومن ثم كان السبب المباشر للانقسام على الماباى هو رفض احدث هاعفودا لمبدأ قاعدة الأغلبية وحظر التكتلات فى الماباى.

وكان اتحاد كيبوتس ميثوحاد (الكيبوتس الموحد) هو القاعدة الاجتماعية لحدث هاعفودا، وكان يحظى أيضا بتأييد قوى فى تل اببيب خاصة بين عمال البناء. وكان كيبوتس ميثوحاد أداة فعالة

فى إنشاء الجهاز العسكرى الصهيونى العمالى «الهجاناه» وخاصة وحدة الصفوة فيه وهى بالملاح. وكان كثيرون من الشخصيات العسكرية المشهورة، ومنهم اسراييل جاليلى وبيجثال آلون، من أعضاء كيبوتس ميثوحاد. ونتيجة لارتباطه الوثيق مع المؤسسة العسكرية الصهيونية، كان كيبوتس ميثوحاد داعية اساسيا للتشدد السياسى العسكرى حتى قبل أن تعتمد عصابة بن جوريون - بيرس فى الماباى.

ومثل غالبية الصهيونيين العماليين، لم يعترف «احدوت هاعفودا» بالحقوق الوطنية للفلسطينيين العرب. وفضل بدلا من ذلك إقامة دولة يهودية اشتراكية فى فلسطين كلها. بل إن اسحق تابنكين زعيم كيبوتس ميثوحاد، نادى «بترحيل» الفلسطينيين العرب من البلاد. وقد عارض «احدوت هاعفودا» قبول العرب فى الهستدروت، ولم يقبل عربا فى صفوفه، وعارض فيما بعد قبول أعضاء عرب فى المابام.

وادعى حزب عمال هاشومير هاتسعير أنه كان يضم نحو عشرة آلاف عضو عند إنشائه فى ١٩٤٦. وكان ثلثا هؤلاء ينتمون لـ "كيبوتس ارتسى" (الكيبوتس القطرى)، وهو اتحاد كيبوتسات أسسه فى ١٩٢٧ أعضاء حركة شباب هاشومير هاتسعير العالمية (وإن كانت أوروبية شرقية فى الأساس)، وكان الباقون أعضاء سابقين فى العصابة الاشتراكية، وهى الحليف الحضرى لكيبوتس ارتسى. وكانت هاشومير هاتسعير هى أكبر عنصر من مكونات المابام وأكثرها انضباطا. وقد أضفت التجارب العاطفية العنيفة لحركة الشباب، والتى تمسك بها كثيرون من خريجيه باقى حياتهم، والجماعية الشاملة فى كيبوتس ارتسى، طابعا فريدا على هاشومير هاتسعير. لأنها كانت اسلوبا شاملا للحياة، وليس مجرد حركة سياسية.

وفى منتصف الحرب العالمية الثانية، بزغ جناح يسارى فى هاشومير هاتسعير يقوده المخضرمون من أعضاء الكيبوتس، يعقوف دفتين، واليعازر بيرى (براى)، ومردخاي اورين وأهارون كوهن. وكانت نظرتهم التى أسموها «الاتجاه صوب قرى الغد»، جد قربة من نظرة الماركسية السوفيتية الأرثوذكسية. وكان قائداها هاشومير هاتسعير، مائير يعارى، ويعقوف حزان، أقل تلهفا من أعضاء الجناح اليسارى لتنسيق موقفهم مع خط الحركة الشيوعية الدولية، وكانوا يدركون على الدوام أن الصحة الاقتصادية للكيبوتسات تتوقف على الاحتفاظ بعلاقات طيبة مع الأغلبية الديمقراطية الاجتماعية والبورجوازية فى الحركة الصهيونية ودولة اسراييل. ومع ذلك، فقد اعتمدت هاشومير هاتسعير والمابام، خلال أوائل الخمسينيات، اتجاها دوليا شديدا للولاء للسوفييت.

وكان أبرز إسهام لها شومير هاتسعير فى المابام هو إلزامها الفعلى بالتعاون السياسى العربى اليهودى فى ١٩٤٠، نظم كيبوس ارتسى دورة مكثفة فى اللغة العربية لكوادر منتقاه كتمهيد لإعلان قيام إدارة عربية تمثل مهمتها فى دعم العلاقات مع العناصر التقدمية فى المجتمع العربى فى فلسطين. وفيما بعد أصبحت هذه الإدارة العربية فى ظل أهارون كوهن هى المركز التنظيمى لعمل المابام بين الفلسطينيين العرب. وكان «هاشومير ها تسعير» الحزب الصهيونى الوحيد الذى يعترف

بالحقوق الوطنية للفلسطينيين العرب وحتى عام ١٩٤١، كان يتم التعبير عن هذا الاعتراف بدعوة غامضة لدولة ثنائية القومية في فلسطين، دولة ليست يهودية خالصة أو عربية خالصة.

وعندما اعتمد مؤتمر للصهيونيين الأمريكيين برنامج بيلتمور في ١٩٤٢ أساساً له، بدعوه من بن جوريون، وأعلن رسمياً للمرة الأولى أن هدف الصهيونية هو إنشاء كومنولث يهودي في فلسطين، بدأت هاشومير هاتسعير في وضع بديل خاص بها. كثير من الصهيونيين كانوا يؤمنون بأنه لا يمكن إنشاء دولة يهودية فوراً في الوقت الذي يقل فيه عدد اليهود عن ثلث سكان فلسطين، إلا بتقسيم البلاد. ومثلما فعل أحداث ها عفودا، عارضت هاشومير ها تسعير هذا المسار. وأكدت أن ثنائية القومية ستلبي الحاجة إلى التقسيم وتوفر الظروف لتحقيق أغلبية يهودية في البلاد. سعت هذه المجموعة إلى تأجيل اتخاذ قرار حول مستقبل فلسطين وتحويل الانتداب إلى وصاية دولية، بأمل أن تتوافر للنقوذ السوفيتي فرصة التأثير بصورة إيجابية على مستقبل البلاد^(١). لقد كانت فكرة ثنائية القومية بالنسبة لهاشومير ها تسعير، وسيلة لتحقيق الصهيونية وتعبيراً عن التزاماتها الأممية الاشتراكية على حد سواء.

وفي حين لم تصغ أي قوى سياسية يهودية أخرى في فلسطين موقفاً بشأن ثنائية القومية بنفس المصطلحات والمقاييس تماماً، فقد كان لهاشومير هاتسعير قبل تبنى مشروع الأمم المتحدة للتقسيم، شركاء سياسيون، خاصة رابطة ايهود (الوحدة)، وهي حلقة صغيرة وإن كانت لها مكانتها المتميزة بين المثقفين فقد كان يقودها مارتن بوير، ويهودا ماجينس، وحاييم كالفاريسكي، وارنست سيمون. انضمت رابطة ايهود هذه مع هاشومير ها تسعير، والمستقلين، وافراد من أحزاب أخرى، في عصبة التقارب والتعاون العربي اليهودي، في جهد مشترك لترويج افكارهم عن ثنائية القومية ورغم أن ثنائية القومية والقيم التي تجسدها كانوا في موقف الأقلية في الحركة الصهيونية قبل ١٩٤٨ لكنهم ظلوا يتمتعون بالمشروعية. في المقابل لم تكن لهاشومير هاتسعير ولا لأي من حلفائها استراتيجية تضرب بجذورها في الظروف المادية لإقامة دولة ثنائية القومية. فمن كل الزعماء الصهيونيين، كانت لبن جوريون وحده العبقرية السياسية لتطبيق توليفة من الحيل الدبلوماسية والقوة العسكرية اللازمة لإقامة دولة يهودية. فقد كان بن جوريون فريداً في إدراك أن وجود دولة يهودية سيغير بصورة مثيرة ميزان القوة بين الصهيونيين والعرب، وداخل الحركة الصهيونية أيضاً. وهكذا تم، فيما بعد ١٩٤٨، استبعاد خيار القومية الثنائية كما تم، تدريجياً، استبعاد كثير من القيم السياسية والأخلاقية التي حملها الرأي العام، وعبر عنها.

وتكمن الصعوبة التي واجهتها هاشومير هاتسعير في الإبقاء على فكرة الثنائية القومية على جدول الأعمال السياسي، تكمن في التوتر التاريخي بين التزامها بالأممية الثورية الاشتراكية من ناحية والصهيونية من ناحية أخرى حيث أدت المتطلبات المتناقضة لهذين المثلين الأعلى بالفعل إلى أزمات دورية^(٢). أعطت الأغلبية في هاشومير هاتسعير في كل أزمة منها الأولوية للالتزامات المجموعة الصهيونية. ومع ذلك، فإن التناقض البادى بين جزئين مكونين لنظام من المعتقدات، لا يعنى

أن معتنقيه يؤمنون «حقا» بواحد فقط من هذين الجزئين المكونين له. وينبغي ألا يفسر تاريخ هاشومير هاتسعير بطريقة إما أنها تقلل من قيمة التناقض لأدنى حد أو تحط من شأن التزاماتها تجاه كلا العنصرين في توليفتها الايديولوجية.

إن جذور بوعلی تسیون اليسارية ترجع للحركة الثورية الروسية، و«صهيونيتها البروليتارية» تستلهم توليفة من الماركسية والصهيونية وضعها بير بوروخوف. في ١٩٢٠، انقسم الاتحاد العالمي لبوعليتسیون بشأن الانضمام للكونترن، ومضى بعض أعضاء الحركة في فلسطين إلى إنشاء الحزب الشيوعي الفلسطيني. وأدت انقسامات أخرى ونهج صفائية إزاء السياسة (فحتى أواخر الثلاثينات مثلا، رفض الحزب الاشتراك في المنظمة الصهيونية العالمية، التي كان يرى أن البورجوازية اليهودية تسيطر عليها) إلى جعل بوعلی تسیون حزبا صغيرا هامشيا يعتمد أساسا على المهاجرين الحضريين من أوروبا الشرقية الذين شكلت ثورة أكتوبر رؤياهم السياسية.

وعارض بوعلی تسیون اليساري سياسة المabay في استبعاد العرب من الهستدروت، ونادى بالتنظيم المشترك للعمال العرب واليهود الفلسطينيين- وهو موقف فريد في المعسكر الصهيوني العمالي. وأيد الحزب بنشاط نضال العمال العرب وجند مجموعة صغيرة ربما من خمسة وعشرين عاملا عربيا فلسطينيا بقيادة جورج ناصر من يافا في صفوفه مباشرة. وأصبحوا بعد ذلك هم العرب الوحيدين الذين انضموا للمابام عند تأسيسه (رغم أن وضعهم كان موضع جدل شديد). كان بوعلی تسیون اليساري يؤمن بأن التنظيم المشترك للعمال العرب واليهود سيحل المشكلة القومية في فلسطين، ولم يبذل الحزب جهدا كبيرا في تحليل القضية، مفضلا التركيز على المبدأ الايديولوجي المجرد المتعلق بالامية البروليتارية.

وفي أبريل ١٩٤٦، اندمج أحداث ها عافوداه وبوعلی تسیون اليساري لتكوين حزب أحداث ها عافوداه - بوعلی تسیون. وبعد ذلك انضمت غالبية بوعلی تسیون اليسارية السابقة بقيادة موسى أريم، مع أحداث ها عافوداه. بعد تشكيل المابام، أصبح القسم الذي يقوده أسحق اسحاقى من بوعلی تسیون متحالفا مع هاشومير هاتوق.

لقد كانت ها تشومير هاتسعير تعرف وهي تستهل مناقشات الوحدة مع أحداث ها عافوداه - بوعلی تسیون في صيف ١٩٤٧ أن التخلي عن فكرة ثنائية القومية كان شرطا مسبقا للوصول لنهاية ناجحة للمحادثات. فلم يرفض أحداث ها عافوداه أى إشارة لثنائية القومية في برنامج الحزب الجديد المتسهدف إقامته فحسب، بل رفض أيضا الاقتراح البديل لها تشومير هاتسعير عن «المساواة السياسية» للشعبين في أرض إسرائيل المعاد توحيدها مستقبلا، وهي صيغة توحى بثنائية القومية^(٣). وجعل قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ بتقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية وتحويل القدس وضواحيها إلى كيان منفصل دولي، ثنائية القومية أمرا فيه نظر. ومع ذلك، فإن بعضا من المخضرمين في هاشومير هاتسعير وجدوا أنه من الصعب أن يقبلوا الحل الوسط الضروري للوحدة. وعندما اجتمعت اللجنة المركزية للحزب لمناقشة مشروع برنامج

الوحدة، أعلن اليعازر بنيري (باور)، وهو عضو القسم العربى من كيبوتس ارتسي وليس يساريا، أن البرنامج المقترح تتجاوز «حدود التنازلات التى يمكننا الموافقة عليها» فيما يتعلق بالمسألة العربية^(٤). وحذر بعد تأسيس المابام من أن برنامج الحزب تتضمن:

عدم وضوح وغموض فى النقاط التى من الممنوع أن يكتنفها الغموض. فالمسألة اليهودية العربية مسألة حاسمة. وسيحدد شكل حلها مصير العالياه^(*) على نطاق واسع ومصيرنا فى مجمله. لقد رفعت هاتشومير هاتسكير عاليا راية النضال من أجل اتفاق يهودى عربى. ومن المشكوك فيه أن يفعل الحزب الموحد ذلك^(٥).

وكان مُنتقد الوحدة الأكثر صراحة هو اليعازر هاكوهن، وهو محارب قديم من كيبوتس بيت الفا لا يعتبر يساريا. فقد أشاد بواقعية اللجنة المركزية فى الموافقة على العمل من أجل تمرير مشروع الأمم المتحدة للتقسيم مع اعترافه بالأخطار المأساوية التى يطرحها على الدولة الجديدة. لكن اللجنة المركزية كما يصر هاكوهن، كانت محقة فى إعلانها «أن ثنائية القومية ستظل هى الطريق الوحيد لتحقيق الصهيونية فى أكمل صورها»، وكان يود أن يرى هذه النقطة وقد أدرجت فى برنامج المابام. وبالأسلوب المميز لحركة الشباب، طرح قضية الوحدة باعتبارها مسألة وجودية أخلاقية:

إنها مسألة «أكون زو لا أكون» بالنسبة لهاشومير هاتسكير باعتبارها حاملة للمبادئ أصلا. إننا جميعا نعرف على الدوام وبصورة تكاد تكون روتينية تقريبا كيف نشيد بذلك الشئ الرائع المسمى هاشومير هاتسكير، الذى شيدناه خلال جيل والذى يتسم بكل الخصائص القيمة التى نتشبه بها. وكنا نواجه من وقت لآخر سائلا يقرع على بابنا يطلب منا أن نضحى بهذا الصرح على مذبح البعض. وحتى الآن قاومنا مثل هذا الطلب، مدركين أن استمرارنا فى الوجود هو أفضل احترام لكل مذبح. وحتى الذين يجندون ذلك، يسلمون بأن الحد الأدنى المبدئى الذى تحقق هو حد أدنى ثم تحت الضغط وهو غير كاف لتوحيد الافئدة فى رؤية لمستقبل مشيحانى^(**). لكن هناك أيضا من يؤمنون أن لمبادئنا فرصة أكبر فى أن تسود داخل الإطار المشترك فى المدى الطويل^(٦).

وكان أنصار الجناح اليسارى فى هاشومير هاتسكير يؤمنون بأن لمبادئهم «فرصة أكبر لأن تسود داخل الإطار المشترك فى المدى الطويل»، وأيد يعارى وحزان الوحدة للسبب نفسه. ونظرا لأنهما كانا واثقين من الانتصار الحتمى للماركسية والثورة البروليتارية، فإن اليسار والوسط المتطلع لليساى فى هاشومير هاتسكير كانوا أقل خشية بشأن الوحدة من بعض الذين يصغون الطابع المتميز للحركة محل تقديرهم قبل أى شئ. فقد قبل اهارون كوهن تحليل اليعازر هاكوهن المجتمع للوضع الراهن ووافق على أن برنامج الوحدة المقترح به أوجه قصور كثيرة. ومع ذلك، فقد أعلن كوهن أن الوحدة ستدعم المعارضة لنزعة الماباى الإصلاحية، وتلك مهمة أولى ينبغى النظر فيها^(٧).

* الهجرة الصهيونية رجوعاً إلى إسرائيل (المترجم).

** العصر المشيحانى الذى يعود فيه اليهود من المنفى ليقبموا مجد صهيون ويبدأ الفردوس الذى يدوم ألف عام - (المترجم).

لقد كان تأسيس المابام محاولة لتدعيم صورة مختلفة من نزعة الكمال الصهيونية التي يقدمها الجناح اليسارى وتقوم على المعارضة المبدئية لتقسيم فلسطين. وقد رأى الراديكاليون فى كيبوتس ارتسى، وقد انضم إليهم بعض أعضاء البالماح السابقين فى كيبوتس ميثوحاد وكذلك بعض عمال الحضر والمثقفين بقيادة موسى سنيه (الذى انضم للمابام عند تأسيسه)، إن هذا التدعيم يتسق مع، بل يتوقف على، تحويل المابام إلى حزب ماركسى لينينى إقليمى. ورغم أن نسبة اليساريين فى المابام لم تزد أبدا عن ٢٠ إلى ٣٠ فى المائة، فإن تأثيرهم كان كبيرا حتى أقصى حد وتولوا كثيرا من الوظائف القيادية: فقد كان بيرى أول رئيس تحرير للصحيفة اليومية للحزب، عال همشمار (بالمُصد)، ورأسى كوهن إدارة الشؤون العربية، وكان ريفتن واحدا من أمينين للحزب، ودخل بيرى وريفتن وسنيه أعضاء فى أول كنيس.

وفى حين كان المابام يتطلع لتوحيد أرض اسرائيل فى نهاية الأمر، فإن البرنامج الذى اعتمد فى مؤتمره الأول ألزم الحزب «بالمشاركة على أوسع نطاق -على الرغم من رفضه للحل القائم على التقسيم من الناحية المبدئية- فى بناء الدولة اليهودية والدفاع عنها». وقد نصت البنود الايديولوجية للبرنامج بوضوح على التزام المابام بالصهيونية باعتبارها الحل للمشكلة اليهودية. وكانت المهام الأساسية للأمة تتمثل فى جمع الشتات، والعالياه الجماعية، والتوطين. كما ينبغى أن تكون الطبقة العاملة اليهودية حليفا لكل نضالات التحرر الاجتماعى والوطنى فى كل أنحاء العالم، وتتمثل مهمتها التاريخية فى الشروع فى نضال طبقى ثورى لاقامة حكومة العمال، والقضاء على الرأسمالية، وإقامة مجتمع اشتراكى لا طبقى. وكان المابام يعتبر نفسه «جزءا لا يتجزأ من حركة العمال الثورية». وينبغى للحزب أن يسعى لتحقيق التكامل بين الصراع الطبقى والإبداع الاشتراكى (أى البناء الصهيونى) فى المدينة والريف.

وكان البرنامج غامضا على نحو مقصود فى أربع نقاط حاسمة: (١) لقد اتفق الجميع على هدف إعادة وحدة أرض اسرائيل، لكن نظام الحكم فى البلاد مستقبلا لم يكن محددا. هل سيكون هناك دولة ثنائية القومية أم دولة يهودية؟ هل سيتم الاعتراف بالحقوق الوطنية للعرب الفلسطينيين؟ (٢) هل سيصبح المابام حزبا إقليميا يُسمح للمواطنين العرب فى الدولة اليهودية بالانضمام إلى صفوفه؟ (٣) لم يتبين المابام الماركسية اللينينية بصورة واضحة، ولم يكن موقفه من الاتحاد السوفيتى محددا بوضوح. (٤) كذلك لم تكن علاقات المابام بماكى محددة بوضوح.

□ المابام وحرب ١٩٤٨-٤٩

تعرض الاتجاه السياسى للمابام بأسره، وسياسته العربية بصفة خاصة للاختبار فور تأسيسه الحزب، لأن الحرب الأهلية بين المجموعتين الاثنتين اليهودية والعربية فى فلسطين تفجرت فور اعتماد مشروع الأمم المتحدة للتقسيم، الذى أعقبه غزو الدول العربية بعد إصدار إعلان استقلال إسرائيل فى ١٥ ايار ١٩٤٨. وباعتباره حزبا صهيونيا، لم يكن هناك مجال كبير للتساؤل حول ما إذا كان سيشترك فى مجلس الدولة المؤقت الذى أقيم فى مارس ١٩٤٨. لكن بعض أعضاء اللجنة

المركزية (أساسا من الجناح اليساري) عارضوا الانضمام للاتلاف الحكومي الضيق المؤقت الذي يقوده الماباي لأن بن جوريون، رئيس الوزراء المعين، قدم للمابام وزارتين صغيرتين فحسب. ومع ذلك، فإن الأغلبية الساحقة فضلت الانضمام للحكومة المؤقتة، وعندما تم ذلك، أصبح مردخاي هنتوف (من كيبوتس ارتسي) وزيرا للعمل وأصبح أهارون تيزلنح (من كيبوتس ميثوحاد) وزيرا للزراعة^(٩). وبالإضافة لذلك، فإنه نظرا لأن معظم ضباط البالماح والهاجاناه ومن ثم قوات الدفاع الاسرائيلية كانوا أعضاء في المابام، فقد تولى المابام المسؤولية السياسية والتنفيذية عن شن حرب اسرائيل من أجل الاستقلال.

ادعى المعارضون للاشتراك في الحكومة بأن سياساتها المعادية للاشتراكية والموالية لأمريكا وغير السليمة بالنسبة للعرب قد تحدت بالفعل. والواقع أن بن جوريون ومستشاريه القياديين في الشؤون العربية كانوا قد عملوا بالفعل، مثلما أوضح آفي شلايم بتفضيل كبير، لمنع قيام دولة فلسطينية عربية بالتوصل لتفاهم سرى مع الامير عبد الله في شرق الأردن يتيح للأخير أن يضم اليه الأراضي التي خصصتها الأمم المتحدة لتلك الدولة. وكان بن جوريون يأمل في أنه من الممكن توسيع حدود اسرائيل لما وراء المناطق المحددة في مشروع التقسيم، ولهذا السبب لم ينص عليها في إعلان الاستقلال. وقد اعتمدت الهاجاناه في ١٠ آذار (بعد أن سمحت اللجنة المركزية للمابام، للجنة السياسية بأن تتفاوض على شروط الدخول في الحكومة المؤقتة بثلاثة أيام) الخطة د، وهي مثال كلاسيكي للاستراتيجية العسكرية المتشددة التي كان هدفها يتمثل في استئناف الهجوم، وضم أراضي الجليل وممر القدس المخصصين للدولة العربية، وطرد أي عرب يقاومون.

وبحلول شباط ١٩٤٨ كان كثيرون من الفلسطينيين الأثرياء ومن أبناء الطبقة الوسطى قد تركوا حيفا والقدس، وبدأ بن جوريون يتطلع لإجراء تغييرات ديموغرافية كبيرة في البلاد^(١٠). في ابريل ومايو (نيسان وايار) أصبح الخروج هروبا جماعيا. وليس هناك أي دليل على أن بن جوريون خطط لطرد الفلسطينيين العرب قبل أن تبدأ المعارك، لكن استراتيجية العسكرية العنيفة المتشددة شجعت على رحيلهم، وهو ما اعتبره أمرا طيبا. أضف إلى ذلك أنه وافق ضمنا على أعمال أشخاص قريبين منه خاصة يوسف وتيز، رئيس إدارة أراضي الصندوق القومي اليهودي، الذين طردوا المدنيين الفلسطينيين، ومحووا قراهم، واستولوا على أراضيهم، وأقاموا مستوطنات يهودية جديدة على تلك الأراضي خلال الحرب وعقبها مباشرة^(١١).

وقد حدد تقرير فرع المخابرات في قوات الدفاع الاسرائيلية في ٣٠ يونيو (حزيران) ١٩٤٨، أن ٣٩١٠٠٠ لاجئا قد هربوا حتى أول يونيو (حزيران): ٥٥ بالمائة منهم هربوا كرد فعل للعمليات العسكرية المعادية للهاجاناه/ قوات الدفاع الاسرائيلية، ١٥ بالمائة بسبب الأعمال المسلحة التي قام بها المنشقون الصهيونيون (وبصفة خاصة مذبحه دير ياسين في ٩ فبراير (شباط) على أيدي ايتزل وليحي)، و ٢ بالمائة بسبب عمليات الطرد المباشر، ٢ بالمائة كرد فعل لحملات الاشاعات الصهيونية الرامية لترويع العرب لدفعهم للهرب، وهرب ٧ بالمائة بسبب الخوف من التأثير بعد عمليات هجوم عربية

على اليهود. ورحل ٥ بالمائة فقط من اللاجئين بناء على أوامر من اللجنة العربية العليا أو حكومة شرق الأردن، والواقع أن السلطات العربية بذلت كل جهدها لوقف الهروب.

وخلال وقف إطلاق النار الأول، من ١١ يونيو (حزيران)، إلى ١٩ يوليو (تموز)، كان معظم الأراضي المأهولة التي خصصها مشروع الأمم المتحدة للتقسيم للدولة اليهودية آمناً. وعندما استؤنف القتال، زاد الطرد كنسبة مئوية من الإجمالي النهائي الذي بلغ نحو سبعمائة ألف لاجئ عندما بدأت قوات الدفاع الإسرائيلية تحتل الأراضي المخصصة للدولة العربية. وفي أكبر حادث مفرد للطرد القسري، والذي وقع في ١٢ يوليو خلال حملة لتنفيذ الخطة د، تم طرد نحو خمسين ألفاً من سكان اللد والرملة من مدينتيهما^(١٢).

واعترض المابام على معاملة الجيش للسكان المدنيين العرب: تدمير القرى التي لم تشترك في العمل العسكري ولم تأو الجيوش العربية الغازية، وطرد الفلاحين ومصادرة الأراضي الزراعية، ونهب الممتلكات، وأعمال القسوة التي لا مبرر لها - كل الأشياء المألوفة في الحرب. ولم يكن في الحزب من هو أكثر نضالية ومثابرة وبعد نظر في معارضة معاملة الحكومة للفلسطينيين العرب من كوهن. وقد أثار تقريره إلى اللجنة السياسية في مايو (أيار) مناقشة توجت بقرار يعارض «التوجه حول طرد العرب من مناطق الدولة اليهودية»، وتدمير القرى دون ضرورة عسكرية، والمصادرة غير القانونية والتدمير المتعمد لمصادر الرزق للعرب الذين بقوا أو الذين تحقق لهم العودة عند انتهاء المعارك، كما أوصت تلك المناقشة بإزالة أشد العقوبات بمرتكبي أعمال السلب، والسرقة، أو الهجوم على المدنيين. وحث الحزب الحكومة على دعوة العرب المحبين للسلام إلى أن يبقوا في ديارهم وأماكن عملهم وأن يقبلوا سلطة الدولة اليهودية. وطالب بأن يمنح لكل العرب المحبين للسلام الذين بقوا أو الذين سيعودون لإسرائيل، الحق في العمل، وفي حياة مستقلة لمجتمعهم، الأمن الشخصي، والرعاية الطبية والتعليم. وفي حين أن القرار لم يصادق على اقتراح كوهن بحث الحكومة على الترحيب بعودة كل اللاجئين، فقد كان على الرغم من ذلك نقداً شاملاً لسياسات الحكومة في موضوع العرب^(١٣).

ربما كان بن جوريون يخشى أن يترك المابام الحكومة إذا أُتخذ قرار صريح بطرد العرب ومصادرة ممتلكاتهم. ورغم أن معارضة المابام قد تفسر السبب في أن الحكومة لم تتخذ هذه الخطوة أبداً بصورة رسمية، فإنها لم تجد كثيراً في تغيير مسار الأحداث. ففي ١٦ (حزيران)، غداة اتخاذ المابام لقراره الذي ينتقد سياسة الحكومة بالنسبة للعرب وافقت الوزارة بصورة غير رسمية على منع اللاجئين الفلسطينيين من العودة. وفي ١٨ (آب) تم تأكيد هذا القرار في اجتماع لخبراء الشؤون البارزين في المابا^(١٤). واستمر وقوع الأعمال التي جرى انتقادها في قرار المابام بتواتر متزايد.

وفي أعقاب المناقشة التي جرت في اللجنة السياسية والممثلات الطرد الجماعي من اللد والرملة، أعرب المابام عن انتقاده لسياسة الحكومة في موضوع العرب بصراحة أكبر. وفي دورة ١٣ (تموز) لمجلس الدولة المؤقت، سأل تزامن لوريا، بن جوريون عما إذا كان يعرف أن الجيش يدمر القرى العربية التي لم تشترك في الحرب والتي هرب سكانها أثناء المعارك، وطالبه بأن توقف الحكومة هذا النشاط

وتعلن تغييرا في السياسة خلال يومين. لكن لوريا لم يتلق أبدا ردا مباشرا على سؤاله. وبقيت المسألة إلى شهر آب بدون حل^(١٥). وفي ١١ يوليو (تموز)، حصل اهارون كوهن بصورة غير رسمية على نسخة من تقرير فرع المخابرات بقوات الدفاع الإسرائيلية الصادر في ٣٠ (حزيران) عن اللاجئ^(١٦). وفي حين أنه من الواضح أنه استخدم المعلومات التي احتواها التقرير في كتاباته ومحاضراته، فإنه لم يشر للوثيقة وينقل عنها مباشرة ولم يذكرها أبدا في أي اجتماع حزبي. ذلك أن الإشارة الصريحة لتقرير للمخابرات تم الحصول عليه بطريقة غير مشروعة، كان سيعرض المابام للاتهام بالخيانة في زمن الحرب. وكان تجاوز هذا الحد أمرا غير متصور بالنسبة لكوهن.

وكانت فعالية معارضة المابام لأسلوب الحكومة في خوض الحرب وكذلك الاستراتيجية السياسية الكامنة وراء ذلك والخاصة بتعظيم أراضي الدولة اليهودية ومنع قيام الدولة الفلسطينية التي دعا إليها قرار الأمم المتحدة للتقسيم، محدودة جراء أعمال أعضائه أنفسهم ممن يرتدون زيا عسكريا، وفي كيبوتساته، والتي كانت تتناقض مع سياسة الحزب الرسمية. فقد قاد أعضاء المابام كثيرا من العمليات التي أفضت لعمليات طرد كبيرة: يجثال آلون في الجليل، آلون وشمعون اميدان في شمالي النقب، وموشى كارمل في الجليل الأعلى، وآلون واسحق رابين في اللدوالرملة^(١٧). واشتكى كوهن في تقريره في ١٠ (ايار) من أن الضباط الأعضاء في المابام كانوا يتبعون خطأ مختلفا عن خط الحزب وأن سياسة لترحيل السكان العرب من الأراضي الواقعة تحت السيطرة اليهودية يتم تنفيذها. وانتقد في العدد الأول من المجلة الايديولوجية للمابام كلا من الحكومة وأعضاء المابام العسكريين، وحذر متنبها بأن «دولة ترم على العداء القومى وحكم شعب لشعب آخر، ستغذى، دوغاريب، الشوفينية والرجعية في حياتها الداخلية، وأكد أن الدولة الرجعية ستغدو بحكم الضرورة، عاجلا أم آجلا خاضعة للامبريالية ولسياساتها الرجعية والعدوانية على الساحة الدولية»^(١٨).

وأعلن كوهن بلاليس في ندوة حول العلاقات العربية الاسرائيلية عقدت لمجندي المابام في ٧ (تموز)، «أنه ينبغي إعادة الغالبية الساحقة من اللاجئ». وربط الواجب الحتمى الأخلاقي الذي يقضى بمعاملة غير المحاربين بصورة إنسانية بالأهداف السياسية لاستعادة الوحدة الإقليمية لأرض اسرائيل وتحقيق الصهيونية في أكمل صورها. وأكد كوهن أن الغالبية العظمى من الفلسطينيين لم تكن تريد الحرب، التي فرضها عليهم عملاء الحاج أمين الحسيني والقيادة العربية العليا، وأن الدول العربية غزت فلسطين لخدمة أغراضها الذاتية. إضافة إلى ذلك، فإنه نظرا لأن اسرائيل قد كسبت الحرب بالفعل، فإنه ينبغي عليها ألا تدع الدول العربية تتولى مسؤولية اللاجئ، حيث أنها ستشير اللاجئيين فقط ضد الدولة اليهودية. وانتقد كوهن بصورة حادة النهب والسرقة وتدمير الممتلكات بدون غرض عسكري، ومهاجمة المسنين والنساء والأطفال وغيرهم من المدنيين، وأشار بصورة حادة إلى «أن من يجلسون هنا يعرفون جيدا ما أقصده وليست هناك حاجة لتقديم أمثلة». ودافع عن سياسة المابام بالنسبة للعرب (في الحقيقة، هاشومير هاتسعير) في الرد على أعضاء الحزب الذين تساءلوا: «لماذا لا نمنع اللاجئ من العودة؟ لماذا لا نحتل كل أرض اسرائيل بالقوة العسكرية؟ لماذا لا ننفذ سياسة لترحيل السكان؟ أليس الأمر متأخرا لأن تحدد السياسة مسار الأحداث؟»^(١٩).

وقد نُشرت آراء كوهن في صحف المابام مما يبين أنها كانت لاتزال ضمن دائرة الرأي المقبول في الحزب. بيد أن كبار قادة الحزب، كانوا عادة أكثر تحفظاً في انتقادهم للحكومة. فعلى سبيل المثال، انتقد حزان في اجتماع للفعاليات العسكرية للحزب وبصورة حادة عمليات تدمير القرى وطرد السكان التي ينفذها أعضاء الحزب، لكنه ميّز بين سكان اللد، الذين كان يؤمن بأن هناك مبرراً لطردهم لانهم استأنفوا القتال بعد أن استسلموا، وبين سكان الرملة، الذين طردوا ظلماً وبغير جريئة^(٢٠).

وجعل عدم الاتساق في موقف بعض قادة المابام، الحزب يتعرض للاتهام بالنفاق. فقد انتقد يوسف واتيز، وهو من الأنصار الأقوياء لترحيل العرب الفلسطينيين من الدولة اليهودية، حزان لمعارضته تدمير القرى العربية وطرد سكانها في حين وافق على تخصيص أموال للصندوق القومي اليهودي لتنفيذ عمليات التدمير. واستثاره خطاب ليعاري أمام اللجنة التنفيذية الصهيونية يدين الطرد «كما لو كان لا يعرف أن كل أصدقائه في الكيبوتسات يفعلون ذلك بتفان كامل»^(٢١).

وكان واتيز محقاً في افتراض أن قادة حركة الكيبوتسات في المابام كانوا يعرفون أن أعضاءها منغمسين بنشاط في الاستيلاء على الممتلكات العربية. ومنذ فترة مبكرة ترجع إلى شهرى (إيار وحزيران)، بدأت كيبوتسات المابام، إلى جانب المستوطنات اليهودية الأخرى في حصد المحاصيل المتروكة في القرى العربية وإعادة توزيع الأراضي المصادرة فيما بينها^(٢٢). وأخطر كوهن أمانة المابام أن كيبوتسات منطقة حيفا قد استخدمت القوة المسلحة لطرد العرب والاستيلاء على أراضيهم^(٢٣). وفي اجتماع لمجلس كيبوتس ميثوحاد في ٨-٩ (حزيران)، شجب اسحق تابنكن الاستيلاء على الغنائم وقال وهو يرثى الحال إنه: «هناك من يقول إنه ليس هناك كيبوتس واحد» لم يشارك في مثل هذه الأعمال.

وتفسر متطلبات الحرب والانشغال المهيمن بتأمين الدولة اليهودية وتوفير ملاذ «آمنة» للباقيين من المحرقة، إلى حد كبير «مرونة» سياسة المابام في القضية العربية. وينبغي أن يُضاف إلى هذه الدوافع التي يسهل فهمها، الحلم الذي تبناه المابام كله وهو «استعادة وحدة الأرض». فبعد دحر الهجوم العربي في (حزيران)، وافقت عناصر الصقور الأكثر تشدداً في أحداث هاعفودا مثل جاليلي وآلون، وكذلك بعض أعضاء الجناح اليساري مثل ريفتي وسينه وكوهن، على أن الهدف العسكري للحرب يتمثل في فتح أرض إسرائيل. وكان الخلاف بين المجموعتين هو أن أحداث هاعفودا كان يريد فتح كل المناطق للاستيطان اليهودي، في حين كان أعضاء الجناح اليساري يريدون أن تمنع إسرائيل عبد الله من احتلال أي جزء من فلسطين لإقامة دولة عربية فلسطينية مستقلة. واستمر البعض في التطلع لإعادة الوحدة السياسية للبلاد في دولة ثنائية القومية^(٢٤). وقد ساعد الهدف المتمثل في احتلال كل فلسطين، التي كانت واقعة تحت الانتداب، المابام على أن يتجاهل أو يقلل من أهمية التجاوز على طريق تحقيق الهدف، وبمجرد احتلال البلد بأسره وطرد القوات الرجعية لعبد الله ومؤيديه من الامبرياليين البريطانيين، فإنه من الممكن تصحيح أي ظلم.

هل كان قادة المابام منافقين كما ألح واتيز؟ أن احدثت هاعفودا لم ينشغل أبدا بحقوق العرب مثلما كانت هاشومير هاتسعير، ومن ثم لا يمكن اتهمه بالنفاق. وفيما غدا أهارون كوهن، الذى كان يرى الأمور ببصيرة غير عادية، كان اليساريون فى المابام عميانا بسبب اعتقادهم أنهم يقفون على الجانب الصحيح للتاريخ. فقد أيد الاتحاد السوفيتى، قائد قوى الغد، إنشاء دولة يهودية باعتبار ذلك لطمه للامبريالية البريطانية، ألن تكون دولة يهودية قوية ذخراً للمعسكر المعادى للامبريالية؟ ونظرا لأن كل الدول العربية التى تهاجم اسرائيل كانت مخالبا للامبريالية البريطانية، أفلا تؤدي أى محاولة لتقليص حدود الدول اليهودية إلى تعزيز نفوذ الامبريالية فى الشرق الأوسط؟ ولم يستطع اليساريون باعتبارهم صهيونيين أن يدركوا أن وجود دولة صهيونية (بدل دولة ليهود فلسطين واللاجئين اليهود الاوروبيين الذين لم يعودوا لبلادهم - وهو ما أيدته الاتحاد السوفيتى فى الواقع) قد يكون أمرا إشكاليا. وأتاحت توليفة من أحلام اليقظة والتشونه الطبيعى للمدركات الناجم عن الحرب، الفرصة لأعضاء المابام الذين كانوا يشعرون بالقلق لأن يتخيلوا أن الحزب يتبع بصورة منتظمة السياسة التى دعا اليها اهارون كوهن. وعلى أية حال، فإن هذه القضية لم تكن محورية فى تقييمهم للوضع.

وهكذا، فبحلول خريف ١٩٤٨ برهنت كل مكونات المابام عن عجزها فى أن تضع بديلا لتوافق رأى الصهيونى الآخذ فى التشكل بشأن العلاقات العربية اليهودية والذى أعلن أن كل المقاومة العربية للنشاط الصهيونى - حتى لتأمين أهداف تتجاوز حدود مشروع الأمم المتحدة للتقسيم - غير مشروعة ورجعية. وقد وافق المابام على أن أسلوب خوض اسرائيل للحرب يقع كلية فى حدود الدفاع المشروع عن النفس. وفى الوقت نفسه، كان البرنامج السياسى لتوافق رأى الصهيونى مستمدا من الموقف المتشدد تجاه الحقائق الجيوبوليتيكية (اليهودية): رفض الانسحاب من الأراضي المحتلة فى الحرب، ورفض إعادة اللاجئين الفلسطينيين، ورفض قبول وجود دولة عربية فلسطينية.

هنالك دليل واضح على المشوار الذى قطعه المابام خلال الحرب، يمكن تبينه فى رده على مقترحات وسيط الأمم المتحدة الكونت برنادوت فى (ايلول) ١٩٤٨ بأن تحتفظ اسرائيل بالجليل الغربى، والذى تحتله بالفعل مع أنه كان من المقرر أن يكون جزءا من الدولة العربية، فى مقابل التنازل عن النقب، الذى لم يكن قد احتل بعد رغم أنه كان مخصصا للدولة اليهودية. وقد عارض المابام مقترحات برنادوت باعتبارها تتعارض مع مشروع الأمم المتحدة للتقسيم، وتمثل رد فعله فى اتخاذ قرار فى ٧ (تشرين اول) يطالب بإجراء تعديلات كبيرة فى حدود التقسيم لصالح اسرائيل. حيث قُضِيَ الحزب ضم اسرائيل للجليل الغربى، ولحمر برى إلى القدس، وتحصين المرتفعات الواقعة على الحدود، ووضع ضمانات للطابع العبرى للقدس - وكلها تتناقض مع أحكام مشروع التقسيم. وكانت هذه المطالب قريبة من خطوط وقف إطلاق النار الفعلية التى رسمت فى ١٩٤٩، والتى كانت تقوم على الوضع القائم العسكرى فى نهاية المعارك مع تغييرها بصورة طفيفة لصالح اسرائيل.

وطالب قرار المابام فى ٧ (تشرين اول) بعودة «اللاجئين الباحثين عن السلام الذين يعترفون

بسيادة دولة اسرائيل» - وهى صيغة تشى بأن عددا محدودا من اللاجئين سيتم الترحيب بعودته. وفى حين كان المابام يستخدم رطانة العداء للامبريالية، فقد كان يتحرك بطريقة مبرمجة نحو توافق رأى الصهيونى الصاعد، مثلما شكله المابام وصاغه، فيما يتعلق بقضية اللاجئين:

لقد كانت المؤامرات الامبريالية والهجوم الدموى للقيادة العربية الرجعية على السكان العرب ودولة اسرائيل، هى العوامل الرئيسية لاجتثاث جذور مئات الألوف من العرب من البلاد. وينبغى لجماهير اللاجئين أن تتعلم درسا من الكارثة التى لحقت بها وتناضل من أجل قيادة ديمقراطية لشعبهم ومن أجل سلام حقيقى مع الشعب اليهودى ودولة اسرائيل^(٢٦).

بل لقد مضت افتتاحية عال همشمار لحد أبعد فى ١٤ (تشرين ثانى)، فذكرت أن اللاجئين هربوا كتعبير عن المعارضة لدولة اسرائيل. وكان هذا يتناقض مع مقولة المابام السابقة، ومع بيانات مماثلة أدلى بها بن جوريون وجولدا مائير فى مطلع ١٩٤٨، بأن غالبية الفلسطينيين العرب لم يكونوا يريدون الحرب ولم يشتركوا فيها. ولم يكن هناك أحد فى المابام يعرف أفضل من أهارون كوهن أن ادعاء الصحيفة لم يكن غير صادق فحسب بل من المرجح أيضا أن يفاقم من تدهور العلاقات العربية اليهودية. وقد احتج على الافتتاحية، لكن خطابه للمحرر لم ينشر^(٢٧).

وقد انزعجت عناصر كثيرة فى هاشومير هاتسعير انزعاجا عنيفا من جراء الفجوة بين النظرية والتطبيق فى المابام وبذلوا جهودا عاطفية وفكرية مضنية لفرز الأمور. ففى (كانون اول) ١٩٤٨، أشاد ممثلو ما يزيد على خمسين كيبوتسا صراحة بمسار الحزب منذ التصديق على التقسيم، وذلك فى المؤتمر الوطنى الأول لـ «كيبوتس ارتسى» فى أعقاب إقامة المابام وفى اطار ما كان يعتبر أسرة واحدة. وكشفت مناقشاتهم عن الارتباك وفقدان الثقة والصراع للتوصل لاتجاه متماسك. افتتح يعارى الاجتماع بدفاع شامل عن طريق هاشومير هاتسعير التاريخى ردا على ما كان يسمى الاتجاه التصفى داخل الحركة. وفند بإسهاب الآراء القائلة بأن الأحداث الأخيرة برهنت على أن مواقف المابام، مذكرا بأن بيرل كاتزنلسون، الزعيم الروحى للمابام، قد أيد قيام دولة ثنائية القومية فى ١٩٣٦ وأن بن جوريون عارض فى ١٩٣٧ قيام دلالة يهودية امام لجنة بيل. وهاجم يعارى الاتجاه الموالى للبريطانيين ثم الموالى للامريكيين فى الماباى وقصر نظره عن أن يدرك أن «الخلاص سيأتى من الشرق». وأكد الحاجة إلى إقامة دولة عربية مستقلة فى فلسطين مع «إبعاد عبد الله عن البلاد وأوضح مجددا أن المابام قد أيد مشروع التقسيم «باعتباره حلا وسطا بناء» يؤدى لاستعادة وحدة البلاد من خلال اتفاق دولى»^(٢٨).

اتسم الاجتماع بالتوتر الذى اضطر يعارى للدفاع عن المبادئ التاريخية للحركة فى ضوء الحقائق الجديدة. ورد ممثلو الكيبوتسات الآراء المجردة ليعارى بتقارير تشير الكرب عن الأفكار والأفعال المناقضة المنتشرة فى الكيبوتسات التى جاءوا منها. وفى حين دافع البعض عن الاستيلاء

على ملكية العرب، فإن المحاربين القدماء الذين أصابهم الفزع من جرائه شجبهه بلا قيد أو شرط. وانتقد البعض اسحق رابين باعتباره قائد عملية طرد المقيمين في اللد والرملة، فدافع عنه ريفتن. وأكد اليساريون أن فشل أعضاء الحزب في التمسك بقيمه الأخلاقية وخطه السياسى خلال الحرب يرجع لحقيقة أن المابام لم يكن حزبا لينينيا منضبطا على نحو سليم. وقالوا إنه كان يمكن حل المشكلات بالتعاون بصورة أوثق مع ماكى وتبنى خط ماركسى لينينى واضح. ورد آخرون بأنه لم يكن هناك توافق فى الآراء لاعتماد الماركسية اللينينية فورا. وعبر حزان عن الانزعاج السائد فى التجمع:

لقد عشنا حتى الآن فى واقع هادئ، وكانت الرؤية بعيدة جدا. كنا نتجادل، لكننا لم نتعرض للاختبار. وقد وصلنا الآن لوضع أصبح فيه كل شئ تقوله اليوم عرضه للاختبار غدا.... حركتنا لا تعرف كيف توفق بين أيديولوجيتنا وظروفنا، وكيف تناضل لتحقيق نفس الهدف فى ظل ظروف جديدة (٢٩).

وتم تخفيف أو حذف التعليقات المفعمة بالحوية كلية من التقرير المنشور عن الاجتماع مثلما كان بالنسبة ليشعياو بعيرى من ميشمار هعيمك عن الاختلاف بين «الرأى الرسمى والرأى المسموع فى الحمامات (الجماعية للكيبوتسات)»، وكذلك لتقرير اليعازر بعيرى بأن بعض أعضاء هكيبوتس هأرتسي كانوا يحبذون احتلال كل أرض اسرائيل دون إقامة دولة عربية. وساعدت هذه الرقابة الذاتية هاشومير هاتسعير، ومن ثم باقى المابام، على تفادى مواجهة المهمة الصعبة الخاصة بإعادة دراسة الفروض الايديولوجية. وقد بينت الاعترافات والاتهامات والاتهامات المضادة فى هذا الاجتماع بوضوح أن عصر براءة هاشومير هاتسعير قد ولى. لكن لم يتم استخلاص أى نتائج، واستمر قادة المابام فى الاعتقاد بأنه نظرا لأن الحرب لاتزال مشتعلة وأن الحل النهائى للنزاع بعيد عن أن يكون مؤكدا، فإن كل شئ لايزال قابلا للتصليح بقليل من العون من الاتحاد السوفيتى.

□ طريق الحزب الشيوعى الفلسطينى نحو ثنائية القومية

تعرض الحزب الشيوعى الفلسطينى باعتباره تنظيما يهوديا عربيا لصعوبات فى مجال إدارة العلاقات بين المجموعتين الاثنتين سواء فى الحزب أو على الساحة السياسية الأوسع. وقد عارض الحزب الصهيونية منذ منتصف العشرينيات، مع استمرار الخلافات التكتيكية الداخلية حول كيف ينبغى النظر إلى الطبقة العاملة اليهودية الموالية للصهيونية فى غالبيتها الساحقة. وقد أدت هذه الخلافات فى (ايار) ١٩٤٣ إلى انقسام وفق خطوط قومية عندما ثار أعضاء الحزب اليهود بقيادة شموئيل ميكونس ضد ما اعتبروه القيادة «القومية المتطرفة» للسكرتير العام، رضوان الحلو («موسى») (٣٠). وبقي بعض قادة الحزب اليهود، من بينهم مائير فلنر، واتسير فيلنسكر، ومائير سلونيم، وسميحا تزابارى، مخلصين لقيادة موسى لفترة قصيرة، لكن سرعان ما لحق فلنر وفيلنسكا بميكونس ليعقدوا المؤتمر الثامن للحزب فى ايار ١٩٤٤، الذى أعلن عن نفسه كاستمرار للحزب

الشيوعى الفلسطينى. ومضى سلونيم وتزابارى لتشكيل الرابطة التعليمية الشيوعية القومية اليهودية. وتخلّى أعضاء الحزب العرب فى النهاية عن المثل الأعلى للتنظيم المشترك مع اليهود وأسسوا عصبة التحرر الوطنى فى مطلع ١٩٤٤ باعتبارها تنظيما عربيا صرفا. وهكذا، وفى نهاية الحرب العالمية الثانية، كانت هناك ثلاثة تشكيلات شيوعية رئيسية فى فلسطين: الحزب الشيوعى الفلسطينى (اليهودى)، والرابطة التعليمية اليهودية، وعصبة التحرر الوطنى العربية. من الناحية المبدئية، ظل كل تنظيم ملتزما بالأمية، أما من الناحية الفعلية فعكس طابعه القومى وتطوره السياسى البيئة السياسية المختلفة جذريا فى كل مجموعة اثنية. (أو كل مجموعة سكانية).

وفى (ايلول) ١٩٤٥، حدّد المؤتمر التاسع للحزب الشيوعى الفلسطينى أن فلسطين كانت «وطنا له طابع ثنائى القومية» ودعا إلى إقامة «دولة عربية يهودية ديمقراطية ومستقلة»^(٣١). هذه الصيغة وإن لم تبلغ حد المصادقة على البرنامج الصهيونى لإقامة وطن قومى يهودى فى فلسطين، فقد سلمت بوجود مجموعة قومية يهودية فى فلسطين لها حقوق مساوية لحقوق المجموعة القومية العربية الأصلية. وقد طور فلنر، رئيس تحرير صحيفة الحزب، كول هاعام (صوت الشعب) هذا الموقف فى كتيب أصدرته اللجنة المركزية استعدادا للمؤتمر العاشر فى ١٩٤٦:

تعيش فى فلسطين مجموعتان قوميتان. وينبغى لأى برنامج لحل مشكلة البلاد أن يضع فى اعتباره هذه الحقيقة ويكفل لكلا الشعبين حقوقا وإمكانات متساوية للتنمية القومية الحرة. إن المسألة الوطنية فى فلسطين مسألة فريدة. ففلسطين بلد ثنائى القومية، لكن العرب واليهود لا يعيشون فى إقليمين منفصلين.

ورغم أنه لم يدافع عن رؤية للحزب الشيوعى الفلسطينى بدولة ثنائية القومية بالمعايير الصهيونية التى استخدمتها هاشومير هاتسعير، فقد أبرز فلنر الحاجة للتعاون بين الحزب الشيوعى الفلسطينى والأحزاب الصهيونية التى تتفق مع الموقف الشيوعى بشأن قضايا برنامجية معينة، محددا هاشومير هاتسعير ورابطة إحدود باعتبارهما شركاء مرجحين بصفة خاصة للنشاط المشترك^(٣٢).

وبمجرد أن حدد الحزب الشيوعى الفلسطينى اليشوف باعتباره مجتمعا قوميا، أمكنه أن يتطلع بصورة مشروعة للمشاركة فى حياته السياسية. ومع ذلك، فقد حصل على ما يقل عن ٢ فى المائة من الأصوات فى انتخابات ١٩٤٤ للجمعية اليهودية المنتخبة (اسيفات هنبهاديم)، وكانت اللجنة التنفيذية للهستدروت قد حرمته من المشاركة فى الانتخابات فى ١٩٤١ و١٩٤٤، وخفّف الدور القيادى للاتحاد السوفيتى فى هزيمة النازية جزئيا من الوضع الهامشى للحزب الشيوعى الفلسطينى فى اليشوف، كما مكّنه عمله فى عصبة النصر، من التعاون مع هاشومير هاستعير، واحدوت هاعفودا، وعناصر من المabay على أساس الحماس المشترك للاتحاد السوفيتى.

□ الرابطة التعليمية الشيوعية

أقيمت الرابطة التعليمية الشيوعية في (نيسان) ١٩٤٥، في تقليد واع للمثل الذي ضربه الحزب الشيوعي للولايات المتحدة، بإنشاء الرابطة المتماثلة والتي أعيد مؤخرًا تسميتها بالرابطة السياسية الشيوعية. وقد حاول برنامج الرابطة التعليمية الشيوعية أن يعبر عن شيوعية قومية يهودية. فقد اعترفت بالشعب اليهودي باعتباره كيانا قوميا وأيدت تأييدا كاملا إقامة وطن قومي يهودي في فلسطين، والاستقلال للشوف، والحق غير المحدود لليهود في الهجرة والاستيطان. وبعد أن انتقد إيرل براودر باعتباره مرجعا (Revisionist) (تحريفيا) بسبب قيامه بحل الحزب الشيوعي، غيرت الرابطة التعليمية اليهودية اسمها، أولا إلى الاتحاد الشيوعي لفلسطين، ثم في (حزيران) ١٩٤٧، إلى الحزب الشيوعي العبري. ورحبت هاشومير هاتسعير بمؤتمر الشيوعيين العبريين في أكتوبر ١٩٤٧ ودعتهم للانضمام للمابام بعد أن قبلوا حركة التحرر الوطني اليهودية^(٣٣). والواقع أن كثيرين من الشيوعيين العبريين انضموا في النهاية إلى المابام في ١٩٤٩، بعد إقامة قصيرة في ماكي. ورغم أن عدد الشيوعيين العبريين بلغ خمسمائة فحسب، فإن ظهورهم أبرز، بدرجة أكبر، تزايد قبول الماركسية وتزايد المشاعر الموالية للسوفييت بين من كانوا يحددون سياساتهم في إطار الإجماع الصهيوني^(٣٤).

□ طبقة المثقفين العربية الفلسطينية وعصبة التحرر الوطني

نبعت القوة الدافعة الرئيسية للانقسام في الحزب الشيوعي الفلسطيني في الجانب العربي، من المثقفين الشبان. فقد جمع بولس فرح، الذي طُرد من الحزب الشيوعي الفلسطيني في ١٩٤٠، حوله مجموعة من الشباب العربي المتعلم في حيفا - من أعضاء الحزب ومن غير أعضائه على حد سواء^(٣٥). وكان فرح يعتبر موسى «أميا» وعاجزا عن قيادة حركة شيوعية، ويعتقد أنه ينبغي على الحزب أن يجذب الشباب العربي المتعلم، الذي كان يتطلع إلى قيادته بنفسه^(٣٦). بيد أنه ينبغي أن لا يخفى هذا التنافس الشخصي الدلالة العامة لقيام طبقة المثقفين من شباب الحضر باعتبارها قوة اجتماعية في الحركة الشيوعية العربية الفلسطينية.

خلال الصراع مع مجموعة ميكونس في (أيار) ١٩٤٣، دفع المثقفون الشبان العرب - عبد الله بندك، ويعقوب العرماني، وأميل حبيبي، بمساعدة من توفيق طوبى وعضو من مجموعة فرح - الحزب نحو الانقسام بنشر كتيب وقعه بندك وعرماني وحبيبي يعلن أن الحزب الشيوعي «حزب قومي عربي يوجد في صفوفه يهود يقبلون برنامجا قوميا»^(٣٧). ورحب الكتيب بحل الكومنترن وتطلع لتكامل أوثق مع الحركات الشيوعية والقومية العربية. ورغم شجب موسى واللجنة المركزية للكتيب، فإنه أجهد الوحدة الهشة بين اليهود والعرب في الحزب الشيوعي الفلسطيني لنقطة الانكسار. واتسحب موسى من القيادة في نوفمبر ١٩٤٣، ومضى أعضاء الحزب الشيوعي الفلسطيني العرب، وبولس فرح ومجموعته، والمثقفون الراديكاليون الآخرون والنقابيون لانشاء عصبة التحرر الوطني.

وكانت عصبة التحرر الوطني حركة اجتماعية تمثل تحالفا واعيا بذاته بين فئتين اجتماعيتين قيد التكوين وهامشيتين بالنسبة للنظام السياسي الفلسطيني التقليدي، الذي كانت فيه ملكية الأرض وتولى المناصب البيروقراطية أو الدينية هما الطريقان الأساسيان للسلطة السياسية والنفوذ: المثقفين الشبان، خاصة المسيحيون الحضريون، الذين لا ينتمون لعائلات قوية من ملاك الأراضي، والطبقة العاملة الحضرية. وقد تم تنظيم المثقفين في عصبة المثقفين العرب، التي يقودها بندق وحبيبي وطوبى واميل توما، في ناديين محليين في حيفا، نادى الشعب الذي كان يقوده حبيبي، وجمعية أشعة الأمل، التي كان يقودها فرح وتوما. ومن ١٩٤١ فصاعدا، بدأ هؤلاء المثقفون ينظمون النقابات، وبنهاية الحرب العالمية الثانية كان قد تم الاعتراف بهم باعتبارهم قادة مؤتمر العمال العرب، وهو اتحاد نقابي شكله في ١٩٤٥ الأعضاء الراديكاليون في التشكيلين النقابيين العربيين الفلسطينيين السابقين. وظهرت الصحيفة الأسبوعية لرابطة التحرر الوطني (وبعد ذلك أصبحت تصدر كل اسبوعين)، وهي الاتحاد التي يرأس تحريرها اميل توما، باعتبارها المتحدث باسم مؤتمر العمال العرب بعد (ايلول) ١٩٤٥. وأصبح فؤاد نصار، رئيس فرع مؤتمر العمال العرب في الناصرة، و خليل شنير، وهو من المخضرمين في الحزب الشيوعي الفلسطيني ورئيس فرع مؤتمر العمال العرب في يافا، قائدين وطنيين هامين في عصبة التحرر الوطني. ادعى مؤتمر العمال العرب أن عدد أعضائه بلغ عشرين الفا في ١٩٤٥ (ربما كانت هنا مبالغة إذا حسبنا فقط من كانوا يدفعون الاشتراكات) بل وكان يؤيده عدد أكبر من ذلك من العمال. ومن المؤكد انه كان أهم تنظيم نقابي عربى في فلسطين، وقد تحدى الهيمنة التاريخية لعصبة عمال فلسطين المحافظة التي كان يؤيدها الهستدروت في منطقة حيفا الصناعية، والتي نظمت العمال في الميناء، وشركة بترول العراق، ومعمل شل لتكرير النفط، وستيل برزرز Steel brothers (الاخوان ستيل)، والشركة الكيميائية الملكية، كما كانت قوة مسيطرة في الحركة النقابية العربية في يافا وغزة والقدس والناصرة وعدة مدن أصغر.

قدمت عصبة التحرر الوطني نفسها باعتبارها تنظيما راديكاليا ديمقراطيا وقوميا «مفتوحا لكل المواطنين العرب»، و«الطليعة الواعية للحركة الوطنية»، و«تنظيم الطبقة العاملة والقوى التقدمية العربية». وكان المبدأ الايديولوجى الشيوعى الوحيد الظاهر هو المتجسد في الهيكل التنظيمى القائم على المركزية الديمقراطية. وكانت العصبة تدعو إلى قيام «حكومة ديمقراطية تكفل حقوق كل سكان (فلسطين) بدون تمييز وتعارض الهجرة اليهودية وقيام دولة يهودية، في حين تميز بين الحركة الصهيونية والسكان اليهود لفلسطين^(٣٨). بيد أن التعاون مع أى حزب صهيونى كان مستبعدا على أساس أن هدف إقامة دولة يهودية في فلسطين كان أمرا يتناقض مع التفاهم العربى - اليهودى. وكان الحزب الشيوعى الفلسطينى فقط هو الذى يعتبر حليفا ممكنا، على الرغم مما كانت عصبة التحرر الوطنى تعتبره انحرافا قوميا يهوديا فيه.

□ طريقان للتصديق على تقسيم فلسطين

نبح استعداد عصبة التحرر الوطنى لمنح الحقوق المدنية الكاملة للتجمع السكانى اليهودى من الخلفية الشيوعية لقاداتها مما جعلها تتمايز عن باقى الحركة الوطنية الفلسطينية العربية. كان الحزب

الشيوعي الفلسطيني وعصبة التحرر الوطني متحدين في معارضتهما الايديولوجية للصهيونية وللمطلب الخاص بإقامة دولة يهودية في فلسطين، وكان كلاهما يعتقد بأنه من خلال التضامن المعادي للامبريالية فقط يمكن لليهود والعرب في فلسطين أن يضعوا حداً للحكم الاستعماري البريطاني، ويحققوا الاستقلال السياسي لفلسطين، ويكفلوا التعايش العربي اليهودي. ومع ذلك، ففي حين كانت عصبة التحرر الوطني تضع نفسها داخل الحركة الوطنية العربية الفلسطينية، ظل الحزب الشيوعي الفلسطيني خارج الإجماع الصهيوني. ان الشيوعية لم تكن أبداً أكثر من حليف تكتيكي مؤقت للصهيونية في الوقت الذي كان من الممكن فيه تصور قيام تحالف استراتيجي بين الشيوعية والقومية العربية. ومن ثم، فقد تبنى الشيوعيون اليهود والعرب عادة أساليب بيانية متميزة تعبر عن هذه العلاقة المتميزة لجماعاتهم القومية.

واجه الخطان القائمان في الشيوعية الفلسطينية أحدهما الآخر في (شباط وآذار) ١٩٤٧ في مؤتمر الأحزاب الشيوعية في الامبراطورية البريطانية في لندن، وكانت هذه هي المرة الأولى التي تعلن عصبة التحرر الوطني انتماءها علانية للحركة الشيوعية الدولية. وأكد اميل توما في «تقرير عن فلسطين» أن الحركة الصهيونية هي دعامة استراتيجية للحكم البريطاني في الشرق الأوسط، مقتبسا (بصورة غير كاملة) تعليق سير رونا لدستور بأن وعد بلفور سيتيح لبريطانيا أن تخلق «ايرلندا يهودية صغيرة (مخلصة) في الشرق الأوسط العربي. وقلل توما لأدنى حد من نطاق الوجود المستقل للاقتصاد القومي اليهودي والمجتمع القومي اليهودي عن الامبريالية البريطانية. وأكد أن فشل القيادة الوطنية الفلسطينية في تبني موقف إيجابي تجاه الجماهير اليهودية في فلسطين كان «يرجع أساساً إلى مؤامرة امبريالية صهيونية وإلى المركز المتميز للمجموعة اليهودية». وقدم توما برنامج عصبة التحرر الوطني: فلسطين مستقلة ديمقراطية بلا تقسيم وبلا ترتيبات لضمان التكافؤ بين المجموعتين السكائيتين^(٣٩).

وخاطب شموئيل ميكونس، ممثلاً للحزب الشيوعي الفلسطيني، المؤتمر غداة خطاب توما. وأكد في تقريره على تفاقم القمع الاستعماري البريطاني الموجه ضد العرب واليهود على حد سواء مشيراً إلى أن الحرب العالمية الثانية قد عجلت بالتنمية الرأس مالية، وإن لم يكن بطريقة متكافئة، في المجموعتين. بالنسبة لميكونس، كانت «المشكلة القومية الأساسية في فلسطين» هي «كيف يتم تحرير السكان، العرب واليهود على حد سواء، من النير الامبريالي». ادان ميكونيس بن جوريون، وجمال الحسيني رئيس اللجنة العربية العليا، لعجزهما عن إقامة نظام ديمقراطي في فلسطين. وعرض البرنامج الذي اعتمده المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي الفلسطيني: إلغاء الانتداب البريطاني وجلاء القوات العسكرية البريطانية، إقامة دولة مستقلة ديمقراطية بحقوق قومية ومدنية متساوية لكلا الشعبين، وليس دولة عربية خالصة أو دولة يهودية خالصة؛ وإيجاد ضمانات قانونية للحريات الديمقراطية. وطالب بعرض قضية فلسطين على مجلس الأمن للوصول لحل عاجل^(٤٠).

وحاولت الأحزاب الشقيقة الجمع بين المنطقتين الفلسطينيتين، لكنها فشلت. ففي اجتماع

للفود لمناقشة القضية الفلسطينية تمّ قبل عقد المؤتمر الرئيسى، اعترض ميكونس بقوة على تقرير توما، مؤكداً أنه تقاعس عن أن يذكر التحالف بين كبار ملاك الأرض والتجار العرب والحكومة البريطانية فى فلسطين^(٤١). وفى ما بعد المؤتمر، ذكر ميكونس فى اجتماع لفود من عصبة التحرر الوطنى، والحزب الشيوعى الفلسطينى، والحزب الشيوعى لبريطانيا العظمى، أن توما لم يهمل نقده فحسب بل فاقم المشكلة بالتقليل لأدنى حد من قيمة العدو الرئيسى أى الامبريالية والتركيز على مواجهة أحد عملاتها، أى الصهيونية، فى حين تجاهل كلية القوى العربية الموالية للامبريالية^(٤٢).

رغم أن الحزب الشيوعى الفلسطينى اختلف عن عصبة التحرر الوطنى بالاعتراف باليشوف كمجتمع قومى، فلم يكن مستعداً لإعطائها حق تقرير المصير - أى حق إقامة دولة مستقلة (ومن المؤكد أنه لم يكن مستعداً لإعطاء الشعب اليهودى على النطاق العالمى حق تقرير المصير فى فلسطين) - حتى عندما تحرك الاتحاد السوفيتى صوب قبول المفهوم السابق. ولم تذكر افتتاحية كول هاعام فى ١٦ مايو (ايار) ١٩٤٧، فى تعليقها على خطاب اندريه جروميكو فى ١٤ (ايار) عن القضية الفلسطينية فى الأمم المتحدة، أن الوفد السوفيتى قد اقترح إمكان التقسيم الى دولتين منفصلتين، عربية ويهودية، حتى وإن عبر عن تفضيله «لدولة عربية يهودية ديمقراطية مستقلة». بل لقد أكدت كول هاعام أن جروميكو اتفق مع موقف الحزب الشيوعى الفلسطينى بأن شعبين يعيشان فى فلسطين وأن دولة فلسطينية مستقلة ينبغى أن تكفل حقوقاً قومياً متساوية لهما معاً.

وفى (تموز) ١٩٤٧، أدلى ميكونس بشهادته أمام اللجنة الخاصة للأمم المتحدة المعنية بفلسطين، قائلاً:

إننا نرفض بصورة مشددة فكرة التقسيم، حيث أنها تتعارض مع المصالح الاقتصادية والسياسية للشعبين. إننا نطالب بخطة تقضى بأن على فلسطين أن تقوم كدولة مستقلة وديمقراطية موحدة للقوميتين، مما يعنى دولة واحدة يقطنها ويحكمها شعبان، اليهود والعرب، لهما حقوق متساوية. ومثل هذه الخطة كان يمكن أن تجدى على الرغم من النزاع القائم بين المجموعتين القوميتين لأنه مثلما قال فلنر أمام لجنة الامم المتحدة الخاصة المعنية بفلسطين، فإن «مشكلة فلسطين ليست فى العداء اليهودى - العربى ... فالحكم الاستعماري هو المصدر الرئيسى للعداء القومى القائم فى بلادنا»^(٤٣). فذلك أن النزاع القومى فى فلسطين (وبعد ذلك اسرائيل) لم يكن «حقيقياً»، بل مختلفاً بيد البريطانيين (أو الأمريكين)، كان مسألة مركزية لتصوير الشيوعيين (والجناح اليسارى فى المابام) للوضع.

وعارض الحزب الشيوعى الفلسطينى اقتراح غالبية اللجنة الخاصة المعنية بفلسطين والذى أوصى بتقسيمها وهاجم التأييد الأمريكى للتقسيم باعتباره مطلباً «بتفكيك أوصال» البلاد^(٤٤). جاء رد الفعل الأول لكول هاعام للطالب السيد سيميون تساراهكين المندوب السوفيتى لدى الأمم المتحدة الذى أعلن تأييد بلاده المتحفظ للتقسيم باعتباره حلاً سيئاً وإن كان هو الحل الوحيد الممكن، فى تقرير محايد لم يشر لموقف الحزب الشيوعى الفلسطينى^(٤٥). ولم يصادق الحزب على مشروع

التقسيم، إلا في ١٦ (تشرين الاول)، عندما ألقى ميكونس خطاباً أمام اللجنة المركزية شرح فيه الأهمية الطاغية لوضع حدٍّ عاجل للانتداب البريطاني. حتى في ذلك الوقت، أشار ميكونس للجوانب السلبية للحل القائم على التقسيم وصوّره باعتباره حلاً «انتقالياً» إلى دولة فيدرالية «غدا»^(٤٦).

وبعد قبول التقسيم، أصبح الحزب الشيوعي الفلسطيني الحزب الشيوعي لأرض إسرائيل (ماكي)، وكانت تلك هي المرة الأولى التي يتبين فيها الشيوعيون الفلسطينيون الاسم العبري للبلاد الذي كانت تستخدم الصهيونية، ارتس إسرائيل. وعكس هذا التغيير استعداداً للمشاركة في، ومن ثم إضفاء المشروع على خطاب سياسي شكلته أهداف كانت من قبل تعتبر مقصورة على الصهاينة. حينذاك أعلن ماكي نفسه «رائد (حالتوس) النضال من أجل التحرر الوطني والاجتماعي في ضوء مبادئ الماركسية اللينينية». وقد استعير لفظ رائد أو طليعي من القاموس الصهيوني وكانت له دلالات تشير للاستيطان الصهيوني الريفى (وكذلك مصادر ممتلكات الفلاحين العرب، مثلما كان الحزب الشيوعي الفلسطيني يشير عادة). ورغم أن الكتيب الذي يعلن تغيير اسم الحزب أكد على أهمية التعاون العربى اليهودى، فقد تضمنت شعاراته الختامية شعاراً يقول: «عاشت الدولة اليهودية الديمقراطية المستقلة!» - بدون دعوة مماثلة لدولة عربية فلسطينية^(٤٧). وربما لم يكن هذا الإغفال مقصوداً، لأن الحزب أيد بوضوح إقامة دولة عربية في فلسطين إلى جانب الدولة اليهودية، ومع ذلك، فإن التقاعس عن ذكر هذا التأييد في كتيب عبرى يبين كيف أن الحرص على عدم إضعاف الجبهة المعادية للإمبريالية في وقت الأزمة والانشغال بذلك، قد أضفى المشروع على قوة الخطاب الصهيوني ودعمه.

وتمثل أوضح بيان لتماثل ماكي مع القضية القومية اليهودية في كتيبه الذي أصدره احتفالاً باليوم الأول لاستقلال إسرائيل، الذي أوضح أنه قد تم وضع حد للانتداب البريطانى بفضل «حرب التحرير» التي خاضها اليشوف ومساندة القوى التقدمية العالمية. وأكد أن حلفاء الدولة الوليدة تمثلوا في «الشعب اليهودى بأسره» و«كل قوى التقدم». وهكذا، تم تحديد الحركة القومية اليهودية في مجموعها باعتبارها قوة معادية للإمبريالية، دون تمييز بين الطبقات والتيارات السياسية داخل الحركة الصهيونية - وهى نفس الخطيئة التي نسبها ميكونس لتوما فيما يتعلق بالحركة القومية العربية الفلسطينية، في لندن. وفي حين أعلن الكتيب استعداد الحزب لإقامة علاقات سلم وتعاون مع الدول العربية المجاورة والسكان العرب الفلسطينيين في إسرائيل، في سياق النضال المشترك ضد العدو الامبريالي، فقد أغفل مرة ثانية الدعوة لدولة عربية فلسطينية من قائمة الشعارات الختامية^(٤٨). وبعد أن بدأ الغزو العربى، كرر ميكونس مجدداً أن النضال لإقامة دولة يهودية كان جزءاً من النضال المعادى للإمبريالية على النطاق العالمى، ويتبنيه موقفاً وطنياً متطرفاً، طالب بأن ترفض الحكومة قبول اقتراح للأمم المتحدة بوقف مؤقت لإطلاق النار لأنه يضعف الصراع العسكرى ضد «عبد الله ومخالب الامبريالية الآخرين الذين هاجموا إسرائيل ويفيد القوى الامبريالية وحدها»^(٤٩).

وفى مواجهة حرب وشيكة الوقوع، أعرب ماكي عن موقفه بوضوح بالغ في سياسته

العسكرية، مؤيدا تأييدا كاملا للمجهود العسكرى الرامى لإقامة دولة يهودية فى وجه مقاومة عربية. وفى ١٥ (تشرين ثانى) ١٩٤٧، وجهت اللجنة المركزية رسالة لأعضاء الحزب تطالبهم بالانضمام للهاجاناه^(٥٠). وقالت إن تدعيم الهاجاناه، هو الطريق الوحيد للدفاع عن التقسيم بدون تأخير رحيل البريطانيين عن فلسطين. ومع ذلك، فإن التوجيه الصادر بالانضمام لمنظمة سبق إيدانها باعتبارها أداة للقمع الصهيونى يوضح كيف دفعت الظروف الحزب نحو القبول العملى بالإجماع الصهيونى والدعم الملموس لأعمال أدانها فيما بعد.

انخرط الشيوعيون اليهود، بموافقة كاملة من القيادة الصهيونية، فى جهود دبلوماسية لتأمين العون العسكرى لليشوف فى (شباط) ١٩٤٨، سافر ميكونس لاوروبا الشرقية للتفاوض على توريد الأسلحة، وهجرة اليهود، وتشكيل وحدة عسكرية للقتال فى فلسطين. «وربما كان تأثير» هذه الجهود (إلى جانب العمل السابق الذى قام به مردخاي اورين من المابام) «حاسما فى قرار تشيكوسلوفاكيا بمساعدة الهاجاناه»، حسب تقرير عن هذه القضية اعتمد على بحث دقيق^(٥١). وفى شهر (كانون أول)، زار الباهو جوجانسكى عضو اللجنة المركزية أيضا أوروبا الشرقية لالتماس المعونة العسكرية. ومات عندما تحطمت الطائرة أثناء عودته للبلاد. وأسمى الحزب مقره فى تل ابيب (بيت اليوشا) باسمه، وكان استشهاده من أجل قضية استقلال اسرائيل يذكر عادة لتأكيد أوراق الاعتماد الوطنية للشيوعيين الاسرائيليين.

عارضت عصبة التحرر الوطنى تقسيم فلسطين حتى أعلن تسارابكين تأييد الاتحاد السوفيتى للتقسيم بوضوح تام. وأشار رد الفعل الأول على خطاب تسارابكين فى الاتحاد «أنه على الرغم من صداقتنا مع الاتحاد السوفيتى، فإننا لا نريد أنفسنا بسياسته، وإنما نحدد سياستنا من واقع ظروفنا المحلية القائمة وأهداف شعبنا»^(٥٢). «بعد خطاب تسارابكين»، انقسمت سكرتارية عصبة التحرر الوطنى: كان اميل توما ضد التقسيم، وكان فؤاد نصار واميل حيبى وتوفيق طوبى ورشدى شاهين فى صفه. واجتمعت اللجنة المركزية فى مطلع (كانون أول) فى الناصرة. وعارضت أغلبية الأعضاء، بقيادة توما وبولس فرح وموسى دجانى ومخلص عمرو، و خليل سنير، التقسيم. وقد قام توما والمعارضون الآخرون للتقسيم من حيفا وعكا، بمقاطعة اجتماع موسع ثانٍ للجنة المركزية فى الناصرة عقد بعد شهر: وكانت النتيجة أن تم قبول التقسيم بتأييد الاغلبية^(٥٣).

ولم تتح لعصبة التحرر الوطنى فرصة كبيرة لإعلان تأييدها للتقسيم لأن الرقابة البريطانية اغلقت الاتحاد فى (شباط) ١٩٤٨، ولم تظهر ثانية حتى (تشرين أول). ووقع التنظيم فى حالة من الفوضى، وأخذ معارضو التقسيم ومؤيدوه على حد سواء يعملون بصورة مستقلة عن بعضهم البعض. فانضم توما وآخرون للجنة الوطنية العربية فى حيفا، التى حاولت أن تنظم المقاومة العسكرية لاحتلال الهاجاناه لتلك المدينة. وأصدرت عصبة التحرر الوطنى - المنطقة الشمالية إعلانا فى مارس ١٩٤٨ بمعارضة التقسيم^(٥٤). وشارك أعضاء العصبة فى الجليل فى المقاومة المسلحة للاحتلال الاسرائيلى لوسط وغربى الجليل - وهى مناطق خصصها مشروع الأمم المتحدة للتقسيم

للدولة العربية. وفي شهر (نيسان)، كتبت اللجنة المركزية لمؤتمر العمال العرب، ربما بتأثير من مجموعة حيفا وخلييل شنير زعيم مؤتمر العمال العرب في يافا، رسالة عزاء للحاج أمين الحسيني عندما قُتل قريبه عبد القادر وهو يقود العمليات العسكرية قرب القدس^(٥٥). وفي القدس، قاد مخلص عمرو والأعضاء الآخرون في رابطة المثقفين العرب النضال ضد التقسيم^(٥٦).

ولا يمكن فصل انقسام عصبة التحرر الوطني بشأن قضية التقسيم عن العملية الأوسع لتفكك المجتمع العربي الفلسطيني الذي بدأ بعد اعتماد مشروع الأمم المتحدة للتقسيم مباشرة. فقبل الحرب، كانت حيفا، بعدد سكانها الذي يزيد على سبعين ألف نسمة، من أقوى قواعد التأييد للعصبة، بيد أنه بعد احتلال الهاجاناه للمدينة في نهاية (نيسان) ١٩٤٨، بقي نحو ثلاثة آلاف من سكانها العرب فقط^(٥٧). وجعل هذا الانقلاب الديموغرافي الفاجع في خضم الحرب، عملية الحفاظ على التنظيم السياسي متلاحماً وعلى الحوار السياسي منتظماً، أمراً غير ممكن.

□ نحو حزب شيوعي إسرائيلي

رغم تأييده للحركة القومية اليهودية خلال الحرب، حافظ ماكي على اتصاله بعصبة التحرر الوطني واستمر يدافع عن حقوق الفلسطينيين العرب. وفي رسالة دورية من سكرتارية ماكي لأعضاء الحزب في مطلع (شباط) ١٩٤٨ أعلن أن اتفاقاً سياسياً قد تم التوصل إليه مع الرابطة حول عدة نقاط: تحقيق الاستقلال السياسي الكامل من خلال خوض حرب معادية للامبريالية، والنضال ضد الاستفزازات الداخلية والخارجية للعنف داخل المجموعات السكانية، والنضال من أجل التعاون والسلام بين الشعبين، والنضال من أجل الوحدة الديمقراطية للدولتين، وإقامة «تنظيم إقليمي لكل الشيوعيين بدون تمييز على أساس انتماءاتهم القومية، له سكرتارية واحدة ومنظمات إقليمية داخل الدولتين ومنطقة القدس»^(٥٨). وأورد تقرير سكرتارية ماكي المفرط في التفاؤل والمتجانس عن نضال عصبة التحرر الوطني بشأن مشروع التقسيم أن سكرتارية العصبة قد أخطرت الجلسة العامة في الناصرة (جرى ذكر اجتماع واحد فحسب) أن المجتمع اليهودي في فلسطين هو «أمة قيد التكوين» وأيدت التقسيم وأن هذه المواقف قد أقرت رغم معارضة توما وشنير وبعض كوادر حيفا.

بيد أن الاتفاق بين ماكي والعصبة لم يؤيد تقسيماً دائماً. فبحسب اقتراح ميكونس على اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفلسطيني في ١٦ تشرين أول ١٩٤٧، أعتبر التقسيم إجراءً مؤقتاً يمكن التغلب عليه بالنضال المشترك لليهود والعرب التقدميين. إضافة إلى ذلك، فإن اعتبار التقسيم إجراءً مؤقتاً لم يكن مجرد تنازل حذر لعدم استعداد العصبة للموافقة على تقسيم دائم. فقد أكد ماكي بصورة إيجابية التزامه بمفهوم التقسيم هذا عندما نقلت كول هاعام عن صحيفة أسبوعية شيوعية مصرية كانت تدافع هي أيضاً عن التقسيم باعتباره مرحلة من النضال في سبيل دولة عربية يهودية موحدة قولها:

إن هدف كل الديمقراطيين المشغولين بمسألة فلسطين هو إقامة دولة عربية يهودية موحدة ومستقلة. وهذا الهدف لن يتحقق إلا بالتعاون بين الجماهير العربية واليهودية. وفي ضوء هذه

الظروف، قبلت الأمم المتحدة للسلام والمعادية للامبريالية التقسيم كأساس لفلسطين المستقلة^(٥٩).

وبعد وقف إطلاق النار الأول، تأكدت السيطرة العسكرية الاسرائيلية بصورة حاسمة وأصبح حجم الانهيار العسكري العربى الضخم واضحا بجلاء. وشجعت الهزيمة العربية الوشيكة وتدمير المجتمع العربى الفلسطينى مؤيدى التقسيم فى العصبة. وخلال الأيام العشرة من القتال بين إيقاف إطلاق النار الأول والثانى فى منتصف (تموز)، وزعت العصبة، بمساعدة اليهيزر بشيرى من دائرة الشؤون العربية فى المابام وضباط مختلفين فى قوات الدفاع الاسرائيلية (ربما من مؤيدى المابام أيضا)، كتيباً يدعو الجنود المصريين والأردنيين للعودة لبلادهم والنضال للإطاحة بحكامهم. ونقلت كول هاعام وعال همشمار، أبناء توزيع هذه الكتيبات، ونشرت نصها مترجما، وقد كان يدعو لدولة فيدرالية تعترف لكلا الشعبين بحق تقرير المصير وينتهى بشعار «عاشت أرض اسرائيل موحدة وديمقراطية»^(٦٠). إن حيلة ترجمة فلسطين إلى أرض إسرائيل، ايرتس يسرائيل فى الصحف اليومية العبرية، وإن كانت صحيحة من الناحية الرسمية، قد أخفت ببلاغة تحويل أرض تقطنها أغلبية عربية إلى أرض بها أغلبية يهودية.

قبضت القوات المصرية على فؤاد نصار وعودة الأشهب وآخرين لقيامهم بتوزيع هذه الكتيبات بالقرب من بيت لحم وسجنتهم فى أبو عجيلة فى شبه جزيرة سيناء، إلى جانب عشرات آخرين من أعضاء عصبة التحرر الوطنى من يافا وغزة والقدس. كما نظمت العصبة مظاهرات حاشدة فى نابلس والخليل ورام الله تدعو لجلاء القوات الأجنبية من فلسطين^(٦١). وكانت العصبة لاتزال تتطلع إلى إقامة دولة عربية يهودية، حتى وهى تضطلع بأعمال استفزازية ضد المجهود الحربى العربى.

رغم معارضة العصبة للتقسيم الدائم، فقد اضطرت لقبول الوضع القائم السياسى العسكرى الذى أخذ يتشكل قبل أن تحسم الجدل بداخلها. فلم يكن الاستمرار فى العمل السياسى ممكنا إلا على هذا الأساس. ومنذ فترة مهكرة ترجع (لايار) ١٩٤٨، احتجت العصبة وماكى معا على معاملة الهاجاناه لعرب حيفا فى مذكرة قدمت إلى الحكومة الاسرائيلية. واتهم ماكى الهاجاناه بالاستيلاء على الغنائم، ونهب البيوت والمحلات التجارية، وارتكاب أعمال قوة دون موجب ضد السكان المدنيين العرب فى حيفا فى الأسبوعين اللذين أعقبا احتلالها. وطالب الحزب بإلغاء قيود السفر المفروضة على العرب، وتزويدهم ببطاقات هوية، وإتاحة فرص العمل للعمال العرب، وتوفير الطعام والكهرباء والمياه للأحياء العربية المنظمة، واتخاذ إجراءات صارمة ضد من يقومون بالسلب والنهب، ومنح الحقوق الديمقراطية للسكان العرب، بما فى ذلك المشاركة فى إدارة البلديات. كما أرفق بمذكرة ماكى، إعلان للعصبة يصرح بان العرب الباقين فى حيفا ينوون النضال فى سبيل حقهم فى البقاء وضد كافة السياسات المعادية لمصالحهم^(٦٢). خلاصة القول، إن هذا كان اعتراف الأمر الواقع بالسيادة الاسرائيلية.

فى (تموز)، ونظرا لأن الاتحاد كانت محظورة طالب أعضاء العصبة فى حيفا من المابام أن يتدخل نيابة عنهم ويقنع الحكومة المؤقتة لمنحهم ترخيصا بنشر صحيفة جديدة. واستجابة لذلك، قدم

دوف بارنير التماسا لوزير الشرطة والأقليات، متعهدا بضمان المابام للمسؤولية عن الخط السياسي للصحيفة، وكانت تلك خدمة إضافية ربما لم تكن العصبة قد طلبتها^(٦٣). وعبر دمج الحكومة للمسؤولية عن الشرطة والأقليات (أى العرب) فى وزارة واحدة، بجلاء عن الهيكل المبنى المتبلور لانضباط عرب فلسطين ومعرفتهم لوضعهم. بعد انتخابات ١٩٤٩، تم إلغاء وزارة الأقليات، وعُهد بالمسؤولية عن الشؤون العربية لمكتب رئيس الوزراء مباشرة. وقيدت هذه المناورة البيروقراطية بصورة حازمة، المناقشة بشأن السكان العرب فى اسرائيل وقللت لأدنى حد من مكانتها فى جدول الأعمال العام للحكومة. ولاشك فى أن عصبة التحرر الوطنى قد طلبت من المابام وليس من ماكى، أن يتدخل نيابة عنها لأن المابام كان عضوا فى الحكومة الائتلافية، بعبارة أخرى، فإن هذه كانت خطوة براجماتية نحو قبول الأمر الواقع. ويبين عرض بارنير بضمان العصبة أن بعض أعضاء المابام كانوا يعتبرون أنفسهم بعيدين جداً عن الشيوعيين. بيد أن الترخيص المطلوب لم يُمنح أبداً، وبقي استجواب ميكونس الذى طالب الحكومة بتفسير سبب عدم الموافقة بغير رد^(٦٤).

وفى منتصف (آب)، عقد مؤتمر العمال العرب مؤتمرا فى حيفا حضره مائتا شخص للاحتجاج على البطالة المرتفعة بين سكان المدينة العرب واحتكار عصبة عمال فلسطين التى تُسيطر عليها الهستدروت لفرص العمل المتاحة للعمال العرب. كما طالب الاجتماع بتحسين امدادات الأغذية بإقامة تعاونية لجلب الأغذية من القرى المحيطة^(٦٥)، حيث انه لم يكن بإمكان الشيوعيين العرب أن يوفرُوا هذه الاحتياجات الأساسية لشعبهم بدون الاعتراف بالسلطات الاسرائيلية والتعامل معها.

وسرعان ما أعقب الاعتراف بالأمر الواقع، عملية إعادة تقييم ايدولوجى. ففى آخر (ايلول)، اعتمدت اللجنة المركزية للعصبة نقدا ذاتيا شاملا لمسارها التاريخى كتمهيد لإعلان استعدادها للوحدة من جديد مع الشيوعيين اليهود فى الحزب الشيوعى الاسرائيلى (ماكى). واعترفت قيادة العصبة بالمسؤولية عن انقسام ١٩٤٣ فى الحزب الشيوعى الفلسطينى بالإلان اعتراضها بحظر تنظيم الحركة الشيوعية على أسس قومية، وادعت أن الطابع القومى الأحادى للعصبة، قد حال بينها وبين أن تدرك بصورة سليمة ظهور واقع جديد فى البلاد: قيام أمة يهودية فى فلسطين. وقد أدى الفشل فى اعتبار القوى الثورية الآخذة فى الظهور داخل هذه الأمة اليهودية، إلى جعل العصبة تعتقد أن الفلسطينيين العرب وحدهم يستطيعون أن يحرروا فلسطين من الامبريالية البريطانية. ومن ثم، فقد تغافلت عن إدانة القيادة البورجوازية والإقطاعية الجديدة للحركة الوطنية الفلسطينية العربية.

وقمت الإشادة بموقف اللجنة المركزية للعصبة إلى جانب مشروع التقسيم والأعمال التى قامت بها ضد الجيوش العربية الغازية. وتعهدت العصبة بمواصلة النضال لتنفيذ التقسيم وإقامة دولة عربية فى فلسطين. وتم شجب سياسات دولة اسرائيل تجاه السكان العرب، وتأكيد حق اللاجئين العرب فى العودة. وفى ضوء تطابق الخطوط السياسية للعصبة وماكى، لم يعد هناك حينذاك ما يحول دون إعادة الوحدة الأمية للحركة الشيوعية على أساس إقليمى. ومن ثم، دعت اللجنة المركزية للعصبة كل أعضائها داخل حدود دولة اسرائيل إلى الانضمام لماكى. وكان على فروع العصبة فى الأراضى

التي حددها مشروع الأمم المتحدة للتقسيم باعتبارها جزءاً من الدولة العربية، بما في ذلك تلك الواقعة في المناطق التي تحتلها إسرائيل، مثل الناصرة، أن تواصل العمل باعتبارها جزءاً من العصبة.

وردت اللجنة المركزية لماكي على هذا النقد الذاتي للعصبة في ٦ أكتوبر (كانون أول). وعرف ماكي خطه وخط الحزب الشيوعي الفلسطيني والحزب الشيوعي لأرض إسرائيل على أنه «أسمى في جوهره»، على الرغم من التركيب اليهودي الكامل لهذه المنظمات بعد ١٩٤٣، وسرد إعلاناتها المتكررة المنادية بإعادة الوحدة الأممية للحركة الشيوعية. ورحب بالتغيير في خط العصبة بشأن المسألة الوطنية في فلسطين، لأن خط الحزب السابق حال دون الوحدة الشيوعية. ثم قبول اقتراح العصبة بالوحدة. وتقرر أن يتحقق ذلك بتوسيع اللجنة المركزية لماكي عن طريق إضافة أعضاء اللجنة المركزية للعصبة الذين يقيمون في إسرائيل وقبول فروع وأعضاء العصبة في دولة إسرائيل في صفوف ماكي. وتقرر أن يعقد اجتماع كامل للجنة المركزية في حيفا في ٢٢ أكتوبر لمناقشة خط الحزب، وإعادة وحدته الأممية، وتحديد تاريخ المؤتمر الحادي عشر له. كما رحبت اللجنة المركزية لماكي بقرار العصبة بتنظيم الحزب في الجزء العربي من فلسطين على أسس أممية وأصدرت توجيهها لأعضاء ماكي المقيمين في الأراضي المخصصة للدولة العربية الفلسطينية بالانضمام للحزب الشيوعي في تلك الدولة (في الواقع، لم يكن هناك أي شيوعيين يهود في هذه الأراضي).

ونشرت هاتان الوثيقتان في الاتحاد في ١٨ (كانون أول) (العدد الأول الذي يصدر بعد إغلاق البريطانيين للصحيفة في فبراير) بعنوان «إقامة حزب شيوعي أسمى موحد في كلا الدولتين». وظهرت صيغ عبرية، دون اختلافات جوهرية في كول هاعام وفي كتيب يحتوى على وثائق اجتماع الوحدة. ومن الواضح أن كلا من الشيوعيين العرب واليهود كانا متفقين حينذاك على إنشاء حزبين ثنائيي القومية في الدولتين يقومان وفق أحكام مشروع التقسيم (بما في ذلك تلك الخاصة بالحدود). وتأكدت مسألة الحدود مرة أخرى في حقيقة أن اميل حبيبي، باعتباره قائدا للعصبة في الناصرة -وهي مدينة احتلتها إسرائيل في الحرب لكن كان يتعين إدراجها في الدولة العربية- ألقى خطاباً في اجتماع الوحدة في حيفا باعتباره «عضواً في اللجنة المركزية لعصبة التحرر الوطني في الجزء العربي من فلسطين». وحضر منعم جرجوره، سكرتير فرع مؤتمر العمال العرب في الناصرة، ومن ثم لم يكن يعتبر عضواً في ماكي، اجتماع حيفا باعتباره عضواً زائراً من مجلس الرئاسة.

وحدثت الخطوة الأخيرة في إعادة الترتيب السياسي للعصبة قبل توحيد ماكي في مطلع (تشرين أول) عندما أصدرت الأحزاب الشيوعية العراقية واللبنانية والسورية والعصبة بلاغاً مشتركاً يدين الغزو العربي لفلسطين ويؤيد التقسيم. لم يوقع الشيوعيون المصريون على هذه الوثيقة، بسبب تفككهم التنظيمي وحقيقة أن معظمهم كانوا قد اعتقلوا فور قيام الحرب على حد سواء، ومع ذلك فإن الغالبية العظمى منهم اتفقت مع خطها السياسي. وقد أعلن البلاغ:

«لقد كانت حرب فلسطين نتيجة مباشرة للصراع الضاري بين إنجلترا والولايات المتحدة، اللتين أثارتا الحرب بغية استغلالها لتسوية الحسابات فيما بينهما ... وقد كشفت حرب فلسطين بصورة

نهائية وكاملة خيانة الحكام الرجعيين للدول العربية وخضوعهم الكامل للامبريالية الأجنبية^(٦٦).

وأشادت الأحزاب الشيوعية العربية بالدور القيادي للشيوعيين والاتحاد السوفيتى فى تحقيق التقدم فى جميع أنحاء العالم. فقد أيد الاتحاد السوفيتى والقوى الديمقراطية العالمية نضال الشعوب العربية من أجل الاستقلال عن الحكم الاجنبى. ورغم أن الاتحاد السوفيتى كان يفضل فى الأصل قيام دولة مستقلة موحدة فى فلسطين، فقد أصبح حينذاك يؤيد قيام دولتين مستقلتين، وذلك نتيجة لميراث العداء الذى أورثته الامبريالية البريطانية، بمساعدة من الرجعية العربية والصهيونية، للشعبين. وقد أثبتت نتائج الحرب صحة هذا الموقف.

ويكشف المبنى البلاغى لهذه الوثيقة الطابع الإشكالى لموقف الشيوعيين العرب. فقد رأوا أن الامبريالية الانجلو امريكية والرجعية العربية هم المسؤول الأول عن الحرب، ولم يكن هناك نقد موضوعى للايديولوجية أو الممارسة الصهيونية لأسلوب اسرائيل فى شن الحرب. حتى أن دولة اسرائيل لم تُذكر أبداً. ظهر اللاجئون فقط فى الفقرة البرنامجية الأخيرة، والتى دعت إلى حقهم فى العودة، وسحب كل القوات (الاسرائيلية والعبرية) من الأراضي المخصصة للدولة العربية، وإقامة دولة عربية فى فلسطين. وجرى تبرير التقسيم فقط من باب الدعم للموقف السوفيتى، قائد قوى التقدم العالمية. ولم يكن هناك تحليل مستقل للوضع المحلى، ولا إشارة لأمة اسرائيلية يهودية أو إلى حقها فى تقرير المصير، ولا مناقشة لفشل الحركة الوطنية العربية الفلسطينية. واتسم الإعلان بنبرة هزيمة واستسلام. وبدأ أن الأمل الوحيد بالنسبة للمستقبل، يكمن فى قيادة الاتحاد السوفيتى، التى أكدت المحصلة الفاجعة للحرب الفلسطينية سلامة مرقفه.

تكررت الموضوعات التى وردت فى الإعلان المشترك للأحزاب الشيوعية العربية فى اجتماع الوحدة فى حيفا، والذى تلخص منظوره كله فى أن الامبرياليين وحدهم هم الذين أثاروا الشقاق بين اليهود والعرب فى فلسطين/ ارض اسرائيل وأن الوحدة ضد الامبريالية والغزة الرجعيين العرب استنادا للنضال لتطبيق مشروع التقسيم ممكنة لأنه لا توجد تناقضات بين المصالح «الحقيقية» للشعبين. وقد أكد ميكونس أن الفلسطينيين العرب لم يشتركوا فى الحرب بنشاط، واستشهد ببيان بن جوريون لمجلس الماباى فى ٧ (شباط) ١٩٤٨، بأن بضع قرى عربية فلسطينية فقط اشتركت فى المجهود العسكرى للحيلولة دون إقامة دولة يهودية، وكذلك بتعليق جولدا مائير فى مؤتمر صحفى فى المشهد الثالث من الحرب بأنه «من بين مئات القرى العربية الواقعة فى منطقة الدولة اليهودية، فإن خمسا أو ستا فقط وافقت على أن تستخدم كقاعدة للمهاجمين العرب. وجاء معظم مثيرى الشغب المرتزقة من العراق وسوريا»^(٦٧). وهكذا تم تبرئة عرب فلسطين بعبارات لا يمكن إلا أن يعتبرها القوميون العرب عبارات مشينة: فهى تعكس فى جوهرها تقاعسهم عن المشاركة بصورة كاملة فى الجهود المبذولة لمنع الاستيلاء على وطنهم. وبالطبع، فإن هذا الوصف للحرب، لم يكن صحيحا كلية. فقد كانت مقاومة عربية فلسطينية فى بعض المناطق، مثل قوات حرب المغاوير التى عملت على

الطرق المؤدية للقدس بقيادة عبد القادر الحسينى.

بتصديق هذه الرواية ودعمها، قام ماكى بفصل عرب فلسطين عن سياقهم السياسى القومى، وأنكر حقهم فى مقاومة الاستيلاء على وطنهم، وقبل وجهة النظر الصهيونية القائلة بأن أى مقاومة عربية فلسطينية لقيام اسرائيل لم تكن مشروعة. كما أنه من المعقول ان سيطرة اسرائيل العسكرية والقيادة الرجعية لكل من الحركة الوطنية الفلسطينية العربية والدول العربية، قد أدت ان أى محاولة من قبل عرب فلسطين لمقاومة التقسيم بنشاط أكبر تفاقم من الكارثة القومية التى حلت بهم. أدى التسليم بهذا الواقع، إلى جانب التعاطف مع الناجين من قهر النازية ونجاح الصهيونية الذى لا يمكن إنكاره فى طرد البريطانيين، الى توحيد ماكى بشروط تعكس نزعة قومية يهودية. ومع ذلك، فقد احتفظ ماكى بمشروعية فى المجتمع العربى الفلسطينى سواء بسبب مقولته بأن الحزب تفادى كارثة أكبر كانت ممكنة أو بسبب دفاعه النضالى والمتسق عن الحقوق السياسية والمدنية للعرب ولأنه كان يطرح البرنامج الوحيد القادر على البقاء والمتناسق للنضال مستقبلا.

فى اجتماع حيفا، هاجم ميكونس بصورة حادة أسلوب الحكومة المؤقتة فى شن الحرب: سياساتها فى طرد العرب، والاستيلاء على ممتلكاتهم، واعتقال المناضلين السياسيين (بما فيهم الشيوعيون واليساريون الآخرون الذين فضلوا التقسيم)، وبصفة أخص عدم مبالاتها (وفى الحقيقة معارضتها النشيطة) لإنشاء دولة عربية فلسطينية مستقلة. وختم نقده لأسلوب اسرائيل فى خوض الحرب بإنذار قال فيه: «لو استمرت الأمور على هذا المنوال، فإن حرب تحرير دولة اسرائيل قد تنقلب إلى حرب غير ديمقراطية للغزو»^(٦٨). بهذا وضع علامة استفهام حول المضمون التقدمى للحرب ونتيجتها. طرح ميكونس للسؤال (مثل بنوة أهارون كوهن السابق ذكرها) يكشف عن فكر سياسى ثاقب بصورة غير عادية. ومع ذلك، فإن ماكى لم يعد أبدا لبحث هذه القضية، وعندما «استمرت الأمور على هذا المنوال»، لم يستطع ماكى حل القضايا السياسية الجديدة التى ثارت نتيجة لذلك. وفى الاحتفال بالنصر على الامبريالية المتمثل فى إقامة دولة اسرائيل والدفاع عنها بنجاح، ثم تجاهل المشكلة المتجسدة فى ملاحظة ميكونس التى تشبه النبوءة، ربما بصورة مقصودة.

□ القضية الفلسطينية والشيوعيون المصريون

أصبحت القضية الفلسطينية قضية أساسية فى السياسة المصرية بعد الحرب العالمية الثانية فقط، على الرغم من أن الإخوان المسلمين، ومصر الفتاة، وبعض عناصر الوفد قد أيدوا القضية الفلسطينية منذ ثورة ١٩٣٦-٣٩. لم ينغمس اليسار الماركسى فى هذه القضية بنشاط، رغم عدائه للصهيونية فقد تركّز التوجه السياسى لليسار عموما، بالمشاركة مع غالبية المصريين الواعين سياسيا، على الوطنية المحلية، وليس القومية العربية. ومن ثم، ظلت فلسطين شاغلا ثانويا لمصر حتى منتصف الخمسينيات.

وكان يوسف درويش، وهو يهودى قرائى، من بين عدد صغير من المناضلين السياسيين فى مصر الذين أبدوا اهتماما استثنائيا بفلسطين فى الثلاثينيات. وأصبح مناضلا معاديا للصهيونية، متأثرا فى ذلك بكتاب قرأه عندما كان طالبا يدرس القانون فى باريس فى ١٩٣٣. وأثناء ثورة ١٩٣٦-٣٩ العربية فى فلسطين، اتصل درويش بأحد قادتها وجمع الأموال لمساندة الثورة (٦٩). فى ١٩٤٠، بدأ هو ورفيقان من اليهود الشرقيين (السفاراديم)، هما ريموند دويك وأحمد صادق سعد، فى تثقيف العمال وتنظيمهم. وشكلوا فى ١٩٤٥ مجموعة ماركسية غير رسمية سُميت باسم الصحيفة الفجر الجديد التى بدأوا فى إصدارها فى شهر (أيار) مايو. شكلت الفجر الجديد قاعدة قوية فى عدة نقابات فى منطقة القاهرة، خاصة نقابة عمال الغزل والنسيج الوطنيين فى شبرا الخيمة.

نقل درويش انغماسه فى القضية الفلسطينية إلى زملائه، وسرعان ما اكتسب المؤسسون اليهود الثلاثة للفجر الجديد شهرة باعتبارهم معادين للصهيونية لا يعرفون المهادنة. وكانوا أول ماركسيين مصريين يتصلون بقرنائهم الفلسطينيين. فى أوائل ١٩٤٥، دعا بولس فرح ومخلص عمرو، باسم مؤتمر العمال العرب، الفجر الجديد إلى إرسال وفد نقابى للمؤتمر التحضيرى للاتحاد العالمى للنقابات والذى كان من المزمع عقده فى شهر (شباط) والذى كان الفلسطينيون يريدون تعزيز التمثيل العربى فيه لمعادلة حضور الهستدروت. لم يحضر المؤتمر أى من المصريين، لكن عددا كبيرا منهم مثل يوسف المدرك، وهو نقابى مخضرم وعضو فى الفجر الجديد، حضروا المؤتمر التأسيسى للاتحاد العالمى للنقابات فى (أيلول) فى باريس، حيث اضعف الحضور العربى من نفوذ الهستدروت فى الاتحاد العالمى.

كان التكوين الاجتماعى والاتجاه السياسى للفجر الجديد وعصبة التحرر الوطنى متشابهاً. وقد انعكست علاقات الصداقة بين التنظيمين فى عدة مقالات فى الفجر الجديد، وفى الضمير صحيفة العمال الأسبوعية لمجموعة الفجر الجديد، والتى كانت تشجع النضال العربى الفلسطينى، وتحذر من أخطار الصهيونية، وتؤيد عصبة التحرر الوطنى وتنقل عن الاتحاد. أيدت الفجر الجديد أول مظاهرات جماهيرية معادية للصهيونية فى مصر فى (تشرين الثانى) ١٩٤٥، لكنها انتقدت الإخوان المسلمين ومصر الفتاة على الوقوع فى الهجوم العنصرى على اليهود المصريين وممتلكاتهم (٧٠).

فى ربيع ١٩٤٦، أصدر أحمد صادق سعد، مستخدما المواد التى زوده بها عمرو وفرح من عصبة التحرر الوطنى، كتابا عن القضية الفلسطينية، وهو من أول الكتب التى ظهرت عن هذا الموضوع فى مصر. واعترفت مقدمته التبريرية إلى حد ما بأنه «قد يبدو غريبا للقارئ» مناقشة القضية الفلسطينية خلال تصاعد الحركة الوطنية داخل مصر ذاتها. تبنى سعد خط الادعاء الذى اتبعه بعد ذلك بعام، أميل توما فى مؤتمر الأحزاب الشيوعية فى الامبراطورية البريطانية، طارحا القضية باعتبارها نضالا عربيا معاديا للاستعمار فحسب: «إن القضية الفلسطينية ليست قضية للهجرة اليهودية إلى البلاد، بل قضية مطالب وطنية ديمقراطية للحركة الشعبية العربية فى

فلسطين»^(٧١). ومن ثم، تم رفض تقسيم فلسطين كلية.

وعلى النقيض من تركيز الفجر الجديد على تنظيم العمال، ركزت منظمة ايسكرا التي اسسها في ١٩٤٢ وقادها هيليل شفارتز، على تجنيد المثقفين وتدريبهم على النظرية الماركسية وكان عدد كبير من الأجانب واليهود المكتسبين صبغة أوروبية ينتمون لايسكرا (انظر الجدول ١)، وأصبح عدد كبير من المثقفين غير اليهود في المجموعة هم المدافعون الأساسيون عن القومية العربية في الحركة الشيوعية خلال الخمسينيات والتستينيات، ومن بينهم شهادى عطية الشافعى، وأنور عبد الملك، ولطيفة الزيات، ومحمد سيد أحمد. وقد تلقى هؤلاء المناضلون تثقيفهم الماركسى في الاربعينيات على أيدي قادة ايسكرا اليهود والكوزمو بوليتان، والذين كانوا يشاركونهم آنذاك في توجه وطنى مصرى محلى.

(الجدول ١)

التكوين الاجتماعي لعضوية الحركة المصرية للتحرير
الوطني، وايسكرا، والحركة الديمقراطية للتحرير الوطني

الحركة المصرية للتحرير الوطنى		ايسكرا		الحركة الديمقراطية للتحرير الوطنى		
عدد	%	عدد	%	عدد	%	
عمال	٢٥٠	٥٠	١٤٠	١٦	٣٩٠	٢٨
طلاب	٨٠	١٦	٢٠٠	٢٢	٢٨٠	٢٠
شباب	٩٠	١٨	—	—	٩٠	٦
مثقفون	—	—	٢٠٠	٢٢	٢٠٠	١٤
أجانب	—	—	٣٦٠	٤٠	٣٦٠	٢٦
جيشين	٢٥	٥	—	—	٢٥	٢
أزهريون	٢٥	٥	—	—	٢٥	٢
سودانيون	٣٠	٦	—	—	٣٠	٢
الإجمالي	٥٠٠	٩٠٠	١٤٠٠			

المصدر: هنرى كوريل: «المراحل الرئيسية للصراع الداخلى الذى دار حول الحركة الديمقراطية للتحرير الوطنى خلال العام بين ايار ١٩٤٧ - حزيران ١٩٤٨ المسمى بعام الوحدة (آخر ١٩٥٥)، ملحق لصفحات من سيرة ذاتية (مخطوط على الآلة الكاتبة، ١٩٧٧)، ص ٥.

ملحوظة: كان كورييل يحاول أن يثبت أن الحركة المصرية للتحرر الوطنى كانت أكثر مصرية وأكثر عمالية من ايسكرا. كان هناك مثقفون ومواطنون أجانب فى الحركة المصرية للتحرر الوطنى، لكنهم لم يكونوا منظمين بصورة منفصلة كما كان الحال فى ايسكرا. ولكن الادعاء بأن فى ايسكرا عددا أكبر من المثقفين والأجانب وعددا أقل كثيرا من العمال كان صحيحاً. كذلك أوضح كورييل أن ايسكرا كانت قد ضخمت عدد أعضائها قبل الوحدة، وأن الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى، كانت تضم نحو ألف عضو عندما تم تشكيلها.

كان المثقفون غير اليهود فى ايسكرا عادةً أقل تشدداً فى العداء للصهيونية من اليهود، الذين رأوا فى الصهيونية خطراً على مكانتهم كمصريين. وفى أواخر ١٩٤٦ أو أوائل ١٩٤٧، شكل عدد من اليهود يقودهم عزرا هراى عصابة يهودية معادية للصهيونية، شنت حملة توعية مقدامة بين يهود القاهرة. وعندما حاولت العصابة الاستيلاء على قيادة نادى المكابى الصهيونى فى حى الظاهر، حدث صدام جسدى فى (نيسان) ١٩٤٧ وقفت الشرطة منه إلى جانب الصهاينة، وفى شهر (حزيران) حظرت الحكومة العصابة^(٧٢). على النقيض من ذلك، شارك الشافعى، وهو أول مسلم مصرى ينضم لقيادة ايسكرا، فى وضع بيان شامل للأهداف الوطنية لمصر عالج فيه القضية المصرية بإيجاز، مكتفياً بذكر أن «بقاء الاستعمار فى أى جزء من العالم العربى هو تهديد مستمر لاستقلال مصر». ولمقاومة هذا التهديد، دعا ببساطة إلى قيام جبهة متحدة من اليهود والعرب فى فلسطين ضد الامبريالية وأداتها الصهيونية^(٧٣).

تأسست الحركة المصرية للتحرر الوطنى فى ١٩٤٣ على أيدي هنرى كورييل الأسطورى، وهو يهودى من أسرة ثرية كان أصلاً مواطناً إيطالياً كان له تأثير كارزماتى عميق على كثيرين من أبناء البلاد المصريين الأصليين على الرغم من ثقافته الفرنسية ولغته العربية الضعيفة. كان كورييل خبيراً فى المناورة التكتيكية. وقد شكل تحديده للمهمة الرئيسية للشيوعيين المصريين فى بناء جبهة وطنية متعددة الطبقات (ومن هنا جاء اسم الحركة المصرية للتحرر الوطنى) للنضال من أجل الاستقلال الكامل - «خط القوى الديمقراطية الشعبية» - شكلاً للحوار السياسى للحركة الشيوعية فى الأربعينيات.

جعل كورييل من القضية الفلسطينية موضع اهتمام الحركة المصرية للتحرر الوطنى. عندما طرح تقريراً طويلاً ومفصلاً كتبه فى ١٩٤٦، فى ذروة حملة العداء للصهيونية فى الصحافة المصرية، والتي توجت بالمظاهرة الجماهيرية وأعمال الشغب المعادية لليهود فى ٢ (تشرين ثانى) ^(٧٤). وفى مقابل التحليل المتمركز على البعد العربى لصادق سعد والفجر الجديد، ركز كورييل على التطور الاقتصادى والاجتماعى والسياسى لليشوف والعداء الداخلى المتنامى بين الصهاينة والبريطانيين. وقد تضمن التقرير دراسة تفصيلية للهستدروت وتعاونياتها، فى حين هاجم بصورة حادة بوغيملى

تسيون اليسارية، وهاشومير هاتسغير والاتحاد الشيوعي وشجب الانقسام في الحركة الشيوعية الفلسطينية. انتقد كورييل كلا من الحزب الشيوعي الفلسطيني للانضمام للهستدروت ومعارضة الكتاب الأبيض البريطاني لعام ١٩٣٩، كما أنه عارض بلا لبس تقسيم فلسطين. وإذ دعا كورييل لإعادة توحيد المعسكر الشيوعي، فقد بدا تأنيبه للمجموعتين غير متكافئ، ومع ذلك فإن انتقاده للحزب الشيوعي الفلسطيني كان بشأن الأمور التكتيكية، في حين تضمن نقده للعصبة مسألة أساسية تتعلق بالمبدأ. ذلك أن وصفه لفلسطين باعتبارها «بلدا ثنائي القومية» (في سياق نقد دعوة بوعلى تسيون إلى «دولة اشتراكية يهودية»)، كان يعنى أيضا أن كورييل كان أقرب في موقفه إلى الحزب الشيوعي الفلسطيني منه إلى عصبة التحرر الوطني.

أصبحت القضية الفلسطينية مسألة ملحة في مصرفى ربيع ١٩٤٧، تماما عندما اندمجت الحركة المصرية للتحرر الوطني وايسكرا لتشكيل الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني (حدثو). حتى ذلك الحين كانت الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني هي أكبر تنظيم شيوعي مصرى، زاد نفوذها كثيرا بتأثير صحيفتها الأسبوعية، الجماهير، التى بلغ متوسط توزيعها من سبعة إلى ثمانية آلاف نسخة وإن وصلت أحيانا لرقم مرتفع يبلغ خمسة عشرة ألف نسخة^(٧٥). اشتركت حدثو في المظاهرات المطالبة بالجلء البريطانى عن فلسطين، فى حين سعت لضمان ألا تكتسب هذه المظاهرات طابعا معاديا للسامية. وفى إحدى المناسبات، وقف الأعضاء المحليون لحدثو فى المنصورة جميعا لحماية متجر يملكه يهودى مصرى عندما هاجمه المتظاهرون المعادون للصهيونية^(٧٦). وقد وسم هذا التمييز بين اليهود والصهاينة الشيوعيين العرب وميزهم عن باقى الحركة الوطنية العربية، التى لم تراع هذا التمييز.

وفى حين أنه لا يمكن أن يكون هناك شك مشروع فى أن كورييل والحركة المصرية للتحرر الوطنى قد رفضا الصهيونية من الناحية الايديولوجية، فقد اعترف كورييل طوعا بأنه هو ومجموعته قد عارضوا بعنف العصبة اليهودية المعادية للصهيونية بعنف فى كل ما يتعلق بخطها السياسى باعتباره «خطاً خطيرا» أدى إلى «مشاهد استفزازية» مع يهود الطبقة الوسطى فى الظاهر. وكان يعتقد أن قرار ايسكرا قبول قيام الحكومة بحل العصبة عشية الوحدة مع الحركة المصرية للتحرر الوطنى، هو قرارٌ ضمنيٌ بإفلاس النهج السياسى لايسكرا بأسره^(٧٧). من الواضح أن كورييل كان يؤمن انه بالامتناع عن مهاجمة الايديولوجية الصهيونية مباشرة (تماما مثلما أن حدثو لم تنتقد المعتقدات والشعائر الإسلامية)، كان يستطيع بسهولة أن يقنع اليهود المصريين بألا يتمثلوا مع الصهيونية. وكثيرا ما دفعته ثقته التى لا تهتز فى معتقداته السياسية إلى الخوض مع خصومه الأشداء فى حوار مستفيض، تغلبَ عليهم به فى مرات كثيرة. ومع ذلك، فإن خصوم كورييل كانوا يعتبرون أسلوبه السياسى الشخصانى ومرونته التكتيكية المفرطة انتهازية، مما كان سبباً ليس فقط لاتهامه هو بأنه صهيونى، بل ايضا لزعزعة مكانة اليهود فى الحركة الشيوعية وفى البلاد بصفة عامة على حد سواء^(٧٨). إن «مشاهد استفزازية» مثل تلك التى جرت فى الظاهر، والتى أبرزتها الصحف الوطنية بترحاب، ربما أقنعت مزيدا من الوطنيين المصريين أن اليهود لم يكونوا صهيونيين بصفة عامة.

دافعت الجماهير عن الموقف السوفيتى بشأن فلسطين ضد الهجمات التى شنها القادة السياسيون العرب المحافظون لكنها تفادت ذكر اقتراح جروميكو بأن التقسيم قد يكون حلاً ضرورياً^(٧٩). وقد اعتبرت حدثو أن المسألة الفلسطينية تالية فى الأهمية لنضال مصر من أجل الاستقلال وجلاء كل القوات البريطانية وأكدت أن الرجعية تستخدم القضية لحرف انتباه الشعب المصرى عن نضاله القومى الخاص. وعلقت افتتاحية الجماهير بصورة ساخرة على تقدم القوات المصرية إلى العريش، متسائلة عما إذا كانت لم تر القوات البريطانية التى تحتل منطقة القناة وهى فى طريقها للحدود الفلسطينية^(٨٠).

ومثلما فعل الشيوعيون الفلسطينيون، أيدت الجماهير مشروع الأمم المتحدة للتقسيم فقط بعد أن أعلن تسارابكين تأييد الاتحاد السوفيتى له. ودافعت عن التقسيم باعتباره أمراً ضرورياً لطرد البريطانيين وتحقيق الاستقلال فى أعقاب فشل التعاون العربى اليهودى، لكنها لم تذكر أنه كان هناك مجتمع قومى يهودى فى فلسطين له حقوق سياسية، مثلما لاحظ كوريل فى ١٩٤٥ ومثلما قال جروميكو أمام الأمم المتحدة فى ١٤ (أيار) ١٩٤٧. وظهر هذا التحليل الأخير فقط فى النشرة النظرية الداخلية لحدثو، حيث كان من الضرورى توضيح أن التقسيم كان حلاً ماركسياً سليماً للمشكلة الفلسطينية^(٨١). بدلاً من ذلك، عرضت الجماهير التقسيم باعتباره خطوة تكتيكية ستؤدى إلى دولة موحدة فى المستقبل (الوسيط الذى لا يفترض أنه جد بعيد)^(٨٢). ويذكر كوريل بموقف قيادة حدثو فيقول: «لا أعتقد أننا كنا فى البدء نفهم قرار التقسيم ودواعيه بصورة كاملة؛ لكن الحركة الثورية الدولية كلها كانت تتحرك باتجاه تأييد هذا القرار. لقد ترددنا فى البدء، ثم قررنا تأييد التقسيم»^(٨٣).

بهذا يوضح كوريل أن قرار حدثو لقبول مشروع الأمم المتحدة للتقسيم قد تحدّد فى نهاية المطاف، بقبول الدور القيادى للاتحاد السوفيتى فى الحركة الشيوعية الدولية. ومن الواضح، أن هذا الاعتبار كان قوياً بدرجة حالت دون نشوب أى خلاف بين الأعضاء اليهود وغير اليهود فى القيادة العليا للحركة عندما اتخذ القرار الأصلى. ويتذكر يوسف حزان أن اللجنة السياسية قررت قبول قرار الأمم المتحدة بالأجماع فى ضوء الموقف السوفيتى^(٨٤)، ويصف مصطفى طيبة أن القرار جاء نتيجة «للتطرف فى الالتزام الاممى». ويتذكر أن «الأقلية التى رفضت هذا الموقف وصفت بأنها انحرفت عن الأممية وتخلت عن تعاليم الماركسية» كما أكد أنه لم يكن بين اليهود وغير اليهود، ككل، أى خلافات على هذا أو على أى مسألة أخرى^(٨٥). ولشهادة طيبة هذه وزنها الخاص، لأنه بعد أن عمل كقائد لحدثو فى ١٩٤٨، أصبح خصماً عنيداً لكوريل داخل الحركة الشيوعية؛ ومن ثم فربما كان قد أمل فى أن يعزو المسؤولية عن قبول الشيوعيين المصريين للتقسيم إلى تأثير كوريل واليهود الآخرين فى حدثو.

فى أواخر ١٩٤٧ وأوائل ١٩٤٨، كان موقف حدثو قريباً من موقف الحزب الشيوعى لأرض إسرائيل. وقد تبادل الحزبان المعلومات منذ (أيلول) ١٩٤٧، عندما كتب رئيس تحرير الجماهير إلى

كول هاعام يطلب منها أن تعمل كمراسل للجماهير في فلسطين وعرض عليها تبادل المطبوعات^(٨٦). في ١٨ (كانون الثانى)-١٩٤٨، نقلت الجماهير مؤيدة، عن كول هاعام، إدانة حزب ايتزل بقيادة بيجن تفجير فندق سيراميس المملوك للعرب والمنازل القريبة في منطقة القطمون في القدس. ومثلما لاحظنا من قبل، ردت كول هاعام المجاملة بعد ذلك خلال نفس الأسبوع بأن نقلت تأييد الجماهير للتقسيم باعتباره إجراء مؤقتا سيؤدى إلى فلسطين موحدة في المستقبل.

بعد تأييد مشروع الأمم المتحدة للتقسيم بفترة قصيرة، تفتتت حدثو بسلسلة متعاقبة من الانقسامات تركزت على نقد قيادة كوريبيل واستراتيجيته للجبهة الوطنية المتحدة. وقد أنكر كوريبيل وأعضاء يهود آخرون في حدثو باستمرار أن فلسطين كانت موضوعا في هذا السجال. فيتذكر ريمون ستامبولى ويوسف حزان مثلا، ان موضوعات الجماهير التى كانت تنتقد خطة مصر لغزو فلسطين كانت تحظى بشعبية فائقة، خاصة في مناطق الطبقة العاملة^(٨٧). كان كوريبيل يعتبر الصراع ضده تعبيرا عن شوفينية قومية:

لقد جاء الاندماج ببعض المثقفين اللامعين جدا (من ايسكرا) للحركة. ومن ناحية، كان هؤلاء باعتبارهم مثقفين شوفينيين لحد ما ولم يروا مبررا لعدم اكتمال التمسير بالقضاء على يونس (اسم كوريبيل الحركى). من ناحية أخرى، فإنه إذا كان من المتعين تقليص دور الأجانب إلى الصفر، فقد كان لديهم ميل للاستهانة بقيم مرحلة إضفاء الطابع البروليتارى: فالأمر الجوهرى بالنسبة لهم هو أن يكون المرء مصريا^(٨٨).

على النقيض من ذلك، فحسب ما يقول محمد سيد أحمد، فإن المجموعة الأولى التى انقسمت على حدثو -التكتل الثورى بقيادة شهدى عطية الشافعى وأنور عبد الملك- اعترضت بشدة عندما هوجمت الشيوعية باعتبارها صهيونية، وذلك بعد أن أيدت حدثو مشروع التقسيم. ويصف محمد سيد أحمد نقد هذه المجموعة لكوريبيل وللزعماء اليهود الآخرين بأنه ربما كان «معاديا للسامية بعض الشيء... ورد فعل عنيف تجاه الإحساس بأن الحركة كلها كانت تحت سيطرة اليهود الذين ربما يتلاعبون بها، وأن التزامهم بالماركسية قد اصطبغ بأشياء قد تكون شريفة عن الماركسية المصرية الطليعية»^(٨٩). يؤيد هذا القول وجهة نظر كوريبيل بأن المثقفين الشبان أبناء البلاد كانوا يسعون لتمصير الحركة الشيوعية بصورة كاملة = وفى هذه الحالة يصعب الاعتقاد بان قضية فلسطين لم تكن قضية خلافية. مع ذلك، فمن الغريب أنه عشية حرب ١٩٤٨=٤٩ كان اليهود يبيعون نسخ الجماهير في الأحياء العمالية دون ان يتعرضوا لإيذاء جسمانى (حتى وإن قل عدد النسخ المباعة عن بطح «مطاط» كما يتذكر ستامبولى). والاختلاف فيما بين مذكرات كوريبيل، ويوسف حزان، ومصطفى طيبة، ومحمد سيد أحمد فيما يتعلق بوجود شقاق حول القضية الفلسطينية، قد يكون مسألة توقيت فقط. فربما بقيت حدثو موحدة حول هذه القضية في أواخر ١٩٤٧ وأوائل ١٩٤٨، ولكن ما أن أصبح حجم الهزيمة العربية في فلسطين واضحا حتى أعاد بعض أعضاء المنظمة النظر في مواقفهم واستخلصوا استنتاجات بعيدة المدى:

فى أواخر آذار ١٩٤٨، تم حظر الجماهير. فقد أعلن قانون الطوارئ قبل أيام من غزو مصر لفلسطين فى ١٥ (أيار). وتم اعتقال كورييل وعدد كبير من الشيوعيين المصريين مع الصهاينة - بما فيهم أوفاديا سالم رجل الأعمال الثرى المتعاطف مع الصهيونية - وعدد آخر من نشيطي المعارضة السياسية فى هاكستب، وهو معسكر سابق للجيش البريطانى، حيث استمر الجدل حول التقسيم والصراع داخل حدثو. ويتذكر رفعت السعيد، عضو حدثو الشاب آنذاك، أن سُمحَ لسالم بإدارة شؤون أعماله من مكتب قائد المعتقل، فكان يوجه سكرتيريه بالتليفون ويترك المعتقل يوميا فى سيارة خاصة. وقد جعله هذا يعرف: «من مع من وضد من» وأقنعه بأن حدثو كانت على صواب فى معارضتها الغزو المصرى لفلسطين، باعتباره حرفا لانتباه الشعب عن النضال ضد الامبريالية البريطانية وحلفائها المصريين^(٩٠).

وحتى وقت إطلاق سراح المسجونين السياسيين فى أواخر ١٩٤٩ وأوائل ١٩٥٠ كانت حدثو، التى انقسمت إلى نصف دستة من الفرق، فى حالة ارتباك كامل وشهدت نشاطا قليلا. فقد استطاعت أن توزع بيانا فى ٢٩ (تموز) ١٩٤٨ يدين غزو مصر لفلسطين باعتباره «حربا عنصرية غير عادلة تقودها الامبريالية والخنونة ضد المصالح العربية» ويتهم الامبريالية البريطانية والأمريكية باثارة «حرب دينية» وتحويل نضال وطنى معاد للامبريالية الى «نضال عنصرى معاد لليهود» بغية تثبيت سيطرتهم على الشرق الأوسط^(٩١).

وعلى النقيض من حدثو، عارضت الفجر الجديد التى كان قد أعيد تنظيمها فى ١٩٤٦ باعتبارها الطليعة الشعبية للتحرر، الرأى السائد فى الحركة الشيوعية الدولية بشأن القضية الفلسطينية. وكان لأحمد صادق سعد، باعتباره خبير المنظمة فى شؤون فلسطين، أكبر الأثر فى تحديد الخط الرسمى للمجموعة. فى النشرة الداخلية للطليعة الشعبية، الهدف، ردّد سعد مقولة الاتحاد بأن تأييد الاتحاد السوفيتى للتقسيم ليس مسألة مبدأ بل أمرا تكتيكيا يتصل بمصالح الدولة السوفيتية ومن ثم ينبغى ألا يلزم الشيوعيين المصريين. وعندما تم إجراء حوار مع بعض قادة المنظمة بعد ذلك بنحو أربعين عاما، قالوا إنهم تحت الضغط الواقع عليهم للتوافق مع الخط الشيوعى الأسمى، سحبوا هذا الموقف بعد ذلك وأيدوا التقسيم عندما كانوا معتقلين فى ١٩٤٨، بيد أن البعض الآخر يرى أنه لم يُعتمد أبدا موقف واضح^(٩٢).

وهاجم القادة اليهود للطليعة الشعبية للتحرر موقف حدثو بشأن فلسطين بضراوة. ورفضوا الفكرة (التي عزوها إلى كورييل) القائلة بأن اسرائيل دولة ديمقراطية تقدمية وأثاروا فضيحة عندما سمعوا مصادفة كورييل وهو يقول للشيوعيين اليهود غير المتمكنين من اللغة العربية إنه ينبغى لهم أن يهاجروا لاسرائيل وأن ينضموا للنضال هناك لأن الطبقة العاملة الاسرائيلية أكثر تطورا والثورة ستتم هناك أولا^(٩٣). ومع ذلك، فقد كان تأثير الطليعة الشعبية قليلا على تصور الرأى العام لموقف الشيوعيين، حتى بعد الاندماج مع حركة التحرر الشعبية بقيادة مصطفى صادق وراؤول مكاريوس وتغيير اسمها إلى الديمقراطية الشيعة فى ١٩٤٩، كما بقيت المنظمة صغيرة جدا، تضم

نحو ١٦٠ عضوا^(٩٤). كما تقلص تأثيرها بدرجة أكبر لأنها لم تكن تمتلك جريدة عامة تعبر عنها بعد إغلاق الفجر الجديد والضمير خلال حملة الحكومة المعادية للشيوعية في (تموز) ١٩٤٦، والتي كان من نتيجتها أن قامت المنظمة بمعظم نشاطها في إطار الطليعة الوفدية، ومن ثم غاب رأيها المستقل. ومع ذلك، فقد أصبح الشيوعيون الآخرون يشاطرونها نقدها لكورييل على نطاق واسع.

□ اليسار الماركسي بعد التقسيم

ارتبط الصراع ضد كورييل وخطه السياسى (أو الصيغ المشوهة له)، ودور اليهود في حدثو، والانقسام في التنظيم، وقضية فلسطين، جميعها معا وأصبحت جزءا من التفسير المقبول لدى الشيوعيين وغير الشيوعيين على حد سواء، لفشل الحركة الشيوعية المصرية. والواقع، أن الدلائل قليلة على أن الشيوعيين المصريين عانوا من خسارة مأساوية في شعبيتهم بسبب موقف حدثو من فلسطين، لكن نشوب الحرب في ١٩٤٨ وفر للحكومة ذريعة لإعلان قانون الطوارئ وتحطيم القوة الدافعة للمدّ الصاعد للحركة الوطنية، التي كان الشيوعيون يلعبون فيها دورا هاما. وهكذا فإن اليسار بعد أن فشل في ركوب الموجة الوطنية في ١٩٤٥-٤٦ والانتصار بها، أضاع فرصة أخرى للقضاء على النظام القديم.

جسد إنشاء دولة اسرائيل فشلا عربيا مزدوجا. فبالنسبة للشيوعيين المصريين والفلسطينيين على حد سواء، كان قرار تأييد التقسيم ضروريا بسبب الفشل العربى في الصراع ضد الصهيونية. ولكن الماركسيين العرب حينذاك برهنوا على عجزهم عن ضمان تنفيذ أحكام قرار الأمم المتحدة، رغم تأييده من الاتحاد السوفيتى ومن الماركسيين الاسرائيليين. لقد أيد الاتحاد السوفيتى تقسيم فلسطين أساسا لأن ذلك بدا وكأنه أسرع وأضمن طريق لطرد بريطانيا من الشرق الأوسط - وهو منطق قبله كل من الشيوعيين العرب واليهود والمابام. ونتيجة لذلك، ظهرت الحركة الصهيونية بسبب غياب الطرف الآخر، باعتبارها القوة القيادية المعادية للامبريالية في الشرق الأوسط.

بيد أن إقامة دولة اسرائيل والحرب التي كانت مطلوبة للدفاع عن هذه الدولة، كان لهما منطقيهما الخاص بهما. وقد أدت هذه التطورات في اسرائيل إلى إضفاء طابع مؤسسى على الاستراتيجية العسكرية السياسية المتشددة لبن جوريون وهيكله الخطاب الصهيونى القائم على الهيمنة فيما يتعلق بأهمية الدولة اليهودية وعلاقتها بالفلسطينيين العرب. وأصبحت القضايا المبدئية في النزاع الفلسطينى الاسرائيلى -قضية اللاجئين، موقع حدود اسرائيل، وإقامة دولة فلسطينية، وطبيعة الديمقراطية الاسرائيلية- تتحدد بتفسير اكتسب طابعا أسطوريا يضيف صفات شيطانية على المعارضة الفلسطينية للصهيونية وينكر الحقائق التي يعانى منها وينتقدها كثيرون من الصهاينة أنفسهم.

على النقيض من ذلك، ركزت الرواية الماركسية على المناورة الامبريالية لتدمير الوحدة اليهودية العربية، ونفت في نفس الوقت، بصورة غير مباشرة مشروعية المعارضة الفلسطينية للصهيونية لأنها اعتبرتها معارضة للتقسيم. لم يكن لدى الماركسية تصنيف نظرى لصراع قومى أو

طائفى لا تتسم فيه قيادة الطرفين كلاهما بطابع معاد للامبريالية بشكل خاص. لهذا، تبنى الماركسيون مواقف اعتبرها العالم العربى صهيونية «من الناحية الموضوعية. وجرى تشبيه تأييدهم للتقسيم، بالخطاب الصهيونى القائم على الهيمنة، ليس فقط لافتقارهم للقوة اللازمة لفرض إقامة دولة فلسطينية، وإنما ايضا لأن بن جوريون والمابام استطاعا بمساعدة عبد الله وبريطانيا والولايات المتحدة، منع حدوث هذا أيضا.

وَجَرى تبرير كثير من المواقف باسم النضال المعادى للامبريالية رغم انها لم تكن كذلك، مثل تأييد ماكى لانتهاك اسرائيل لمشروع التقسيم من خلال ضم القدس^(٩٥)، وقرار المابام فى ٧ أكتوبر ١٩٤٨ بشأن إدخال تعديلات على الحدود، وصياغته الجديدة لمسألة اللاجئين، وسلوك كيبوتساته وأعضائه المجندين خلال الحرب، ومطالبة كل من المابام وماكى للحكومة الاسرائيلية برفض وقف إطلاق النار الذى تشرف عليه الأمم المتحدة والحل الوسط الإقليمى الذى اقترحه الكونت برنادوت، أدى اعتماد هذه المواقف إلى دعم الخطاب الصهيونى القائم على الهيمنة. من جهة ثانية اتهم كوريل وحدثو، وربما باستحقاق بالتخلى عن الوعى النقدى، رغم أن معظم الشيوعيين كانوا بالمثل مذنبين فى هذا.

لم تكن ضخامة عملية إعادة ترتيب الصفوف السياسية على النطاق الإقليمى الناجمة عن إنشاء دولة إسرائيل، موضع تقدير سليم لا من قبل اليسار الماركسى الإقليمى، ولا من قبل الاتحاد السوفيتى على ما هو واضح. وانسدت الآفاق المحتملة أمام الماركسيين العرب، نتيجة تشتت الحركة الشيوعية المصرية المؤقت، واستيعاب عصبة التحرر الوطنى فى ماكى، وإعلان (تشرين الثانى) ١٩٤٨ للحزب الشيوعية العربية. تصوّر الشيوعيون والجناح اليسارى للمابام أن اسرائيل ستغدو دولة طبيعية يستمر فيها الصراع الطبقي. ولم يفهموا الآثار الضمنية الداخلية والإقليمية والدولية للميراث الاستيطانى الاستعمارى لإسرائيل والطرق التى سيتسع بها نطاق هذا الميراث فى فترة قيام الدولة.



الفصل الثالث

الاقتصاد السياسي للهيمنة

قدم الاتحاد السوفيتي وتشيكوسلوفاكيا دعما عسكريا وديپلوماسيا حاسما لإنشاء دولة إسرائيل. وعلى النقيض من ذلك، فإن الولايات المتحدة على الرغم من أنها اعترفت بإسرائيل سريعا، حاولت عمليا في ربيع ١٩٤٨ أن تؤجل إعلان استقلال الدولة اليهودية، وأيدت مقترحات لحل النزاع العربي الإسرائيلي اعتبرت معادية للمصالح الإسرائيلية (مثل مقترحات الكونت برنادوت)، وضغطت على إسرائيل خلال مؤتمر لوزان في ١٩٤٩ التوافق على إعادة مائة ألف من اللاجئين الفلسطينيين. استنادا للسجل الدبلوماسية للقوتين الكبيرين في ١٩٤٧-٤٩، كان ماكي والمبابم يأملان في أن تتجه دولة إسرائيل للاتحاد السوفيتي طلبا للتأييد الدولي، وهي إمكانية بدت قوية بسبب استمرار سلطة بريطانيا العظمى في مصر وشرق الأردن والعراق والعلاقات الأمريكية الوثيقة مع السعودية.

لماذا لم تتحقق آمال ماكي والمبابم، والتي تبدو مضحكة إذا ما استرجعنا الأمور الآن؟ إن السبب الأساسي هو أن الصهيونية والقومية العربية الناصرية كانتا تقومان على تحالفات طبقية غير متماثلة، مع مال ذلك من آثار ضمنية متعارضة بالنسبة للاتجاه الدولي للحركتين. وينبغي وضع العلاقات المصرية الإسرائيلية في الخمسينيات والستينيات في سياق علاقتهما المتباينة مع الامبريالية الغربية - والتي لا تعنى السيطرة السياسية الغربية في الشرق الأوسط فحسب، بل تعنى أيضا وهو الأهم، دور رأس المال الغربي في الهياكل الاجتماعية الداخلية واقتصاديات مختلف دول الشرق الأوسط. ولم يكن الاتجاهان الدوليان لمصر وإسرائيل ونهجهما إزاء النزاع العربي الإسرائيلي، مجرد تعبيرين مستقلين عن تفضيلات مجموعات حاكمة معينة، بل كانا يضربان بجذورهما في الطبيعة الاجتماعية الخاصة للمشروعين القوميين لهذين البلدين.

مع أقول العمل السياسي الفلسطيني المستقل بعد ١٩٤٨، كان النزاع العربي الإسرائيلي قد تحول من حرب طائفية أهلية إلى نزاع دولي وكان التصور السائد أن حله هو وفي المحل الأول حل لمشكلة تتعلق بالسياسة الخارجية. ونزعت الأحزاب الماركسية نفسها، والتي تبنت خطا غير ماركسي في التفكير، إلى اعتبار السياسة الخارجية والاتجاه الدولي متغيرين مستقلين، واعتبارهما التزامين يمكن أن يؤثر على الطابع الداخلي لنظام ما أكثر منهما تعبيرين عن التوازن السائد للقوى

الاجتماعية. وهكذا، كان الشيوعيون يرون أن للدعم السوفيتي لإنشاء إسرائيل أسبقية على اعتراضاتهم التاريخية على الصهيونية، وبالمثل، كان الاعتقاد أن التأييد الديبلوماسي والعسكري لمصر بعد ١٩٥٥، قوة يمكنها أن تخفف من، أو تتغلب على، السياسات المحلية غير الديمقراطية في مصر، ونتيجة لذلك، اصطحب التغلب على أوهام معينة بشأن إسرائيل بتبني أوهام عن مصر الناصرية. وفسر المعدل المتباين الذي حدث به هذا، إلى جانب الاتجاه الطبيعي ليهود إسرائيل لأن يكونوا أكثر حساسية للتفكير الخادع تجاه مصر منهم إزاء بلدتهم الخاص، والعكس بالعكس، الخلاف السياسي المتزايد بين الشيوعيين المصريين والإسرائيليين والانشقاق الهيكلي الذي كان وراء الانقسام الذي وقع في نهاية المطاف في ماكي على حد سواء. وعلى النقيض من ذلك في ماكي، فإن حقيقة أن دولة إسرائيل كانت تحقيقا للصهيونية، منعت الحزب من أن يضطلع بتخلييل أساسي لطابعها الاجتماعي، ومن ثم، فإنه على الرغم من اعتراض الحزب المستمر على الاتجاه الدولي لإسرائيل حتى بعد حرب السويس/ سيناء، لم يستطع معظم اليهود في الحزب تقدير الجوانب الإيجابية للنظام الناصري لأنهم اعتبروه تهديدا لإسرائيل في المحل الأول.

□ العمل ورأس المال في الحركة الصهيونية

فرضت الطبقة العاملة هيمنتها على الحركة الصهيونية في مطلع الثلاثينيات. وتم التعبير عن هذا من الناحية التنظيمية بتكوين وقيام المabay باعتبارها الحزب المسيطر داخل اليشوف والمنظمة الصهيونية العاملة، وهيمنة المabay على أغلبية مسيطرة داخل الهستدروت، وانتخاب ديفيد بن جوريون زعيم المabay كأول رئيس للوكالة اليهودية. وقد استمرت هذه الهيمنة، رغم تغير العلاقات بين العناصر المكونة لتحالف القوى الاجتماعية التي استند إليها على مر الزمن حتى انتصر الليكود في انتخابات الكنيست في ١٩٧٧. لقد كان الدور القيادي للطبقة العاملة ضروريا لتحقيق المشروع الصهيوني، لأنها كانت هي وحدها القادرة على الاضطلاع بمهام البناء والاستيطان والتنمية والقوات المسلحة التي كانت ضرورية لليشوف ليقوم أركانها في بلد مأهول بالفعل ومعاد سياسيا. وعبرت الشعارات الصهيونية العمالية «العمل اليهودي» (عفودا عقرت)، و«احتلال الأرض» (كيبوش هاكاراع) و«المنتجات اليهودية» (توتسيرت هاركس) عن المصالح الطبقيّة لعمال الحضر والريف اليهود الذين كانوا يسعون لاستبعاد العمالة العربية الأرخص في السوق، وتوسيع فرص الحصول على الأرض الزراعية، وضمان سوق لمنتجاتهم، وكذلك عبرت عن الهدف القومي لبناء مجتمع يهودي في فلسطين. أصبحت الهستدروت مؤسسة لها قصب السبق في اليشوف أساسا لأنها لم تكن تنظيما نقابيا في المحل الأول. ورغم أن هذا كان بالطبع أحد وظائفها، فقد أنشأت أيضا خدمة صحية، وصندوقا للتأمين، واتحادا رياضيا، ومسرحا، وصحيفة يومية، ومصرفا، وجيشا (البالماخ والهاجاناه) وعددا كبيرا من التعاونيات والشركات التي سيطرت على قطاعات النقل والبناء وقطاعات مشتركة للزراعة في الاقتصاد اليهودي.

لاقت الجهود الرسمية لتشجيع استثمار رأس المال في إنشاء مشروعات ضمن «المشروع الصهيوني في فلسطين» نجاحا محدودا فحسب بسبب ظروف عدم الأمان هناك. ومن ثم عبأت

المؤسسات الصهيونية، معايير سياسية عالية في إدارة وتخصيص رأس المال المستورد هذا. كما جرت إدارة مشروعات الهستدروت -وهي المتلقى الأساسى لرأس المال المستورد- أساسا بواسطة أشخاص معينين سياسيا من أغلبية الماباى.

وعلى الرغم من الدور السياسى القىادى للطبقة العاملة فى الاستيطان والبناء والدفاع المسلح الصهيونى، فقد كان العمل فى نهاية المطاف معتمدا على رأس المال المستورد من الغرب لتمويل المشروع الصهيونى. كذلك كانت مظلة الحماية التى وفرها نظام الانتداب البريطانى عنصرا أساسيا فى التقدم الصهيونى. لذلك تمثلت استراتيجية الماباى السياسية فى تشكيل تحالف بين رأس المال الجماعى والخاص والحفاظ على علاقات طيبة مع بريطانيا العظمى لضمان أقصى حد من التأييد لإنشاء الدولة اليهودية، وكذلك لحماية مصالح العمال اليهود الذين يمثل مصالحهم الخاصة. وقُدمت الحماية لرأس المال الخاص فى اليشوف وجرى تشجيعه. وحدثت صدمات دورية بين العمال اليهود ورأس المال اليهودى حول قضايا مثل الأجور ورغبة أرباب الأعمال فى استئجار العمل العربى الأرخص، لكن الماباى سعى للحد من الصراع الطبقي داخل المجتمع اليهودى لصالح البناء الوطنى، وفى المقابل، قبلت الحركة الصهيونية بأسرها الدور القىادى للعمال ومؤسساتهم التى يقودها الماباى فى اليشوف. وكانت النظرة الاجتماعية الديمقراطية المعتدلة للماباى معادية للشبيوعية وموالية للغرب بصورة راسخة. وعارض الحزب شن صراع مسلح لطرد البريطانيين من فلسطين (فيما عدا فترة وجيزة فى ٤٥-١٩٤٦)، وعندما بدأ مضطرا فى مقاومة السياسات البريطانية، كان بن جوريون قد أعاد بالفعل توجيه الحركة الصهيونية تجاه الولايات المتحدة، وهو تحول رمز له مؤتمر بيلتمور فى نيويورك فى ١٩٤٢.

وكان للعنصر الاستيطانى الاستعمارى فى المشروع الصهيونى تأثير مستمر على الاقتصاد والايديولوجيا والديبلوماسية فى فترة بناء الدولة. وشكلت مصادرة ملكية اللاجئين الفلسطينيين شكلا من التراكم البدائى لرأس المال ساعد على توسع الاقتصاد اليهودى، خاصة القطاع الزراعى. تضاعف سكان إسرائيل اليهود بين ١٥ مايو ١٩٤٨ ونهاية ١٩٥١. ولم يكن القادمون الجدد الذين بلغ عددهم ٦٨٤.٠٠٠ نسمة -عاش نحو ٢٥.٠٠٠ منهم فى بيوت كانت مملوكة للعرب من قبل- يعرفون شيئا عن المجتمع العربى الفلسطينى الذى كان قائما قبل ١٩٤٨. وبحلول ١٩٥٤، كان مايزيد عن ثلث سكان إسرائيل اليهود يعيشون فى أملاك العرب الغائبين. وخلال ١٩٤٨ وما بعدها تم هدم مايزيد على ٣٥٠ قرية عربية كانت قائمة خلال فترة الانتداب حلت محلها مستوطنات يهودية جديدة^(١)، وكانت ٣٥٠ مستوطنة من أصل ٣٧٠ مستوطنة جديدة قد أقيمت بين ١٩٤٨ و١٩٥٣، على أملاك العرب الغائبين. وحددت لغة قانون ملكية الغائبين الصادر فى ١٩٥٠، والتى تقول شيئا وتقصد عكسه، تقريبا نصف العرب الفلسطينيين الذين يسكنون إسرائيل بصورة قانونية باعتبارهم «حاضرين - غائبين» لأنهم تركوا قراهم بصورة مؤقتة فحسب (أو هذا ما تخيلوه) خلال حرب ١٩٤٨-١٩٤٩. وقد سمح هذا «للحارس على أملاك الغائبين» أن يصادر نحو ٤٠ فى المائة من

أراضيهم (نحو مليون دونم، أو ربع مليون أكر من الأراضي الزراعية). ونظم قانون اكتساب ملكية الأرض الصادر في ١٩٥٣ عملية الاستيلاء على أنواع أخرى من الأراضي العربية. وإجمالاً، تمت مصادرة ما يقرب من ٤,٥ مليون دونم من الأراضي الزراعية من العرب الغائبين، والحاضرين، و«الحاضرين الغائبين»، مما زاد المساحة المتاحة للمزارعين اليهود بنسبة ٢٥٠ في المائة. وقدر مكتب الأمم المتحدة للاجئين قيمة الملكية العربية المنقولة والثابتة المهجورة بنحو ١٢٠ مليون جنيه استرليني (أكبر من إجمالي التكوين الرأسمالي المحلي في إسرائيل من ١٩٤٩ إلى ١٩٥٣) (٢).

ونفذ الحكم العسكري الذي سيطر على معظم المناطق التي يقطنها العرب من ١٩٤٨ إلى ١٩٦٦، عمليات المصادرة والطرده والهيمنة المستمرة على الأقلية الفلسطينية العربية في فلسطين، مستخدماً في ذلك التجزئة، والتجميع، والإكراه للإبقاء على العرب بلا حول أو طول وفي حالة تبعية. وهُمشت السلطات العسكرية الوجود الاجتماعي للمواطنين العرب بإقامة تكنولوجيا لقمعهم وجهاز «لمعرفة» كل ما يتعلق بهم، كان يصنفهم ويحدد في فئات مثل «الطابور الخامس» و«الخطرين على الأمن» و«الإرهابيين» و«الأقليات غير اليهودية». كان العرب مطالبين بالحصول على تصاريح سفر لتركوا المناطق المجاورة لقراهم ومدنهم. وكان المسؤولون العسكريون يوزعون عادة تصاريح السفر والخدمات الأخرى على رؤساء العشائر مقابل تأييد عائلاتهم للانتخابي للمباي، وعلى النقيض من ذلك، كان وصول منظمي وفعاليات الأحزاب الأخرى، خاصة ماكي، للقوى العربية مقيداً.

وبجعل سفر من يبحثون عن عمل في المدن أمراً صعباً، نظمت تصاريح السفر دخول العرب لسوق العمل بأجر. كما أنكرت على العرب العضوية في نقابات الهستدروت حتى ١٩٥٢، وحتى بعد ذلك التاريخ لم يتم قبول كثيرين من العرب الذين طلبوا الانضمام إليها. واستخدم الافتقار للعضوية النقابية لتبرير استبعاد العرب من الوظائف أو لطردهم من الوظائف التي كانوا يتولونها بالفعل. في ١٩٥٩، سمحت الهستدروت للعرب بأن يصبحوا أعضاء كاملي العضوية في المنظمة، بيد أن هذا الحق لم يطبق بصورة فعالة حتى انتخابات الهستدروت في ١٩٦٥. كانت الزراعة العربية في وضع غير موات بسبب نقص الأراضي الناجم عن عمليات المصادرة الواسعة والافتقار إلى فرص الحصول على الدعم التقني والمالي للمؤسسات الصهيونية. وإجمالاً، كان العرب محرومين من الفرص المتساوية مع اليهود في كافة قطاعات الاقتصاد.

وعلى الرغم من الضعف النسبي للقطاع الصناعي واستمرار تحفظ رأس المال على الاستثمار في الصناعة، استطاعت إسرائيل أن تعيش في مستوى أعلى كثيراً مما كانت تسمح به قدرتها الإنتاجية الحقيقية واضطلعت ببرنامج للتنمية الاقتصادية السريعة بسبب التدفق غير العادي لرأس المال المستورد. بلغ المعدل الصافي للدخار المحلي الصفر تقريباً من ١٩٤٩ إلى ١٩٥٦، ومن ثم تم تمويل التنمية الاقتصادية لإسرائيل بما يزيد على ٦ مليارات دولار من رأس المال المستورد، بما كان يعادل تقريباً ٢٥ في المائة من الناتج القومي الإجمالي خلال هذه الفترة. وكان ما يزيد على ثلثي

رأس المال المستورد هذا يتكون تحويلات من جانب واحد لا تقتضى إعادة الأرباح أو الفوائد: هبات من الشعب اليهودي العالمي، وتعويضات من حكومة ألمانيا الغربية، ومنح من حكومة الولايات المتحدة^(٣).

وكانت الولايات المتحدة هي أهم مصدر لواردات رأس المال فى هذا المجال، مثلما هي الآن، رغم أن ذلك لا يتضح بصورة مباشرة من الجدول ٢. وفى حين كانت حكومة الولايات المتحدة مؤيدة لإسرائيل بصفة عامة، فإنها كانت تنتقد السياسات العسكرية المتشددة لبين جوريون، وحرصت على أن تفصلها مسافة دبلوماسية عن الدولة اليهودية فى الخمسينيات، ساعية للإبقاء على علاقات ودية مع الدول العربية. ومن ثم كانت منح الولايات المتحدة لإسرائيل تمثل نسبة مئوية ضئيلة من المستوى الجارى وكانت حتى عام ١٩٦٥ تشكل نسبة صغيرة فقط من التحويلات من جانب واحد، ٧, ٥ فى المائة. قدم الشعب اليهودي فى أنحاء العالم ٥١ فى المائة من التحويلات من جانب واحد، وقدم اليهود الأمريكيون الغالبية الساحقة من هذه الأموال. كما قدمت حكومة الولايات المتحدة ٢٣ فى المائة من واردات رأس المال طويلة الأجل التى كان سدادها مطلوباً، وشكلت هذه القروض إلى جانب رأس المال المستثمر من قبل القطاع الخاص والقروض المقدمة من اليهود الأمريكيين، ٦٢ فى المائة من واردات إسرائيل من رأس المال طويل الأجل المستحق السداد خلال ١٩٥٠-٥٥ و ٣٠ فى المائة خلال ١٩٥٦-٦٠^(٤).

(الجدول ٢)

واردات رأس المال لإسرائيل، ١٩٤٩-٦٥
(بملايين الدولارات الأمريكية)

الشعب اليهودي العالمي	ألمانيا الغربية	حكومة الولايات المتحدة	الاجمالي
تحويلات من جانب واحد	٢١٥٢,٧	١٧٣٦,٧١٤	٣١٣,٩
رأس المال طويل الأجل	١٤٠٥,٧	---	٤١٨,٦
الإجمالي	٣٥٥٨,٤	١٧٣٦,٧	٧٣٢,٥
			٦٠٢٧,٦

المصدر : ناداف هاليفى وروث كلينوف - مالول، التنمية الاقتصادية لإسرائيل (نيويورك، ١٩٦٨)، ص ٢٩٨.

أدى اعتماد إسرائيل الشديد على رأس المال القادم من الولايات المتحدة والمانيا الغربية إلى تقييدها بالكتلة الغربية بصورة راسخة، وتدعمت هذه الرابطة على كافة مستويات الاقتصاد. وجاء مايزيد على ٢٥ في المائة من إجمالي متحصلات الحكومة الاسرائيلية من الخارج خلال ١٩٤٩-٦١^(٥)، وفي الخمسينيات، كان نحو ٧٠ بالمائة من تجارة إسرائيل الخارجية يتم مع الولايات المتحدة وأوروبا الغربية^(٦). كذلك كان السائحون. وهم مصدر مهم للنقد الأجنبي، يجيئون بصورة غالبية من الغرب، وكان الأمريكيون بصفة عامة أكثرهم إنفاقاً.

تولت المؤسسات التي يسيطر عليها الماباي توزيع معظم رأس المال المستورد في عصر بناء الدولة، تماماً مثلما فعلت خلال الانتداب. ووزعت الحكومة وحدها نحو ثلثي رأس المال المستثمر في إسرائيل في الخمسينيات، ومايزيد على الخمسين منه في العقد التالي^(٧). وكان الهستدروت يستخدم ٢٠-٢٥ في المائة من القوة العاملة في الخمسينيات، ووصل هذا الرقم بالنسبة للحكومة والهستدروت معا إلى مايزيد على ٤٠ في المائة. وكان نصف أعضاء الهستدروت جميعاً يعتمدون بدرجة ما على المنظمة في الحصول على رزقهم خلال هذه السنوات^(٨). وكان التوظيف في قطاع الدولة أو الهستدروت يعنى عادة أن للمرء واسطة فعالة في الماباي. وكان للهستدروت والدولة باعتبارهما ربي عمل كبيرين، مصلحة في الحد من نضالية الطبقة العاملة، ونظراً لأن نفس الحزب كان يسيطر عليهما، فقد تعاونوا على ذلك بصفة عامة.

كما أدار الماباي باعتباره الحزب الاسرائيلي المسيطر، جهاز استيعاب المهاجرين. وخضع المستوطنون من آسيا وأفريقيا -وقد وصلت غالبيتهم خلال الخمسينيات- لتفرقة منتظمة وتجريد هائى من تراثهم الثقافى. وتم تكديسهم بصورة غير متوازنة في الدرجات الأدنى من سلم الوظائف، في الزراعة، والتشييد والوظائف الصناعية غير الماهرة^(٩). رافق هذا التدفق السريع للعمالة الشرقية الرخيصة وغير الماهرة، ترقية كثيرين من العمال الاشكناز المخضرمين الذين شاركوا في موجة ما بعد ستالينجراد لإضفاء طابع راديكالى، في صفوف الإدارة أو نقلوا لقطاعى الخدمات والمهنيين في الاقتصاد، الآخذين في التوسع السريع، واصبحوا جزءاً من «الطبقة الوسطى التي شكلتها الدولة»^(١٠). كانت الطبقة العاملة اليهودية التي أعيد تشكيلها، والتي كانت شرقية لحد كبير في الخمسينيات، تفتقر للخبرة النقابية ولم تكن تألف مبادئ العمل المتبعة في السياسة. وقد فقد هؤلاء الوافدون الجدد، الذين يختلفون عن المستوطنين المخضرمين من الناحية الثقافية، الاتجاه من جراء متطلبات التكيف مع بيئة جديدة تختلف كثيراً عن الحياة اليهودية كما عاشوها في بلدانهم الأصلية. ومع ذلك، فعلى الرغم من الأجور المنخفضة، وعدم كفاية الإسكان والتعليم والخدمات الاجتماعية، كانت هي الظروف المشتركة السائدة بالنسبة لكثيرين من اليهود الشرقيين، فقد كان من السهل فرض الانضباط عليهم بسبب اعتمادهم على الماباي في الإسكان، والرعاية الصحية، والتوظيف، في عقد كان معدل البطالة فيه يتراوح بين ٧-٩ في المائة^(١١). وأدى تقسيم القوة العاملة لمراتب على أساس اثنى، وإحلال المهاجرين الجدد محل العمال المخضرمين في كثير من وظائف أصحاب الياقات الزرقاء، والسيطرة الاجتماعية التي مارسها الماباي من خلال الهستدروت وبيروقراطية استيعاب الهجرة على

حد سواء، إلى نزع الطابع الراديكالى عن الطبقة العاملة بنجاح.

وبالطبع، فإن منافع التنمية الاقتصادية التى تم تمويلها برأس مال مستورد، لم تُوزَّع بصورة متكافئة. ويؤكد خبراء الاقتصاد الاسرائيليون المتشددون أن الأجور الحقيقية ارتفعت بصورة مطردة فى أوائل الخمسينيات. ومع ذلك، مثلما أوضح شمشون بيتشلى، المفكر المتفرد الشارد واللامع، فإنه لا يمكن الدفاع عن وجهة النظر هذه، لأنه لا توجد إحصاءات قومية اسرائيلية يعول عليها قبل ١٩٥٣^(١٢). ومن المؤكد تقريبا أن حصة الأجور فى الاقتصاد القومى انخفضت مع اتساع الفجوة بين الأغنياء والفقراء وتدعيمها بصورة كبيرة، بفعل تركيز المهاجرين الشرقيين فى أفقر قطاعات السكان اليهود. بل ربما هبطت الأجور الحقيقية خلال فترة التقشف فى ٤٩-١٩٥٤ لانه تم تقنين الأغذية والسلع الأخرى بحصص تحددها بطاقات ولأن الأسعار ارتفعت فجأة محلقة فى السرقة السوداء النشيطة. فى الوقت نفسه، ارتفعت الضرائب لتغطى التكاليف العالية لبناء مؤسسة عسكرية واستيعاب المهاجرين الجدد. ولا مشاحة فى أن تخفيض قيمة الجنية الاسرائيلى وإلغاء بعض القيود على الأسعار - السمات البارزة «للسياسة الاقتصادية الجديدة لفرابر ١٩٥٢» - قد خفضنا الأجور الاسمية بصورة حادة ايضا.

عارض المابام وماكى «السياسة الاقتصادية الجديدة»، وتظاهر العمال مرات كثيرة مطالبين بزيادة الأجور - وساندتهم الهستدروت فى ذلك أحيانا، وفى الغالب الأعم كان ماكى أو المابام ينظمونهم بصورة مستقلة (وفى مناسبات قليلة) بصورة مشتركة، قبل تطبيق هذه السياسة وبعدها على حد سواء. وقد جعلت هذه الصراعات الاقتصادية قادة ماكى والمابام على حد سواء يعتقدون أن احتدام الصراع الطبقي الناجم عن فشل الاقتصاد الاسرائيلى سيمكن اليسار الماركسى من كسب الطبقة العاملة وإبعادها عن الماباى. ولكن حتى مع صعوبة القياس الإحصائى بالنسبة لأوائل الخمسينات، فإنه ليس هناك شك كبير (رغم التأكيدات المتكررة من قبل ماكى والمابام بأن الأمر على العكس من ذلك) فى أن مستوى معيشة العمال الاسرائيليين ارتفع بصورة مطردة بعد مطلع الخمسينيات، خاصة بعد وصول التعويضات التى دفعتها المانيا الغربية، التى حركت فترة من التنمية الاقتصادية السريعة بدأت فى ١٩٥٤-٥٥.

ونظرا للظروف الاقتصادية الصعبة فى الجزء الأول من العقد، زاد عدد الإضرابات والمضربين بين العمال اليهود فى الخمسينيات بالمقارنة بفترة الانتداب، وهو ما اعتبره ماكى والمابام دليلا على أن الصراع الطبقي أخذ فى الاحتدام. بيد أن الإضرابات كانت أكثر اتساما بالطابع الروتينى، كما كانت أقصر أجلا، وتركزت على الأجور بصورة أضيق من ذى قبل. واستمر الطابع الاجتماعى والايديولوجى للحركة العمالية فى الضعف، نظرا لأن النقابات ومؤسسات العمال الأخرى أخذت تكتسب طابعا بيروقراطيا متزايدا نتيجة لجهود قيادة الهستدروت^(١٣). ويمكن ملاحظة وجود ثلاثة استثناءات كبيرة من هذا الاتجاه: إضراب البحارة، وإضراب الأكاديميين، وإضراب مصنع آتا للغزل والنسيج. ومع ذلك، فإن هذه الاستثناءات تفيد فقط فى بيان عجز العمال اليهود عن التخلص من قبضة الماباى المهيمنة.

□ إضراب البحارة والاتجاه الدولي لإسرائيل

بدأ إضراب البحارة الذي امتد ثلاثة وأربعين يوما في تشرين الثاني - كانون الأول ١٩٥١، حول قضية محدودة تتعلق بتحديد النسبة من أجور البحارة التي تدفع بالنقد الأجنبي ومع تطور الأمور، اتسعت القضية لتصبح قضية الاستقلال النقابي عن سيطرة مجلس حيفا العمالي، مركز الجهاز السياسي القوى للماباي في المدينة، والأجهزة المركزية للهستدروت. وأخيرا، أصبح الإضراب رمزا للمواجهة الشاملة بين وجهتي النظر العالميتين للماباي، والمابام/ ماكي^(١٤). فقد أيد المابام وماكي القادة المنشقين لنقابة البحارة ضد الاتحاد القومي للبحارة ومجلس حيفا العمالي والأجهزة المركزية للهستدروت، التي رفضت الموافقة على الإضراب. وأصر بن جوريون على رأيه بأن الإضراب لم يكن بشأن قضايا اقتصادية على الإطلاق، وإنما هو مؤامرة سياسية:

إنه محاولة من قبل أعداء الدولة لشل الأسطول، وجدت لها شركاء في زمر معينة تحركهم في الأساس إمكانية تخريب الدولة ... إن مجتمع العمال (أي الأجهزة المركزية للهستدروت) هو الذي يحدد ما إذا كان هذا إضرابا ولا يحدده اليفسكتزيا (الحزب الشيوعي اليهودي الذي قام لفترة وجيزة في الاتحاد السوفيتي بعد الثورة - وقد استخدم هذا الاسم للتهكم على ماكي) وعملائه وشركائه في الزمر الأخرى^(١٥).

وعندما انفجر الإضراب، ثار في الكنيست جدل حاد حول اتجاه السياسة الخارجية لإسرائيل، بما في ذلك مسألة ما إذا كان ينبغي لإسرائيل أن تنضم لحلف عسكري للشرق الأوسط يراعاه الغرب. وجلس يعقوف حزان ويسرائيل جاليلي وإسحق صادق وموشي سنيه وشمونيل ميكونس ومائير فلنر متجاورين على المنصة في احتفال عقد في ذكرى الثورة البولشفية رعته عصبة الصداقة الإسرائيلية السوفيتية. وقع كيبوتس ميثوحاد بين شقي رحي انقسام مرير بين مؤيدي المابام والماباي حول مسألة تأييد الاتحاد السوفيتي. وفي مايو ١٩٥٠، ترك الهستدروت الاتحاد العالمي للنقابات، وفي ٢ تموز ١٩٥٠ قررت الكنيست تأييد التدخل الأمريكي في كوريا - وعارض المابام وماكي كلا القرارين بقوة^(١٦).

في هذا السياق، اختار بن جوريون أن يصور إضراب البحارة باعتباره معركة حول اتجاه إسرائيل الدولي وما يعنيه ذلك من مسارات متباينة لتنميتها القومية. وبعد أن حدد بن جوريون والحكومة الأمور على هذا النحو، لم يكن أمامهما من خيار سوى سحق الإضراب، وهو ما فعلاه في أعقاب صدام عنيف بين المضربين والشرطة في ١٤ كانون أول. وأجبر ماكي بن جوريون على ذلك بقبول تحديه. ووافق ميكونس على أن الإضراب كان صراعا حول قضايا عالمية، مواجهة أكثر شمولاً بين الثالث الرجعي -الامبريالية، والحكومة، وقيادة الماباي- وبين رفاق التقدم من قوى الاستقلال والسلام والديمقراطية المؤمنة بالمصالح اليومية والتاريخية لجماهير الشعب العامل^(١٧).

وربط ميكونس انتقاده لمعالجة الحكومة للإضراب بسياستها المعادية للسوفيت. واكتسب بعض المضربين ومؤيديهم طابعا راديكاليا من خلال عمليات الاحتجاج وتبنوا هم أيضا هذا الرأي في

المسألة. فقد كان نيمرود اشيل، قائد الإضراب، عضواً في الجناح اليساري للمابام. وبعد هزيمة البحارة، تجول في كيبوتسات المابام، حيث أثر باتجاهه النضالي القائم على الصراع الطبقي على البعض ممن تركوا المابام في نهاية المطاف مع موسى سنيه وانضموا إلى ماكي (١٨)، مثلما فعل اشيل وقائد آخر للإضراب، عكيفا أور - وتلك حالة نادرة كسب فيها ماكي أعضاء جدداً من خلال النضالات الطبقيّة لأوائل الخمسينيات.

ونبعت الحدة غير المألوفة لإضراب البحارة من تصريحه باعتباره معركة حول اتجاه إسرائيل الدولي. ونظراً لأن المابام وشركاءه في التحالف أدركوا اعتماد الحركة الصهيونية تاريخياً على الدعم السياسي من الغرب واستمرار الحاجة إلى الواردات الضخمة من رأس المال، فقد حظي إصرار بن جوريون على الحفاظ على توجه دولي غربي بقبول عام. وأظهرت إسرائيل تفضيلها للتوجه الموالي للأمريكان بقبول قرض بمبلغ ١٠٠ مليون دولار من بنك التصدير والاستيراد في ١٩٤٩، وتأييد تدخل الولايات المتحدة في كوريا (كان بن جوريون يحبذ إرسال قوات إسرائيلية لكوريا)، ورفض عمليات جس النبض التي قامت بها جمهورية الصين الشعبية لإقامة علاقات دبلوماسية، وتقديم عرض متكرر بإبرام حلف عسكري مع الولايات المتحدة. لكن إدارة ايزنهاور التي كانت مشغولة بالعلاقات الأمريكية مع الدول العربية رفضت العروض الإسرائيلية. ومن ثم، فمنذ أوائل الخمسينيات حتى ١٩٦٧، كان الحليفان الدوليان الرئيسيان لإسرائيل هما فرنسا والمانيا الغربية، بينما تدعم توجهها الأمريكي الحالي في الفترة ٦٧-١٩٧٠ فحسب.

وأدى تحالف إسرائيل مع فرنسا إلى جعلها تعارض استقلال تونس والمغرب والجزائر وتأميم مصر لقناة السويس وتتواطأ مع فرنسا وبريطانيا في حرب السويس/ سيناء، وهي أعمال زادت العداء العربي لإسرائيل ووسعت نطاق الصدام مع الفلسطينيين لتصبح مواجهة إقليمية مع العالم العربي. أكد اتساع نطاق الصدام، التفسير المتشدد لتجارب إسرائيل مع جيرانها العرب، ومن ثم فقد قُبلت آثار التحالف مع فرنسا باعتبارها ضرورية لوجود آثار. إذ كان معظم اليهود يرون أن العداء العربي يهرر بلا جدال سعى إسرائيل لإقامة علاقات عسكرية مع الغرب (حتى وإن لم يستطع قبول التحالف مع ألمانيا الغربية).

ولقد ساد هذا الاتجاه في السياسة الخارجية رغم المعارضة المستمرة لماكي والمابام، ومشاعر الحياء القوية داخل صفوف المابام، والبعاطف الواسع مع الاتحاد السوفيتي في أواخر الأربعينيات ومطلع الخمسينيات، والإسهام الحاسم للاتحاد السوفيتي في إنشاء دولة إسرائيل، ومع ذلك، فإن رأس المال والحماية السياسية الطروريين لبناء الدولة اليهودية كما تصورها بن جوريون والمابام، كانا لا يمكن أن يأتيا إلا من الغرب فحسب. فلم يكن في إمكان الاتحاد السوفيتي ولا مواطنيه اليهود أن يقدموا رأس المال الكافي للحفاظ على مستوى معيشة أوروبي ليهود إسرائيل الأشكناز، ولم تكن هناك أي إمكانية لاستبدال اليهود الأمريكيين باعتبارهم المصدر الرئيسي للدعم الاقتصادي. ودعمت القيود المفروضة على هجرة اليهود من بلدان أوروبا الشرقية، وردود الفعل السوفيتية ضد محاولات إسرائيل

للحديث مباشرة إلى، ونيابة عن، يهود الاتحاد السوفيتي، وظهور العداء الرسمي للسامية في بلدان الكتلة السوفيتية، دعمت وبررت نزعات المابام في السياسة الخارجية الموجودة من قبل. وأوضحت هزيمة إضراب البحارة أن الطبقة العاملة اليهودية، رغم نضاليتها بشأن القضايا الاقتصادية، لم تمتلك القوة ولا الرؤية السياسية المستقلة اللازمتين لإيجاد بديل للماباي: لقد فشل ماكي والمابام في تعبئة الموارد المادية والسياسية المطلوبة لإعادة تحديد الاتجاه الدولي الذي كانا يبتغيانه.

□ تأكيد هيمنة الماباي

يوضح الإضرابان الكبيران الآخريان في الخمسينيات أن سيطرة الماباي على الهستدروت أبطت على الحركة العمالية مذعنة للهدف الشامل لبناء الدولة وحزبها المهيمن، على الرغم من الايديولوجية الاشتراكية من الناحية الاسمية للماباي، مما خلق الظروف المواتية لتنمية رأس المال. وأرسى إضراب الأكاديميين الذي استمر ثلاثة عشر يوما في فبراير (شباط) ١٩٥٦، رغم أنه هزم بنجاح محاولة الحكومة لتخفيض الأجور، مبدأ وجود فرق كبير في الأجر بين العمال ذوي الياقات الزرقاء وذوى الياقات البيضاء. ووازن العمال ذوي الياقات البيضاء الذين استفادوا من هذه السياسة، تآكل التأييد للماباي بين العمال ذوي الياقات الزرقاء، وساعد الحزب على البقاء في السلطة حتى ١٩٧٧، عندما وفر العمال الشرقيون ذوو الياقات الزرقاء الساخظون، القاعدة الاجتماعية للانتصار الانتخابي لليكود بقيادة بيجن^(١٩). كما عوضت أصوات المواطنين العرب، التي حركتها تقنيات «الإقناع» التي اتبعتها مسؤولو الحكومة العسكريون لتأييد الماباي، الخسارة في تأييد الطبقة العاملة من ذوي الياقات الزرقاء.

وفي آيار ١٩٥٧، بدأ ١٦٨٠ عاملا في مصنع آتا للغزل والنسيج، إضرابا مدته ثلاثة أشهر حول قرار الإدارة بتسريح العمال بغية زيادة كفاءة المصنع. لقد كان مصنع آتا حينذاك أكبر مشروع صناعي في إسرائيل. ويسر موقعه قرب «حيفا الحمراء»، المركز التقليدي للحركة العمالية، انتصار العمال في الإضراب. بيد أن قادة الماباي الذين يتولون الهستدروت، أنهوا الإضراب دون نتيجة حاسمة. وردا على ذلك، حرم العمال الماباي من الحصول على الأغلبية في لجنة آتا العمالية في انتخابات ١٩٥٨ وأقاموا تحالفا جديدا مع ممثلي المابام واحدوت هاعفودا (التي انقسمت من المابام في ١٩٥٤). ومع ذلك، فبحلول عام ١٩٥٨، كانت معارضتهم مختلفة نوعيا عنها في مطلع الخمسينيات، ولم تعد تمثل إمكانية لظهور مسار مختلف بصورة جذرية في مثل هذه الساحة المحلية. وحصل ماكي على أصوات تزيد بنسبة ٣٣ في المائة عما حصل عليه في الانتخابات السابقة، لكن ذلك ظل غير كاف ليحصل على مقعد في اللجنة^(٢٠).

لقد كان اضعاف طابع راديكالي طويل المدى حتى على عدد صغير من العمال والذي ضحى به إضراب البحارة أمرا شاذًا. فالسمة الأكثر تميزًا للمسار السياسي للطبقة العاملة اليهودية تتمثل في مصير القائمة المشتركة بين ماكي والحزب الاشتراكي اليساري في انتخابات حزيران ١٩٥٣ لتقابة عمال المعادن في تل أبيب - وهي قطاع رئيسي للبروليتاريا الصناعية. ففي انتخابات ١٩٤٥،

هزمت العناصر التي كونت المابام في المستقبل، الماباي وكسبت أغلبية المقاعد في اللجنة التنفيذية للنقابة، وكان ذلك تعبيراً عن التحول اليسار فيما بعد الحرب في اليسوف. وفي ١٩٥٣، استعداد الماباي أغلبيته على الرغم من الجهود المتضافرة لأنصار ماكي والحزب الاشتراكي اليساري. فظفر المابام وماكي/ الحزب الاشتراكي اليساري بـ ٢٤ في المائة و٦ في المائة من الأصوات على التوالي (٢١).

وبحلول عام ١٩٥٥، كانت مشاركة ماكي في النضال النقابي استثناء عن القاعدة. فعندما انضم أعضاء منه في مظاهرة من ١٥٠٠ شخصاً من عمال المعادن الذين كانوا يطالبون بزيادة الأجور في تل أبيب في ٢ شباط ١٩٥٩، جاء في تقرير للجنة المركزية: «كانت هذه هي المرة الأولى التي يشترك فيها أعضاء حزبنا في مظاهرة مع عمال في الأماكن التي يعملون فيها» (٢٢). ولم يوقف قرار ماكي بتركيز انتباهه على الطبقة العاملة بعد هزيمة انتخابات ١٩٥٩، التآكل المطرد في التأييد الذي يحظى به الحزب بين العمال اليهود. ففي مطلع الخمسينيات، كان لماكي خلايا عمالية في عدة مشاريع كبيرة في منطقة حيفا، بما في ذلك مصنع آتا للغزل والنسيج، ومعمل تكرير النفط، والميناء، ومصنع ديشانيم للأسمدة (٢٣)، أما في مطلع الستينيات فلم تعد تلك الخلايا موجودة.

لقد كان اليسار أضعف في الحركة العمالية القومية. وحصل ماكي على ٤,٥ في المائة من الأصوات في انتخابات ١٩٥٥ لمؤتمر الهستدروت، وهي زيادة كبيرة على نسبة الـ ٢,٦ في المائة التي حصل عليها في ١٩٤٩. لكن مجموع الأصوات التي حصل عليها ماكي والمابام وحدثت هعفودا انخفض من ٣٧,١ في المائة إلى ٣٢,٥ في المائة خلال نفس السنتين. وفي عام ١٩٥٩ ظفر الماباي وحدثت هعفودا معاً بنفس العدد من المندوبين للمؤتمر الذي حصل عليه في ١٩٥٥، مثلما فعل المابام وماكي. وجرى الانتخابات للمؤتمر العاشر للهستدروت بعد انقسام ١٩٦٥ في ماكي. وحصلت قائمة ماكي بقيادة ميكونس وسنيه على ١,٦ في المائة من الأصوات، وذلك مقياس عادل لقوة الشيوعيين في صفوف الطبقة العاملة اليهودية وحصلت قائمة راکاح التي رأسها فلنر وطوبى على ١,٣ في المائة من الأصوات، معظمهم من العرب الذين كانوا يقترعون في انتخابات الهستدروت للمرة الأولى. وحصل المابام على ١٤,٥ في المائة من الأصوات، وكسب التحالف المكون حديثاً من الماباي وحدثت هعفودا على أغلبية ضئيلة جداً بنسبة ٥٠,٩ في المائة. تؤكد هذه النتائج الانتخابية المسار العام للطبقة العاملة اليهودية صوب اليمين - وهو اتجاه يتسق مع هيكل الاقتصاد السياسي لإسرائيل.

فقد بنى بن جوريون والماباي اقتصاداً سياسياً جمع بين مصادرة ملكية العرب، ووضع حدوداً على وصول العرب للوظائف المرغوبة من خلال سوق العمل مقسمة ومتراتبة على أساس قومي، وانضباط الطبقة العاملة عن طريق الهستدروت، والاستمرار في الاستيراد رأس المال من الغرب، ورفع مستوى المعيشة، والمواجهة الشاملة والمستمرة مع «العرب». ومن ثم، أصبحت مواقف ماكي والمابام بشأن النزاع العربي الإسرائيلي متفجرة جداً بالنسبة للغالبية العظمى من العمال اليهود. وإذا أصبح

الماباي قادرا على إشباع الاحتياجات المادية للعمال اليهود وحلفائهم السياسيين وعلى توفير إطار تفسيري متماسك لشرح أسباب النزاع العربي الاسرائيلي وطبيعته يعكس صدى التجارب اليهودية مع الإبادة الجماعية في أوروبا ووضع الأقلية غير الآمن في العالم العربي (والذي تفاقم بصورة كبيرة من جراء النزاع في فلسطين)، عندها تهاوت قوة ماكي بين العمال اليهود في النصف الثاني من الخمسينيات. وعلى الرغم من دفاع الحزب المستمر والنضالي عن المصالح الاقتصادية للعمال، فقد رفض العمال موقف الحزب بشأن النزاع العربي الاسرائيلي وتبنوا الخطاب السياسي الصهيوني القائم على الهيمنة مثلما عبر عنه الماباي. وقد وجد معظم هؤلاء طريقهم في نهاية المطاف إلى الليكود. كما فقد المابام تأييد عمال الحضر للسبب نفسه، وكذلك لأن اتجاهه الأول انصب على حركة الكيبوتسات، بيد أنه نظرا لأنه لم يكن هناك من ينكر أن المابام كان حزبا صهيونيا، ونظرا لأنه تخلى في أواخر الخمسينيات عن كثير من مواقفه الأصلية بشأن النزاع الفلسطيني / العربي - الاسرائيلي، فإنه لم يتأثر كثيرا بفقد الطبقة العاملة اليهودية لطابعها الراديكالي.

□ إزالة الطابع الراديكالي والسياسي عن الكيبوتسات

كانت حركة الكيبوتسات هي لبّ المابام ووفرت عددا كبيرا من ايدولوجيته ومسؤوليه ومناضليه. وعلى النقيض من نظرية هاشومير هاتسعير، التي كانت تعتبر الكيبوتسات طليعة للثورة الاشتراكية في اسرائيل، فإن المتطلبات المادية لبقاء الكيبوتسات باعتبارها وحدات اقتصادية في مجتمع رأسمالي كانت تتناقض مع الدور السياسي الذي رسمه كيبوتس ارتسى لنفسه وأدت لإزالة الطابع الراديكالي والسياسي عن معظم أعضائه. والمجذبت أقلية صغيرة من أعضاء الكيبوتس إلى اليسار، لكن الكيبوتسات عادة كانت قوة للاتجاه المحافظ داخل المابام. وقد تراءت هذه الحقيقة في انقسام العمال في قيادة الكيبوتس بين من كرسوا أنفسهم للمهام الاقتصادية وبين من كانوا يقومون بمهام سياسية. ولم يشترك الأفراد المسؤولون عن إدارة اقتصاد الكيبوتسات والتحركات الكيبوتسات بنشاط في الحياة السياسية للمابام، ولم ينضم أي منهم للجنح اليساري في الحزب.

نظرا لأن معظم رأسمال الكيبوتسات كانت قد قدمته الوكالة اليهودية = في شكل منح حتى ١٩٣٠، وبعد ذلك باعتباره قروطا منحة من الحكومة = فقد كان من الضروري الحفاظ على علاقات طيبة مع الأغلبية البرجوازية والديمقراطية الاجتماعية في الوكالة اليهودية والمنظمة الصهيونية العالمية. فحتى اليساريون في هاشومير هاتسعير قدروا هذه الحاجة، مثلما كتب أحدهم في صحيفة للحركة:

إن الحزب يواجه هذه المشكلة: ما هو موقفنا تجاه الحركة الصهيونية، حيث أنها تعمل كأداة للإمبريالية الانجلو أمريكية؟ من الواضح أن هذه المشكلة حادة جدا. لكنها دقيقة في الوقت نفسه، لأن أي هجوم قد نقوم به على الحركة الصهيونية قمين بأن يسبب في إبطال الدعم الاقتصادي الذي تعلقه كيبوتسات المابام (٢٤).

وكانت الكيبوتسات الأحدث تعتمد بصورة أشد على اتحادات الكيبوتسات، والمؤسسات الصهيونية، وعلى الدولة فى الحصول على الدعم الاقتصادى. وكان ما يزيد عن مائة كيبوتس أنشئت بعد ١٩٨٤ ستفلس لو لم تحصل على تلك المساعدة التى تلقاها من الوكالة اليهودية. وحتى منتصف الستينيات، كان معظم الكيبوتسات يعمل بخسارة. كما ان ١٢٢ كيبوتسا من ٢٢٨ كيبوتسا (من كل اتحادات الكيبوتسات) بقى يعتمد فى بقائه على دعم مالى من الوكالة اليهودية^(٢٥). وحتى فترة متأخرة وصلت حتى ١٩٦٣.

وقد أبقت الوكالة اليهودية والحكومة على الكيبوتسات ليس لأنها كانت تمثل طليعة الثورة الاشتراكية، وإنما لأنها لعبت دورا حيويا فى إقامة الوجود اليهودى فى المناطق التى كانت عربية من قبل ودافعت عن الحدود. وقد جعلت هذه المهام من الكيبوتسات مؤسسات قومية ضرورية، لكن الوعى الذى شكله دورها القومى قوض فى نهاية المطاف أى التزامات اشتراكية ثورية كانت لدى أعضاء الكيبوتسات، فيما عدا قلة صغيرة منهم.

تصادمت المصالح المادية للكيبوتسات عادة مع المطالب الاقتصادية والقومية لعرب فلسطين. ومثلما أوضح يوسى اميتاي، فإن إقامة الكيبوتسات فوق أراضى العرب كان أكثر التناقضات حدة بين النظرية والتطبيق فى موقف المابام بشأن العلاقات العربية الإسرائيلية^(٢٦). وحتى ١٩٤٨، كانت الكيبوتسات تعاني من نقص الأرض: ففي ١٩٤٧ زرعت ٣٠,٩ دونم لكل أسرة، وبحلول عام ١٩٥٢، ارتفع الرقم إلى ٨٨ دونما^(٢٧). وتحقق معظم هذه الزيادة لأن كثيرا من الكيبوتسات، بما فى ذلك الكيبوتسات المخضمة التى تلقى أعضاؤها تدريبا ايدولوجيا مكثفا، زاد من حيازاته من الأراضى بالاستيلاء على أراضى الفلسطينيين المهجرة أو احتلال الأراضى المصادرة من العرب الذين بقوا فى دولة اسرائيل، فى حين أقيمت الكيبوتسات الجديدة عادة على مثل هذه الأراضى كلبية^(٢٨).

كذلك كانت الكيبوتسات قوة مهمة وراء قبول المابام للوضع الاقليمى القائم بعد ١٩٤٩. وفى ١٩٤٧، كانت تسعة كيبوتسات من كيبوتس أرتسى (ربع العدد الإجمالى) قائمة فى أراضٍ خصصها مشروع الأمم المتحدة للتقسيم للدولة العربية. وكانت تسعة من الكيبوتسات الأربعة عشرة التى أقيمت فى ١٩٤٨-٤٩ أيضا خارج حدود مشروع التقسيم، مثلما كانت تسعة أخرى أقيمت فى مطلع الخمسينيات. وهكذا، بحلول ١٩٥٥، كان خمس الكيبوتسات التابعة لكيبوتس أرتسى فى أراضى خارج الدولة اليهودية كما حددها مشروع التقسيم.

إن تجارب كثير من الكيبوتسات الفنية التى أقيمت بعد ١٩٤٨ لم تدفعها نحو اليسار بل نحو التخلّى عن الطابع السياسى. وكانت كيبوتسات الحدود معزولة عادة عن الحياة السياسية والثقافية للبلاد. وكانت تتصادم بصورة منتظمة مع المتسللين الفلسطينيين أو تتنازع مع جيرانها

العرب حول الحدود وحقوق الرعى. وكانت الظروف المادية صعبة أحيانا بدرجة لا تترك سوى للقلة من الأعضاء الوقت والجهد اللازمين للمشاكل السياسية. ويتجسد تأثير مثل هذه الظروف على الوعي السياسى لأعضاء الكيبوتسات فى تجربة كيبوتسين تم إنشاؤهما فى فترة مبكرة من قيام الدولة فى طرفين متقابلين من البلاد: «سعسع» على الحدود اللبنانية، و«لاهاف» على «الخط الأخضر» جنوب غرب الخليل - وكلاهما قائم على أراضٍ خارج حدود الدولة اليهودية وفقا لمشروع الأمم المتحدة للتقسيم. وكان هذان الكيبوتسان اللذان اقيما فى منطقتين نائيتين وعسيرتين، يمثلان الصهيونية الاشتراكية الرائدة لهاشومير هاتسعير. وتكشف تجاربهما التناقض بين المتطلبات المادية للحياة الكيبوتس والمثل السياسية المعلنة للمابام.

فى ١٥ فبراير ١٩٤٨، هاجم البالما قرية سعسع (ويبلغ سكانها ١١٣٠ نسمة) التى تقع على أرض عربية بإجماع الآراء وتبعد إثني عشر ميلا عن أقرب مستوطنة يهودية. وكان الهجوم الذى تم فيه تدمير عشرين منزلا، عملية من العمليات الأولى فى الاستراتيجية الجديدة للبالما التى تقضى بالانتقام النشط من العرب، حتى أولئك الذين لم يهاجموا اليهود، «للتأثير على القرويين العرب وترويعهم»^(٢٩). وفى أواخر أكتوبر ١٩٤٨، تم فتح سَعَسَع خلال عملية حيرام. وأبلغ إسرائيل جاليلى اللجنة السياسية للمابام أن جيش الدفاع الاسرائيلى قتل المدنيين الذين رفعوا الأعلام البيضاء وطرد سكان القرية كلهم، وارتكبت أعمال وحشية مماثلة فى عدة قرى مجاورة خلال إكتساح قوات الدفاع الاسرائيلية للجليل الأعلى^(٣٠). وفى ١٣ كانون ثانى ١٩٤٩، استوطن نحو خمسين عضوا من هاشومير هاتسعير من الولايات المتحدة وكندا (انضم إليهم ثلاثون آخرون فى الشهر التالى وأعداد أكبر فى فترات لاحقة من العام) فى موقع بارد، منعزل فى منطقة استراتيجية، حيث عاشوا فى منازل العرب الباقية. وكانت معرفتهم بالبلاد وأحوالها ضئيلة. ومثلما عبر أحد المستوطنين، فقد كانوا يعتقدون أنه كان «غربا أن يروا يهوشوع رديان، المستشار الزراعى، من كيبوتس عين هاشوفيت يتجاذب أطراف الحديث مع عربى أو اثنين فى غرفة الطعام الخاصة بنا، باللغة العربية طبعا كان معظمنا لا يزال يشعر بغربة شديدة فى صحبة جيراننا»^(٣١).

وبعد وصول المستوطنين بفترة وجيزة، نسف جيش الدفاع الاسرائيلى، الذى احتفظ بوجود كبير فى الكيبوتس خلال السبعينيات، مسجد القرية. عارض بعض الأعضاء هذا العمل، لكن معظمهم، حسب ما جاء فى يوميات الكيبوتس، وافق على:

أنه ينبغي القيام بذلك. فليست هناك جدوى من الحفاظ على هذا الرمز لسكان أثبتوا، إذا ما نظرنا للحقائق ويدون عواطف، أنهم أعداؤنا الالقاء الذين لا تنتابنا النية فى السماح لهم بالعودة. لقد تعرض مظهر القرية كله للتغيير. إنها الآن ركام من الخرائب، ومع ذلك فإن معظمنا يتفقون على ان الأمر أفضل على هذا النحو. إن الخرائب المكشوفة، ومناخ العصور الوسطى - قد ولوا فى معظمهم الآن. فلنجئ بالبلدوزورات ولنزرع الاشجار^(٣٢).

إن اعتقادا عميق ومخلص بلاشك في العدل والمضمون التقدمي لمشروع البناء الصهيوني جعل كاتب اليوميات غير واع ذاتيا بصورة كاملة بحقيقة أن تحقيقه يقتضى استئصال شأفة المجتمع الذي كان قائما من قبل من أساسها بالمعنى الحرفي. وقد أعرب الكيبوتس عن تقديره لهذا الوجود السابق باكتراء العمال العرب لبناء كل مبانيه من الحجر بالأسلوب المعماري العربي.

واستوعبت الصعوبات المادية للاستيطان على قمم التلال بدون مياه جارية، وحرارة، أو نقل بالمحركات، كل طاقات الأمريكيين الذين لم يألفوا مثل هذه الظروف ولم يترك لمعظمهم سوى القليل من الوقت لتurf السياسة. ولم يشعر ياك ماتيك القائد العسكري لسعسع، بأى تأنيب ضمير لنسف المسجد. فنظرا لأنه كان من المستحيل بناء كيبوتس وفى وسطه مسجد، فقد كان يعتقد:

انه لا طائل من المناقشة ... هل نترك سعسع قبل أن نبدأ حقا فى بناء مستوطنتنا ونحاول حل النزاع العربى الاسرائيلى ككل بجميع مظالمه على كلا الجانبين تاركين بناء المستوطنة لينتظر؟

لم يكن الأمر جديدا بالنسبة لنا أن نعيش فيما كان من قبل قرية عربية ... ومن ثم، فلماذا التردد الآن؟ ففى مناقشات كثيرة من هذا النوع حيث تناسينا الاعتبار العملية واستسلم الناس للاتجاهات الايديولوجية لتحملهم بعيدا ... لم يُنجز شئ فى نهاية المطاف (٣٣).

وكان هناك آخرون أكثر حساسية للمعضلة الأخلاقية المتعلقة بتأسيس مجتمعهم على أنقاض مجتمع كان قائما من قبل ويذلوا جهدا كلاميا على الأقل لحلها. ففى اليوم الأول للمستوطنة كتب أحد أعضاء الكيبوتس:

إنى أفكر فى قرية سعسع المهجورة، التى دخلناها بمثل هذا التيه والنشاط هذا الصباح، وفى حياة العرب الذين عاشوا هنا. تجولت فى بعض الأكواخ، ونظرت للأوعية الفخارية المقلوبة، والحبوب، والكتب، وأحذية الأطفال، وشممت رائحة التدمير، عفنة ومنتنة، والتى كان كثيرون منها قد ألغوها فى فرنسا والمانيا. هل نقوم نحن أيضا بالتدمير والنهب، ونغزو قساة فى هذه الأرض التليدة، نحن كيبوتس هاى (الكيبوتس الخامس لهاشومير هاتسغير فى امريكا الشمالية)، الذين جننا من بعيد من آلاف الأميال، بمثلنا ورفضنا لأن نخضع للعفن؟ لقد انتقلنا لسعسع؛ انها ملكتنا؛ إننا مسؤولون عن افعالنا، حتى وإن كنا خاضعين للتوجيه والانضباط الذى تفرضه الوكالات القومية وقادة حركتنا. لكن هل أمامنا بديل، هل يمكن أن نتنحى جانبا، وأن نرفض تلطيخ أنفسنا أخلاقيا بما نفعله فى سعسع ونطالب بجزء آخر من الوطن نبني فيه بيوتنا؟ لا أعتقد ذلك؟ نحن لسنا مسؤولين عن هذا التناقض

القاسى والمفروض علينا! اننا نفضل التنازل عما نملكه لو استطعنا، إننا لا نكن أى عداء تجاه العمال والفلاحين العرب. لكننا أجبرنا على وضع ينبغي لنا فيه أن نحارب من أجل حياتنا وشعبنا، فالحياة اليوم تحددها الحدود، والحدود ينبغي الدفاع عنها مهما كان الثمن، ليس لنا الحق فى التخلي عن هذه المسؤولية الأخلاقية وتحويلها لآخرين. إن الكيبوتس الذى بنيناه فى سعسع سيكرس ليس لانبعاث شعبنا فحسب بل لانبعاث الإنسانية ومستقبل الإنسانية. وفيما يتعلق بى ويمعظنا إن لم يكن بنا جميعا. فإن هذا يشمل جيراننا العرب^(٣٤).

وسرعان ما روضت المشاغل العملية مثل هذه النزعة المثالية. فعندما وقف اثنان من العرب من قرية الجش المجاورة بعد انتخابات ١٩٤٩ ليناقشا البرنامج السياسى للمابام، لاحظ كاتب يوميات كيبوتس: «أنهما يبدوان شابين ذكيين، لكنه كان من الصعب جدا علينا أن نهتم بالسياسة حقا فى هذه الأيام القليلة الماضية»^(٣٥). وبحلول منتصف شباط، كان محصول التبغ، وهو أكثر ممتلكات سكان سعسع السابقين قيمة، قد عُبئ بواسطة العمال العرب وجرى نقله لمخزن الحكومة. وجعل وجود هؤلاء العمال العرب كاتب يوميات الكيبوتس يدرك «التعقيد الجهنمى للمسألة العربية... القائمة على عتبة بابنا مباشرة»^(٣٦).

إن للاهف ملامح اجتماعية مختلفة جذريا عن ملامح سعسع. فقد أقيم فى ٤ آب ١٩٥٢، بواسطة قدامى محاربى الصابرا التابعين لهاشومير هاتسعير من قرية حايم، رحوبوت، تباح تكفا، ومجموعة من الشباب الرومانى تعلم فى كيبوتس كفار مناحم الذى كان يعرف البلاد وأحوالها جيدا^(٣٧). لكن الأحوال المادية كانت متماثلة وقد تفسر التماثل السياسى بين الكيبوتسين ويقع لاهاف على مساحة شاسعة من الأراضى الزراعية الحدية فى شمالى النقب. وأبقى الافتقار إلى الماء الكافى من أجل الرى على الكيبوتس مديونا باستمرار، وكانت تدعمه الوكالة اليهودية حتى السبعينيات.

فى سعسع، سرعان ما رحل الكثيرون من المستوطنين الأوائل عقب وصولهم مباشرة لأنه كان لديهم خيار العودة إلى أمريكا. لكن لم يكن لمستوطنى لاهاف مكان آخر يذهبون إليه إلى أن أصبحت الوظائف الحضرية متاحة على نحو أكثر سهولة فى إسرائيل. وظلت نسبة عالية على نحو غير مألوف من المستوطنين الأصليين -نحو ٧٠ فى المائة- فى الكيبوتس حتى ١٩٥٧، عندما حفزت الفرص المعززة فى المدينة الكثيرين منهم على هجر مشاق حياة شبه صحراوية. أما بالنسبة لمن بقوا، فشكل الحرمان الاقتصادى، وتدهور المعنويات الاجتماعية، والبعد عن تل ابيب، والخلفية الريفية، حياة الحد الأدنى ثقافيا وسياسيا.

وكانت أراضى لاهاف قد ضمت قبل من قرى أم راما ميم وزاغ، وبدو لقية الأسد، شبه المستقرين. وقد هرب كثيرون من القرويين بعد أن احتل جيش الدفاع الاسرائيلى بئر السبع فى آخر تشرين الاول ١٩٤٨، وتم «ترحيل» الباقين عبر الحدود بعد إبرام اتفاقية الهدنة مع شرق الأردن فى

آذار ١٩٤٩. واستخدم الكيبوتس اثنان من البدو كعاملين زراعيين أجيرين فى الأراضى التى كانت تشغلها من قبل إحدى عشائريهما. وكان بعض أعضاء الكيبوتس يتجنبون الجلوس على مائدة واحدة مع هذين العاملين فى غرفة الطعام فى وقت الغذاء، على الرغم من أنهم تربوا على مبادئ هاشومير هاتسعير عن «أخوة الشعوب». وفى أحسن الأحوال، لم يكن معظم قاطنى لاهاف مبالين بجيرانهم العرب. وأصبح واحد من أبدا اهتماما بهم ضابط مخابرات عسكرية. وعمل آخر على إقامة متحف للثقافة البدوية أقيم قرب الكيبوتس فى ١٩٨٠. وليس هناك شئ فى المتحف يعترف بأن لاهاف كانت مأهولة من قبل بنفس البدو الذين يحتفون بثقافتهم ويقصرونها على المصنوعات الحرفية، فمعظم المعروضات عبارة عن مواد تم جمعها أثناء الاحتلال الإسرائيلى لسيناء وتلك إعادة توطين للملكية ثقافية تشير بصورة كئيبة ذكرى ترحيل كنوز مصر القديمة للمتحف البريطانى واللوفر.

لكن كل من لاهاف وسعسع كان فريداً بين مجموعتهما العمرية لان أعضاءهما أبدا تأييدا ضئيلا لليسار فى كيبوتس ارتسى. كان ضعف اليسار فى لاحاف ملحوظاً بصورة خاصة فى ضوء العدد الكبير من اليساريين ذوى الخلفية المماثلة (قدامى محاربى هاشومير هاتسعير من تل ابيب) فى شوفال القريب. ومع ذلك، فإن درجة نزع الطابع السياسى عن لاهاف وسعسع، وإن كانت استثنائية، لها دلالتها فقد كانا يجسدان حالتين مثاليتين «للريادة» التى استحوذت على إعجاب وتأييد باقى هاشومير هاتسعير والمابام. وتوضح تجربتهما صعوبة الاستمرار فى التزام مزدوج بمشروع الاستيطان الصهيونى والأهمية الاشتراكية.

وفى المناقشات التى أدت إلى توحيد المابام وخلال حرب ٤٨-١٩٤٩، تبنى أهaron كوهين واليعازر يعارى، وكانا من المتعاطفين مع العرب فى كيبوتس ارتسى، وجهة نظر متبصرة مشتركة تقول إن العلاقات العربية الاسرائيلية ستحدد مستقبل الدولة اليهودية. وتفسر حقائق حياة الكيبوتس وأهمية الكيبوتسات فى المابام السبب فى أن المناقشات فيما بين الأحزاب فى أوائل الخمسينيات لم تكشف المستور عن هذه القضية.

□ النظام القديم والحركة الوطنية المصرية

قامت الملكية المصرية على أساس اجتماعى مكون من اثنى عشر الف مالك لمساحات تبلغ خمسين فدانا أو أكثر (٤٪ ومن كافة ملاك الارض) كانوا يسيطرون على ٣٥ فى المائة من الأراضى الزراعية^(٣٨). وكان الملك فاروق يجلس على قمة هذه الكومة من الامتيازات التى تمنحها الأراضى، وكانت الأسرة المالكة من بين كبار مالكى الأرض. وكان ملاك الأراضى هم المتعاونين الأوائل مع العدو فى فرض الهيمنة الاوروبية، خاصة البريطانية، على الاقتصاد المصرى، وكان يتم تسويق محصول قطنهم -سلعة التصدير الرئيسية بالنسبة لمصر والعنصر الرئيسى فى الاقتصاد الوطنى- فى أوروبا من خلال شبكة يسيطر عليها الأوروبيون المقيمون، وأشباه الأجانب (المتمصرون)، والأقليات المحلية (وإن كانت مصانع الغزل والنسيج قد شرعت بدءاً من الثلاثينيات تستهلك نسبة متزايدة من القطن، وكانت هذه المصانع مملوكة للأجانب وأبناء البلاد على حد سواء). وأبقى نظام تصدير المحصول الواحد، وهو الدور المحورى للأجانب فى الاقتصاد، واعتماد الملكية على كبار زراع القطن، وأخيراً

حامية القوات البريطانية، مصر خاضعة للمصالح البريطانية على الرغم من الاستقلال الرسمي في ١٩٢٢.

وعلى الرغم من بقاء علاقات اجتماعية معينة لما قبل الرأسمالية في الريف ، فقد كان الاقتصاد الزراعي رأسماليا في الأساس. ونظرا للنزعة الاجتماعية المحافظة لكبار ملاك الأرض ومعارضتهم للإصلاح الزراعي، فقد اعتبروا على نطاق واسع «إقطاعيين» يعرقلون الاستقلال الوطني ويؤخرون التنمية الصناعية، ومع ذلك فقد كانت هناك أقلية استثمرت في الصناعة في فترة مبكرة ترجع إلى ١٩٢٠، من خلال تمويل بنك مصر. وقام الوفد، ويعتبر «مظلة» لقوى عديدة مثل حزب المؤتمر، خلال انتفاضة ١٩١٩ الوطنية ورفع علم الوطنية العلمانية والديمقراطية الليبرالية خلال عصر الملكية كله. بيد أنه بحلول منتصف الثلاثينيات، أصبح النفوذ المتزايد لكبار ملاك الأرض في قيادة الحزب عقبة أمام قدرة الوفد على تحقيق برنامجه المعلن.

وكانت الطبقة الوسطى الحضرية ذات التعليم الغربي، الأفندية، تشكل فئة المناضلين النشطاء في كافة الأحزاب والحركات السياسية خلال عصر الملكية وأدت خيبة الأمل إزاء فشل الوفد في إنهاء الاحتلال البريطاني وتزايد نزعته المحافظة، ونقص فرص التوظيف للحريجي المدارس الثانوية والجامعات، وتأثير كل من الايديولوجيتين الفاشية والشيوعية اللتين تحدتا سلطة الامبراطورية البريطانية على النطاق العالمي، بالافندية إلى أن يصبحوا راديكاليين في أواخر الثلاثينيات، وبرزت من هذه البيئة السياسية، الحركة الشيوعية لما بعد الحرب العالمية الثانية. وسعى الطلاب والحريجون الشبان الذين اكتسبوا طابعا راديكاليا للتحالف مع حركة العمال الناهضة، واستولوا على قيادة الحركة الوطنية من الوفد، وطعموها ببرنامج اجتماعي تقدمي. وتبدت القوة الكامنة للتحالف بين الطلاب الذين اكتسبوا طابعا راديكاليا والنقابيين المناضلين أولا في إقامة اللجنة الوطنية للعمال والطلبة، التي تشكلت في خضم معارك الهبة الوطنية في أغسطس (آب) ١٩٤٥ - يوليو (تموز) ١٩٤٦، وقادها الشيوعيون والوفديون اليساريون الشبان المنظمون في الطليعة الوفدية.

وبعد أن تعافى التحالف الوطني للجناح اليساري من حملة القمع الحكومية في يوليو (تموز) ١٩٤٦، أكد وجوده في شكل موجة من الإضرابات ومظاهرات الطلبة من سبتمبر (ايلول) ١٩٤٧ إلى سبتمبر (ايار) ١٩٤٨. وأتاح قرار الحكومة المصرية بأن «تهب لنجدة» عرب فلسطين بشن حرب غير مخططة، مصحوبا بإعلان الأحكام العرفية واعتقال المعارضة السياسية، أتاح للملكية أن تهزم هذه الهبة الوطنية الثانية فيما بعد الحرب العالمية الثانية. كان هذا هو السياق المحلي المباشر لقرار الشيوعيين المصريين بتأييد تقسيم فلسطين، وبالإضافة لذلك، كشف فشل الحملة العسكرية واقتضاح أن الاسلحة الفاسدة قدر وردها أصدقاء فاروق للجيش، فساد الملكية وعجزها عن الحكم. مع ذلك، ظل النظام قادرا على كبح جماح كل معارضة: فقد تم سجن الشيوعيين باعتبارهم صهاينة، وجرى حل جمعية الاخوان المسلمين الراديكالية وحبس كثيرين من أعضائها، وأبعد الوفد عن السلطة بانتخابات جرى التلاعب فيها في ١٩٤٤ بتستر من المحتلين البريطانيين.

بقيت الملكية في السلطة، على الرغم من عجزها عن حل المشكلات الاقتصادية الملحة لمصر

وتحقيق جلاء القوات البريطانية، لأن القاعدة الاجتماعية للمعارضة كانت متباينة وعاجزة عن التوحد. وكانت الولاءات السياسية للأفندية موزعة عبر دائرة الطيف السياسية كلها. وكانت الطبقة العاملة صغيرة تفتقر حركتها العمالية للخبرة السياسية اللازمة لقيادة الحركة الوطنية بأسرها، وقد اعترف الشيوعيون بذلك. ولم يكن فقراء الفلاحين، والمزارعون بالمشاركة، والعمال الأجراء في الريف، الذين تنالهم أكبر المظالم من النظام الاجتماعي السائد، منظمين، بينما كانت المشاركة الفعلية بالسياسة نشاطا مركزا في القاهرة. وفي حين كان للوفد شبكة واسعة من التأييد في الريف، فإن تعبئة الفقراء والمعدمين كانت ستهدد مصالح أغنياء الفلاحين -مصدر قوة الحزب في الريف- وكذلك كبار ملاك الأرض في التسلسل الهرمي للحزب. وعندما عاد الوفد للسلطة لآخر مرة في ١٩٥٠، فإن التناقض بين النزعة الاجتماعية المحافظة لزعمائه من الملاك، والنبض الديمقراطي الراديكالي للطليعة الوفدية، جعله عاجزا. ولعجزه عن القيام بإصلاحات كبيرة لإنقاذ الملكية، فقد اكتسحته الموجة الثالثة للحركة الوطنية الجماهيرية فيما بعد الحرب، والتي استمرت من أكتوبر ١٩٥١ حتى يناير ١٩٥٢.

□ انقلاب ٢٣ يوليو ١٩٥٢

كان لمشروعية النظام الذي أقامه انقلاب ٢٣ يوليو ١٩٥٢ العسكري، أساس بسيط. فعندما ثبت عجز كافة القوى السياسية المدنية عن القيام بعمل حاسم، قام الجيش وأنجز بنجاح المهام التي كانت تعتبر على نطاق واسع مهام ضرورية، سواء من قبل الطبقتين الدنيا والوسطى أو من قبل الطبقة الصغيرة من رجال الصناعة المصريين: إنهاء الفساد السياسي واستغلال السلطة من قبل الملكية، والحد من السلطة الاقتصادية والاجتماعية لكبار ملاك الأرض وطبقة رجال الأعمال الأجانب وأشباه الأجانب، باتفاقية وقعت في تشرين الأول ١٩٥٤. وقد تطلب إنجاز هذه المهام إنقاص النفوذ الأوروبي بصورة جذرية على كافة مستويات المجتمع المصري.

شجعت السفارة الأمريكية ووكالة المخابرات المركزية جمال عبد الناصر والضباط الأحرار في حركتهم للإطاحة بالملكية، تسليما منهما بالحاجة للإصلاح الاجتماعي ويأمل الحلول محل البريطانيين باعتبارهم القوة السائدة في مصر. بيد أن عبد الناصر لم يستطع أن يذعن لمطالب الأمريكيين بأن تنضم مصر لحلف عسكري إقليمي يسمح بوجود قوات أجنبية على أرض مصر دون أن يخاطر بادعائه في أن له مشروعية سياسية. فحتى حكومة الوفد الأخيرة في ظل الملكية، رفضت أن تشترك في منظمة الدفاع عن الشرق الأوسط المقترحة، معترفة بأن مثل هذا الانتماء لن يقبله الرأي العام المصري أبدا، لأنه معبأ تحت شعارات مثل «الجلاء العاجل» و«الاستقلال التام»، و«مصر للمصريين».

ورغم أن الضباط الأحرار تبنوا المطالب الاجتماعية للحركة الوطنية بطريقة غامضة وعامة، فقد كان برنامجهم الاقتصادي المبكر محدودا ومحددا بطريقة على نحو ملتبس بأنه يعارض «الإقطاع» ويقيم «العدالة الاجتماعية». ومن ١٩٥٢ إلى ١٩٥٦ شجع مجلس قيادة الثورة رأس المال الخاص على تنمية الاقتصاد الوطني. ولم يكن يتصور الأخذ بسياسات التأمين والتخطيط الاقتصادي التي اعتمدت بعد حرب السويس / سيناء.

كان الإصلاح الزراعى فى ٩ ايلول ١٩٥٢، هو الإصلاح الاقتصادى الهيكلى الوحيد الذى اعتمد قبل حرب ١٩٥٦. وباسترجاع الأمور، يتضح أوجه نقص كثيرة فى الإصلاح الزراعى، مع أن له أهمية كبيرة، كما أنه اقنع كثيرين من المصريين بأن النظام الجديد كان ملتزما بالإصلاح والعدالة. وكان الإصلاح الزراعى الذى لم يستلهم الجماعية الاشتراكية وإنما استلهم الهدف الليبرالى للنهوض بصغار الملاك من الفلاحين، يهدف إلى إغراء أقطاب ملاك الأرض بتحويل رأسمالهم إلى الصناعة، ولم تكن مصادرة الملكية، وانتزاعها كعقوبة ثورية، وسحق كل بقايا الطبقة الحاكمة القديمة جزءا من البرنامج. وتم الاستيلاء كلية على أراضى الأسرة المالكة فقط، أما كبار الملاك الآخرين فسمح لهم ببيع ملكيتهم أو إعادة تقسيمها قبل سريان القانون وحصل من تقاعسوا عن تقليل حيازاتهم إلى حدود مائتى فدان زائد مائة فدان للأبناء الذين يعولونهم، على سندات حكومية تدر فائدة ٣ فى المائة كتعويض عن أراضيهم. وكانت الحكومة تأمل فى أن تصبح هذه السندات صكوكا قابلة للتداول وأن يتم استثمار عوائد بيعها فى الصناعة. كما توقعت أن يودى الإصلاح الزراعى إلى توسيع السوق أمام المنتجات الصناعية المصرية عن طريق توافر مزيد من الدخل للفلاحين الذين سيزيدون إنتاجهم بفضل امتلاكهم للأرض لينفقوه على السلع الاستهلاكية^(٤١). وفى حين أن الأرض التى أعيد توزيعها لم تكن كافية لتوفير مساحة قادرة على البقاء (وهذه تعتبر بصفة عامة مساوية الخمسة أفدنة) لكل من يريد الفلاحة، فقد حطم الإصلاح الزراعى وحظر الاحزاب السياسية للنظام القديم كافة، السلطة السياسية لكبار ملاك الأرض.

ولم يكن هذا البرنامج الاقتصادى يتعارض مع تأييد الولايات المتحدة لمجلس قيادة الثورة، بل اعتمد فى بعض جوانبه على المشورة الأمريكية. كما اتجهت مصر للولايات المتحدة لشراء الأسلحة لإعادة بناء جيشها. لقد اعتبر الحصول على السلاح قضية عاجلة للأمن القومى فى أعقاب الهزيمة المخزية على أيدي اسرائيل، كما كان شرطا ضروريا للاحتفاظ بولاء هيئة الضباط فى السنوات الأولى للنظام الجديد، الذى لم يكن قد استقر بصورة كلية. ورفض وزير الخارجية جون فوستر دلاس الاعتقاد بأن نظاما مصرية برفض الانضمام لحلف عسكرى غربى ويطالب بأن تحذو الدول العربية الأخرى حذوه، يعمل بوحي من دافع وطنية محلية المنشأ، وذلك على الرغم من رأى الذى عبر عنه كثيرون من الدبلوماسيين المحترفين ومسؤولى وكالة المخابرات المركزية. وهكذا، فعندما ربطت الولايات المتحدة مبيعات السلاح والمعونة الاجنبية بشروط اعتبارها عبد الناصر انتهاكا للسيادة المصرية، اضطر مجلس قيادة الثورة للتخلى عن اتجاهه الأمريكى والتحول بدلا من ذلك لحركة عدم الانحياز والكتلة السوفيتية.

□ مجلس قيادة الثورة والطبقة العاملة

لم ينعكس التحول إلى الاتحاد السوفيتى مباشرة فى السياسات الاجتماعية للنظام. وواجه مجلس قيادة الثورة نفس المعضلة التى واجهتها نظم كثيرة وهى تبنى الدولة: كيف تعبئ الأمة مع الحفاظ على السلام الاجتماعى والانضباط. وتمثل رد فعله فى إحباط كل أشكال العمل الاجتماعى التى لا تستلهمها الحكومة أو سلسلة الأحزاب الوحيدة التى أقامها - هيئة التحرير، الاتحاد القومى، والاتحاد الاشتراكى العربى. وأصبحت الحكومة حينذاك، تعتبر نفس المطالب والمظاهرات والإضرابات

التي كان كثيرون من الوطنيين يستحسنونها قبل الانقلاب، استفزازات وتهديدات للسلام الاجتماعي قد تزعزع النظام الوطني الجديد، وتعرقل التنمية الاقتصادية لمصر. وجرى مراقبة دقيقة للطلبة والعمال -القاعدة الاجتماعية الأولى للياسار عقب الحرب-، رغم أن غالبية المجموعتين على حد سواء أيدت النظام بسبب دعوته الوطنية الجذابة، على الرغم من طابعه غير الديمقراطي والشكوك بشأن فعالية اتفاقية الجلاء الانجليزية المصرية.

بغية تفادي أى توقف فى الإنتاج والإبقاء على مناخ جذاب لاستثمار رأس المال الخاص، شن مجلس قيادة الثورة حملة قمع كثيفة ضد أعضاء الجناح اليسارى فى الحركة العمالية^(٤٢). وإذ رفض صراحة الرأى القائل بأن هناك، أو أنه لابد أن يكون هناك، صراع بين الطبقات فى المجتمع المصرى، فقد سعى إلى عزل، والقضاء على القادة النقابيين المناضلين، خاصة الشيوعيين ومن كانوا على استعداد للتحالف معهم، وأحل محلهم عناصر موالية لمجلس قيادة الثورة وتابعة له إلى حد ما. ولاشك أن الذين لم يتم سجنهم أو إبعادهم، قد تم ترويعهم بعد ما رأوا ما حدث لمن تجاوزوا الحدود المقبولة التى حددها النظام. لقد كان قمع الجناح اليسارى فى الحركة العمالية عنصرا أساسيا فى استراتيجية مجلس قيادة الثورة العمالية وسبق أى تدابير للإصلاح العمالى اتخذت فى نهاية المطاف.

ويمكن رؤية المثال الأكثر حدة لهذا القمع فى رد فعل مجلس قيادة الثورة إزاء الاضراب وأعمال الشغب فى شركة مصر للغزل الرفيع والنسيج فى كفر الدوار فى ١٢ أغسطس (آب) ١٩٥٢. فرغم أن العمال المضربين كانوا يؤيدون النظام الجديد بصورة واضحة، متوقعين أن يلبي مطالبهم الاقتصادية، فقد تدخل الجيش وترتب على ذلك صدام عنيف. وحاكمت محكمة عسكرية عقدت على عجل اثنين من العمال، مصطفى خميس ومحمد البقرى وقضت عليهما بالإعدام. وأصبح الإعدام صيحة حرب للعمال الذين عارضوا النظام، ولم يكن صدفة أن أصبح هذا المصنع للغزل والنسيج مركزا للنفوذ الشيوعى فى منتصف الخمسينيات.

نتج التدخل العسكرى فى كفر الدوار عن اقتناع بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة بأنه ينبغي لتشجيع رأس المال الخاص الصناعى من قبل المصريين والأجانب على حد سواء، قمع النزعة التضالية العمالية التى كانت سمة بارزة للأزمة الاجتماعية فى السنوات الأخيرة للملكية. وكان الدافع وراء قرار إعدام الخميس والبقرى، هو خوف لامبرر له من أن الشيوعيين هم الذين نظموا إضراب كفر الدوار. وكان عبد المنعم أمين الذى رأس المحكمة العسكرية التى وجدتهما مذنبين، معروفا بصلاته الوثيقة بالسفارة الأمريكية وينادى بتشجيع استثمار رأس المال الأجنبى فى مصر.

دفع التزام النظام الجديد بالتنمية الصناعية، الدولة للتماس علاقة جديدة مع الطبقة العاملة. وكانت إصلاحات السياسة العمالية مطلوبة للحد من النزاعات الصناعية، زيادة القرة الشرائية للعمال، والتشجيع على زيادة الإنتاجية. وحقت القوانين ٣١٧ و ٣١٨ و ٣١٩ الصادرة فى ١٩٥٢، كثيرا من مطالب الحركة النقابية التى طال عليها الأمد. وفى آذار ١٩٥٣، عندما كان مجلس قيادة الثورة والوزارة ينظران فى قانون لتشجيع استثمار رأس المال الأجنبى، وافق جميع أعضائه فيما عدا خالد محبى الدين على أن تشجيع مثل هذا الاستثمار، يجعل من الضرورى تعديل قانون عقد العمل

الفردى لإعطاء أرباب الأعمال مزيداً من الحرية فى فصل العمال تعسفياً - أى فصل العمال لا خطأ فى التصرف أثناء العمل وإنما فقط بسبب إجراء تخفيضات فى الإنتاج أو لاعتبارات أخرى تتعلق بالسوق^(٤٣). وقدم خالد محبى الدين، الذى كان وثيق الصلة بالحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى، خطاب استقالة بسبب هذه القضية. بيد أن عبد الناصر تدخل، وتم حل الأزمة باتفاق على منع أرباب الأعمال من فصل العمال بسبب نشاطهم النقابى - رغم أن هذا الحظر طبق بصورة فضفاضة فى التطبيق العملى. ونجحت قوى الإصلاح المالية للعمال من خلال اللوائح والتشريعات اللاحقة فى الحد بدرجة أكبر من قدرة أرباب الأعمال على إغلاق المصانع وتسريح العمال أو فصلهم^(٤٤).

تفسر التحسينات التى أدخلت على التشريع العمالى والاهتمام الخاص الذى أولاه مجلس قيادة الثورة لإقامة علاقات طيبة مع القادة النقابيين تفسر السبب فى أن عبد الناصر حظى بتأييد نقابى عام فى صراعه على السلطة مع محمد نجيب خلال أزمة مارس ١٩٥٤^(٤٥). وإجمالاً، أصبحت الحركة العمالية المنظمة ترى فى الدولة حليفاً موثقاً به - وذلك تغيير مثير عن عصر الملكية. لكن التزام الدولة بمصالح العمال كان مقصوراً على هدفها فى التنمية الصناعية وعدم استعدادها للسماح للحركة العمالية بأن تمارس حتى ذلك القدر المحدود من الاستقلال الذاتى المدنى الذى خطيت به فى ظل الملكية. ورغم أن التشريع العمالى الجديد الذى أصدره النظام نص على ضمان الوظيفة، وزيادة الأجور، وتشجيع النقابات، فقد كان تطبيق هذا التشريع بعيداً عن أيدي العمال أنفسهم بصورة كاملة. وكان الدليل الأشد حسماً على نية مجلس قيادة الثورة على الحد من العمل الجماعى للطبقة العاملة هو قراره بإعلان أن الإضرابات محرمة قانوناً، وبهذا لم يكن للعمال وسيلة لضمان تنفيذ التشريع الجديد. وأبرمت صفقة ضمنية غير معلنة: لا إضراب، مقابل عدم الفصل بدون سبب. ومع ذلك، فإنه فى ظل عدم وجود خطر للإضراب على نحو يحظى بالمصداقية، كان أرباب الأعمال يلجأون إلى كل وسيلة للتهرب من القانون.

ورغم تشجيع تشكيل النقابات فرادى، فقد رفض مجلس قيادة الثورة السماح بتكوين اتحاد وطنى للنقابات فى خريف ١٩٥٢، على الرغم من وعوده على النقيض من ذلك، لأنه كان يخشى من النفوذ الذى قد يحظى به اليسار فى مثل هذا التنظيم. وبدلاً من ذلك، وافق المجلس على إقامة المؤتمر الدائم للنقابات المصرية باعتباره منتدى خاضعاً للسيطرة يتيح للنقابيين أن يقيموا حواراً مع النظام. واستقال بعض المشتركين فى هذه الهيئة احتجاجاً على محاولات الرائد أحمد عبد الله طعيمة التدخل فى الشؤون النقابية. (باعتباره مديراً للشؤون النقابية فى هيئة التحرير، كان طعيمة مكلفاً بكسب تأييد النقابات للنظام الجديد). تأخر تشكيل الاتحاد العام لنقابات مصر حتى ٣٠ يناير (كانون الثانى) ١٩٥٧، وحتى عندئذ لم تدع الحكومة فرصة للتحكم فى التكوين السياسى لقيادة الاتحاد. فببساطة قدمت الحكومة مرشحيتها للمكتب التنفيذى للاتحاد ولم تكن هناك ترشيحات من القاعدة، ولم تجر انتخابات. واستمرت الحكومة تُعين المجلس التنفيذى للاتحاد لعدة دورات أخرى^(٤٦).

وكان أحمد فهمى، نائب رئيس الاتحاد وممثل نقابات عمال الغزل والنسيج، هو العضو الوحيد فى المكتب التنفيذى المرتبط باليسار فى الحركة العمالية، رغم أنه كان براجماتياً ولم يكن شيوعياً أبداً.

وكان قد ساعد فى ١٩٤٢ على تشكيل نقابة منفصلة لمشرفى عمال الغزل والنسيج فى شبرا الخيمة، من ضواحي القاهرة، مما أضعف كلا من وحدة العمال والنفوذ الشيوعى. وفى ربيع ١٩٥٥، ضغط مجلس قيادة الثورة على عدة نقابات لتسحب أعمالها القانونية من مكتب يوسف درويش، الذى كان شخصية بارزة فى ترسيخ نفوذ مجموعة الفجر الجديد بين النقابيين منذ أن أصبح المستشار القانونى لنقابة عمال الغزل والنسيج فى شبرا الخيمة فى ١٩٤٢. ووافق فهيم على تحويل أعمال نقابة عمال الغزل والنسيج فى القاهرة، التى كان رئيسا لها حينذاك، إلى محام آخر^(٤٧). ربما كان تعيين احمد فهيم فى المكتب التنفيذى للاتحاد العام لنقابات مصر تنازلا للقوة المستمرة لليسر فى صناعة الغزل والنسيج، لكن النظام كان يسعى بوضوح إلى استغلاله لاحتواء النزعة النضالية للعمال ووضع اليسار تحت سيطرة الحكومة.

على الرغم من قمع مجلس قيادة الثورة ليسار الطبقة العاملة، فإن إنشاء نظام اتحادى للرقابة العمالية والتحسينات الحقيقية فى ضمان الوظيفة ومستويات معيشة عمال الصناعة المنظمين، أكسب النظام تأييد معظم القادة النقابيين. وبالطبع، فقد انتقد الشيوعيون السياسات العمالية للنظام، لكن هذا الانتقاد تناقص تأثيره مع تقويض قاعدة التأييد لحركتهم فى صفوف الطبقة العمالية نتيجة للقمع والإصلاح. وبالإضافة لذلك، فإنه عندما بدأ الشيوعيون بأعادة تقييم موقفهم تجاه النظام فى ١٩٥٥، كان الدافع يكمن أساسا فى السياسة الخارجية المعادية للامبريالية التى اتبعتها الحكومة، ومن ثم، أصبح النضال الاقتصادى للعمال والمسائل الاجتماعية الأخرى، خاضعين إلى حد كبير لمهمة الوحدة مع النظام ضد العدو الامبريالى.

٣ الحركة العمالية وحرب ١٩٥٦

خلال أزمة السويس وحرب ١٩٥٦، حشدت النقابات التأييد لتأميم قناة السويس وشاركت بنشاط فى الدفاع الوطنى. ودعا القادة النقابيون لإضراب عام فى ١٦ أغسطس (آب) ١٩٥٦، يتواكب مع مؤتمر لندن إعرابا عن التأييد لتأميم قناة السويس. وجمعت نقابات كثيرة تبرعات مالية من أعضائها لمساعدة المجهود الحربى. وحث اتحاد الغزل والنسيج نقابيه على أن ينحوا جانبا المنازعات العمالية خلال الحرب، وتمت زيادة الإنتاج فى بعض المصانع. ونظمت اللجنة النقابية للمقاومة الشعبية العمال لمساندة الدفاع الوطنى، وأقام القادة النقابيون إلى جانب العمال العاديين ما يزيد على خمسين لجنة محلية، ضم البعض منها مئات الأعضاء.

ورغم أن الحكومة رحبت بمعظم أعمال النقابات الخاصة بأزمة السويس، فقد شعرت بالخطر من الأنشطة التى قد تغير توازن القوى داخل النظام. فعلى سبيل المثال، نظرت باسترابة إلى إقامة اللجنة النقابية للمقاومة الشعبية بسبب بروز دور الشيوعيين واليساريين الآخرين فى التنظيم. وبالنسبة لليسر فى الحركة العمالية، كان لصورة الطبقة العاملة المسلحة التى تدافع عن الوطن تداعيات إيجابية فتحت أفاقا سياسية جديدة. لكن الحكومة لم تستطع أن تقبل احتمال وجود عمال مسلحين يقودهم الشيوعيون، حتى وإن كان الهدف من تسليح العمال هو الدفاع عن التراب الوطنى لمصر وفى

٢٦ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٥٦، أغلقت المكتب القانونى ليوستف درويش، وهو منظم بارز للجنة، رغم أنه أعيد فتحه فى ٦ كانون الأول فى أعقاب احتجاجات من العمال وغيرهم^(٤٨). وعقب الحرب، تم حل لجنة المقاومة الشعبية على عجل.

وقد حاول اليسار خلال الحرب وبعدها أن يؤكد الدور الذى لعبه العمال باعتبارهم عمالا فى أزمة السويس، وكان ذلك موضوعا سياسيا ظهر مرارا فى صفحات المساء^(٤٩). ونشر أربعة من النقابيين المعروفين - فتحي كامل، واحمد فهميم، وسيد عبد الوهاب ندا، ونور سليمان جاسر - كتابا يصف اسهام الطبقة العاملة فى المجهود الحربى. وعددوا فيه من جديد صور التعبير الحماسى عن التأييد لمواقف الحكومة المعادية للإمبريالية والوطنية، مؤكدين أن العمال «لعبوا أهم دور فى هزيمة الامبريالية»^(٥٠). بيد أن هذه العبارة التى كان القصد منها إرساء أساس وطنى مشروع لتحقيق مطالب العمال الاقتصادية والسياسية، أعلنت للطبقة العاملة دورا سياسيا يتجاوز كثيرا ما كانت الحكومة مستعدة لقبوله.

كما كان هذا الكتاب جديرا بالاهتمام لأنه صدر عن دار الفكر للنشر التى كان يديرها الحزب الشيوعى المصرى الموحد، خليفة الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى حدثوا. وكان ندا وجاسر عضوين فى الحزب الشيوعى المصرى الموحد، فى حين كان لفهميم وكامل تاريخ فى التعاون مع الشيوعيين. ومن ثم فقد شكل نشر هذا المجلد محاولة لإعادة بناء تحالف تقدمى، كانت الملكية ومجلس قيادة الثورة فى ١٩٥١ و١٩٥٢ قد اعترضوا محاولاته لتنظيم اتحاد عام للنقابات. وكان القصد من لجان المقاومة الشعبية وإعلان الدور القيادى للطبقة العاملة فى النضال المعادى للإمبريالية، هو الإعراب عن رؤية للناصرية أكثر راديكالية مما تتبناه الحكومة نفسها وتطبيقها. وكان الشيوعيون وحلفاؤهم ممن دافعوا عن هذا المنظور، يرون الطبقة العاملة باعتبارها طليعة جبهة وطنية متحدة ضد الإمبريالية، وعلى النقيض من ذلك، كانت الحكومة تنظر للطبقة العاملة باعتبارها عنصرا واحدا فقط فى تحالف للقوى الشعبية يقوده الجيش فى الواقع. وحتى عندما شرع عبد الناصر فى تنفيذ سياسات اقتصادية جديدة يتبناها الشيوعيون بحماس، فإنه لم ينظر أبدا فى تخفيف قيود الرقابة الاجتماعية على الطبقة العاملة.

□ الرأسمالية الموجهة

فى ١٩٥٧، شرعت الحكومة فى انتهاج سياسة اقتصادية جديدة وصفها باتريك اوبريان بطريقة ملائمة بأنها «رأسمالية موجهة». وفى كانون الثانى، أقيمت لجنة التخطيط القومى، وفى الشهر نفسه أقيمت المؤسسة الاقتصادية لتدير الممتلكات الأجنبية المصادرة بعد حرب السويس/ سيناء فى ١٩٥٦ وكل المشروعات الصناعية والتجارية المملوكة ملكية عامة. فنظرا لأن البورجوازية المصرية ورأس المال الأجنبى الخاص تقاعسا عن الاستثمار فى المشروعات الصناعية الأساسية بمبادرة منهما، فقد اغتنمت الحكومة الفرصة السانحة حينذاك التى وفرها الاستيلاء على قدر كبير من رأس المال الأجنبى لتنفيس بصورة أوثق فى توجيه الاقتصاد. وقبل نهاية ١٩٥٧، أعلن عبد الناصر أن طريق

مصر للتنمية الاقتصادية هو طريق «الاشتراكية الديمقراطية التعاونية». وكان التشجيع لا يزال مستمرا لرأس المال «الوطني» ليلعب دورا في تنمية الإنتاج، لكن لم يكن مسموحا له بأن يمارس سلطة حاسمة على الحكم. وقد عكست هذه السياسات الأهمية النسبية لرأس المال الخاص والعام في مصر. ففي ١٩٥٢-٥٣، تم ٧٢ في المائة من تكوين رأس المال في القطاع الخاص، وبحلول ١٩٥٩-٦٠ كانت الدولة مسؤولة عن ٧٤ في المائة من أجمالى تكوين رأس المال^(٥١).

بيد أنه خلافا لتوقعات كثيرين من الشيوعيين، فإن التحول فى ميزان رأس المال الخاص والعام لم يؤد تلقائيا إلى تغيير مثير فى العلاقات الاجتماعية بين العمل ورأس المال. وتبنت قوى قادرة داخل الحكومة نفسها تفسيراً محافظاً للسياسة الاقتصادية الجديدة. فقد أكد وزير المالية والاقتصاد، عبد المنعم القيسونى، وهو تكنوقراطى له نفوذه ونصير قوى للاستثمار الأجنبى والمشروع الخاص، أن الحكومة أقامت المؤسسة الاقتصادية لتشجيع الاستثمار، وليس للتنافس مع المشروع الخاص^(٥٢). وأعلن سيد مرعى ووزير الزراعة الاصلاح الزراعى، ومن كبار ملاك الأرض السابقين، أن حق تشكيل النقابات ينبغى ألا يشمل عمال الزراعة، وهم قسم جد كبير من قوة العمل الأجيبة^(٥٣). وفى فبراير (شباط) ١٩٥٩، صنف قرار وزارى مستخدمى هيئة النقل باعتبارهم مستخدمين حكوميين ومن ثم لا يحق لهم الانضمام للنقابات، وبناء عليه تم حل نقاباتهم بأثر رجعى وحولت أموالها لوزارة الشؤون الاجتماعية والعمل^(٥٤). وبحلول ١٩٥٩، تراجعت الدعوة للاشتراكية الديمقراطية التعاونية عن الصدارة، فى حين شجعت خطب عبد الناصر رأس المال الخاص وطمأنته بصورة متواترة^(٥٥). وبدا أن الحكومة تبتعد عن موقف التعاطف المعلن رسميا مع العمال والنقابات.

واصطحبت المناقشات داخل أعلى مجالس الدولة وبين الدولة والعمال الراديكاليين بشأن المضمون الفعلى للاشتراكية الديمقراطية التعاونية، باحتدام المنازعات الصناعية^(٥٦). وأوردت الأعمدة العمالية فى المساء، بصورة منتظمة، أنباء المنازعات العمالية التى لم تكن أسبابها وظروفها تختلف كثيرا عن تلك الخاصة بالنظام القديم. واستمر العمال فى الشكوى من الأجور المنخفضة، والبطالة، والفصل من العمل بسبب تخفيض الإنتاج أو استخدام المكننة. واستمرت مشروعات كثيرة فى فرض الانضباط العمالى بخصم غرامات من أجور العمال. وظل العمل بعقد هو الأسلوب المألوف فى صناعات معينة خاصة التشييد والعمل فى التفريغ والشحن. وظلت فئات معينة من العمال خارج إطار قانون عقد العمل الفردى. وكانت العقود الجماعية نادرة، رغم أن القانون يجيزها. وكانت الفعاليات النقابية تتعرض لضغوط عديدة من أرباب الأعمال، بما فى ذلك الفصل المتكرر من وظائفهم. واستمر أرباب الأعمال يسيئون استخدام فترة الاختبار التى تمتد ستة أشهر بفصل العمال قبل أن يكملوا فترة الاختبار مباشرة، وربما يعيدون اكتراءهم بعد ذلك مباشرة لفترة اختبار ثانية، وقد أتاحت هذه الممارسة لأرباب الأعمال أن يتهربوا من دفع أجر الحد الأدنى وكذلك التملص من القيود المفروضة على فصل العمال المؤهلين بصورة كاملة. كما استطاعوا بهذا استبعاد العمال المناضلين ومنعهم من الحصول على وظائف دائمة. وكان سوء استخدام فترة الاختبار منتشرا بصورة خاصة فى صناعة الغزل والنسيج، حيث كان اتحاد العمال يطالب بقوة بتقصير فترة الاختبار، وقصرها

على فترة واحدة لكل عامل لدى نفس رب العمل، ونقل فترة الاختبار من رب عمل لآخر إذا كان نفس العمل هو المطلوب أداؤه^(٥٧).

وجعلت البطالة المزمنة في صناعة الغزل والنسيج، ورجحان كفة عمال الغزل والنسيج في القوة العاملة الصناعية، هذه الصناعة الساحة الأكثر بروزا للمنازعات بين العمال والإدارة بشأن الفصل التعسفي، لكن هذه المنازعات لم تقتصر بأى حال على صناعة الغزل والنسيج. وفي ١٩٥٨، أعلن سلمان على رئيس نقابة عمال شركة سفاجا للفوسفات، أن كل العمال قد فصلوا واستبدلوا بمستخدمين جدد (يفترض أنهم يحصلون على أجور أقل أو منافع متناقصة) دون إخطار مسبق. وأعرب على عن دهشته من أن هذا العمل تم بعد تمصير الشركة التي كان البريطانيون يملكونها من قبل^(٥٨). وكان عمال كثيرون يتوقعون أن تعالج حكومة وطنية إصلاحية المظالم الوطنية والطبقية على حد سواء. ومن الواضح، أن الحال لم يكن كذلك بالضرورة.

وبعد ٢٣ يوليو (تموز) ١٩٥٢، تعرض التصور العامل عن «العامل» ومكانته لتحول مثير. ففي ظل النظام القديم، كان العمال طبقة دونية محتقرة، وخطيت في أحسن الأحوال باهتمام الرأي العام فقط لأن موجة المنازعات الصناعية بعد الحرب العالمية الثانية فرضت «المسألة العمالية» على جدول الأعمال الاجتماعي والسياسي. وعلى النقيض من ذلك، أشاد النظام الجديد بفضائل التصنيع، وروج كجزء من حملته لكسب الموافقة العامة على سياسته الاقتصادية، لوجهة نظر إيجابية عن العمال الصناعيين باعتبارهم يلعبون دورا حيويا في تنمية الاقتصاد الوطني المصري.

ونشر إعلان مثير للدهشة في المساء يعلن بيع أسهم في شركة الحديد والصلب المصرية (مقابل جنيهين للسهم بضمان الحكومة لعائد لا يقل عن ٤ في المائة) يوضح بصورة بليغة الصورة الجديدة المعتمدة للطبقة العاملة. فتحت عنوان «الأمس» يصور الإعلان فلاحا يلبس زيه التقليدي ومعه فأسه واقفا في حقل؛ وتحت عنوان «واليوم» عامل في ملابس حديثة أمام مصنع حديث ممسكا مطرقة بقوة. وكان الكلام المنشور تحت الصورة يقول: «بالأمس كنا نعتمد على الزراعة وحدها. واليوم بالحديد والصلب لبنى مجدنا الصناعي»^(٥٩). وروجت الحكومة لهذه الصورة الإيجابية للعمال لتشجيع التوظيف والإنتاجية في الميدان الصناعي، وتشجيع الاهتمام العام برفاهية العمال، ودعم الاحترام والتقدير للدور الذي كان العمال يلعبونه في بناء مصر حديثة ومستقلة. ومع ذلك، فإن كل التحسينات التي أدخلتها الحكومة على الوضع الاجتماعي والمادى للطبقة العاملة كانت مدرجة ضمن إطار ثابت: التكامل الاتحادي في نظام سلطوى بيروقراطى لا يتوافر للعمال فيه استقلال ذاتى أو سلطة مستقلة مشروعة.

وقصر اهتمام الحكومة بالإنتاجية والتنمية الاقتصادية حرية العمال على التعبير عن رؤيتهم لدورهم في مصر الصناعية الجديدة. وعن طريق الحظر الفعال للاستخدام العام لكلمات معينة، حددت الحكومة مصطلحات الخطاب السياسى وهمشت من كانت رؤيتهم تتجاوز ما كانت الحكومة مستعدة لمنحه. ولهذا أعلن سيد على رستم، عضو المجلس التنفيذي لنقابة عمال الغزل والنسيج بالقاهرة، أن

الحقوق النقابية لا يمكن حمايتها إلا إذا توافر للعمال الحق فى الإضراب. ولكنه لم يستخدم كلمة إضراب، واستخدم بدلا منها (أو ما نشرته المساء) «التوقف السلمى عن العمل»^(٦٠). وبالمثل، عندما نشرت المساء فى يناير ١٩٥٨ أبناء مؤتمر اتحاد نقابات الغزل والنسيج، لاحظ التقرير أن الدعوة وجهت لإلغاء التحكيم الإجبارى و«تنظيم حق الامتناع عن العمل»^(٦١). وبساطة اختفت كلمة الإضراب من القاموس السياسى العام. وكان فى الإمكان الإشارة إلى الإضراب بعبارات يمكن تقديرها، لكن لم يكن فى الإمكان المناداة به صراحة وبصورة مباشرة. وبمجرد أن أصبح هذا القيد على اللغة جزءا من ذوات العمال والفعاليات السياسية، اتجه إلى أن يصبح حقيقة من حقائق الحياة لا يمكن إثارة الجدل حولها بصورة جادة. وهكذا أصبحت حدود اللغة المسموح بها هى حدود السياسة.

وبسبب مثل هذه القيود على الخطاب السياسى الصريح، كانت الأشكال الأدبية، مثلما هو شأنها دوما، أداة مهمة للتعبير بالنسبة للعمال. وكان الباب العمالى فى المساء، خاصة عندما كان يشرف على تحريره لطفى الخولى، يشجع العمال على تقديم الشعر والقصص القصيرة لنشرهما. وكان الزجل من أكثر اشكال التعبير الأدبى عن العمال شعبية. وبعد حرب السويس/ سيناء استغرق الأمر عدة أسابيع لنشر كل قصائد الشعر المقدمة. وكان معظم هذا الشعر يعكس وعيا وطنيا يتقاسمه العمال ومؤيدو نظام عبد الناصر الآخرون ومشاركة ومساندة العمال المنظمين فى الحملات المعادية للإمبريالية.

وتكشف قلة فحسب من أشعار العمال فى هذه الفترة عن وعى محدد للطبقة العاملة متجذر فى تجربة العمل. فقد نشر واحد منهم هو طاهر العمرى، وهو عامل فى الشركة الأهلية للغزل والنسيج فى الاسكندرية قصيدة بعنوان «أنا العامل» فى نشرة اتحاد نقابات الغزل والنسيج^(٦٢). وتكرر لازمتها «أنا العامل بنيت المجد بذراعى» موضوعا كان أول من روج له فى «العامل المصرى»، بزم التونسي، وهو شاعر شعبى لثورة ١٩١٩^(٦٣). وعنوان قصيدة العمرى «مستعار» من عنوان قصيدة فى مجموعة نشرها فى ١٩٤٦ شاعر سابق من عمال الغزل والنسيج هو فتحى المغربى. وفى إطار هذه التقاليد الطويلة من الشعر الشعبوى والعمالى، فإن هذه القصيدة تقدم دليلا حاسما على أن بعض العمال المصريين استمروا فى اعتبار الطبقة العاملة عنصرا بناء طليعيا وفريدا فى المجتمع المصرى. وكانت هذه الصياغة من الصور السياسية والثقافية الأساسية المرتبطة بالتقاليد الراديكالية للحركة العمالية.

وعلى الرغم من أن روح النزعة الراديكالية للطبقة العاملة قد حددت بصورة عنيفة وقصرت فى المحل الأول على القطاع الضيق لصناعة الغزل والنسيج، فقد استمرت هذه النزعة التى غذاها الشيوعيون فى الأربعينيات وأوائل الخمسينيات وبقيت فى فترة سطوة عبد الناصر. وزادت معارضة الطبقة العاملة للنظام بعد ١٩٥٤، خاصة خلال فترة الرأسمالية الموجهة، عندما أدت محاولات النظام للتحالف مع «البرجوازية الوطنية» إلى تناقص معدل النمو فى الأجور الحقيقية، وأدت حملته لزيادة الإنتاجية أحيانا إلى فصل العمال. بيد أنه حتى هذه المعارضة المحدودة للعمال، قد حدثت منها الحاجة إلى الحفاظ على جبهة وطنية متحدة متقطعة بين الشيوعيين والنظام.

□ الإنتلجنسيا الشيوعية والتراضى مع الناصرية

بعد حرب ١٩٥٦ اتحد الشيوعيون كافة فى تأييد حماسى للسياسة الخارجية لعبد الناصر المعادية للإمبريالية. وقد بدأ المثقفون الشيوعيون فى عصر الرأسمالية الموجهة، قبل «التحول الاشتراكى» فى ١٩٦١، يرون فى التخطيط الاقتصادى وتأميم قطاعات هامة من الاقتصاد تمهيدا للاشتراكية. وقد أضفى المنظرون السوفيت والأوروبيون الشرقيون مشروعية على وجهة النظر هذه، بمفهومهم الذى تبنيه عن «طريق التنمية غير الرأسمالية»^(٦٤). وإذا استلهم الشيوعيون المصريون هذا الابتكار النظرى، أو المفهوم الأكثر تقليدية عن حاجة البروليتاريا للتحالف مع البورجوازية الوطنية فى نضال التحرر الوطنى، فقد قللوا لأدنى حد من أهمية الصراع المستمر بين العمل ورأس المال وانتهاك الدولة لاستقلال الحركة العمالية باستيعاب النقابات فى جهاز الدولة وقمع العمال الذين رفضوا قبول وصاية الدولة. ولعبت الإنتلجنسيا الشيوعية، فى حماسها للوحدة مع الدولة الناصرية فى النضال المعادى للإمبريالية، دورا فى الحد من المدى الذى يمكن أن يرتفع به صوت العمال المستقل.

ويتضح هذا الموقف فى رد الفعل الانتقادى لأنور عبد الملك، وهو عضو سابق فى الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى وشخصية بارزة فى هيئة تحرير المساء، لقصيدة لدرويش محمد الميهى بعنوان «حكاية أول مايو»^(٦٥). وكانت القصيدة تعيد بصورة واضحة رواية قصة قضية «شيكاغو هاى ماركت» فى ١٨٨٦، والتى أدت لميلاد اجازة العمال الدولية فى يوم أول مايو. وعبر الشاعر عن التضامن مع العمال الأمريكين ودعا كل العمال للاحتفال بأول مايو. وفى حين اعترف عبد الملك بالقصيدة باعتبارها تعبيرا عن التضامن الدولى للطبقة العاملة، فقد اعترض على أنها لم تشر للإمبريالية. وكتب يقول إنه ليس من الصواب الحديث عن الأحداث فى القصيدة دون ربطها بالأحداث الجارية وذكر الإمبريالية الأمريكية. ويومئ النقد إلى صراع طبقى سياسى ثقافى داخل الحركة الشيوعية: فقد عبر العامل الشاعر عن مشاعره الطبقيّة غير المزخرفة، فى حين اعترض المثقف الناقد على التعبير عن الوعى الطبقيّ مستقلا عن النضال الوطنى المعادى للإمبريالية.

وبين رد الفعل هذا إزاء قصيدة بسيطة تدافع عن التضامن الدولى للطبقة العاملة، وهو شعور لاشك أن الماركسيين يرحبون به بلا تحفظ من ناحية المبدأ، صعوبة الاحتفاظ برؤية مستقلة للطبقة العاملة خارج حدود الخطاب السياسى الناصرى. وطالما أخضع الشيوعيون التعبير عن هذا الهدف، لتأييد العداء الناصرى للإمبريالية، فإن العدد القليل من العمال الذى حاول بصورة نشيطة أن يحافظ على هذه الرؤية كان عليه أن يواجه عمليا معارضة لا يمكن التغلب عليها من قبل دولة مصرية تدعمت قوتها بدرجة كبيرة. وعندما انحلّ التحالف الناصرى الشيوعى فى ١٩٥٩، وتم اعتقال كل الشيوعيين العروفين، تم القضاء على معارضة الطبقة العاملة المنظمة والواعية سياسيا فى مصر، ولم تعاود الظهور إلا بعد حرب ١٩٦٧ - أساسا فى موجة الإضرابات والاحتجاجات التى نشبت كرد فعل لسياسة «الانفتاح» الاقتصادية التى طبقتها أنور السادات فى ١٩٧٤.

يسرت مهادنة الإنتلجنسيا الشيوعية للناصرية، قيام النظام بالقضاء على الكثير من المظالم

الاجتماعية التى أسهمت فى إضفاء طابع راديكالى على الإنتلجنسيا فى الثلاثينيات والأربعينيات. فقد توسعت فرص التعليم سريعا جدا بعد ١٩٥٢: فمن ١٩٥٣-٥٤ حتى ١٩٥٦-٥٩ زاد متوسط التحاق الطلاب بكل المستويات التعليمية مجتمعة بنسبة ١٣٢ فى المائة. وتم تخفيض رسوم الدراسة فى ١٩٥٦ و ١٩٦١ وألغيت كلية فى ١٩٦٢، مما جعل التعليم الجامعى متاحا لأبناء الطبقة الوسطى الدنيا^(٦٦). ونظرا لأن العدد المتزايد من خريجي الجامعة كان أكبر مما يستطيع الاقتصاد استيعابه، فقد قضت الحكومة على الضغط المحتمل للإنتلجنسيا العاطلة بضمان وظيفة فى جهاز الدولة البيروقراطى لكل الخريجين الذين لا يستطيعون العثور على عمل فى القطاع الخاص. وكان بعض من مستخدمي الدولة هؤلاء ينقمون على عدم وجود عمل له معنى يؤدونه، لكن على الأقل كانت أجورهم كافية لإعالتهم حتى جاءت فترة التضخم السريع التى أطلقت عقالها سياسة الانفتاح الاقتصادى.

□ الاشتراكية العربية

استهل تأميم البنوك والمشروعات التجارية والصناعية الكبيرة عصر الاشتراكية العربية فى ١٩٦٠-٦١. وتم تخفيض الحد المفروض على ملكية الأراضى الزراعية مرة أخرى إلى مائة فدان. وأدى اتباع سياسات استهلاكية جديدة إلى رفع مستوى المعيشة بدرجة أكبر، على الرغم من أن المستفيدين الأساسيين كانوا العمال المهرة وذوى الياقات البيضاء وملاك الأراضى الزراعية التى تتراوح بين عشرين وخمسين فدانا. وزادت الأجور الحقيقية بين ١٩٦١ و ١٩٦٤ بمعدل أسرع مما فعلت فى فترة الرأسمالية الموجهة، وحدثت عملية إعادة توزيع متواضعة فى الدخل القومى، مع انخفاض الربح، والربح، والفائدة، والأنصبة بالنسبة للأجور والمرتبات^(٦٧). وعلى الرغم من أوجه التقدم هذه، سيطرت نفس الأسر التى كانت تمثل السلطة المحلية فى ظل العهد القديم على القرى الريفية والتعاونيات الزراعية^(٦٨). وظلت النقابات تحت سيطرة الحكومة. وفى ١٩٦٢، استقال أنور سلامة من رئاسة اتحاد نقابات مصر وأصبح وزيرا للعمل، وهو أول عامل ينضم لمجلس الوزراء المصرى. ومن ١٩٦٩ وحتى أواخر الثمانينيات، كان شخص واحد يشغل رئاسة الاتحاد العام لنقابات مصر ووزارة العمل (حاليا وزارة القوى العاملة والتدريب)، وذلك تعبير مادى عن اندماج النقابات فى جهاز الدولة.

وكان الاتجاه الدولى للاشتراكية العربية، قوميا عربيا وماليا للسوفيت. لقد نادى بعض عناصر المجتمع المصرى بالقومية العربية منذ فترة مبكرة ترجع إلى الثلاثينيات. فعلى سبيل المثال، كان بنك مصر ينظر للعالم العربى الأوسع باعتباره سوقا للمصادرات الصناعية المصرية وساحة خلفية طبيعية لنشاط البنك. وفى ١٩٥٤، بدأ النظام الناصرى يتبنى القومية العربية. ونتيجة لهجوم إسرائيل على مصر والموقف الأكثر تشددا تجاه النزاع الفلسطينى/ العربى - الاسرائيلى المتضمن فى القومية العربية، أصبح موقف عبد الناصر البلاغى تجاه إسرائيل أكثر عدوانا مما كان عليه قبل حرب ١٩٥٦. ومع ذلك، فقد استمر فى التطبيق يمارس الحذر وضبط النفس.

والقومية العربية لا تتضمن بالضرورة اتجاهها معاديا للغرب. وفي الأربعينيات شجع البريطانيون مثل هذه النظرة لتدعيم نفوذهم في العالم العربي - وهذا هو السبب في أن الشيوعيين عارضوها في البدء. وفيما يتعلق بالولايات المتحدة، فنظرا لأنها طالبت بجلاء القوات البريطانية والفرنسية من الأراضي المصرية بعد حرب ١٩٥٦ بمثل القوة التي طالب بها الاتحاد السوفيتي، بهذا فقد كانت في وضع جيد لتوسيع نفوذها في العالم العربي. بيد أن إعلان مبدأ ايزنهاور في يناير ١٩٥٧ سرعان ما بدد أي تقدير مصري لموقف أمريكا، الذي أدرك عبد الناصر عن حق أنه كان موجها ضد نفوذه المتزايد في العالم العربي. وأكدت الأعمال السرية الأمريكية في سوريا والأردن في ١٩٥٧ وغزو لبنان في ١٩٥٨ هذه الشكوك.

وأدى عجز أمريكا عن تقبل تأكيد مصر لاستقلالها مقترنا بتقاعس كل من رأس المال الخاص الأجنبي والمصري عن الاستثمار في المشروعات الصناعية، في النهاية إلى دفع عبد الناصر صوب الاتحاد السوفيتي ونموذجه الاقتصادي. ورغم أن التنمية الصناعية لبلدان مثل البرازيل وكوريا الجنوبية في السبعينيات قد بينت أن رأس المال الميترولييتاني لا يسد بالضرورة الطريق أمام تصنيع العالم الثالث، ففي الستينيات كان الماركسيون بصفة عامة يؤمنون بأن هذا هو الحال. وقبل عبد الناصر أيضا وجهة النظر هذه تدريجيا، إلى جانب ضرورة التخطيط والقطاع العام الكبير. وخلق تأمين القمم المسيطرة للاقتصاد انجذابا بين اقتصاد مصر واقتصادات الكتلة السوفيتية. وأتاحت رؤية غير نقدية للاتحاد السوفيتي وأوجه التماثل بين أساليب التخطيط والسيطرة البيروقراطية المصرية والسوفيتية، للشيوعيين المصريين وللكثيرين من الاقتصاديين السوفيت الفرصة في أن يعتقدوا أن مصر كانت تسير في «طريق التنمية غير الرأسمالي». ونتيجة لذلك، أيد الشيوعيون سياسات الاشتراكية العربية من زنازين السجون.

والمفارقة هي أنه بمجرد إطلاق سراح الشيوعيين من السجون ١٩٦٤، دخل نظام الاشتراكية العربية في أزمة عامة، حيث أنه لم يكن ممكنا أن يستمر الاستهلاك المتزايد والاستثمار معا في نفس الوقت. وبدأ معدل الاستثمار والأجور الحقيقية ينخفض. وقد أوضحت حقيقة أن الأجور باعتبارها حصة من الدخل القومي قد وصلت إلى الذروة في ١٩٦٣-٦٤ أن التوزيع الأكثر اتساما بالمساواة للدخل كان ظاهرة مؤقتة فحسب^(٦٩). ولم يحاسب الشيوعيون النظام عن هذا الفشل لأن أحزابهم حينذاك كانت قيد عملية الحل، وعلى أية حال، فإن نطاق هذه الأزمة لم يكن مسلما به على نطاق واسع على الرغم من ذلك. وبالإضافة لهذا، فإنه نظرا لأن بداية الأزمة أعقبت مباشرة بالحرب العربية الاسرائيلية في ١٩٦٧، فقد عزيت أوجه القصور الاقتصادية للاشتراكية العربية للحرب وعقابيلها. وهكذا أحلت الحكومة من مسؤولية فشلها الاقتصادي، وأصبح معظم الطاقة السياسية التي ربما ولدتها هذه المشكلات يتركز على النزاع مع اسرائيل.



الفصل الرابع

نافذة للفرصة؟

١٩٤٩ - ١٩٥٥

مع الاستفادة بالإدراك المؤخر للامور، يسهل الحكم بأنه حتى فى ظل الوضع المقلقل الذى ساد فى أواخر ١٩٤٨ وأوائل ١٩٤٩، فإن صعوبة حل النزاع الفلسطينى/ العربى - الإسرائيلى والقدرة المحدودة لليسار الماركسى على النضال من أجل حله على أساس الاعتراف المتبادل وتقرير المصير، كانا أمرين متلازمين. ومع ذلك، فإن مثل هذا الحكم يغفل العمليات التى شكلت الوضع القائم. فقد نستطيع عن طريق بحث هذه العمليات أن نقيم مسيرة التشكيل التاريخى للمقولات والمفاهيم التى نصوغ حاليا فهمنا للنزاع من خلالها. وليس هدفى هنا الإظهار أنه كانت هناك فرصة واقعية لحل النزاع سلميا خلال الفترة ١٩٤٩-١٩٥٥ بيد أنه خلال هذه الفترة، كان اليسار الماركسى قادرا، بالتحالف مع الجهود الأخرى أو بالتواكب معها، على الحفاظ على مفهوم بديل للنزاع يعارض بزوغ خطابات سياسية قومية تقوم على الهيمنة سواء فى مصر أو إسرائيل.

حتى ١٩٥٤ كان الهم الأساسى لكل القوى السياسية فى مصر هو طرد القوات البريطانية من منطقة قناة السويس. واستمر الشيوعيون فى الدفاع عن التسوية السلمية للنزاع مع إسرائيل كما كان مجلس قيادة الثورة منشغلا بتوطيد حكمه. لم يكن النزاع مع إسرائيل هو الموضوع البارز فى مصر، وتساعد التوجه العنيف منع اعتراف إسرائيل بإمكانيات الحل السلمى للنزاع فى تلك الفترة ووضعت فى اعتبارها أيضا نوع التنازلات الضرورية لتزيد إلى الحد الأقصى عدم تصور هذه الإمكانية. وفى ١٩٥٤ بدأ جمال عبد الناصر فى التفكير فى هذا النزاع بشكل أوسع. لقد أدت قضية لاقون (أنظر الفصل الأول) وأول مظاهر توجه مصر العربى الطارئ إلى جعل أى تسوية مع إسرائيل أكثر إشكالية سواء من جانب النظام أو الحركة الشيوعية. ومع ذلك فحتى ١٩٥٦ وافق جمال عبد الناصر على المساهمة فى الجهود الدبلوماسية لحل أو تخفيف النزاع، ولو كان ذلك على أساس شروط بعيدة جدا عما كانت إسرائيل مستعدة له. وعند هذه النقطة لم تكن خلافات مصر مع إسرائيل تقدم عادة كمعركة مصير متعلقة بالوجود، كما أصبح الوضع بعد حرب ١٩٥٦.

وفى هذه المرحلة، لم تكن خلافات مصر مع اسرائيل تُقدم عادة على أنها معركة بقاء تتعلق بالمصير، مثلما أصبحت بعد حرب ١٩٥٦.

فى اسرائيل، ظهر المابام باعتباره ثانى أكبر كتلة فى الكنيست بعد انتخابات ١٩٤٩، واستمر ماكى فى النمو، ووصل لذروة قوته فى انتخابات الكنيست فى ١٩٥٥. ومن ثم، كان هناك رأى عام اسرائيلى كبير يحبذ التسوية السلمية للنزاع استنادا لمبدأ مشروع الأمم المتحدة للتقسيم - حتى وإن لم يكن على أساس الحدود الدقيقة الواردة فيه. وعلى الرغم من الانحراف اليهودى فى خط ماكى الموحد، فقد دافع الحزب بثبات عن حقوق عرب فلسطين، بما فى ذلك حقهم فى دولة مستقلة وحق كل اللاجئين فى العودة أو فى الحصول على تعويض، وعارض بلا هوادة سياسة الحكومة الاسرائيلية بشأن النزاع. ورغم أن المابام استسلم فى النهاية لخطاب الهيمنة الصهيونى وتخلى عن المعارضة الراديكالية لمواقف الماباى بشأن النزاع الفلسطينى/ العربى - الاسرائيلى، فقد استمرت أقسام من الحزب تتحرك باتجاه اليسار حتى محاكمة سلانسكرى فى تشيكوسلوفاكيا فى تشرين الثانى ١٩٥٢، وواصل بعض أعضاء المابام مسيرتهم باتجاه اليسار حتى بعد ذلك.

بيد أن المابام وماكى، على خلاف بن جوريون، لم يقدرا أن إنشاء دولة سيعيد تنظيم الخطاب الصهيونى ويستبعد فكرة ثنائية القومية والحقوق الوطنية لعرب فلسطين - وهى آراء كانت محترمة وإن كان لها وضع الأقلية فى الحركة الصهيونية فيما قبل إنشاء الدولة - من جدول الأعمال السياسى. كان اليسار الماركسى قد تغير بحكم حاجته للتوافق مع خطاب الهيمنة بغية المشاركة فى السياسات القومية. وأدت هذه الضرورة فى النهاية إلى تقليل قدرة اليسار على المعارضة، ليس فقط حول هذه القضية وإنما حول القضايا الأخرى أيضا. وبعد حرب ١٩٥٦، اكتسب النزاع طابعا استراتيجيا ودائما، وتم استبعاد الحل السلمى على أساس مبادئ مشروع التقسيم من جدول الأعمال السياسى فى كلا البلدين.

□ المسألة اليهودية فى الشيوعية المصرية

عزا كثيرون من الشيوعيين المصريين وصَّفهم بأنهم صهيونيون خلال حرب ١٩٤٨-٤٩، وفشلهم فى قيادة انتفاضات ما بعد الحرب العالمية الثانية فى الحركة الوطنية لطرد البريطانيين، إلى «انتهازية» الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى؛ وافتقارها لبرنامج مكتوب ولوائح داخلية؛ ومرونتها التكتيكية، وافتقار أعضائها لتدريب نظرى، ومعاييرها المتساهلة فى التجنيد، وهيكلها الفضفاض، الذى يتضمن جوانب لجهة وحزب، واستراتيجيتها للجهة الوطنية المتحدة، واهتمامها المبالغ فيه بالقوى الاجتماعية غير البروليتارية - إجمالا، فشلها فى بناء تنظيم بولشفى أرثوذكسى. وكانت تنويعات مختلفة من هذه الانتقادات شائعة ومشتركة بين كل المجموعات التى انقسمت على حدثوا ما بين ١٩٤٧-٥٠.

ومع ذلك، فكما أوضح كورييل ومحمد سيد أحمد، كان هناك معنى ضمنى لهذا النقد. فقد كان كورييل هو الفرد الأكثر مسؤولية عن تحديد خط حدثو، وكان كورييل يهوديا كوزمو بوليتانيا، مثلما كان كثيرون آخرون على كافة مستويات حدثو. وفي بلد يسيطر عليه الأوروبيون اقتصاديا، ويعانى من الاحتلال العسكرى البريطانى، كان من غير المألوف أن تصبح أقلية تعليمها فرنسى، كوزمو بوليتانية، بورجوازية صغيرة أو بورجوازية، ومنفصلة عن نسيج الحياة الشعبية، بارزة على هذا النحو فى حركة تدعى تمثيل الجماهير المحرومة. وفى مناخ الهزيمة فيما بعد ١٩٤٨، أصبحت قيادة كورييل والوجود اليهودى فى الحركة، نقطة ينصب عليها النقد الذاتى الشيوعى وهجوم النظام المستمر على الحركة. فى النهاية، أثر أسلوب ونغمة هذه الانتقادات، كما أثر مضمونها، على موقف الشيوعيين تجاه القضية الفلسطينية.

ومن بين كافة المجموعات الشيوعية الكبرى، كانت ايسكرا تضم أعلى نسبة من الأجانب المتعلمين من الطبقة العليا ومن اليهود المتحدثين بالفرنسية، وقد اتسمت ماركسيته بمناقشة نظرية تعتمد على الكتب وليس على الخبرة، وتحرير المرأة، ووصول اليهود لما وراء حدود مجتمعهم. وقد تم تجنيد كثيرين من اليهود وزملائهم فى الدراسة من أسر النخبة المصرية فى ايسكرا من مدرسة اليسيه الفرنسية فى القاهرة من خلال أنشطة اجتماعية وسياسية متضافرة. وكانت أوائل النساء فى الحركة الشيوعية أساسا من ايسكرا^(١). واختلط الشبان والشابات بسهولة فى الاجتماعات العامة التى نظمتها ايسكرا، مما سبب صدمة مروعة لمعاصريهم المحافظين. وشجع القادة ممارسة الجنس قبل الزواج كجزء من الهجوم على أيديولوجية البورجوازية المصرية بنفس الروح التى روجوا بها للإلحاد بطريقة استفزازية. وتشكلت روابط مختلفة، فجمت عنها زيجات عديدة، عادة بين نساء يهوديات وأزواج مسلمين أو أقباط. وقد لخص محمد سيد أحمد، عضو سابق فى ايسكرا وزميل دراسة لعدد كبير من الأعضاء اليهود، الأسلوب الاجتماعى لايسكرا (وخلفائها)، هكذا: «لقد استوردنا أشياء لا تلائم الإطار الثقافى ... حاولنا ألا نراها ... ثم دفعنا الثمن»^(٢).

وقد ركز التعبير الأدبى المصرى عن الحركة الشيوعية على الفجور الجنىسى، وذلك دليل جيد على بروز هذا الموضوع فى إدراك الرأى العام. وقد جرى وصف التوترات الشخصية والسياسية الحتمية فى محيط ايسكرا بصورة حية فى رواية يوسف ادريس، البيضاء، وهى شبه سيرة ذاتية، تحكى عن طبيب شاب مسلم المنجذب للعمل فى صحيفة شيوعية من خلال علاقة جنسية مع امرأة يونانية. واستخدم المهاجر المصرى وجيه غالى نفس المجاز -علاقة جنسية بين امرأة شيوعية يهودية ثرية وقبطى حاصل على تعليم أوروبى- فى روايته كوب بيرة فى نادى للليبارد، وهى هجاء طليق العنان بصورة متجددة لهواة السياسة، والاغتراب الثقافى، وإطلاق العنان للأهواء الذاتية لدى يسار الطبقة العليا.

عارض كورييل الأسلوب الاجتماعى لايسكرا، وانتقد «الفضائح الجنسية» وأسلوبها فى

التجنيد من خلال «الحفلات التى يستغل فيها الرقص والغزل للتمهيد للمناقشات السياسية»^(٣). كما استخف بافتقار ايسكرا للعمال. وقد ضمت اللجنة المركزية الأولى من بين أعضائها العشرة، عضوين من اليهود (كوريل وشغارتز)، وشغل عدة يهود آخرون مواقع تالية فى القيادة. وبعد عدة انقسامات فى التنظيم، أصبحت ايمى سيتون، منظمة القسم النسائى، فى (نيسان) ١٩٤٨ العضو اليهودى الثالث فى اللجنة المركزية التى تضم سبعة عشرة عضوا^(٤). وشكل اليهود نسبة أكبر من قيادة مجموعتين منقسمتين عن حدتو: صوت المعارضة التى تشكلت فى منتصف ١٩٤٨ واتحدت فى (كانون الأول) مع «نحو منظمة بولشفية» لتصبح المنظمة الشيوعية المصرية (مشمش)، و«نحو حزب شيوعى مصرى» (نحشم).

ومع ذلك، فقد أصبحت سمعة ايسكرا جزءا من هوية حدتو، وارتبطت بدور اليهود فى الحركة. وعندما تم القبض على ثلاثة أعضاء فى حدتو -رجلين مسلمين ويهودية- اغتنم السفير الأمريكى الفرصة ليعلن «إن شعبية الشيوعية لدى الطلاب المصريين (يعتقد على نطاق واسع) أنها ترجع إلى حقيقة أن هناك فتيات «متساهلات» ينتمين لكل خلية^(٥). وقد أعرب عدد كبير من الشيوعيين المخضرمين عن أن عدم رضاهم عن القواعد الاجتماعية لحدتو كان عاملا فى نفورهم من المنظمة^(٦). وتحدث فؤاد مرسى بمرارة أكثر من الآخرين عما كان يعتبره:

التجربة السيئة جدا مع اليهود فى الحركة الشيوعية المصرية. لقد كانت رمزا للانحلال: الانحلال الجنسى، والانحلال الأخلاقى. ربما كان يمكن تبرير ذلك بأنه حرية الفكر. لكن الشعب المصرى لم يقبل هذا ولم يعتبره سوى انحلال^(٧).

وأدى رفض كوريل وحدتو بفؤاد مرسى واسماعيل صبرى عبد الله، وهما من خريجي الاقتصاد وقد انضما للحزب الشيوعى الفرنسى عندما كانا يعيشان فى باريس، إلى تشكيل تنظيم جديد، الحزب الشيوعى المصرى فى أواخر ١٩٤٩، عندما عاد مرسى للقاهرة بعد أن حصل على الدكتوراه. (اشتهرت هذه المجموعة باسم الراية، وهو اسم صحيفتها السرية، راية الشعب، (وسأستخدم هذه التسمية هنا لتفادى الخلط مع الحزب الشيوعى المصرى الموحد الذى تشكل فى ١٩٥٨). كان قادة الراية مقتنعين بأن اليهود والفجور الجنسى مسؤولين عن أخطاء حدتو، ومن ثم استبعدا اليهود والنساء من العضوية. وفى مرحلة لاحقة قبلت الراية النساء (فى البدء الزوجات والشقيقات فقط واللاتى يمكن «الإشراف على» نشاطهن من قبل أقربائهن الذكور)، لكن لم يتم قبول اليهود أبدا^(٨).

تأسست الراية خلال فترة إعادة تنظيم الحركة الشيوعية، بعد رفع الأحكام العرفية وإطلاق سراح المعتقلين من السجن. وبحلول ١٩٥١-٥٢، استوعبت حدتو، وإن كانت تكتنفها الشللية، بعضا ممن كانوا قد انقسموا فى ١٩٤٧-٤٨ وعادوا للظهور باعتبارها أكبر وأنشط تنظيم، يضم

نحو ألفى عضو^(٩). وواصلت الديمقراطية الشعبية العمل داخل الوفد، ولم يكن أعضاؤها يزدون على الثلاثمائة ولم يكن لها وجود عام مستقل. وكانت الراية هي أصغر التنظيمات، وتضم ما يقل عن ألف عضو، معظمهم من المثقفين، وانكبت على النشاط السرى فقط^(١٠). وفى المرحلة الأولى من إعادة التنظيم، ظل اليهود عنصرا مهما، وإن تناقص، فى الحركة الشيوعية على الرغم من النقد الداخلى لدورهم وجهود الحكومة لمساواة الشيوعية بالصهيونية. وكان كوريبيل لايزال زعيما لحدثو، وكان هيليل شغارتز رئيس نحشم، وكانت أوديت وسيدنى سولومون هما الشخصيتان البارزتان فى مشمش، واستمر يوسف درويش واحمد صادق سعد وريمون دويك فى مواقع القيادة فى الديمقراطية الشعبية.

بيد أنه تم فى ١٩٥٠-٥١ اعتقال أعداد كبيرة من اليهود للمرة الثانية عندما شن الوفد حملة جديدة للعداء للشيوعية فى محاولة بلا طائل للحفاظ على الملكية المهترئة. وتوفر تقارير الاعتقال دليلا إحصائيا تقريبا على مدى مشاركة اليهود فى الحركة الشيوعية المصرية خلال الخمسينيات. فمثلا يوضح الجدول ٣، فقد كان ١٧ و٤ فى المائة ممن اعتقلوا باعتبارهم شيوعيين فى ١٩٤٩-٥٠ من اليهود، وهى نسبة مئوية تعلو كثيرا على حصتهم من إجمالى السكان (أقل من ٠.٥ فى المائة). وكان من بين المعتقلين، قادة كثيرون منهم كوريبيل وشغارتز، اللذين طردا من مصر فى صيف ١٩٥٠. فقد تم ترحيل كوريبيل باعتباره أجنبيا رغم أنه كان قد تخلى عن جنسيته الإيطالية وأصبح مواطنا مصرية عندما وصل لسن الرشد قبل ذلك بخمسة عشر عاما. وقبل كثيرون من الشيوعيين الآخرين بتحفظ تحديد الحكومة المصرية لوضعهم باعتبارهم أجنبيا وتركوا البلاد.

وبعد أن وصل كوريبيل إلى باريس، نظم المهاجرين الشيوعيين اليهود المصريين فى فرع حدثو فى المنفى، الذى أصبح يعرف باسم «مجموعة روما». قدم هؤلاء دعما ماليا لحدثو، وترجموا وثائقها ومطبوعاتها إلى الفرنسية، ووزعوها فى أوروبا. وقد اعتبر خصوم حدثو، داخل الحركة الشيوعية وخارجها على حد سواء، هذا النشاط «برهانا» على أن اليهود يسيطرون على المنظمة. وعلى الرغم من أن كوريبيل ظل عضوا فى اللجنة المركزية يرسل بنصائحه (التي يتم تجاهلها عادة) بشأن الأمور النظرية، فإنه لم يكن متصلا بنشاط حدثو اليومى. وقد اشتكى فى (أيار) ١٩٥٣ من أن القيادة لم تستشره منذ عامين ونصف العام^(١١). وبعد ١٩٥٠ لم يكن هناك أى أعضاء يهود فى اللجنة المركزية لحدثو، فيما عدا كوريبيل.

وقد أيدت حدثو، اتساقا مع المفهوم الاستراتيجى لكوريبيل، انقلاب ٢٣ يوليو ١٩٥٢ باعتباره تعبيرا عن «الحركة الوطنية الديمقراطية»^(١٢). وعارضت كل المنظمات الشيوعية الأخرى النظام الجديد، خاصة بعد قمع إضراب كفر الدوار وإعدام عاملين بتهمة قيادته. وعلى الرغم من هذه الأحداث، واعتقال شيوعيين آخرين، خاصة النقابيين، استمرت حدثو تؤيد النظام الجديد. وحتى بعد أن حظر مجلس قيادة الثورة كافة الأحزاب السياسية فيما عدا هيئة تحريره وأغلق الصحف القانونية

جدول (٣)

المقبوض عليهم بسبب النشاط الشيوعي في مصر، ١٩٤٩ - ٥٨

العدد الإجمالي للمقبوض عليهم	عدد اليهود المقبوض عليهم	تعليقات
١٩٤٩ (أبريل) ٣٣, ٢١, ٥, ٣	٤, ٢, صفر, صفر	٤ حملات منفصلة للقبض
أوائل ١٤٩ ٣, ٣	صفر, صفر	كانت ثانی عملية قبض لقادة الكتلة الثورية
ربيع ١٩٥٠ ٢	صفر	مشمش الاسكندرية
١٩٥٠ (أغسطس) ٥	٣	٨ حملات منفصلة، بما في ذلك قيادة مشمش: هبل شوارتز، ماري روزنتال، روبرت سيتون
١٩٥٠ (سبتمبر) ٣, ٣	٤	قادة مشمش بالقاهرة: سيدنى واوديت سولدمون، اصلان وميراي كوهين، محمد سيد أحمد
١٩٥٠ (نوفمبر) ٤, ٢	١, ١	ثانی عملية قبض كانت ليوسف درويش وقادة الديمقراطية الشعبية الآخرين.
إجمالي ١٩٥٠ - ٤٩ ٩٢	١٦	
١٩٥٣ (أكتوبر) ٤	صفر	الرقم الأول يشمل ٣ قضايا للراية، وفي عملية القبض الرابعة ادين اثنان فقط، ولم تكن الغالبية شيوعيين
١٩٥٣ (نوفمبر) ٨, ١٦	صفر, ٨	
١٩٥٣ (ديسمبر) ٢	صفر	
١٩٥٤ (يناير) ٢٩, ٣	صفر, صفر	في عملية القبض الأولى تم الإمساك بسبعة، الهرة غير مؤكدة، ربما من غير اليهود، والثانية كانت قضية للراية.
١٩٥٤ (سبتمبر) ٢٥	٣	قضية كبيرة لحدتو، ناعومي كانيل، ماري روزنتال، البياراي
١٩٥٤ (أكتوبر) ٧	٧	اتهام زائف لعضوية حدتو
١٩٥٤ (فبراير) -		
ديسمبر ١٥٤ ٤٤	١	قضية للجبهة الوطنية الديمقراطية، كلبمنت ليبوفتش
إجمالي ١٩٥٤ - ٥٣ ١٣٥	١٣	(وإن تضمنت ١٩ يهوديا لم يدنوا)
١٩٥٥ (فبراير) ٢١	صفر	
١٩٥٥ (يونيه) ٦٩ =	صفر	قضية للراية، اطلق سراح ٢٩، منهم اسماعيل صبرى عبد الله.
١٩٥٦ (يونيه)		
١٩٥٧ (أغسطس) ١٨		قضية للراية، من بينهم يهودى تم القبض عليه خطأ
إجمالي ١٩٥٨ - ٥٥ ١١٦	١	

ملاحظة:
تم تجميع هذا الجدول من أرشيف الصحف: الاهرام والاذهار، والتقارير الدبلوماسية الأمريكية، وتقارير «مجموعه روما» التابعة لحدتو في باريس. وليست هناك أرشيفات للصحف أو تقارير دبلوماسية عن ١٩٤٨، عندما تم القبض على عدد كبير جدا من اليهود واتهموا بالشيوعية. والأرقام غير كاملة بالنسبة للسنوات اللاحقة. وهكذا، فإن العينة ليست كاملة وليست عشوائية، لكنها كبيرة

المصادر: آخر لحظة ٢٧ (نيسان) ابريل ١٩٤٩، الأساس، ٢٨ (نيسان) ابريل، ٣ (ايار) مايو، ٢٤ (حزيران) يونيه، ١٩٤٩، المصرى، ١٤ (تموز) يولية ١٤ (تموز) يوليه، 84 USNARG، السجلات العامة للسفارة بالقاهرة، ٥٠-١٩٥٢، ٢٣١/٣٥٠، ٢١-١٩٥٤، ٢٥٨/٣٥٠-٣٥٠، الملفات المركزية لوزارة الخارجية الأمريكية، مصر، ٥٠-١٩٥٤، ٧٧٤-٩/١-٤٥٤، ابنا - من مصر، اعداد ٦ (٧ تشرين الأول) ١٩٥٣، ١٠ (٣١ كانون الأول) ديسمبر ١٩٥٣، ١١ (١٥ كانون الثاني) يناير ١٩٥٤، ٢٤ «شباط» فبراير ١٩٥٥، لومانتية، ٢٩ حزيران ١٩٥٦، الاهرام، ١ «شباط» فبراير، ٢ (ابول) سبتمبر، ٣١ (كانون الأول) ديسمبر ١٩٥٤، ٦ «شباط» فبراير ١٩٥٥، ٣٠ (آب) أغسطس ١٩٥٧، ١٨ «شباط» فبراير ١٩٥٨.

لحدثو فى (كانون الثانى) ١٩٥٣، امتنعت حدثو عن المعارضة الصريحة حتى (آب)، عندما شن مجلس قيادة الثورة، بتشجيع من السفارة الأمريكية فى القاهرة، حملة لقمع النشاط الشيوعى.

وفى ١٩٥٣-٥٤، مثلما أوردت السفارة الامريكية، كانت «الأغلبية الساحقة» ممن اعتقلوا من المسلمين^(١٣)، فى حين انخفضت النسبة المئوية من اليهود الذى أدينوا بالنشاط الشيوعى (٦، ٩ فى المائة) الى نحو نصف نسبتهم فى ١٩٤٩-٥٠. بالإضافة لذلك، لم يكن أى من الشيوعيين الذين اعتقلوا بعد ١٩٥٠ من القادة. وفى أهم قضيتين - قضية أول (ايلول) وقضية ٣١ (كانون الأول) ١٩٥٤ - كان أربعة متهمين فقط من تسعة وستين متهما من اليهود (٨، ٥ فى المائة)، ترك ثلاثة منهم مصر بعد ذلك. وفى القضيتين اللتين ضمنا أكبر عدد من المتهمين اليهود، لم يكن معظم هؤلاء أعضاء فعلا فى المجموعات الشيوعية، وفى إحدى هاتين القضيتين تمت تبرئة معظم المتهمين. بيد أن قضية (تشرين الأول) ١٩٥٤ كانت مهمة لأن جويس بلاو التى عملت كمراسلة بين كوربيل وقيادة حدثو، كانت بين المتهمين. وبعد القبض عليها، أصبح الاتصال بين باريس ومصر أقل تواترا.

واستمرت الادعاءات الزائفة عن دور اليهود فى الحركة الشيوعية، حتى رغم أنه تناقص بصورة حادة بعد ١٩٥٠. وسلطت الصحافة الأضواء على كل اعتقال لليهود «لتبرهن» على أن الشيوعية والصهيونية مترادفتان. وكان اليهود يسمون بشكل دائم تقريبا «الاسرائيليين» للإيعاز بالتطابق بين اليهود الشيوعيين ودولة اسرائيل وتم على نطاق واسع، تعميم خطاب جرى ضبطه مرسل من كوربيل لقيادة حدثو يدعو لإبرام اتفاقية سلام مصرية اسرائيلية لإظهار خيانة الشيوعيين، وبالإضافة لذلك، قيل أن الشيوعيين المصريين مقودون من قبل اليهود المقيمين فى فرنسا وايطاليا واسرائيل^(١٤). ونظرا لأن الصحافة كشفت مثل هذه الدعاية غير العادية حول اعتقال اليهود، فإن عينة الاعتقالات الواردة فى جدول ٣ ربما تبالغ عمليا فى النسب المئوية للشيوعيين اليهود.

□ صعود الانتلچنسيا المحلية

كان الدور المتناقص لليهود فى الحركة الشيوعية يتناسب عكسيا مع تدفق المثقفين الشبان من أبناء البلاد وصعودهم لمراكز القيادة. وبدأ تشكيل جيل جديد من القادة الشيوعيين بتمرد «التكتل الثورى» فى ١٩٤٧ على قيادة كوربيل. وأعربت الراية، وهى تنظيم للمثقفين من أبناء البلاد فى المحل الأول، عن طموحاتها للقيادة وعن اتجاهها الوطنى بصورة أشد وضوحا باستبعاد اليهود من صفوفها. واكتسب هذا الاتجاه قوة مع انضمام مزيد من طلاب الجامعة للحركة فى منتصف الخمسينيات. وأصبح طالب، هو محمود أمين العالم، قائدا لمجموعة منقسمة من حدثو، «نواة الحزب الشيوعى المصرى»، وهو تنظيم كانت به قلة من اليهود وربما لم يكن به يهود أصلا. وقد وصف هدفه خلال هذه الفترة بأنه كان يتمثل فى توحيد الحركة الشيوعية واستبعاد الأجانب، «لأنه لم يكن ممكنا أن يكون شخص اسم شقارتز أو كوربيل على رأس الحركة الشيوعية»^(١٥). وقال فيليب جلاب، وهو

قائد طلابى فى الراية فى جامعة ابراهيم باشا (عين شمس بعد ذلك) فى ١٩٥٣-٥٦، إن طلابا يساريين كثيرين كانوا يشكون فى «أن حدثوا اتجاه اجنبى له ميول صهيونية»، وهو انطباع أثر على قراره بشأن التنظيم الذى ينضم إليه^(١٦).

نمت نسبة الطلاب والخريجين فى الحركة الشيوعية وانخفضت نسبة العمال عندما حرم مجلس قيادة الثورة الشيوعيين من تأييد الطبقة العاملة الذى كانوا قد ظفروا به فى الاربعينيات، فيما عدا معازل منعزلة فى مراكز القزل والنسيج فى شبرا الخيمة وكفر الدوار. وانضم الطلاب لصفوف الشيوعيين لأنهم عارضوا الديكتاتورية العسكرية وخشوا أن تؤدى المفاوضات الانجليزية المصرية إلى خيانة المطلب الوطنى بالجلء التام وغير المشروط للقوات البريطانية من منطقة قناة السويس. ومن ثم، أصبحت الجامعات الساحة الأساسية للصراع بين الشيوعيين (وقوى المعارضة الأخرى) والنظام.

وكان إطار سياسات المعارضة اليسارية فى الحرم الجامعى هو «الجبهة الوطنية الديمقراطية»، وهى تحالف من الشيوعيين والوفد وقوى المعارضة الأخرى. واجه الطلاب النظام بجرأة حتى بعد أن تم سحق المعارضة أو تحييدها بين العمال والفئات الاجتماعية الأخرى. وفى حملة انتخابات اتحاد الطلاب فى ١٩٥٣، حاصرت رابطة الطلاب الشيوعيين التابعة لحدثو ومؤيدو الجبهة الوطنية الديمقراطية جمال عبد الناصر الذى كان يزور الجامعة حينذاك، ومنعوه من الوصول لمكتب العميد وعندما قُتل طالب وفدى عضو فى الجبهة فى السجن، وزع زملاؤه فى جامعة ابراهيم باشا كتيبا استفزازيا معنونا «ليسقط نجيب قاتل عصام». وكان مؤلف الكتاب عضوا فى رابطة الطلاب الشيوعيين، هو رفعت السعيد، وقد وبخته قيادة حدثو على «يسارته» لأن حدثو لم تكن قد تبنت بعد موقف المعارضة الكاملة للنظام. وبعد الاعتقال الجماعى لقيادة حدثو فى (آب)، تولى الطلاب مسؤولية أكبر فى إدارة التنظيم، واستمروا مع تزايد القمع، يتحدثون النظام.

وكانت الراية نشيطة جداً بين الطلاب وبدأت تنمو فى هذه الفترة. وقد اجتذبت الطلاب بفضل معارضتها العنيدة «للدكتاتورية الفاشية»، وتركيزها على استيعاب النظرية الماركسية، وطابعها المصرى المحض. وانضم عدد كبير ممن اصبحوا علماء اقتصاد بارزين فى مصر فيما بعد للراية عندما كانوا طلابا فى منتصف ١٩٥٠. وقاد أحدهم، عمر محبى الدين، تحالفا بين الشيوعيين والإخوان المسلمين فى جامعة ابراهيم باشا فى اعتصام طويل خلال (حزيران) - (تموز) ١٩٥٤ احتجاجا على اتفاقية الجلء الانجليزية المصرية.

وقد عبر فؤاد مرسى عن روح المثقفين الشيوعيين فى منتصف الخمسينيات، وكان حينذاك أستاذا بجامعة الاسكندرية. حيث يفسر الكتيب الذى وضعه فى ١٩٥٤ بعنوان «من هم الشيوعيون المصريون وماذا يريدون؟» ذلك بقوله «لأننا مصريون وطيون، فقد أصبحنا شيوعيين». وكان هذا الاتجاه شائعا بين كثيرين من الطلاب فى الحركة الشيوعية فيما وراء الراية^(١٧). ذلك أن إيلاء

الأولوية للنضال الوطنى لم يكن اختراعاً لمرسى والرأية، فقد عبر عنه كورييل أولاً فى الأربعينيات وجسده فى ممارسات حدثت، بما فى ذلك تأييدها للضباط الأحرار فى ١٩٥٢. وتبنت الفجر الجديد هى أيضاً، على الرغم من خلافاتها التكتيكية مع حدثت، هذا المنظور الاستراتيجى، الذى طبقته بالعمل من داخل الوفد ومع ذلك، ففى منتصف الخمسينيات، بدأ عنصر جديد يؤثر على النظرة الوطنية للمثقفين الشيوعيين: القومية العربية. وفى حين أن اليهود وغير اليهود وجدوا لغة مشتركة فى الاتجاه الوطنى المصرى المحلى للحركة الشيوعية فى الأربعينيات، فإن حقن موضوعات القومية العربية وتّر هذه الوحدة لنقطة الانكسار.

واستهل كتاب فى الدراسات الأدبية لمحمود أمين العالم وعبد العظيم أنيس، صدر بعنوان (فى الثقافة المصرية)، المسار نحو القومية العربية وفيه هاجمت المقالات الأساسية التى دعا فيها الماركسيان الشابان إلى أدب الواقعية، والانحياز الاجتماعى، والتجديد، عميدى الأدب المصرى، طه حسين وعباس محمود العقاد، وقد ظهرت هذه المقالات للمرة الأولى فى (شباط) - (آذار) ١٩٥٤. وقد أظهر المؤلفان بقيامهما بأول عمل قيم للنقد الثقافى الماركسى فى مصر وإشراكهما للشخصيات البارزة للأدب المعاصر فى المناقشة، أن الماركسية يمكن تعريبها. وبالإضافة لذلك، فإن العالم وأنيس بمهاجمتهما لمؤلف طه حسين، مستقبل الثقافة فى مصر^(٢١) - وهو توكيد برنامجى لهوية مصر البحر متوسطية التاريخية، أكدا ضمنا وجود بديل قومى عربى. وأكدا أن الثقافة نتاج لا لجواهر أبدية وإنما لواقع اجتماعى، وأن الواقع الاجتماعى المسيطر فى مصر هو النضال ضد الإمبريالية. وبالتالي، فإنه يتعذر الدفاع عن اتجاه طه حسين الذى يؤكد على ميراث مصر المشترك مع أوروبا البحر متوسطية، ومصر لا تستطيع أن تحس بروابط مشتركة إلا مع المجتمعات العربية الأخرى المشتبكة فى النضال نفسه.

وعندما صدر كتاب فى الثقافة المصرية، كان أنيس يعمل فى بيروت بعد فصله من جامعته فى مصر. وقد سهّل نشر الكتاب فى بيروت، رفاق أنيس من الشيوعيين السوريين واللبنانيين، الذين كان اتجاههم القومى العربى أكثر تطوراً من اتجاه المصريين. وفى تقديمه للكتاب، اعتذر حسين مروه الشيوعى اللبنانى، على أنه يركز على مصر على وجه الحصر لكنه أدعى أنه كان يمكن إصداره بعنوان «فى الثقافة العربية» لأنه «يعكس وجوها شتى من التقارب بين ثقافة عربية فى مصر وثقافة عربية فى غير مصر من ديار العروبة»^(٢٢). وأصبح الاتجاه القومى العربى لأنيس أكثر بروزاً حتى من ذلك عندما أكمل دراساته للدكتوراه فى الرياضيات فى إنجلترا وعاد لمصر بعد حرب ١٩٥٦. وباعتباره محرراً للشؤون الخارجية فى المساء، فإن تقاريره النابضة بالحياة عن سوريا ولبنان نشرت بين قرائه وعيا بالعالم العربى الأعرض.

وبصعب تمييز التعبيرات المبكرة الأولى عن الاتجاه القومى العربى الوطنى البازغ فى الحركة الشيوعية، لأن المنظمات كانت فى حالة من التشوش بين ١٩٥٣ و ١٩٥٥ وانغمست فى منازعات

حلقية غير مجددة. بيد أن بعض العناصر في الحركة، تبنت موقفا أكثر توفيقا تجاه النظام نتيجة لاتجاهه الجديد في السياسة الخارجية، حيث أصبحت القومية العربية عنصرا مهما فيه. ففي مارس (آذار) ١٩٥٤، عشية المواجهة بين نجيب وعبد الناصر، أصدرت مجموعة من أعضاء اللجنة المركزية لحدتو المسجونين «بيان السجن الحربي» الذي يؤيد النظام^(٢٣). وشجبت القيادة النشطة التي ظلت حرة خارج السجن هذا البيان، فأدى الجدل الداخلي المترتب على ذلك إلى إصابة حدتو بالشلل خلال أزمة مارس (آذار) ١٩٥٤. وتراءى مدّ القومية العربية في صفوف الشيوعيين في محاولات توحيد مختلف الاتجاهات. ومع ذلك، فقد كان ينبغي حل «قضية يونس» (الاسم الحركي لكورييل) قبل الوحدة.

□ «قضية يونس»

في ٢١ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٥٢، عندما كانت حدتو لاتزال تؤيد مجلس قيادة الثورة، نشرت لومانتية بيانا يفضح «النشاط الحلقى للرفيقين مارتى - تيليتون» في الحزب الشيوعي الفرنسي^(٢٤). وكان من بين الجرائم المنسوبة لمارتى صلته «بزوجين مصريين مشكوك فيهما التقى بهما أثناء مروره بالقاهرة في ١٩٤٣» والذين كانا على علاقة بشخص تروتسكى اتهم بأنه واش خلال الحرب. وكان هذا الزوجان هما هنرى وروزيت كورييل، وكانا بالفعل قد استضافا مارتى في القاهرة عندما توقف فيها لفترة وجيزة في طريقه من موسكو للجزائر لينضم للجنة التحرير الوطنى الفرنسية. لماذا تُورط قيادة الحزب الفرنسى كورييل بدون داع في نزاع داخلى لم يكن له صلة به؟ ربما كان ايلى مينيون رئيس مكتب المستعمرات في الحزب قد تأثر بآراء مهاجرين مصريين معارضين لكورييل. وبالإضافة لذلك، فقد كان الفرنسيون دوما منحازين للرأية لأن القائدين الرئيسيين منها، فؤاد مرسى واسماعيل صبرى عبد الله، قد تربيا في حزبهم وكانا مخلصين لأسلوبه الأرثوذكسى. وتوضح سيرة كورييل الرائعة التى كتبها جبل بيرو، أن الدافع وراء الهجوم كان تأييد حدتو لانقلاب ٢٣ يوليو (تموز) ١٩٥٢، فى تعارض مع موسكو والحزب الفرنسى على حد سواء^(٢٥). ولربما كان هذا الانحراف سببا كافيا فى عصر الستالينية الصاعدة ورغم أن الحزب الشيوعي الفرنسى لم يقدم أى دليل على أن كورييل قد تصرف بطريقة مدانة، فإن التشكيك الذى أثاره حوله «الحزب الشقيق الكبير» كان حكما بالإعدام عليه فى مصر. ورفض الذين عرفوا كورييل وعملوا معه لسنوات طويلة أن يكون لهم أى شأن به حتى تبرأ ساحتهم^(٢٦). وامتنعت المنظمات الأخرى عن النظر فى الوحدة مع حدتو إلى أن تسوى «قضية يونس». وعندما رأى خصوم حدتو أن اتهاماتهم بانتهازية كورييل قد ثبتت، أثير تساؤل آخر حول دور اليهود فى الحركة.

فى فبراير (شباط) ١٩٥٥، توحدت من جديد ست مجموعات منقسمة مع حدتو لتشكيل الحزب الشيوعي المصرى الموحد. لقد انقطعت صلة كورييل ومجموعة روما برفاقهم المصريين لدرجة أنهم علموا بهذا القرار -الذى صدقوا عليه بحماس- من الشيوعيين السودانيين^(٢٧). ومع ذلك، فقد

كان تعليق عضوية كورييل أحد شروط الوحدة التي فرضتها المنظمات الأخرى، مع استخدام مقال لومانتية كأساس رسمي لهذا الطلب. كما استبعدت عضوية قائد حدثو عشية الوحدة، كمال عبد الحليم، وهو معاون لكورييل وثيق الصلة به، وزوج نُعومي كانيل، العضوة اليهودية في حدثو، من الحزب الشيوعي المصري الموحد ربما كان ذلك رسمياً بسبب «يمينيته» (كان قائد حدثو الأشد تعاطفاً مع النظام الناصري) وليس علاقته بكورييل أو زوجته اليهودية. وقد أعيد قبول كورييل وعبد الحليم وأربعة آخرين علقت عضويتهم، في الحزب الشيوعي المصري الموحد في يوليو (تموز) ١٩٥٦، بيد أن عاملاً حلّ محل كورييل في اللجنة المركزية. ورغم أن مجموعة روما أعتبرت تنزيل كورييل «خضوعاً للتعصب القومي البورجوازي»، فقد قبلت القرار بإخلاص^(٢٨). وانضم كورييل للجنة المركزية من جديد بعد حرب ١٩٥٦^(٩١).

□ هل كان هناك انحراف صهيوني في حدثو؟

ترسخت قيادة المثقفين من أبناء البلاد من خلال الصراع ضد القادة اليهود والكوزمو بوليتانيين الأقدم، وكان هناك على الدوام خطر أن يؤثر هذا الصراع على موقف الشيوعيين من النزاع الفلسطيني/ العربي - الإسرائيلي. فقد أثار نقد «التكتل الثوري» لقيادة حدثو، على الأقل في أذهان بعض أعضاء حدثو، الشك في أن كورييل والقادة اليهود للآخرين قد يكونون متعاطفين مع الصهيونية. ومن المؤكد أن قادة الديمقراطية الشعبية كانوا يعتقدون ذلك. وإذا ألفت قضية مارثي بظلالها على سمعة كورييل، فقد انتشرت الشائعات عن تعاطفه مع الصهيونية، خاصة بين أعضاء الحركة من الطلاب الشبان الذين لم يعرفوا كورييل أو الشيوعيين اليهود الآخرين شخصياً.

هل هناك أي دليل يسند الاتهام بالصهيونية الذي وجه لكورييل وحدثو؟ نظراً لأنه لا توجد مجموعة كاملة من الوثائق الشيوعية المصرية (ربما فيما عدا ملفات الشرطة المصرية، التي لا تطلع الباحثين على مواردها)، لا بد أن تظل الإجابة على هذا السؤال اجتهادية. ومع ذلك، فإنني لم أَر شيئاً يدعم هذا الادعاء. والآراء الفردية المعرب عنها شفاهة ربما اختلفت عن الموقف الرسمي لحدثو، وهذا أمر يمكن توقعه في تنظيم متراخي الانضباط^(٣٠). وربما استخدم أعضاء حدثو اليهود وأبناء الطبقة العليا أسلوباً متكلفاً في مناقشة قضية فلسطين والنزاع العربي الإسرائيلي يختلف عن أسلوب المصريين الذين تعلموا باللغة العربية، وذلك بحكم تعليمهم الفرنسي الذي يطرح المسألة اليهودية باعتبارها مشكلة في التاريخ الأوروبي.

وكان صوت المعارضة، مشمش، هو التنظيم الوحيد الذي تضمن تحليله للقضية الفلسطينية ما يمكن اعتباره انحرافات صهيونية. فقد أدان غزو مصر لفلسطين باعتباره «حرباً عنصرية» حرّضت عليها الامبريالية - رغم أن كل الشيوعيين فعلوا هذا. بيد أنه بالإضافة لذلك، فإن مشمش حللت حرب ١٩٤٨ باعتبارها حرباً للبورجوازية العربية ضد البروليتاريا في بلادها بهدف صرف الأخيرة عن

الصراع الطبقي. ونظرا لأن الصهيونية كانت تفقد سيطرتها على الطبقة العاملة اليهودية التي تزداد راديكاليته، فإن إسرائيل قد تصبح دولة اشتراكية. ومن ثم، فإن البورجوازية العربية هاجمت البروليتاريا اليهودية بصفة خاصة. ودافعت مشمش عن حق الطائفة اليهودية في تقرير المصير في فلسطين، مؤكدة أن اليهود قد أصبحوا «شعبا «يمقراطيا»، وأن الحكم العربي سيدمر «جزيرة للديمقراطية يمكن أن تكون ذات تأثير حسن على الجزء العربي من فلسطين وتلعب دورا إيجابيا في الشرق الأوسط»^(٣١).

كان قادة مشمش جميعهم من أعضاء ايسكر السابقين من اليهود وأبناء الطبقة العليا، وكانت قلة من العمال تنتمي للتنظيم على الرغم من خطه «البروليتارى ١٠٠ فى المائة» وقد نجّم فهمه الخاطئ للنزاع العربى الإسرائيلى وطبيعة إسرائيل من اتجاهه العمالى الضيق وإسقاطه للنضال الوطنى باعتباره مجرد قضية شيوعية مستحسنة. ورغم أن مشمش كانت من أكبر الانقسامات على حدثو، حيث بلغت عضويتها عدة مئات فى ١٩٤٩، فإن المنضمين اليها سرعان ما تم القبض عليهم لاستخدامهم تكتيكات مغامرة مثل إرسال «فتيات شابات من قلب القاهرة ... (لتنظيم العمال وبيع صحف لهم) فى شبرا الخيمة فى ظل قانون الطوارئ وبدون أى خبرة»^(٣٢). أصبحت المنظمة خاملة بعد القبض على القيادة فى أغسطس (آب) ١٩٥٠ وتم حلها فى ١٩٥٤ عندما رحل قائداها اليهوديان، اوديت وسيدنى سولومون، عن مصر.

ولم يكرس الشيوعيون سوى قليل من الجهد لتحليل النزاع العربى الاسرائيلى بعد حرب ١٩٤٨-٤٩ لأن القضايا الوطنية المصرية أصبحت أكثر إلحاحا بصورة متزايدة: الملكية المتداعية، وانقلاب ٢٣ يوليو (تموز) ١٩٥٢، والمفاوضات لإنهاء الاحتلال البريطانى لمنطقة القناة. وكرست الصحف الاسبوعية القانونية المتتالية لحدثو من ١٩٥٠ إلى ١٩٥٢، مثلا البشير والملايين والواجب، مساحة للشؤون العربية الاسرائيلية أقل من سالفاتها، الجماهير. وفى أواخر ١٩٥٣ فقط، زاد التوتر على الحدود العربية الاسرائيلية، خاصة فى أعقاب الغارات الاسرائيلية على البريج وقيبيه، مما دفع بالنزاع إلى المقدمة مرة أخرى.

ودعت حدثو وقد أقلقتها الغارات عبر الحدود والتي لا بد أن تهدد الهدنة الهشة فى الشرق الأوسط، إلى «سلام عادل وديمقراطى» بين مصر وإسرائيل^(٣٣). واعتبرت القوى الامبريالية مسؤولة عن التوتر بين إسرائيل والدول العربية، مثلما فعلت فى ١٩٤٨. وكررت هذا التحليل مجددا فى رسالة التضامن التى بعثت بها فى يوليو (تموز) ١٩٥٤ إلى مؤتمر الأحزاب الشيوعية العاملة فى مجال نفوذ الامبراطورية البريطانية، والتى حيّت أيضا ماكى على ريادته فى النضال من أجل السلام بين إسرائيل والدول العربية وعلى دفاعه عن حق اللاجئين العرب، وحقوق الأقلية العربية فى إسرائيل، والنضال ضد الصهيونية، عميلة الامبريالية الامريكية، وخططها للتوسع الإقليمى فى الشرق الأوسط»^(٣٤).

لم يتخذ عداء قادة الراية للدور التاريخي لليهود في الحركة الشيوعية، شكل عدم الموافقة على موقف حدثو أو الحزب الشيوعي الموحد بشأن القضية الفلسطينية. وفي الصفحات الثلاثة الأخيرة من كراسة سياسية وضعتها الراية، أكد فؤاد مرسى أن الاقطاعيين المصريين والبورجوازية المصرية قاما بغزو فلسطين بسبب الصراع الإقطاعي الامبريالي بين الملك فاروق في مصر والملك عبد الله في الأردن وبغية إلهاء الشعب المصري عن مشكلاته الحقيقية. وخلص الكتيب إلى الدعوة لإنهاء حالة الحرب بين إسرائيل ومصر وإقامة «دولة عربية ديمقراطية مستقلة في أجزاء من فلسطين قررت هيئة الأمم تركها للعرب» (٣٥).

وعكست الراية الاتجاه السياسي المصري المحلي للحركة الشيوعية في مطلع الخمسينيات، في هجومها على «العسكريين الفاشيين» في مجلس قيادة الثورة لقيامهم بحملة لجمع التبرعات للاجئين الفلسطينيين في قطاع غزة - لأنهم يلقون بعبء على كاهل الشعب المصري، في حين أن حل مشكلة اللاجئين يكمن، على النقيض من ذلك، في «تكوين دولة فلسطينية عربية ديمقراطية مستقلة وذلك بسحب الجيوش الأجنبية التي تحتل أراضيها والكف عن إثارة الأحقاد العنصرية ضد اليهود» (٣٦). وفي رد فعل للمصادمات على الحدود المصرية الاسرائيلية في ١٩٥٣، دعت الراية إلى «صلح مع إسرائيل على أساس إقرار حق اللاجئين العرب في تكوين دولتهم المستقلة» (٣٧).

هاجمت الراية الحزب الشيوعي المصري الموحد باعتباره مجرد تجسد جديد لحدثو. وقدمت في ١٩٥٥ تاريخا شاملا لتاريخ المنظمين، وشجب انتهازية حدثو/ الحزب الشيوعي المصري الموحد على مواقفهما من انقلاب ٢٣ يوليو (تموز) ١٩٥٢، والديكتاتورية العسكرية، واتفاقية الجلاء الانجليزية المصرية، والسياسة الخارجية لمصر، وصفقة الأسلحة التشيكية. وعلى خلاف الحزب الشيوعي المصري الموحد، ظلت الراية تعارض النظام الحاكم بقوة. وفي وثيقة مكونة من اثنتين وعشرين صفحة، كرست صفحة ونصف الصفحة فقط للقضية الفلسطينية، وبالإضافة لهذا ففي هذا القسم الوجيز - وعلى النقيض من اتجاه باقي الوثيقة - لم تتعرض الوثيقة بالنقد لموقف حدثو والحزب الشيوعي المصري الموحد بشأن النزاع العربي الاسرائيلي. وأيدت الراية إنشاء دولة عربية فلسطينية داخل الحدود التي حددها مشروع الأمم المتحدة للتقسيم، على الأراضي التي تتخلى عنها إسرائيل والأردن ومصر (٣٨).

ومن ثم، فحتى قبل حرب السويس/ سيناء مباشرة، لم يكن هناك فرق جوهري بين مواقف حدثو والحزب الشيوعي المصري الموحد والراية بشأن النزاع الفلسطيني/ العربي - الاسرائيلي، حتى على الرغم من أن الأخيرة لم تتأثر بوجود أعضاء يهود، سواء في الماضي أو الحاضر. ومع ذلك، استمرت الراية تهاجم حدثو والحزب الشيوعي المصري الموحد كما لو كان كورييل لايزال يديرهما. وقد شجع هذا النقد المستدام الشكوك في أن حدثو والحزب الشيوعي المصري الموحد قد يكونان خاضعين للنفوذ الصهيوني، حيث أن كورييل كان لايزال محاطا بالشكوك بشأن قضية مارتى. وبالتالي، فقد

قوّض القبض على كثيرين من المخربين اليهود الذين ارسلتهم اسرائيل فى اغسطس (آب) ١٩٥٤ أمن الطائفة اليهودية المصرية بأسرها وأثار مزيدا من الشكوك حول مصداقية اليهود فى الحركة الشيوعية^(٣٩). وكان الإثبات المنطقي على أن كوربيل والشيوعيين اليهود لم يكونوا صهيونيين، أقل قوة من التطور الدينامي للنزاع مع اسرائيل. وأصبح الاحتكاك الاجتماعي بين اليهود وغير اليهود فى الحركة، والذي ترجع جذوره لفترة بعيدة من الأربعينيات، أكثر حدة مع احتدام النزاع العربى الاسرائيلى، واكتساب نظام عيد الناصر مشروعية من خلال نجاحاته الوطنية، وتغير الطابع الاجتماعى للحركة الشيوعية.

□ جبهة موحدة للمابام وماكى ؟

فى عالم الحرب الباردة الآخذ فى الاستقطاب سريعا، كان كل من المابام وماكى يعتبران أن مساندة الاتحاد السوفيتى والطريق الدولى لثورة أكتوبر، هما القضية السياسية الأساسية. وعلى هذا الأساس، لم يكن من الصعب تصور قيام مستوى مرتفع من التعاون بين المابام وماكى. وعلى الرغم من تنازلات المابام الكبيرة للصهيونية حتى قبل نهاية ١٩٤٨، بقى يعتبر نفسه، ويعتبره الآخرون، حزبا ماركسيا ثوريا. وعلى الرغم من أن قادة ماكى كانوا ينتقدون أوجه عدم الاتساق فى موقف المابام إزاء قضايا النزاع العربى الاسرائيلى، فقد استمروا فى النظر إليه كحليف محتمل. بالإضافة إلى ذلك، فإنه نظرا لأن الاتحاد السوفيتى كان لا يزال ينظر لاسرائيل باعتبارها القوة المعادية للامبريالية الرئيسية فى الشرق الاوسط، فقد كان اليساريون فى المابام يعتقدون أنه سيكون ممكنا فى نهاية المطاف توجيه الحركة الشيوعية الدولية بعيدا عن معارضتها التاريخية للصهيونية بإظهار ولاء لا يهتز للاتحاد السوفيتى وبناء يسار صهيونى فى اسرائيل على حد سواء. وكانوا يتطلعون أيضا لقيام علاقات جيدة بين ماكى والمابام.

فى مطلع يونيو (حزيران) ١٩٤٨، طالبت اللجنة المركزية لماكى بصورة عاجلة بأن تدخل مع قيادة المابام فى مشاورات لبحث أعمال التعبئة المشتركة من أجل حرب اسرائيل للاستقلال والمجالات الأخرى «ذات الأهمية الوطنية الكبيرة»^(٤٠). وفى وقت لاحق من ذلك الشهر، وزع ماكى كتيباً على المؤتمر الوطنى الأول للمابام يقترح تكوين جبهة متحدة تقوم على برنامج مشترك: تعبئة كل القوى الوطنية والدولية من أجل المجهود الحربى وسيادة دولة اسرائيل، الاستقلال الكامل لاسرائيل، بدون قواعد أجنبية، وبلا تنازل عن الأراضى لعبد الله، عاليه (هجرة) غير محدودة، معارضة مقترحات برنادوت، التنمية الاقتصادية، حقوق متساوية لكل مواطنى اسرائيل، حلف للصداقة مع الاتحاد السوفيتى والديمقراطيات الشعبية، سياسة ديمقراطية تجاه الاقلية العربية فى اسرائيل، الدفاع عن مصالح الطبقة العاملة، والنضال ضد خطر الفاشية فى اليشوف. وفى حين سلم الكتيب بالخلافات الايديولوجية بين الحزبين، فإنه لم يناقشها، كما لم يتصد لمسألة الصهيونية مباشرة. كما حذف برنامج ماكى المقترح، إنشاء دولة عربية فلسطينية، على الرغم من أن هذا الهدف كان واردا ضمنا فى بند

يعارض ضم عبد الله للأراضي. ومن المؤكد أن المابام وماكى كانا متفقين على هذه النقطة، وقد أدرجت في مشروع البرنامج الذي اقترحه ماكى في أواخر آب كأساس لقائمة مشتركة في أول انتخابات برلمانية في إسرائيل^(٤١).

وقد تجاوزت مقترحات ماكى من أجل إقامة جبهة وقائمة انتخابية مشتركة مع المابام، التعاون المحدود مع الأحزاب الصهيونية الذي تطلع إليه الحزب الشيوعي الفلسطيني في فترة مبكرة ترجع إلى ١٩٤٦. وحيث أن المابام كان هو الحزب الأكبر حتى ذلك الحين، فإن ماكى كان سيبصيح الشريك الأصغر في الجبهة. ومن ثم، فإن المابام سيعطى للجبهة قاعدتها الجماهيرية، في حين أن مشاركة ماكى ستكفل موافقة الحركة الشيوعية الدولية، وهو اعتبار قيم بالنسبة لكثيرين من أعضاء المابام. ولبناء مثل هذه الجبهة، كان ماكى مستعدا لأن يحل محل التمييز بين الصهيونيين وغير الصهيونيين، تمييز بين «معسكر التقدم الساعى من أجل السلام المرتبط بحركة العمال التقدمية، أصدقاء الاتحاد السوفيتى والديمقراطيات الشعبية من ناحية و«معسكر الرجعية الموالية للامبريالية» من ناحية أخرى.

وقد عارضت احداث هاعفودا أى شكل من التعاون يجمع بين المابام وماكى معا. وفي حين كان اليسار الحضرى بقيادة سنيه ويرمان وتوين وأفراد مبعشرين فى كيبوتس ارتسى يجذبون قيام جبهة شاملة مع ماكى، فإن ريفتى وبيرى ومعظم يسار كيبوتس ارتسى، كانوا يفضلون العمل المشترك حول القضايا التى يوجد حولها اتفاق لكنهم رفضوا قيام جبهة شاملة، معتقدين إن إقامة الدولة اليهودية هو مجرد «بداية لتحقيق الصهيونية»^(٤٢). وبالنسبة لهم، كان التوحيد بلا تحفظ مع «عالم الثورة» هو الطريق لتحقيق الصهيونية فى حدها الأقصى وجعل الصهيونية مقبولة عند الحركة الشيوعية الدولية على حد سواء، ومن ثم ينبغي للمابام ان «يفعل أى شئ لجعل ماكى دخيلا غريبا»، وبذلك لا تكون هناك «حاجة لحزبين شيوعيين فى بلد واحد»^(٤٣).

وكانت هذه الاستراتيجية تتطلب وضع حد فاصل قاطع بين ماكى والمابام -على الرغم من الدرجة العالية من وحدة البرنامج بينهما- وخاصة بين ماكى ويسار المابام. وخلال خريف ١٩٤٨، جادل كثيرون من قادة المابام بعنف ضد ماكى بغية جعل التمايز بين الشيوعية والصهيونية أكثر حدة. ورفض ناحوم نير ومائير تالمى، اللذان كانا يمثلان يمين المابام ووسطه، واليعازار بيرى عضو الجناح اليسارى فيه جميعهم، مقال ايليا اهرينورج فى البرافدا الذى حظى بذبوع كبير والذى أيد إقامة دولة اسرائيل لكنه طالب فى الوقت نفسه باستيعاب اليهود وانخراطهم فى الاتحاد السوفيتى. بل لقد كان بيرى أكثر تصلبا من نيروتالمى فى الإصرار على أن الصهيونية كانت شرطا لقيام جبهة متحدة لأن:

الصهيونية هى حقيقة وجودنا فى هذا البلد. ومن ثم، فمن المستحيل أن يكون هناك أى كيان عام أو قائمة سياسية لاصهيونيين... والمابام لا يستطيع أن يسمح

لنفسه بأن يظهر فى مثل هذه الصورة غير العادية. إن المابام ليس شيعة منعزلة. إنه يعتبر نفسه مسؤولاً عن شؤون الأمة كلها، وهو يسعى لاكتساب ثقة الغالبية الديمقراطية لهذه الأمة.

إن جبهة متحدة لا صهيونية لن تكسب الأمة، بل ستفرضها (٤٤).

ووافقت غالبية المابام على أن الصهيونية فى إسرائيل هى خط التقسيم السياسى الأساسى، ومن ثم رفضت اقتراحات ماكى بإقامة جبهة وتقديم قائمة انتخابية مشتركة، رغم أنها عرضت الإبقاء على اتصال وتعاون دائمين معه.

□ الانتخابات للجمعية التأسيسية (الكنيست الأولى)

فى ٢٥ كانون الثانى ١٩٤٩، أجرت إسرائيل انتخابات للجمعية التأسيسية. كانت الحرب قد انتهت، لكن اتفاقيات الهدنة بين إسرائيل والدول العربية الغازية لم تكن قد وقعت بعد، ومن ثم لم يبد إنشاء دولة فلسطينية فى المستقبل القريب أمراً مستحيلاً. ركزت الدعاية الانتخابية للمابام على أهمية أعضائه فى البالماح وإسهامه فى العالياه، والاستيطان والدفاع. وطالب برنامج الحد الأقصى الذى عرضه بما يلى:

إقامة دولة اشتراكية، ومجتمع العمال الحر بدون استغلال أو قمع فى كل أرض إسرائيل، التى ستضم داخل حدودها غالبية الشعب اليهودى من كل منا فيه وشتاته وتبقى على علاقات السلام والأخوة مع جماهير الشعب العربى التى تعيش فى فلسطين.

وسيتحقق توحيد أرض إسرائيل بوسائل سلمية. وبعد طرد الغزاة العرب من البلاد وإقامة العرب المتبقين الساعين من أجل السلام لدولتهم، سينفذ الاتحاد الاقتصادى الذى استهدفه مشروع الأمم المتحدة للتقسيم. إن الصداقة القائمة على العلاقات الاقتصادية النافعة على نحو متبادل سترسى الأساس «لدولة حرة واحدة للشعب اليهودى العائد لوطنه والمستقر فيه ولجماهير الشعب العربى القاطنة هناك». وللحفاظ على إمكانية تحقيق هذا الهدف، عارض المابام أى اتفاقية سلام مع عبد الله أو ضم الأراضى من قبل أى دولة عربية (٤٥).

ولم يظفر هذا البرنامج بتأييد كبير بين عرب فلسطين، ليس فقط لأن المابام طالب وفقاً لقراره فى ٧ (تشرين الأول) ١٩٤٨، بضم إسرائيل للأراضى التى تحتلها قوات الدفاع الاسرائيلية فيما وراء حدود الأمم المتحدة للتقسيم، وإنما أيضاً لأن الدولة المتحدة المستهدفة ستضم أغلبية يهودية، وبالإضافة لذلك، فإن المابام بسبب معارضة حدوثها عفوداً السابقين، لم يعلن أن العرب سيحظون بحقوق وطنية فى هذه الدولة. وإذعاناً لحدوثها عفوداً أيضاً، لم يقبل المابام أى أعضاء عرب. بل تم تشجيع العرب على الاقتراع للقائمة العربية الشاملة - الكتلة العربية الشعبية - التى أقامها المابام قبل الانتخابات بثلاثة أسابيع فحسب. وكان أهارون كوهين، باعتباره رئيساً لدائرة الشؤون العربية،

يدير العمل الانتخابي للمابام بين العرب، وأصدر تعليماته بأنه:

فى حالة توجيه اسئلة بشأن الشيوعيين ينبغي توضيح أنه فى ضوء مبادئهم الأساسية وبرنامجهم ليس هناك تقريبا أى خلاف بين قائمتنا (رقائمة) الشيوعيين فى الشؤون المتعلقة بالعرب، لكن الناخب العربى ينبغي أن يعرف أن الحزب الشيوعى جد ضعيف بين رأى العام اليهودى ولا يحظى بشعبية لأنه ظل سنوات كثيرة يعارض التطلعات الوطنية لليهود^(٤٦).

كان هذا موقف كوهين الشخصى، بيد أنه كانت هناك حقا خلافات كبيرة بين نهج الحزبين إزاء العرب، مثلما شرح كوهين فى النشرات والمذكرات الداخلية للهيئات القيادية للمابام. وبعد الانتخابات وخلال عام ١٩٤٩، قام بحملات نشيطة من أجل التزام أكثر استدامة بالعمل السياسى فى المجتمع العربى، وقبول العرب فى المابام فوراً، والتغيير فى سياسة الحزب الراضة لقبول العرب فى الهستدروت^(٤٧). وأيد يسار المابام هذه المقترحات، وعارضتها احداث ها عفوذا.

واجه ماكى باعتباره حزبا يهوديا عربيا بعد ٢٢ أكتوبر (تشرين الأول)، عقبات أقل فى تقديمه لنداء موحد لكل من الناخبين اليهود والعرب، يقوم على تأييده الذى لا لبس فيه لمشروع الامم المتحدة للتقسيم. ومع ذلك، فقد ظل ماكى خارج حيفا حزبا يهوديا بصورة غالبية. وظل كثيرون من أعضائه العرب مسجونين، على الرغم من استعدادهم للاعتراف بإسرائيل، عندما استولت قوات الدفاع الاسرائيلية على المعسكر الذى كان الجيش المصرى قد حبس فيه الشيوعيين من عرب فلسطين. وخلال فتح قوات الدفاع الاسرائيلية للجليل أيضا، تم القبض على الشيوعيين العرب لمقاومة دخول القوات الاسرائيلية لأراض حددتها الأمم المتحدة للدولة العربية. وتم استئناف النشاط الشيوعى فى المجتمع العربى تدريجيا خلال الأشهر التى أعقبت اجتماع الوحدة فى (تشرين الأول) باعتباره نشاطا لفروع ماكى ومؤتمر العمال العرب وأعيد تنظيم توزيع الاتحاد. وتعثرت حملة ماكى الانتخابية فى المجتمع العربى عندما حظرت الحكومة العسكرية القيام بحملات فى المناطق العربية الواقعة تحت سيطرتها، وهو قرار تم الرجوع عنه بعد ١٠ يناير (كانون الثانى) فحسب. كما كانت الحكومة قد خططت أصلا لطبع بطاقات الاقتراع بالعبرية وحدها، لكنها قدمت بطاقات عربية فقط بعد احتجاج ماكى والمابام^(٤٨). وتأخر اشتداد ساعد ماكى باعتباره حزبا يهوديا عربيا أيضا: ففي الأراضى التى حددتها الامم المتحدة لإدراجها ضمن الدولة الفلسطينية العربية، ظلت عصبة التحرر الوطنى هى الحزب الشيوعى الوحيد، وبهذا أجريت الحملة الانتخابية فى الأراضى المحتلة باسم العصبة، وليس ماكى. وفى عكا مثلا، ألقى حنا نقاره خطابا فى اجتماع عقدته العصبة حث فيه العرب على الاقتراع لصالح ماكى لأنه الحزب اليهودى العربى الوحيد فى إسرائيل ولأنه يقاتل من أجل حقوق كلا الشعبين على قدم المساواة. وأعلن نقاره أنه على الرغم من أنه ليس عضوا فى الحزب، فإنه سيقترع لصالح ماكى، ودعا من أيدوا إقامة دولة فلسطينية فى المناطق العربية (بما فى ذلك عكا)، وإطلاق سراح السجناء العرب، وعودة اللاجئين ونهاية القهر القومى أن يفعلوا الشئ نفسه^(٤٩).

قامت دعاية ماكي الانتخابية على توجيه نداء دولي بإنشاء دولة فلسطين العربية وفق مشروع الأمم المتحدة للتقسيم في ٢٩ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٧، وحماية استقلال إسرائيل، والسلام بين إسرائيل والدول العربية المجاورة، والمساواة الكاملة بين العرب واليهود داخل إسرائيل، وعودة اللاجئين الفلسطينيين، وإطلاق سراح كل السجناء الفلسطينيين، وإلغاء الحكم العسكري، وتوفير وظائف لكل الفلسطينيين الذين يلتزمون عملاً، وضمان أجور متساوية للعرب واليهود، وحقوق متساوية للمرأة، وتعليم مجاني ومتساو لليهود والعرب، وحرية الدين. وركز ماكي على أنه الحزب اليهودي العربي الوحيد في البلاد^(٥٠). واحتل توفيق طوبى واميل حبيبي المركزين الثاني والخامس في قائمة ماكي، وهما موقعان مرتفعان بما يكفي لضمان التمثيل العربي في كتلة الحزب في الكنيست.

وأوضحت نتائج الانتخابات وجود يسار اسرائيلي قادر على البقاء^(٥١). فقد كان ثلثا المقترعين لماكي ومايزيد على ٩٥ في المائة من المقترعين للمابام من اليهود. وحصل ماكي على عدد من الأصوات العربية يعادل مثلي ما حصل عليه المابام، لكن نظراً لأن العرب كانوا يمثلون نحو ٥ في المائة فقط من مجموع الناخبين، فقد كانت أهميتهم الانتخابية ضئيلة. وظفر ماكي بأربعة مقاعد في الكنيست، رغم أنه فقد مقعداً منها عندما ترك «الشيوعيون اليهود العبرانيون» السابقون ماكي وانضموا إلى المابام. ومع حصول الماباي على ستة وأربعين مقعداً في الكنيست، والمابام على تسعة عشر مقعداً، أمكن إقامة حكومة تحالف صهيوني عمالي قوية بين أكبر حزين. لكن بن جوريون لم يكن مهتماً بإقامة حكومة ديمقراطية اجتماعية يسارية ورفض تقديم تنازلات برامجية كبيرة للمابام. وقد جذبت أحداثها عفوداً بصفة عامة المشاركة في حكومات بقيادة الماباي، لكنها انضمت بعد أن خنقتها عجرفة بن جوريون وقراره بحل البالماح، إلى الأغلبية الساحقة في المجلس الثاني للمابام في رفض المشاركة في الحكم بشروط بن جوريون^(٥٢). وهكذا أصبح المابام وماكي هما المعارضة اليسارية للحكومة. وبدأ المابام متمسكاً بالتزاماته باعتباره حزبا اشتراكياً ثورياً، واتضح أن هناك تأييداً كبيراً لهذه السياسة بين العمال اليهود.

□ ماركسية منغمسة في إشكالية يهودية

رغم رفض المابام لاقتراح ماكي بتقديم قائمة انتخابية مشتركة والتفاقم الطبيعي للخلافات بين الحزبين خلال الحملة الانتخابية، فقد حافظ ماكي على اتجاهه نحو إقامة جبهة مع المابام. واقترح قائمة انتخابية مشتركة بين ماكي والمابام في الانتخابات للمؤتمر السابع للهستدروت في أيار ١٩٤٩، وفعل ذلك تقريباً في كل انتخابات قطريه عامة ومحلية وخاصة بالهستدروت تلت ذلك - رغم أنه بحلول منتصف الخمسينيات، أصبحت مثل هذه المقترحات مجرد إجراء شكلي. وفي حين أنه لم تقم أي جبهة، فقد تعاون ماكي والمابام في عدة ساحات خلال ١٩٤٩: معارضة انضمام الهستدروت للاتحاد الدولي للنقابات الحرة، تأسيس مجلس السلام الاسرائيلي، تأسيس وقيادة عصبة الصداقة الاسرائيلية السوفيتية، الدعوة لمظاهرات مشتركة في عيد أول أيار في اللدوالرملة يشترك فيها اليهود والعرب. كما اتضح أن الحزبين يتبينان نفس النهج إزاء القضية الفلسطينية. وقد اقترعا في ٤ أبريل

(نيسان) ١٩٤٩ ضد تصديق الكنيست على اتفاقية الهدنة مع شرق الأردن على أساس أنها تعترف بضم عبد الله للضفة الغربية، وتعرقل إقامة دولة فلسطين العربية، وتقبل بوجود قواعد بريطانية في أرض إسرائيل (أى على الضفة الغربية) (٥٣).

وكان سعى ماكي لإقامة جبهة مع المابام جزءا من اتجاهه للالتفاف حول إشكالية يهودية، كانت تضع قضايا الأمن الاسرائيلي، والعالياه، ومصير اليهود الأوروبيين في مركز المناقشة السياسية وتنزل «القضية العربية» لمنزلة ثانوية. وعلى الرغم من رفض ماكي الواضح للصهيونية، فقد شارك المابام واليسار الصهيوني تعزيزهم للقضايا السياسية الرئيسية التي كانت تواجه إسرائيل في ١٩٤٨-٤٩. وتبنى ماكي موقفا وطنيا اسرائيليا في معارضة إنشاء أرض محايدة حرام بين مصر واسرائيل، ولجنة الهدنة المشتركة التي أنشئت في محادثات الهدنة الاسرائيلية العربية في ١٩٤٩، وتدويل القدس مثلما نص عليه مشروع الأمم المتحدة للتقسيم، مؤكدا أن هذه التدابير قد تعزز الوجود العسكري الامبريالي في الشرق الأوسط وتقلص استقلال إسرائيل (٥٤). وكان كل من ماكي المابام جدّ مستريبين في الضغط الأمريكي على إسرائيل لإعادة بعض اللاجئين الفلسطينيين (٥٥). ولأول مرة في تاريخه، أعرب ماكي عن قلقه بشأن استيعاب العالياه؛ واشتكى مؤتمر لجنود قوات الدفاع الاسرائيلية الشيوعيين من أن المتطوعين الأجانب، وكثيرين منهم من الديمقراطيات الشعبية من شرق أوروبا، لا يلقون معاملة متساوية مع غيرهم، مما قد يدفعهم لترك إسرائيل (٥٦).

وبحلول نهاية ١٩٤٨، بدأت رومانيا والمجر وبولندا تقيد الهجرة اليهودية وتقدم اليهود للمحاكمة بسبب نشاطهم الصهيوني. عارضت عال همعشمار هذه التدابير باعتبارها تتعارض مع «المفهوم الستاليني للتحرير الوطني» وهاجمت ماكي على تأييده غير الانتقادي للديمقراطيات الشعبية على الرغم من قيودها على العالياه (٥٧). عقد المؤتمر الحادي عشر لماكي في أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٤٩ مع احتدام الجدل مع المابام حول مسألة العالياه. وأعلن فلنر للمؤتمر أن «الخلاف بين الماركسية والصهيونية لا ينصب على مساندة الدولة، العالياه والهتيا شقوت (الاستيطان). فالماركسيون لايساندون العالياه فقط، وإنما يحاربون من أجل برنامج اقتصاد للوظائف والإسكان يسمح باستيعاب عالياه كبيرة ويمنع المعاناة الكبيرة للعوليم (المهاجرين)» (٥٨). وأكد السكرتير العام ميكونس في خطابه الختامي للمؤتمر على تأييد فلنر للعالياه قائلا: «إن العالياه لاسرائيل ليست الصهيونية. إن الصهيونية ترى العالياه باعتبارها حلا للمشكلة «اليهودية» (٥٩). وفي حين تبنى فلنر البرنامج الصهيوني للعالياه، أكد أهمية تكثيف النضال الايديولوجي ضد الصهيونية. وقال إن ماكي أهمل هذه المهمة في الآونة الأخيرة، لرغبته في إقامة جبهة متحدة مع المابام. وصنف فلنر كل الصهيونية، بما في ذلك صهيونية المابام الاشتراكية، باعتبارها «نزعة قومية بورجوازية» وشجب «تجميع المنفيين» باعتباره شعارا طوباويا رجعيا.

وعكست تقارير وخطب قادة ماكي اليهود في المؤتمر الحادي عشر تنازلات الحزب للخطاب الصهيوني. فتعبير عالياه مثلا كان بدعة في لغة ماكي؛ فقد استخدم المتحدثون في مؤتمر الحزب

العاشر تعبير هجيره الهجرة وهو تعبير طبيعي أكثر بدلا من العالياه، وذلك لأنه ليست له إيماءات الروحية التي أضفتها الحركة الصهيونية عليه. كما أن تعبير هيتاشفوت (الاستيطان) أيضا كانت له إيماءات صهيونية عمالية، وكان يستخدم عادة في ارتباط بالاستيطان الزراعي، الذي كان ماكي يعتبره تطورا طويلا يتطلع للوراء يتعارض مع الدور الطبيعي للطبقة العاملة الحضرية. وبالإضافة لذلك، فإن فلتر وميكونس بتركيزهما على الخلافات الأيديولوجية وليس البرنامجية بين الماركسية والصهيونية، تجنبنا المواجهة المباشرة مع الجانب الاستيطاني الاستعماري للمشروع الصهيوني: توطين المهاجرين اليهود على أراضي العرب سابقا.

وبالطبع، عارض ماكي كل أنواع التفرقة والقمع ضد عرب فلسطين. وأيد تقرير اللجنة المركزية للمؤتمر بثبات حق عرب فلسطين في تقرير المصير وحقوقهم في إقامة دولة كتعبير عن تطلعاتهم الوطنية العادلة. ولكن بدلا من أن يحدد التقرير أن الحدود بين إسرائيل ودولة فلسطين العربية ينبغي أن تكون هي حدود مشروع الأمم المتحدة للتقسيم، فقد نص على أنها حدود تقررها «الدولتان في مفاوضات ودية في ضوء مصالح العمال واستقلال وحرية الشعبين، ونجاح النضال ضد الإمبريالية وأذنانها» (٦٠).

اتخذت الخطوة الأولى للتراجع عن خطوط التقسيم باعتبارها أساسا إقليميا لتقرير المصير الفلسطيني بالفعل في أواخر إبريل (نيسان ١٩٤٩)، عندما اختفت الإشارات إلى عصبة التحرر الوطني من الاتحاد وكول هاعام بدون تفسير. وحسب ما يقول إميل حبيبي، فإن ماكي تخلى عن التزامه بالإبقاء على العصبة باعتبارها منظمة مستقلة في الأراضي الفلسطينية التي احتلتها إسرائيل خلال الحرب، والنضال من أجل منع طرد العرب ومنحهم حقوقهم المدنية. وكانت الوسيلة الوحيدة لتحقيق هذه الغايات هي الإصرار على تطبيق القوانين الإسرائيلية على هذه الأراضي (٦١). وحيث أن المجتمع العربي كان في ظروف يائسة، فقد كان الأمر يتطلب بصفة عاجلة اتخاذ تدابير فورية لتحسين أحواله. ومع ذلك، فإن التخلي عن الوجود المنفصل للعصبة كان يشكل أيضا قبولا فعليا للأمر الواقع الإقليمي والاعتراف بأن دولة فلسطين العربية لن تقام في المستقبل القريب. ويوضح اختفاء العصبة، رغم أنها كانت في مطلع ١٩٤٩ موجودة كبناء شكلي في أماكن مثل عكا والناصر، تسليم ماكي بأن النجاحات العسكرية الصهيونية ستحدد جدول الأعمال السياسي. ولم يقم أي حزب شيوعي آخر في الشرق الأوسط بمثل هذا التكيف مع الوضع القائم الجديد.

وعلى الرغم من أن تنازلات ماكي للإجماع الصهيوني كانت أقل بكثير من تنازلات المابام، فقد جرى تبريرها بنفس التعابير الاستطاردية: إن إنشاء إسرائيل كان انتصارا للقوى المعادية للإمبريالية في الشرق الأوسط، وكان تدعيم هذه الدولة هدفا تقديما مشروعا. وكان اليسار العربي الإقليمي ضعيفا وغير منظم، ولم يكن هناك سبب للدفاع عن الطموحات الإقليمية للحكام العرب الرجعيين المتحالفين مع بريطانيا العظمى، الذين كانوا يقمعون بصورة نشيطة طموحات الشعوب في بلادهم. ولم يمارس الأعضاء العرب في ماكي تأثيرا كبيرا على اتجاه الحزب لعدة سنوات بسبب اختلال التنظيم

الاجتماعى والسياسى للمجتمع العربى الفلسطينى بعد ١٩٤٨ والقمع المستمر الموجه ضده من قبل السلطات الاسرائيلية. وبالإضافة لذلك، كان القلق على ضحايا النازية اليهود أمرا طبيعيا بالنسبة لحركة النضال ضد الفاشية والحرب فى مركز جدول أعمالها السياسى الدولى ومن المؤكد أن ماكى لم يكن واعيا بالمدى الذى أسهم به اتجاهه بعد ١٩٤٨ فى إضفاء الشرعية على المشروع الصهيونى، وعلى الرغم من تنازلاته للخطاب السياسى الصهيونى، وعلى الرغم من تنازلاته للخطاب السياسى الصهيونى، فإنه لم تكن هناك قوة سياسية فى إسرائيل فاقتة صلابه واستمرارية فى نضاله من اجل الدفاع عن حقوق الأقلية العربية فى فلسطين مع التمسك بمبدأ حق عرب فلسطين فى تقرير المصير.

❑ صعود اليسار فى المابام وانهيائه

لم يثر الجدل بين ماكى والمابام فى خريف ١٩٤٨ بسبب سياسات أوروبا الشرقية تجاه الهجرة فقط، فقد شعرت قيادة المابام، خاصة الجزء الموجود منها فى كيبوتس ارتسى، أيضا بالخطر لأن ماركسية ماكى الأكثر اتساقا اجتذبت بعض أعضاء المابام وقوضت السلطان الايديولوجى للتوليفة الاشتراكية الصهيونية للمابام، فطالما كان يعتبر نفسه حزبا اشتراكيا ثوريا فى المعسكر الموالى للسوفيت، استطاع ماكى أن يظفر بأعضاء من المابام ببيان أوجه عدم الاتساق بين نظرية المابام وممارسته. ومن بين المنضمين للمابام، المجدب إلى ماكى بصفة خاصة الأعضاء الشبان فى كيبوتس ارتسى وعمال المدينة. فعلى سبيل المثال فى انتخابات ١٩٤٩، اقترح ثلاثة أعضاء فى كيبوتس باركاى الذى كان قد أنشئ مؤخرا لصالح ماكى. وبعد ذلك تم طرد واحد منهم، وهو مسؤول منتخب، من الكيبوتس باقتراح ثمانية ضد ثلاثة لانتهاكه الجماعية الايديولوجية (وهى صيغة كيبوتس ارتسى للمركزية الديمقراطية) لكن خمسة وسبعين عضوا من أعضاء الكيبوتس امتنعوا عن التصويت، وهى علامة خطيرة فى مجتمع جماعى يخلع أهمية قيمة عالية على الانسجام الاجتماعى والسياسى^(٦٢). وفى حزيران، انضم ثمانية وعشرون من الأعضاء الشبان فى كيبوتس زيكيم، منهم الاعضاء القياديين السابقين لها شومير هاتسعير فى رومانيا، إلى ماكى، وتم طردهم هم أيضا بإصرار من سكرتارية كيبوتس ارتسى - وإن كان ذلك قد تم رغم معارضة نحو أربعين عضوا فى زيكيم اقترحوا ضد طردهم^(٦٣). ومما هو جدير بالملاحظة أيضا حقيقة أن «مجموعة من أعضاء المابام» أرسلت تهنئة لمؤتمر ماكى الحادى عشر ودعت للتعاون وقيام جبهة اليسار بين الحزبين^(٦٤). تبين هذه الأحداث، ورد الفعل الحاد تجاهها من قبل قادة المابام وكيبوتس ارتسى، أنه على الرغم من تصميم قيادة المابام على أن الصهيونية تشكل حداً منيعاً يفصل بين ماكى والمابام، فإن هذا الخط كان قابلاً للاختراق فى الواقع، وكان ذلك فى غير صالح المابام عادة.

وعلى الرغم من أن الجناح اليسارى فى المابام كان مكونا من أقلية تمثل ٢٠ - ٣٠ فى المائة من أعضاء الحزب البالغ عددهم سبعة وأربعين ألف عضو فى ١٩٥٠ - ٥٢، فقد سيطر على الصورة العامة للحزب^(٦٥). ومع ذلك، فقد كان يسار المابام منقسما هو نفسه. فقد كان سنيه وأتباعه الحصريون فى الأساس يتحركون بالميل الماركسية الأرثوذكسية للمشاعر الطبقية، ويحركهم فى

المحل الأول، الولاء للسوفيت. فنادرا ما استخدم سنيه رموز وشعارات المعجم الصهيونى. وعلى النقيض من ذلك، كانت المشاعر الصهيونية هى المحرك الأول لريفتن وبيرى وأتباعهم فى كيبوتس آرتسى، رغم أنهم كانوا يؤكدون أن الخلاف بين المابام والحركة الشيوعية الدولية يقتصر على المسألة الوطنية اليهودية. ومثلما فسر بيرى فإنه «بالنسبة لنا، فإن النضال الوطنى - الصهيونية، تجميع الشتات - ليس نضالا من أجل التحرر الوطنى فحسب، بل إنه وسيلة للقيام بثورتنا الاشتراكية»^(٦٦). ويمكن تحقيق الوحدة الكاملة مع الحركة الشيوعية الدولية فقط بعد الاعتراف بالتوليفة الاشتراكية الصهيونية باعتبارها الطريق اليهودى للثورة.

ونظرا لأن يسار الكيبوتس ألحَّ على أهمية المهام الصهيونية للطبقة العاملة، فقد عارض التعاون مع ماكى بشأن القضايا الوطنية اليهودية. وعلى الرغم من المواقف المشتركة الكثيرة بشأن النزاع العربى الاسرائيلى، فقد كان التعاون بشأن هذه القضية معدوما تقريبا، رغم أن المابام وماكى اقترعا معا ضد قانون أملاك الغائبين فى ١٩٥٠. وفى المقابل، فيما يخص القضايا السياسية العالمية التى كان لأعمال المابام تأثير عملى قليل عليها - مثل معارضة تسليح المانيا الغربية وضمها لحلف الاطلنطى، ومعارضة قبول معونة الولايات المتحدة، ومعارضة التدخل الأمريكى فى كوريا - اقترح المابام وماكى معا فى الكنيست، وتظاهر أعضاؤهما معا فى الشوارع^(٦٧).

إن اليسار عندما لم يضع القضايا العربية - الاسرائيلية فى قلب الصراع الحزبى الداخلى فى المابام، سمح لنفسه بأن يصبح مهمشا بصورة متزايدة فى هذه الساحة. وقد اشتكى أهارون كوهين مرارا وتكرارا من أن نشاط الحزب فى المجتمع العربى لم يكن كافيا قبل انتخابات ١٩٤٩، وأنه لم يكن متسقا وكافيا بسبب نقص الكوادر والتمويل بعد ذلك، وأنه تعثر بسبب التقاعس عن قبول العرب باعتبارهم أعضاء كاملين فى الحزب عندما كانت عدة عشرات منهم راغبين فى الانضمام إليه. إذ قدم خمسة وعشرون عربيا التماسا إلى المجلس الثالث للمابام فى نوفمبر ١٩٤٩ يطلبون فيه الانضمام للحزب^(٦٨). وردا على ذلك، أقام المجلس قسما عربيا منفصلا ظل أعضاؤه غير كاملين العضوية فى الحزب. وأضيف أربعة من العرب إلى الأعضاء اليهود الأحد عشر فى دائرة الشؤون العربية، التى عملت باعتبارها قيادة القسم العربى وهيئة التنسيق بينهم وبين الحزب. ومع ذلك، فقد حافظ المابام على لجام نشاط القسم العربى مشددا بين يديه. فخلال الخمسينيات مثلا، كان يوسف فاشتيز محرر صحيفته العربية، المرصاد. وحتى بعد أن أصبح العرب أعضاء كاملين العضوية فى المابام فى أعقاب انقسام احداثها عفودا فى ١٩٥٤، كان اليهود يوجهون دائرة الشؤون العربية حتى ١٩٦١، وكان ٥٠ فى المائة على الأقل من أعضاء الدائرة من اليهود.

وفى نوفمبر ١٩٥٠، استقال أهارون كوهين كرئيس لدائرة الشؤون العربية. ولا تذكر أوراقه الشخصية سبب رحيله - وهو إغفال فى سجل مفصل لنشاطه الذى يعكس ولاءه الذى لا يهتز للحزب - ولكن من الواضح أن مواقفه بشأن «القضية العربية» فى ذلك الوقت كانت تعتبر جدًّا راديكالية من قبل غالبية المابام وكيبوتس آرتسى. وأعلن رستم باستونى، وهو عضو قيادى فى

القسم العربى عمل سكرتيرا للشؤون العربية للمجموعة البرلمانية للمابام، احترامه لكوهين واعتبر رحيله صفقة للقسم العربى ولتطور المابام صوب الأهمية، وكان يعتقد أن كوهين هو الوحيد فى الحزب الذى أصر على قبول العرب فوراً. ساءت علاقة خليفته كوهين، يوسف فاشتيز واليعازر بيرى مع باستونى. بينما طالب باستونى، وهو ينتقد أسلوب فاشتيز «الدكتاتوري» فى العمل، بعودة كوهين لمنصبه وهدد باستقالة أعضاء القسم العربى القياديين إن لم تصغ دائرة الشؤون العربى لآرائهم^(٧٠). وأياً كانت القضايا الشخصية فى هذا النزاع، فقد كان رحيل كوهين من دائرة الشؤون العربية وانسحابه الفعلى اللاحق من القيادة فى المابام، هزيمة حاسمة لليسار بشأن القضايا العربية الإسرائيلية. لقد كان كوهين هو اليسارى الوحيد فى المابام الذى تتوافر له المعرفة والالتزام والمكانة فى المجتمع العربى بما يكفى لجعل العلاقات العربية الاسرائيلية مكوناً رئيسياً فى برنامج اليسار.

وقبل المؤتمر الحزبى الثانى للمابام فى يونيو (حزيران) ١٩٥١ مباشرة، كانت اتجاهاته الثلاثة قد تبلورت فى فصائل منظمة على أساس حلقى. فانضمت هاشومير ها تسعير إلى سنيه وأتباعه، والشيوعيين العبرانيين السابقين وفصيل يتسماكى من بوغبلى تسيون، لتشكيل جبهة وحدة الحزب التى سيطرت بقيادة مثير يعارى ويعكوف حزان ويتسحاق يتسحاقى، على ٦٠ فى المائة من الأصوات فى المؤتمر. وسيطرت احدث هاغفودا على ٣٥ فى المائة من الأصوات، وسيطرت حليفتهما، مجموعة ايريم من بوغبلى تسيون اليسارية على ٥ فى المائة. واتفقت احدث هاغفودا ومجموعة ايريم على كافة المسائل فيما عدا قبول العرب فى الحزب وفى الهستدروت. وكانت المهمة الأساسية للمؤتمر هى اعتماد برنامج للحزب، التى قدمت الفرق الثلاث جميعها مشروعات له. وتضمنت قضايا الخلافت الأساسية بين جبهة الوحدة وحدث هاغفودا ايريم (١) اعتماد الماركسية اللينينية أو البوروشوفية كأيدىولوجية للحزب، (٢) الانخراط فى المعسكر الشيوعى الدولى بالاعلان الواضح بأن الاعتراف بالصهيونية هو الخلاف الوحيد بين تلك الحركة والمابام، (٣) السماح بالعضوية العربية فى الحزب، (٤) الحفاظ على تنظيم الحزب كأقسام أو فرض قاعدة الأغلبية^(٧١). وبالإضافة لذلك، كان معظم أعضاء احدث هاغفودا يريدن قبول شروط المابام للانضمام للحكومة، فى حين كانت جبهة الوحدة تفضل موقف المعارضة مالم يحصل المابام على بعض التنازلات البرامجية من المابام.

وعقد القسم العربى مؤتمره الخاص فى ابريل (نيسان) ١٩٥١، حيث اعتمد بياناً يطالب بإعادة توحيد البلاد - بما فى ذلك ضفتى الأردن معاً، وبذلك يزيد عدد العرب فى الدولة الموحدة - مع حق كلا الأمتين فى تقرير المصير وحق اللاجئين الذى لا لبس فيه فى العودة. وفيما يتعلق بالقضايا الأخرى - الماركسية اللينينية، وإلغاء أقسام الحزب، وبالطبع العضوية العربية فى الحزب - كان القسم العربى يشاطر جبهة الوحدة مواقفها^(٧٢).

وكان المابام كله يتطلع لإعادة توحيد البلاد، رغم أن هاشومير ها تسعير (فى معارضة لحدث هاغفودا) أصر على أن تتم هذه العملية سلمياً. واقترحت جبهة الوحدة الاعتراف بحق عرب فلسطين فى تقرير المصير والاستقلال فى تلك الأجزاء من البلاد خارج دولة اسرائيل، فى إطار

اتحاد اقتصادى يسمح لليهود والعرب بأن يستوطنوا فى أى مكان من أرض فلسطين السابقة تحت الانتداب (ويعنى ذلك فى الواقع، تأييد مكاسب اسرائيل الإقليمية فى حرب ١٩٤٨-٤٩ بالكامل مع معارضة ضم عبد الله للمضفة الغربية)^(٧٣). وكانت صياغات برنامج الحزب الجديد (والذى عُرف ببرنامج حيفا) تتفق بصورة أساسية مع مقترحات جبهة الوحدة، وإن جاءت أقل وضوحاً. وعلى الرغم من أن أحداث ها عفودا هاجمت جبهة الوحدة على مطالبتها بعودة كل اللاجئين الفلسطينيين^(٧٤)، فإن مواقف برنامج حيفا بشأن قضية اللاجئين، كانت جدّ قريبة من مواقف جبهة الوحدة بما يثبت أن هذا الادعاء غير صحيح. وطالب برنامج حيفا اسرائيل بأن «تشارك فى حل مشكلة اللاجئين الباحثين عن السلام فى سياق تسوية سلمية شاملة تشمل الدول العربية وفى اتفاق مع خطط اسرائيل للتنمية»^(٧٥). كما طالب بالحقوق المدنية الشاملة للعرب للأقلية العربية فى اسرائيل:

الغاء الحكم العسكرى، إجراء انتخابات البلديات فى المحليات العربية، وضمان الأجر المتساوى للعمل المتساوى، العضوية فى الهستدروت، حق العمل، وأسعار عادلة ومتساوية للمنتجات الزراعية، وما إلى ذلك. وهكذا تم التوصل لحلول وسط للصياغات فيما بين مواقف جبهة الوحدة وأحداث ها عفودا، مما عكس الدور القيادى للجبهة فى الحزب، والتأثير القوى للجناح اليسارى فى جبهة الوحدة على جوانب النزاع العربى الاسرائيلى التى يقع حلها فى مستقبل غير محدد.

ومع ذلك، ففيمّا يتعلق بالقضايا التى كانت تعنى إحداث تغيير مباشر - قبول أعضاء عرب فى الحزب وإحلال قاعدة الأغلبية محل تكافؤ الأقسام - أعلن برنامج حيفا عن نية الماها فقط فى التطور إلى حزب إقليمي للطبقة العاملة بأسرها. وطالب القسم العربى بفتح أبواب الحزب للعرب فوراً، وتحدث اليسار - سنيه وكذلك سميخا فلابان ومردخاي بنتوف من كيبوتس ارتسى - صراحة عن الحاجة إلى اتخاذ خطوات محددة نحو تحقيق هذا الهدف^(٧٦). وهددت أحداث ها عفودا بالانقسام إذا قررت أغلبية المؤتمر قبول العرب أو تصفية الأقسام، فرفضت جبهة الوحدة (بما فى ذلك اليسار) لهذا الإنذار.

وفيمّا يتعلق بالقضايا الايديولوجية والتنظيمية والعربية الاسرائيلية، كان يسار الماها (إلى جانب الوسط بقيادة يعارى وحزان) مستعداً للحل الوسط أو الرضوخ لأحداث ها عفودا بغية الحفاظ على وحدة الحزب. ومع احتدام الحرب الباردة وانتهاج الحكومة الاسرائيلية للتحالف مع الغرب بصورة نشيطة، أصبح «الاتجاه نحو قوى الغرب» والتوحد مع «عالم الثورة» بقيادة الاتحاد السوفيتى، القضية الأساسية التى تحدد اليسار داخل الماها. ومع ذلك، فإن انبعاث العداء للسامية فى شرقى أوروبا، بالإضافة للقيود السابقة على الهجرة اليهودية، جعل من الصعب بصورة متزايدة الدفاع عن ارثوذكسية موالية للسوفيت فى إطار خطاب صهيونى. وتعرض يسار الماها للاختبار بشأن الاتجاه الدولى، لكنه لم يستطع أن يصمد للتحدى الذى واجهه فى هذا، وكان ذلك هو أضعف المواقف المميزة له.

وفى ١٢ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٥٢، أعلنت حكومة تشيكوسلوفاكيا أن مردخاي

أورين، الذي كان قد سافر إلى أوروبا لحضور اجتماع للاتحاد العالمى للنقابات، قد اعتقل بصدد الاتهامات الموجهة إلى رودلف سلانسكرى وقادة آخرين للحزب الشيوعى التشيكوسلوفاكى معظمهم من اليهود - من بينها أنهم قوميون بورجوازيون يهود وعملاء صهيونيون مسؤولون عن تشجيع هجرة اليهود التشيك إلى اسرائيل ومساعدة اسرائيل فى حرب ١٩٤٨-٤٩ وكانت محاكمة سلانسكرى مكيدة استخدمت العدااء الصاخب للسامية لتملق الجماهير غير اليهودية كسبا لرضاها وبذلك تكفل التفوق المطلق للاتحاد السوفيتى فى شرقى أوروبا والقضاء على أى اتجاهات تيتوية مستقلة. واتهم أورين بالتجسس، «لإثبات» أن للمتهمين صلات باسرائيل والحركة الصهيونية. واهتز المابام لأعماقه وهو يرى قائدا لكيبوتس ارتسى يترك أسيرا فى وسط هذا العدااء المحموم للسامية ومتهما بتهم شائنة هى العدااء للشيوعية على الرغم من ولائه المتقد للاتحاد السوفيتى وعلاقاته الوثيقة مع كثيرين من القادة الشيوعيين فى شرق أوروبا.

وأعلنت افتتاحية عال همشمار أن المابام كان واثقا من براءة أورين وشجبت محاكمة براغ (٧٧). وعارض اليسار هذا الموقف. وطرح ريفتن المسألة صراحة أمام اللجنة المركزية: «من المستحيل أن تكون جزءا من (عالم الثورة) بدون إن نساند براغ». وقال سنيه إن المحاكمة طرحت «خيارا بين التضامن الوطنى والتضامن الدولى»، وإنه «فى هذه المسألة كان ينبغى أن يسود التضامن الدولى». وأعرب يعارى كاتب افتتاحية عال همشمار عن الرأى المخالف:

إننا نواجه مشكلة ضياع عالمنا الصهيونى أو نفقد عالمنا الاشتراكى ... وأعتقد أنه ينبغى لنا أن نناضل للدفاع عن الصهيونية، ليس فقط صهيونية المابام، وإنما تحرير أمة اسرائيل بأسرها ... لن أقف مؤيدا لمحاكمة معادية للصهيونية، ومن الواضح أن هذه محاكمة معادية للصهيونية» (٧٨).

وفى ختام مناقشات اللجنة السياسية، كان الاقتراح هو ستة وعشرون ضد سبعة، لصالح تأييد افتتاحية عال همشمار.

وفى أوائل ديسمبر (كانون الاول) ١٩٥٢، حاولت قيادة جبهة الوحدة تسوية الخلافات داخل صفوفها باعتماد قرار بشأن محاكمة براغ اقترحه يعارى وعدله ريفتن ويبرى وسنيه. وقدم القرار إلى مجلس المابام فى ٢٤ (كانون الأول)، لكن احدثت ها عفودا ومجموعة ايريم رفضاه باعتباره نقدا غير كاف للنظام التشيكى (وبالتالى للاتحاد السوفيتى). وعندئذ دبر يعارى وحزان حلا وسطا مع احدثت ها عفودا رايريم حول قرار جديد، عارضه ريفتن ويبرى وسنيه رغم ذلك، لأنه وسع نطاق النقد الموجه لمحاكمة براغ ليصبح خطأ معاديا للسوفيت. واستغل يعارى وحزان انضباط جبهة الوحدة ليكفلا مرور قرار الحل الوسط، على الرغم من معارضة كل من الكيبوتس واليسار الحضرى، وقد أقره المجلس باقتراح ٢٣٢ لصالحه و٤٨ ضده وامتناع ١٨ وغياب ١٠٤. وعلى الرغم من هذا الاقتراح الساقط، لم يكن جاليلى وقادة احدثت ها عفودا الآخرون راضين وكانوا يريدون أن يطرد من المابام كل من عارض القرار وبرر محاكمة براغ. ودافع ريفتن عن سنيه، فى حين حاول آخرون فى

كيبوتس ارتسى بعصبية أن يوقفوا المناقشة خشية حدوث انقسام فى صفوفهم^(٧٩).

ونتيجة للاقتراح فى مجلس المابام، فى ١٣ يناير (كانون الثانى) ١٩٥٣، أعلن عضو الكنيست موشى سنيه وادولف بيرمان ومستشار مدينة تل ابيب بنحاس توين أنهم يتركون جبهة الوحدة وينظمون قسما يساريا داخل المابام. وأصدر القسم اليسارى بيانا يؤكد الولاء لبرنامج حيفا ويدعو إلى (١) إلغاء قرار المجلس بشأن محاكمة براغ، (٢) عودة من اقترحوا ضد القرار، بما فى ذلك السكرتير السياسى ريفتن إلى مواقعهم القيادية، (٣) المقاومة الايديولوجية والتنظيمية لليمين فى الحزب، (٤) الانفصال عن اللجنة التنفيذية الصهيونية وعن اللجنة التنفيذية للمؤتمر اليهودى العالمى، (٥) تعزيز الوحدة بين الكيبوتس وعمال المدنية، (٦) إقامة جبهة متحدة مع ماكى، (٧) قبول أعضاء عرب فى الحزب فورا، (٨) إجراء انتخابات لمؤتمر جديد للحزب^(٨٠). واقترعت أغلبية سكرتارية القسم العربى مؤيدة لمواقف القسم اليسارى، وانضم باستونى إلى سنيه وبيرمان وتوين فى قيادة القسم اليسارى. وأيد القادة العرب اليسار لأنهم كانوا يؤمنون بانهم المجموعة الوحيدة التى قاتلت بثبات من أجل قبول العرب كأعضاء كاملين للمابام^(٨١).

وطالبت اللجنة المركزية للمابام بحل القسم اليسارى بحلول ٢٥ (كانون الثانى) وبأن يقدم قادته استقالاتهم من الكنيست ومجلس مدينة تل ابيب مع جبهة الوحدة وأن يتخلوا عن مواقعهم فى اللجنة المركزية، وفى هيئة تحرير عال همشمار، ومجلس السلام الاسرائيلى، وعصبة الصداقة الإسرائيلية السوفيتية. رفض القسم اليسارى هذا الإنذار، وفى ٢٨ يناير (كانون الثانى) اقترح مجلس المابام لطرده القسم اليسارى من الحزب، متجاهلا كل الاعتراضات بأن لاشئ فى بيان القسم اليسارى يتعارض مع برنامج حيفا أو يمثل رأيا لم يتم الإعراب عنه فى المابام من قبل^(٨٢). واقترعت قوى يعارى وحزان مع احدثت ها عفودا مع الطرد، على الرغم من المعارضة من داخل جبهة الوحدة بقيادة ريفتن وبيرى وبرمنجر (من الشيوعيين العبرانيين السابقين)، وآخرين.

وأجبر الانقسام داخل صفوف جبهة الوحدة وكيبوتس ارتسى، يعارض وحزان على توضيح الموقف الايديولوجى للمابام. فرفضوا بحزم اتجاه القسم اليسارى لأن يستبدل بالتوليفة الاشتراكية الصهيونية للمابام، الولاء أولا للماركسية والأمية. وفى اللحظة الحاسمة للمواجهة، ترجما أولوية العنصر الصهيونى فى رؤيتهما العالمية إلى تفضيل استراتيجى لوحدة «القوى الصهيونية الرائدة» (هاشومير ها تسعير واحدوت ها عفودا) على وحدة اليسار هاشومير ها تسعير وسنيه)، على الرغم من التحالف السابق للآخرين. وفى أعقاب الصدام مع سنيه، تم استبعاد من عارضوا طرد القسم اليسارى من قيادة جبهة الوحدة^(٨٤). كما ظهرت اللجنة التنفيذية لكيبوتس ارتسى صفوفها من الذين اقترحوا ضد قرار براغ فى مجلس المابام أو عارضوا طرد القسم اليسارى لانتهاكه الجماعية الايديولوجية^(٨٥).

واعتبر قادة كيبوتس ارتسى هذه القضية أساسية جداً لدرجة أنهم قبلوا المساعدة من قوات الأمن العام فى إخراج انصار سنيه من الكيبوتسات قسرا^(٨٦). ونظم كل كيبوتس استفتاء / قسما

بالولاء لأعضائه يطالبهم بالاقتراع على قرار يعرب عن (١) تأييد قرار مجلس المابام بشأن محاكمة براغ، (٢) «الالتزام المطلق» لكل أعضاء كيبوتس ارتسى بتأييد مواقف جبهة الوحدة والحزب، وقبول مبدأ الجماعة الايديولوجية، والخضوع لنظام الحركة والجبهة والحزب، (٣) إدانة النشاط الخلقى (أى التعاطف مع القسم اليسارى) داخل الكيبوتس، كيبوتس ارتسى، وجبهة الوحدة^(٨٧). وامتنع مايزيد على ٢٠ فى المائة من أعضاء كيبوتس ارتسى عن الاقتراع أو اقترحوا معارضين ضد البند الأول من القرار، وكان ذلك إعرابا عن التعاطف السياسى مع سنيه و/أو ريفتى ويرى^(٨٨). وكانت المعارضة قوية بصفة خاصة فى عين شيمر (كيبوتس ريفتى)، ميسيلوت، هار إل، ليهابوت هاباشان، كرميه، زيكيم، وشوفال. وتم طرد مايزيد على مائتين من أعضاء الكيبوتس بسبب معارضتهم السياسية، بما فى ذلك مجموعات كبيرة من عين شيمر وشوفال. كما تم طرد عدد أصغر من أعضاء كيبوتس ميثوحاد، منهم مجموعة من يارون وغالبية أعضاء ياد حانا، الذين بقوا فى هذا فى الكيبوتس على الرغم من الجهود المبذولة لتحويلهم منه. كما اتخذت إجراءات انتقامية ضد اليساريين الذين بقوا فى الكيبوتسات، فقد استبعد اهارون كوهين مثلا من وظيفة التدريس فى المدرسة الثانوية فى الكيبوتس الذى يعيش فيه.

وبحلول أوائل ١٩٥٤، كان قد تم تطهير صفوف كيبوتس ارتسى. ودعى قادة الكيبوتس والمدينة الذين اقترحوا ضد قرار محاكمة براغ فى اجتماع مجلس المابام فى ديسمبر (كانون أول) ١٩٥٢ والذين ظلوا فى الحزب، للعودة لقيادة جبهة الوحدة^(٨٩). وعاد بيرى وريفتى وكوهين وفلابان للجنة التنفيذية لكيبوتس ارتسى. ولتوحيد كيبوتس ارتسى حول طرد اليسار ونتائجه السياسية، قدم يعارى تلخيصه الايديولوجى للنضال ضد سنيه لتعتمده اللجنة التنفيذية^(٩٠). وحاول بيرى أن يدحض نظريات يعارى بتقديم رؤية عالمية ماركسية وأحادية كانت البوروشوفية فيها مجرد «صياغة ماركسية للمسألة اليهودية» وليست نظرية مستقلة، وبيان أن رفضه للأطروحة الاشتراكية الصهيونية يختلف عن رفض سنيه (الذى يصفى الصهيونية)، أعلن بيرى أنه سيصوت لصالح رأى يعارى - رغم أنه امتنع هو وخمسة آخرون^(٩١).

وفى المجلس الثامن لكيبوتس ارتسى، الذى عقد فى ابريل (نيسان) ١٩٥٤ للتصديق على أطروحته، هاجم يعارى، بيرى وريفتى شخصا وهدد بطردهما من الحركة إن لم يقوما بنقد ذاتى وبحلأ مجموعتهما. دافع بيرى عن موقفه بحماس. وفى هذا التاريخ المتأخر، عندما كان قد خسر المعركة فعلا، حدد «المسألة العربية» باعتبارها لبّ الخلاف: «هناك قضية واحدة استخدمت دوما كعلامة تحديد فاصله لها شومير ها تسعير، كانت تعنى ملامح مظهرها العام هى المسألة العربية»^(٩٢). وكان فلابان قد أبدى من قبل نفس الملاحظة فى اللجنة التنفيذية لكيبوتس ارتسى، حيث اشتكى من أن «رد فعل كل الكيبوتسات المهمة فى كيبوتس ارتسى» إزاء غارة قيبية (انظر الفصل الأول)^(٩٤). ومع ذلك، وفى النهاية أعلن بيرى وريفتى وباقى يسار كيبوتس ارتسى ولا هم

لوحة هاشومير ها تسعير وأنهرا الصراع ضد أطروحات يعارى.

كان ديفتين ويرى قد هزما حينذاك داخل كيبوتس ارتسى، ومع ذلك استمرت العلاقات بين جبهة الوحدة واحدوت ها عفودا فى التدهور، وبلغت هذه العملية ذروتها فى أغسطس (آب) ١٩٥٤ فى انقسام وقع فى المابام وأدى إلى إعادة تشكيل احدوت ها عفودا كحزب مستقل. وشرع المابام، الذى أصبحت فيه هاشومير ها قوة راجحة بصورة غالبية، فى قبول العرب فى صفوفه بل وخضع، لعملية اكتساب الطابع الراديكالى الاسمى مجددا. ومع ذلك، فقد تحطم يسار المابام وتحطمت معه أى فرصة فى أن يشكل المابام بديلا رافضا للهيمنة للخطاب الصهيونى السائد بشأن القضايا العربية الاسرائيلية أو حتى صوتا للمعارضة داخله يقسم بالثبات والاتساق.

□ الحزب الاشتراكي اليسارى

أصبح كيبوتس ارتسى ساحة بارزة للصراع ضد اليسار فى المابام لأن يعارى وحزان ضمنا، باستغلال مبدأ الجماعة الايديولوجية، تحقيق نصر حاسم هناك. لكن يسار المابام كان ظاهرة حضرية فى المحل الأول، وليس ظاهرة كيبوتس، ولم يكن قادته - سنيه وبيلمان وتوين - أعضاء فى الكيبوتس. وكان يسار الكيبوتس بدوره مفتتا ومختلفا وفرصه قليلة فى الاستمرار فى الكيبوتسات. وكان أقوى نسبيا فى الكيبوتسات الأحدث (شوفال، زيكيم، كرمية) وبين الأعضاء الشبان فى الكيبوتسات القديمة (عين شيمر، ليهابوت هاباشان، ميسيلوت)، مما يوحى ببقاء الحماس للتدريب على الماركسية الذى تلقاه أعضاؤها شومير ها تسعير والذى لم تضعفه المتطلبات البراجماتية لحياة الكيبوتس بعد. وكانت هناك مجموعة صغيرة من أعضاء الكيبوتس المخضرمين (بيرى، ريفتن، اورين، كوهين) الذين استمروا فى تناولهم الجاد للماركسية، أضفت مشروعية على يسار الكيبوتس الفتى وشجعت، لكن هؤلاء الرجال لم يبحثوا أبدا الانفصال عن هاشومير ها تسعير. وحظى ريفتن فى عين شيمر بنفوذ شخصى قوى على مجموعة من المصريين الشبان كانوا جددا على الكيبوتس. ومضى واحد وعشرون منهم بماركسيتهم خطوة أبعد مما كان ريفتن مستعدا للذهاب إليه فطردوا من الكيبوتس لأنهم أيدوا سنيه^(٩٥). ومع ذلك، فقد كان وجود اليسار ضعيفا بين شباب الكيبوتس بالمقارنة بشباب المابام فى المدن. وربما كانت قوته فى بعض الكيبوتسات الأقدم عهدا ترجع إلى التدريب الايديولوجى الكثيف للمستوطنين الأصليين فى هاشومير ها تسعير. وفى الكيبوتسات التى كان المستوطنون المخضرمون فيها حاصلين على تعليم أعلى أو ثقافة مصرية حضرية، كان الحماس السياسى يستمر أحيانا بسبب المستوى المرتفع بطريقة استثنائية من النشاط الثقافى والسياسى. وكانت الكيبوتسات باعتبارها مجتمعات محلية عضوية صغيرة، يسهل التأثير عليها من قبل الأفراد البارزين: وهكذا، كان لوجود قائد يسارى ملتزم تأثير كبير فى بضع كيبوتسات، فى حين أن غياب مثل هذه الشخصية كان يعنى عادة أن نفوذ اليسار فى حدة الأدنى.

وقد استغلت التبعية الاقتصادية للكيبوتسات الأحدث عهدا، كهراوة تجبرها على الانتظام فى

الصف. وقد حاول ريفتن إقناع أعضاء هار إل بالابتعوا سنيه فى الخروج من المابام، قائلا لهم: «إنكم ستفلسون خلال ثلاثة أشهر». وسألهم قائد آخر من المابام، «هل تعتقدون أنه من الممكن الإبقاء على الكيبوتس دون الاعتماد على المؤسسات الصهيونية؟»^(٩٦)، وترك عدد قليل من الأعضاء فحسب هار إل فى أعقاب محاكمة براغ، لكن الكيبوتس استمر يتطلع لقيادة ريفتن لمعارضة يعارى وحزان. وكان قادة الكيبوتس يؤمنون بأنه بسبب موقفهم السياسى، تعرض هار إل لانتقام اقتصادى من كيبوتس ارتسى والمؤسسات الصهيونية^(٩٧)، وفى ١٩٥٥، ترك معظم المؤسسين الكيبوتس، وأصبح من المتعين إعادة تنظيمه.

وعلى الرغم من أن أعضاء الكيبوتس كانوا أقلية من يسار المابام، فإن الكثيرين ممن طردوا من الكيبوتسات فى أعقاب محاكمة براغ كانوا من بين الكوادر الأكثر تفانيا للحزب الاشتراكى اليسارى، وهو تنظيم أنشأه أنصار سنيه فى مايو ١٩٥٣ وشكل فيه أعضاء الكيبوتس السابقين نحو ثلث الكوادر النشيطة. وكان الحزب الاشتراكى اليسارى تنظيما يهوديا كلية، وكانت تحركه إشكالية يهودية. ورغم أن رستم باستونى انضم للقسم اليسارى، فإنه تم إقناعه بالعودة للمابام قبل إنشاء الحزب الاشتراكى اليسارى^(٩٩)، وحضر عربى واحد فقط المؤتمر التأسيسى للحزب. وكان مما يرمز للطابع اليهودى للحزب، أن النشاط المشترك الأول لقسم الشباب فيه (والذى سمي باسم أول قائد للبلماح، اسحق ساديه) كان مع عصبة الشباب الشيوعى الاسرائيلى: مظاهرة فى ١١ نيسان ١٩٥٣، فى ذكرى ثورة الجيتو فى وارسو. وقد تم تكريس مايزيد على ثلث مشروع برنامج الحزب «للمشكلة الوطنية اليهودية».

وفى حين كان غالبية من شكلوا الحزب يؤيدون حق الشعب الفلسطينى فى إقامة دولة مستقلة (بدون تعيين حدودها)، وحق اللاجئين فى العودة، والمساواة الكاملة للأقلية العربية فى اسرائيل، فقد اعتبروا أنفسهم صهيونيين وطالبوا بتركيز الشعب اليهودى إقليميا فى اسرائيل.

وسلم كثيرون من أعضاء الكيبوتس الذين انضموا للحزب بأن العلاقات العربية الاسرائيلية لم تذكر أبدا فى المناقشات التى أدت لطردهم ولم تكن هى القوة المحركة لليسار^(١٠٠). ومن ثم، لم تكن العلاقات العربية الاسرائيلية هى الخط الفاصل الحاسم بين اليسار وباقى المابام، إنما الماركسية اللينينية، والولاء للاتحاد السوفيتى، و«الاتجاه نحو قوى الغد»، وبناء حزب ثورى. وكان إجراء النقاش فى إطار هذه الحدود، يتفادى الحاجة المباشرة لمواجهة الخطاب الصهيونى والتناقضات فى صلب المشروع الصهيونى الاستعمارى، والذى كانت الكيبوتسات تعبيرا بارزا عنه. وقد عارض اليسار فى المابام، والحزب الاشتراكى اليسارى، وماكى، الإجماع الصهيونى بشأن العلاقات العربية الاسرائيلية لكنهم عجزوا عن أن يركزوا المناقشة السياسية الوطنية فى اسرائيل على هذه المسألة. وكانت هذه القدرة على هيكلية المناقشة العامة، هى التعبير الأكثر أساسية عن المنزلة المهيمنة للخطاب الصهيونى.

وعندما تفجر الجدل حول محاكمة سلاتسكى، دار حول تقييم الوضع الدولى. هل كانت الحرب العالمية محتمة؟ وإذا كان ذلك كذلك، أليس من الضرورى مساندة الاتحاد السوفيتى بدون تحفظ؟ كيف يمكن لحزب ماركسى ثورى أن يشارك فى حكومة ائتلافية يقودها الماباى، باتجاهه الموالى للغرب؟ إن محاكمة براغ نفسها لم تكن هى القضية.. والواقع أن الكثيرين من اليساريين فى المابام كانوا يؤثرون تجنبها، مسلمين بطابعها الإشكالى (حتى داخل سرائرهم فحسب). ولكن ما أن اشتعل الصراع، حتى بات من الضرورى الدفاع عن المشروع الاشتراكية للمحاكمة باعتبارها رمزا للمجمع الكامل من القضايا المتضمنة فى النظر للاتحاد السوفيتى باعتباره قائدا لقوى التقدم فى العالم. كانت تلك هى القضايا التى شغلت أعضاء الكيبوتس الذين امتنعوا عن الاقتراع أو اقترحوا معارضين فى استفتاء كيبوتس ارتسى^(١٠١). وكانت الميزة التى توفرت لسنيه فى هذه المناقشة هى المعيته فى الجدل ووضوح واتساق منطقته، لكنه لم يستطع أن يجذب سوى عدد محدود من الناس الذين كانت هذه القضايا ستثيرهم.

كما انصبت المناقشات الايديولوجية التى أدت لتشكيل الحزب الاشتراكى اليسارى حول هذه القضايا. وكانت نقطة الانطلاق فى برنامج الحزب هى الوضع الدولى ثنائى القطبين: «إن عصرنا يتسم باحتدام استثنائى فى الصراع الطبقي على نطاق دولى»^(١٠٢). وكانت مثل هذه الظروف تتطلب التحالف مع قوى التقدم بلا ليس. ومثلما كتب ادولف بيرمان فى العدد الأول من صحيفة الحزب الأسبوعية. «إن أى انفصال عن الاتحاد السوفيتى والديمقراطيات الشعبية يجر المابام للجانب الآخر من الخط الفاصل، وإلى فصم عرى آخر حلقة مع عالم المستقبل»^(١٠٣). وقارن محاكمة سلاتسكى بالاختبارات السابقة للأمية البروليتارية - محاكمات موسكو، حلف هتلر وستالين، حرب فنلندا، الصراع ضد تيتو. وفى حين كانت المقارنة ملائمة، فشل بيرمان فى إدراك المفارقة الأخيرة فى تشبيهه هذا.

وقد أيد ماكى هذا المنظور تأييدا كاملا، مرجحا بتكوين الحزب الاشتراكى اليسارى، منتقدا المابام: «فى ظروف قيام معسكرين فى العالم، معسكر السلام والديمقراطية من جانب، ومعسكر الحرب والامبريالية من جانب آخر، ينبغى لكل الهيئات السياسية أن تقرر الجانب الذى تقف فيه»^(١٠٤).

واتبع شموئيل اميره، السكرتير الشخصى لسنيه والقائد بين الذين طردوا من كيبوتس ارتسى، خطى سنيه فى الدعوة للتدعيم الايديولوجى للحزب الاشتراكى اليسارى، وتضمنت محاضراته فى فروع الحزب عناوين مثل «ماهى الامبريالية؟» «العمل ورأس المال»، «الأسس اللينينية للحزب»، «الحزب الثورى»، «ثورة ١٩٠٥» «نضال لينين ضد الانتهازية الاقتصادية والمنشفية»، ولم تدر محاضرة واحدة حول النزاع العربى الاسرائيلى، وكانت قلة صغيرة منها عن القضايا الاسرائيلية على إطلاقها^(١٠٥). كان أمير قد ولد فى المانيا وتخرج فى مدرسة ثانوية فى

فلسطين، وكان يعتقد أن الظروف الاسرائيلية تلعب دوراً صغيراً في تشكيل الحزب الاشتراكي اليساري وكانت الاعتبارات الدولية هي التي دفعتة شخصياً نحو اليسار. كان يقول: «أنا يساري بسبب الفاشية في ألمانيا» (١٠٦).

وفي نهاية الحرب العالمية الثانية، كان سنيه قد توصل إلى أن الاتحاد السوفيتي والقوى التاريخية التي يجسدها يمثل المستقبل وكان يؤمن بأنه يمكن ضمان أمن الدولة اليهودية فقط إذا تحالفت مع هذه القوى، وقام مساره السياسي على هذا الاعتقاد (١٠٧). إلى أن أدان المابام محاكمة سلاتسكي، كان سنيه يأمل في أن يقود المابام اسرائيل في هذا الاتجاه. وبعد ذلك اعتقد أن الحزب الاشتراكي اليساري يمكن أن يحل محل المابام باعتباره حزبا جماهيريا لليسار الراديكالي (١٠٨). لكن على الرغم من أن مؤسسي الحزب كانوا يعتبرون أنفسهم صهيونيين، فإن آراءهم كانت تخرج عن الإجماع الصهيوني. وعلى الرغم من النشاط المكثف لكوادر الحزب، فإن عدد أعضائه لم يزد على الألف أبداً (١٠٩).

قام الخلاف الايديولوجي الوحيد بين ماكي والحزب الاشتراكي اليساري، على تأييد الحزب الاشتراكي اليساري للتركيز الإقليمي للشعب اليهودي في اسرائيل. وعندما لم تبد على الحزب دلائل تنبئ بأنه أصبح حزبا جماهيريا، قرر سنيه أنه ليس هناك معنى للتأكيد على هذا الخلاف، وبدأ في (كانون الثاني) ١٩٥٤ يتطلع إلى وحدة الحزبين (١١٠). وتم إلغاء التباين الايديولوجي في كتاب سنيه في المسألة الوطنية: استنتاجات في ضوء الماركسية اللينينية، الذي صادقت عليه اللجنة المركزية للحزب (١١١). ومهد التنفيذ الايديولوجي في هذا الكتاب للصهيونية ومفهوم وجود أمة يهودية على النطاق العالمي، الطريق لأعضاء الحزب لينضموا لماكي في اكتوبر ١٩٥٤.

□ الدفاع عن حقوق الأقلية العربية

اندمج الحزب الاشتراكي اليساري وماكي عندما كان ماكي قد أخذ يصبح القوة السياسية القيادية لدى الجماهير أو المجتمع العربي، وهو موقف استند إلى دفاعه بلا كلل عن الأقلية العربية في اسرائيل وتأييده لحق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير وحق اللاجئين في العودة لديارهم. هذا النشاط مسجل تاريخيا في مئات الكتيبات باللغة العربية وعديد من الكتيبات بالعبرية أيضا، وفي عديد من مقالات الاتحاد، وفي التغطية الأقل ضخامة وإن كانت أكثر انتظاما لكونها هام (١١٢). وكان كل كتيب عربي تقريبا، خاصة تلك الكتب التي أصدرتها اللجنة المركزية، يتضمن بين شعاراته الختامية «نحمي الأخوة اليهودية العربية» أو صيغة أخرى لنفس الموضوع. ولم يشعر ماكي بالخرج أو الحاجة إلى التكتم بشأن اجتذابه للجماهير العربية بهذا الأسلوب، رغم أن هذا النهج ربما أثبت أنه قد ينتقص من قدر القوميين المتشددين. بيد أن تضامن الطبقة العاملة الأمل، لم يكن هو الأساس الوحيد للعمل الشيوعي في مجال الدفاع عن حقوق العرب، فقد كان لهذا النضال طابع متعدد

الطبقات دوماً. وفى داخل المجتمع العربى، عمل ماكى باعتباره حزب الطبقة العاملة ومنبر الشعب الفلسطينى على حد سواء. وفى ١٩٤٩ مثلاً، قاد الشيوعيون إضراباً لعمال الزراعة العرب فى بساتين الزيتون فى الجليل ضد ملاكها العرب. وفى العام التالى، اتجه نفس ملاك هذه البساتين، إلى شيوعى، المحامى حنا نقاره، ليمثلهم ضد السلطات الاسرائيلية التى صادرت محاصيلهم وأجبرتهم على بيعها بأسعار منخفضة^(١١٣).

من ناحية المبدأ، كان ماكى يعتبر القضية الفلسطينية مسألة تتعلق فى المحل الأول بتأمين الحقوق الوطنية لعرب فلسطين، بعد أن تم بالفعل تأمين الحقوق الوطنية لليهود من خلال إنشاء اسرائيل. وفى التطبيق، ركز ماكى على الدفاع عن الحقوق المدنية للعرب فى اسرائيل: وفى المحل الأول حق البقاء فى الأرض، وفى البقاء فى البلاد، والتمتع بحماية متساوية بمقتضى القانون. ونظم ماكى عشرات من النضالات ضد الاستيلاء على أراضى العرب، خاصة فيما يرتبط بالخط القومى الاسرائيلى لنقل المياه عبر الجليل. واعترض على طرد نحو ألفين من الفلسطينيين من المجدل فى آب ١٩٥٠، وكذلك عمليات الطرد الأصغر نطاقاً من شفا عمرو، نحف وغيرها من القرى^(١١٥).

وفى أوائل الخمسينيات، حاول ماكى أن يستحق تعاون المابام للدفاع عن حقوق العرب، لكن المابام كان يرفض عادة أن يعمل مع ماكى بشأن هذه القضية، نظراً لأنها تتصل بالمسألة الوطنية اليهودية. وعارض كل من ماكى والمابام قانون أملاك الغائبين الصادر فى ١٩٥٠، وامتنع المابام عن التصويت على قانون اكتساب ملكية الأراضى الصادر فى ١٩٥٣، لكن ماكى اقترح ضده. وفى ابريل ١٩٥٤، أقام ماكى لجنة للدفاع عن حقوق الأقلية العبرية، لشن حملة على هذه القوانين. وفى شهر تشرين الأول، نظمت اللجنة مؤتمراً يهودياً عربياً ضخماً للاحتجاج. ودعا اميل توما، حنا نقارة، سمحاً فلايان وعضو الكنيست عن المابام، يوسف خميس، للتعاون فى هذه الحملة، بيد أن المابام رفض^(١١٥).

كما قام ماكى بحملة إثارة من أجل إجراء الانتخابات المحلية فى المبن والقرى العربية. وعندما بدأت الحكومة تسمح بمثل هذه الانتخابات فى ١٩٥٤، استغلها ماكى فى بناء قوته فى قرى الجليل. وسعى لوضع قوائم لجهة شعبية للمطالبة بإلغاء الحكم العسكرى ونظام تصاريح السفر، وإعادة الأراضى المصادرة، وإلغاء ضريبة الرؤوس المستخدمة لتمويل التعليم، وزيادة أسعار المنتجات الزراعية، وتحسين إمدادات المياه، وتوفير وظائف للعمال، وقبول العمال العرب فى الهستدروت. وحقق ماكى وحلقاؤه انتصارات كبيرة فى عدة مجالس محلية عربية، خاصة الناصرة، حيث حصل ماكى على ٣٨ فى المائة من الأصوات وستة مقاعد من خمسة عشر مقعداً فى المجلس البلدى ضعف أكبر قائمة تالية. ومع ذلك، فإن القوائم التى أشرف عليها الماباى، استبعدت ماكى من المشاركة فى الائتلاف الحاكم^(١١٦).

كرس ماكى اهتماما خاصا لتنظيم الطبقة العاملة العربية. وفى ٩-١١ ابريل (نيسان) ١٩٤٩، عقد أربعة وثمانون مندوبا يمثلون خمسة آلاف عامل فى اسرائيل وفى الاراضى المحتلة المؤتمر الرابع «للمؤتمر العمال العرب» فى الناصرة^(١١٧). وفى محاولة لمنع ماكى من أن يصبح قوة بين العمال العرب، حطمت الدولة والهستدروت مختلف إضرابات مؤتمر العمال العرب وقيدت نشاطه.

وفى ١٠ سبتمبر (ايلول) ١٩٤٩، أضرب ستة وثلاثون من أعضاء مؤتمر العمال العرب احتجاجا على أعمال شركة سبائر الناصرة المملوكة للعرب. فقد كان المؤتمر يتفاوض مع الإدارة منذ مدة حول عقد جديد، واشترك نائب الحاكم العسكرى للناصرة فى المحادثات. وقبل قيام الإضراب بأيام، انضم تسعة من أعضاء المؤتمر فى مصنع السبائر سرا لعصبة عمال فلسطين التى يشرف عليها الهستدروت. وكان السبب الظاهرى للإضراب هو رفض الشركة أن تدفع حصة تعادل ١٠ فى المائة من الأجور لصندوق التأمين على الصحة والبطالة الخاص بالعمال، مثلما طالب المؤتمر، للشهرين المتقضيين بين انتهاء العقد القديم وبداية عقد جديد. ومع ذلك، فقد كانت القضية الحقيقية، هى سعى المؤتمر للحفاظ على قيادته للعمال، التى كان الهستدروت والحكم العسكرى يقوضانها سرا.

وتعاون أهارون كوهين، من المابام، مع الحكومة العسكرى ومع مكتب العمل فى حيفا لتقويض المؤتمر وهزيمة الإضراب^(١١٨). وفى الوقت نفسه، نظم ماكى عمليات التضامن والدعم المادى من العمال العرب واليهود على حد سواء، وسعى لبناء وحدة ثنائية القومية للطبقة العاملة بالإشادة بالمساهمات القليلة من العمال اليهود باعتبارها «ضربة صارمة لدعاة التفرقة القومية»^(١١٩). هزم الإضراب بعد نحو شهرين، وفى النهاية، لم يكن العمال أقوياء بما يكفى للصمود أمام الجهود المشتركة للحكومة العسكرى والهستدروت والمابام. وأضعف فشل الإضراب المؤتمر بصورة خطيرة، واستمر المابام فى مهاجمته بعد ذلك. وتم فصل كثيرين من أعضاء المؤتمر المستخدمين فى كيبوتسات المابام أو تم الضغط عليهم للانضمام إلى عصبة العمل الفلسطينية، والتى سُميت من جديد عصبة العمل الاسرائيلية^(١٢٠).

ورفضت الحكومة العسكرى السماح للمؤتمر بأن يعقد مؤتمره الخامس فى أيلول ١٩٥٠. لكنها سمحت له بذلك فى النهاية فى ابريل (نيسان) ١٩٥١^(١٢١). وبالإضافة إلى إعادة تأكيد الدعوة للسلام بين اسرائيل وجيرانها، وإقامة دولة فلسطينية، وعودة اللاجئين، طالب مؤتمر «مؤتمر العمال العرب» بأن تفتح الهستدروت صفوفها للعمال العرب، وأن تُوحد معاملاتها العمالية، وأن تتخلى عن فصل اليهود عن العرب. وفى الوقت نفسه، تم انتقاد عصبة عمال اسرائيل لأنها لم تطرح هذه المطالب.

وفى كانون الثانى ١٩٥٢، استهل المؤتمر حملة تم فيها جمع سبعين ألف توقيع من العمال العرب واليهود على التماس يطالب بقبول العمال العرب فى الهستدروت وتوحيد المعاملات العمالية.

وأقيمت في شهر تموز، اللجنة الوطنية العامة لهستدروت موحدة لكل العمال في اسرائيل. وبناء على اعتراضات فلابان ويساريين آخرين، رفض المابام طلب ماكي بالعمل المشترك في هذا المسعى وبدلاً من ذلك، أجرت دائرة الشؤون العربية في المابام حملتها الخاصة بالالتماس، بيد أنه في هذه الحالة لم يتم جمع أي توقيعات للعمال اليهود، لأن المابام خشي من أن عدد العمال الذين سيوقعون على الالتماس سيكونون أقل مما اقترحوا لصالح المابام في الانتخابات السابقة (١٢٢). لقد أدركت قيادة المابام بوضوح أن مؤيدي الطبقة العاملة اليهود ليسوا أميين جميعهم.

وفي ايلول ١٩٥٢، وافق الهستدروت على قبول العرب في دائرة النقابات (وإن لم يكن كأعضاء كاملين) وعلى توحيد المعاملات العمالية، بيد أن هذا القرار لم ينفذ بصورة كاملة. وفي كانون الاول ١٩٥٥، قدمت اللجنة الوطنية لضم العامل العربي إلى الهستدروت مذكرة للمؤتمر الثامن للهستدروت تدعى أن ثلاثة آلاف وخمسمائة عربي فقط قد قبلوا في النقابات من بين أحد عشر ألفاً قدموا طلبات بذلك، وأن معظم بورصات العمل مازالت ترفض العمال العرب، وأن الهستدروت لم تُقم عيادات طبية (وهي ميزة أساسية للعضوية) في معظم المناطق العربية. كما وردت تقارير عن أن قادة المابام دبروا لطردهم العرب من وظائفهم بحجة أنهم ليسوا أعضاء في النقابات (١٢٣).

وفي ١٣ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٥٢، دعا المؤتمر لإضراب عمال البلدية في الناصرة استمر حتى نهاية تشرين الثاني. وأمر الحاكم العسكري بفصل المضربين في اليوم الأول من الإضراب واستأجر محطمي الإضرابات من خلال مكتبه. وتم القبض على قادة الإضراب، فأعلنوا في ٢١ تشرين الثاني إضراباً عن الطعام. ومع ذلك، فشل الإضراب رغم الروح النضالية للعمال (١٢٤). ونظراً لأن الحكومة العسكرية تدخلت لهزيمة الإضرابين الكبارين اللذين نظمهما المؤتمر في الناصرة وأن الهستدروت وافقت من حيث المبدأ فقط على قبول العمال العرب في نقاباتها، فقد قرر ماكي حلّ المؤتمر. وكان القرار متسقاً مع مبدأ تنظيم عمال كل القوميات في الاتحاد نقابياً واحداً، وهو هدف الشيوعيين منذ العشرينيات. لكن نظراً لأن الهستدروت كانت تتحرك ببطء بالغ لقبول العمال العرب، فقد حُرّم الكثيرون من العمال العرب من الحماية النقابية في معظم سني الخمسينيات، في حين توقفت عن الوجود مؤسسة أخرى لعرب فلسطين لها صلة بالحياة السياسية فيما قبل ١٩٤٨.

كان النضال ضد الحكم العسكري أمراً جوهرياً بالنسبة لعمل ماكي في المجتمع العربي، وظهرت باستمرار في أدبيات الحزب شكاوى من انتهاكات هذا الحكم. وفي أواخر ١٩٥٥، شكلت الكنيست لجنة تحقيق، بسبب الشكوك التي ثارت بأن الماباي كان يستخدم الحكام العسكريين للسيطرة على مال العرب لصالحه الخاص. واغتنام ماكي الفرصة ليكشف نشاطه ضد كل من الجهاز العسكري ونظام صاريح السفر. وفي يناير (كانون الثاني) ١٩٥٦، قدمت مجموعته البرلمانية في الكنيست مذكرة بحث على إلغاء الحكم العسكري، مع إبراد تفاصيل عن كيفية تقييد النشاط الذي يريعه ماكي في المناطق العربية وحركة مناضلي ماكي. وتم تنظيم اجتماعات يهودية عربية حاشدة للاحتجاج في

الناصره فى ١١ شباط ١٩٥٦، وفى حيفا فى ٢٣ يونيو (حزيران) ١٩٥٦. وفى البدء أيد يوسف خميس عضو الكنيست عن المابام اجتماع الناصرة لكنه انسحب فيما بعد (على الأرجح بسبب ضغط أعضاء الحزب اليهود) وقصر مشاركته على إرسال التهاني التى تلاها والده، الذى حضر الاجتماع^(١٢٥). وعلى الرغم من أن المابام عارض الحكم العسكرى، فقد كان جدّ مرتعب من أن يرتبط بماكى ليتعاون مع الحزب الذى تتوافر له أوسع قاعدة فى المجتمع العربى. بيد أن ماكى استمر فى معارضته، وانضم إليه كثيرون من المناضلين غير الحزبيين فى المجتمع العربى وعدد قليل من اليهود. وبعد ١٩٦١، كثف المابام وقوى سياسية يهودية أخرى كثيرة معارضتهم للحكم العسكرى، وأدى هذا النشاط إلى إلغاء هذا الحكم فى ١٩٦٦.

ونتيجة لدفاع ماكى المتفانى عن حقوق العرب، أصبح بحلول ١٩٥٥ القوة السياسية البارزة فى المجتمع العربى، حتى باعتراف خصومه^(١٢٦). وقام عمل ماكى فى المجتمع العربى على أساس الدعوة المستمرة للتضامن الأسمى بين اليهود والعرب والزهر بوضعه (حتى أكتوبر ١٩٥٤) باعتباره الحزب اليهودى العربى الوحيد فى إسرائيل. وفى أعقاب انتخابات الكنيست فى ١٩٤٩، أعرب الاتحاد عن منظور الشيوعيين العرب الفلسطينيين تجاه رأى العام اليهودى، لقد كانوا على استعداد للاعتراف بإسرائيل وقبولها كإطار للعمل فى مقابل تأييد الطبقة العاملة اليهودية لحق عرب فلسطين فى تقرير المصير وإقامة دولة مستقلة:

عندما نكرر نحن الشيوعيين أن من واجبنا النضال من أجل إقامة الدولة العربية فى فلسطين، فإننا لا نفعل ذلك لأننا نريد أن نعبر عن رغبة الجماهير العربية فقط، بل لأننا نعتقد بأن نضالاً كهذا إذا تركز حول قوى الطبقة العاملة اليهودية. أيضاً فسيكتب له النجاح حتماً^(١٢٧).

بعبارة أخرى، لقد أُلزم قادة ماكى العرب أنفسهم بالانتمية بالنضال اليهودى العربى المشترك لأنهم كانوا يعتقدون أن هذا هو خير وسيلة للدفاع عن حقوق الشعب الفلسطينى.

ومع ذلك، فقد برهنت الطبقة العاملة اليهودية على عجزها عن أن تقوم بدورها فى الصفقة. أضف إلى ذلك، فإنه حتى على الرغم من أن ماكى اعترف بلا تردد بإسرائيل باعتبارها دولة يهودية، فقد تم استبعاده من المشاركة فى اللعبة السياسية واعتبرته معظم القوى السياسية اليهودية حزبا منبوذا. وتعرض الشيوعيون لضغط مستمر للخضوع للخطاب الصهيونى القائم على الهيمنة وإلا أصبحوا معزولين عن الطبقة العاملة اليهودية. وهكذا، فإن البرنامج الذى تم اعتماده فى المؤتمر الثانى عشر لماكى، طالب «بالسلام مع البلدان المجاورة على أساس الاحترام المتبادل للسيادة الوطنية، وإلغاء عمليات الضم الإقليمى، والاعتراف بحق الشعب العربى الفلسطينى فى إقامة دولة ديمقراطية المستقلة (و) حق اللاجئين فى العودة لبلادهم» - وهو ما يمكن تفسيره باعتباره مطالبة بأن تجلو إسرائيل والأردن ومصر عن الأراضى التى خصصها مشروع الأمم المتحدة للتقسيم للدولة العربية.

كما ذكر البرنامج أنه على الرغم من ذلك فإن «مصلحة النضال المعادي للمبريالية من أجل السلام والتحرر الوطنى تقتضى معارضة أى محاولة لإثارة مسألة الحدود اليوم ومعارضة محاولات تصحيح الحدود وغزو الأراضى باستخدام وسائل عسكرية كبيرة أو «صغيرة» (١٢٨).

وكان من الطيش أن يشن المواطنون العرب فى اسرائيل، تمردا من أجل الانفصال، كما لم يكن اليسار قادرا على تأييد حرب تشنها الدول العربية الرجعية لاستعادة أرض فلسطين اليهودية. وقد بررت هذه القيود الحقيقية الموقف التاكتيكى لعدم إثارة مسألة الحدود «اليوم». وعلى مر الزمن، تغيرَ التوازن بين المتطلبات التاكتيكية للوقت الراهن ومبدأ الحفاظ على الأساس الإقليمى لحق تقرير المصير لعرب فلسطين الذى حدده مشروع الأمم المتحدة للتقسيم. فالذى بدأ باعتباره ضرورة تكتيكية أصبح هو حدّ الرؤية السياسية. وخضع ماكى فى نهاية الأمر للإجماع الصهيونى، والذى كان يؤكد أن نتائج الحرب قد أنشأت تخوم الحدّ الأدنى الجديدة لاسرائيل. وكان هذا يعنى أن خط ماكى اختلف عن خط الأحزاب الشيوعية العربية، التى استمرت متمسك بحدود مشروع الأمم المتحدة للتقسيم باعتبارها أساسا للتسوية السلمية للنزاع العربى الاسرائيلى.

ولم ير ماكى أن تنازلاته تتعلق بقضايا مبدئية. كما أن التنازل عن القول بأن الأراضى التى احتلتها اسرائيل زيادة على مشروع التقسيم «هى أرض عربية محتلة»، كان يعمل على نزع المشروعية عن المطالب الوطنية للمواطنين العرب الفلسطينيين فى اسرائيل، حتى وإن أدى ذلك لتحسين قدرة أولئك المواطنين على كسب نضالات معينة تتعلق بالحقوق المدنية، مثل إلغاء الحكم العسكرى. وفى المجتمع اليهودى، فإن تنازلات ماكى للخطاب الصهيونى، مكنت الحزب من تفادى العزلة التامة، رغم أنها لم تكن كافية لكى تكسب الحزب مشروعية واسعة.



الفصل الخامس

الأممية في التطبيق: العلاقات بين الماركسيين المصريين والإسرائيليين

قامت الاتصالات الأولى بين الشيوعيين الإسرائيليين والعرب بعد ١٩٤٨ على سوء فهم مشترك لدور إسرائيل الإقليمي مماثل لذلك الذي أعربت عنه «صوت المعارضة» / مشمش. إذ كان بعض الشيوعيين العرب يأملون في أن تكون إسرائيل حليفا لهم في نضالهم ضد القوى الرجعية في العالم العربي. وهكذا، فقد جاء خالد بكداش زعيم الحزب الشيوعي السوري إلى حيفا في مايو ١٩٤٩ واجتمع مع الشيوعيين العرب الفلسطينيين والمسؤولين الإسرائيليين لمناقشة دور الشيوعيين في النضال ضد الملك عبد الله. ورغم أن هذه الاتصالات أثارت بعض القلق في الدوائر الدبلوماسية الأمريكية، فلم تكن لها نتائج ظاهرة^(١).

وبعد إبرام الهدنة مع مصر وترسيم الحدود بين إسرائيل وقطاع غزة الذي استولى عليه المصريون، فإن أعضاء عصبة التحرر الوطني الذين كانوا يعيشون في غزة، كانوا يعبرون الحدود سرا إلى إسرائيل للاجتماع في ميكونس وطوبى. وأوردت الصحف المصرية أنه أربعة عشر اجتماعا من هذا القبيل قد عقدت في بينروت يتسمك بين إبريل ويوليو (نيسان وتموز) ١٩٤٩ بمعرفة السلطات الإسرائيلية، وتوقفت بعد أن حطمت الحكومة المصرية بقايا العصبة في غزة بالقبض على ثلاثة وثلاثين شيوعيا في ٢٠ تموز^(٢). وبعد ذلك، طفقت السلطات المصرية تقمع شيوعيي غزة بصورة منتظمة، وعلى الرغم من محاولاتهم المتكررة لإعادة تنظيم أنفسهم، فلم ينشئوا أبدا منظمة مستقرة ولم يحتفظوا بعلاقات منتظمة مع رفاقهم الإسرائيليين أو المصريين^(٣).

وبعد هذه الاجتماعات الأولية في إسرائيل التي لم تفض إلى نتيجة، أصبحت الاتصالات المباشرة بين الماركسيين العرب والإسرائيليين متقطعة لفترة من الوقت. وجعل تفتت الحركة الشيوعية المصرية واستمرار قمعها، الاحتفاظ بأي علاقات دولية أمرا صعبا. وكان الاتصال المباشر بالإسرائيليين مثيرا للمشاكل بصفة خاصة بسبب تاريخ المسألة اليهودية في الحركة المصرية والشكوك حول كورييل. وفي مطلع الخمسينيات، استؤنفت الاجتماعات المعارضة بين الماركسيين الإسرائيليين ونظرائهم العرب، على الغالب الأعم في مؤتمرات دولية نظمتها المؤسسات غير الحزبية للحركة

الشيوعية: مجلس السلام العالمى، الاتحاد العالمى للشباب الديمقراطى، الاتحاد العالمى للنساء الديمقراطيات، والرابطة الدولية للمحامين الديمقراطيين. وفى أول هذه اللقاءات، اجتمع محمد سيد أحمد، وكان عضواً فى ممشى آنذاك، بتوفيق طوبى فى باريس فى المؤتمر التأسيسى لأنصار السلام فى أكتوبر (تشرين أول) ١٩٤٩، بيد أن هذا الاجتماع لم يكن رسمياً لأن محمد سيد أحمد الذى كانت أسرته قد أرسلته للخارج لإبعاده عن العمل السياسى الراديكالى فى مصر، لم يكن مخولاً بالتحدث باسم الحركة المصرية^(٤). ووفرت الاجتماعات اللاحقة للمجلس العالمى للسلام، إطاراً ملائماً بصفة خاصة لسلسلة هامة من الاتصالات ومبادرات السلام التى أوجت بها مجموعة روما من الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى/ والحزب الشيوعى المصرى الموحد.

□ حركة السلام الدولية

عندما بدأت الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى بإعادة تنظيم نفسها فى مطلع الخمسينيات، جعلت من الحملة الدولية لتأييد نداء ستوكهولم من أجل السلام العالمى الذى وجهه فريدريك جوليو-كورى، مركز جهودها لبناء جبهة وطنية متحدة عريضة. وتم جمع نحو اثنى عشر ألف توقيعاً على نداء ستوكهولم، بل وتم جمع أعداد أكبر على نداءات إضافية للسلام فى ١٩٥١. وفى يناير (كانون ثان) ١٩٥١، شكلت الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى اللجنة التحضيرية لأنصار السلام المصريين مع كثيرين من المثقفين غير الشيوعيين والشخصيات غير الشيوعية: كامل البندارى السفير المصرى السابق لدى الاتحاد السوفيتى («الباشا الأحمر»)، والمناضلة النسائية سيزابنراوى، وعزيز فهمى ومحمد مندور من قادة الطليعة الوفدية، وحفنى محمود باشا الوزير السابق وعضو حزب الاحرار الدستوريين، وإبراهيم طلعت عضو البرلمان السابق، وإحسان عبد القدوس رئيس تحرير روز اليوسف، وخالد محمد خالد «العالم الإسلامى البارز»، والشيخ جابر التميمى من الإخوان المسلمين. وعمل يوسف حلمى، وهو محام وعضو الحزب الوطنى، سكرتيراً عاماً للحركة ورئيساً لتحرير مجلتها الاسبوعية، الكاتب، التى حققت توزيعاً يتراوح بين عشرة واثنتى عشرة ألف نسخة. وشاركت الديمقراطية الشعبية فى أنصار السلام، وإن لم يخلُ هذا من احتكاكات مع حداثو، ومثلها فى اللجنة التحضيرية نقابى مخضرم هو يوسف المدرك، ولم تنضم الراية لهذا الجهد.

وكان اهارون كوهين يتابع، عن طريق القراءة الدؤوبة للصحافة العربية، تقدم اليسار فى العالم العربى وكتب تقارير منتظمة ودقيقة تماماً فى عال عمشمار، وبصفة خاصة عن التطورات التى تعتبر مشجعة للسلام العربى الإسرائيلى^(٦). وكتب تقارير عن أنصار السلام المصريين، مؤكداً بحماس أنهم أوضحوا رغبة الشعب المصرى فى السلام مع اسرائيل، واقتبس أقوال سلامة موسى الكاتب المصرى الذى يدين بأفكار الاشتراكية الفابية والتى تدعو لإنهاء «الحرب الباردة بين اسرائيل والدول العربية». كما حلل كوهين موجة الإضرابات فى مصر فى ١٩٥١، التى قادها النقابيون الشيوعيون فى صناعة الغزل والنسيج، باعتبارها تطورا يدعم القوى الداعية للتسوية السلمية للنزاع مع اسرائيل.

وعلى النقيض من ذلك، بدا أن ماكى لم يكن فى مطلع الخمسينيات يبدى اهتماما كبيرا بالحركة الشيوعية المصرية. ربما كان ماكى يحذر من أن يورد تقارير عن الأنشطة التى تتعلق بشيوعيين خشية أن يبدو وكأنه يشجع فريقا يتضح أنه «خاطئ». فعلى سبيل المثال، استند مقال فى الاتحاد عن حركة العمال المصريين - وهو موضوع من المتوقع أن يكون لدى الشيوعيين مصادر معلومات مستقلة عنه- بشكل كامل على معلومات مستمدة من مقال للمحقق العمالى الأمريكى فى القاهرة (٧).

وقد تعاون ماكى والمبابم فى إقامة مجلس السلام الاسرائيلى، وكانت نشاطاته ناجحة تماما لفترة من الزمن. وأفضت جهوده لجعل نحو ٤٠ بالمائة من كل الاسرائيليين الراشدين يؤيدون نداء ستوكهولم للسلام. وفى سبتمبر ١٩٥١، مثل كوهين ومناحم دورمان (من شعبة احداث هعافودا فى المبابم)، واميل حبيبى، مجلس السلام الاسرائيلى فى الاجتماع التحضيرى لمؤتمر إقليمى للسلام فى الشرق الأوسط فى روما حضرته وفود من مصر وسوريا ولبنان والعراق والجزائر والمغرب وتونس وإيران. وحسبما قال دورمان، فقد اقترح الاسرائيليون أن يصدر المؤتمر نداء من أجل سلام عربى اسرائيلى بدون شروط مسبقة أو وسطاء أجنبى. ورد الوفد اللبنانى بأنه سيؤيد فقط نداء «لسلام عادل» يستند لقرار الأمم المتحدة الصادر فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧، لكن الاسرائيليين رفضوا شروط السلام هذه.

وكان يوسف حلمى رئيس الوفد المصرى شخصية محورية فى الاجتماع، الذى جرت فيه اتصالات مصرية اسرائيلية مكثفة، رسمية وغير رسميه على حد سواء. وفى البدء أعرب عن خشيته من أن يستغل الحضور الاسرائيلى لتشويه سمعة حركة السلام فى مصر. غير أن كوهين كسب ثقة حلمى برده الذى سلم باللغة العربية. ونتيجة لذلك، فقد تجنب حلمى متعمدا إداة الصهيونية فى خطابه العام المطول الذى ألقاه عصر أحد الايام. كما عقد حلمى وكوهين ودورمان عدة مناقشات خاصة، وأورد كوهين مقتطفات من مقال أخير لحلمى فى الكاتب فى تقريره عن الاجتماع الذى أعده لعالم همشمار.

وكانت المسألة الرئيسية التى نوقشت فى الاجتماع هى: ماهى المشكلة الأساسية التى تواجه شعوب الشرق الأوسط - خطر حرب عالمية ثالثة أو النضال المعادى للامبريالية من أجل التحرر الوطنى؟ (٩). وإذا قرر المؤتمر أن احتمال نشوب حرب عالمية جديدة كان المشكلة الأكبر وركز على النزاعين فى كوريا وفيتنام، فقد تجنب اتخاذ موقف بشأن النزاع العربى الاسرائيلى.

وشهد وفد اسرائيلى يضم أعضاء من ماكى والمبابم مؤتمر السلام العالمى فى فيينا فى نوفمبر (تشرين ثان) ١٩٥١. ونظرا لأن الاجتماع عقد بعد فترة قصيرة من قيام مصر بإلغاء معاهدة ١٩٣٦ الانجليزية المصرية، فقد كُرس بيان كامل البندارى نيابة عن الوفد المصرى كلية لمطالبة مصر بتأييد جهودها لطرد المحتلين البريطانيين، ولم يجر ذكر للنزاع العربى الاسرائيلى (١٠). وتحدث

توفيق طوبى عن الوفد الاسرائيلى فى إحدى الجلسات عن مشكلة السلام بين اسرائيل والبلدان العربية واقترح ان تتضمن الحملة ضد المحاولات الغربية لإنشاء حلف إقليمي للشرق الأوسط (والتي توجت فى النهاية بحلف بغداد) دعوة لسلام اسرائيلى عربى يقوم على رفض الكتل العسكرية واحترام استقلال وسيادة كل دول المنطقة. وردت سيزا نيراوى، بأنه فقط عندما تعُدل اسرائيل بالنسبة للاجئين الفلسطينيين، فسيشكل ذلك خطوة كبيرة من أجل السلام^(١١). ولأشك أن الوفود الاسرائيلية والعربية أجرت مناقشات غير رسمية، لكن لا يوجد تسجيل لها. ولم تتصد قرارات مؤتمر فيينا فيما يتعلق بالشرق الأوسط، للنزاع العربى الاسرائيلى، ومن الواضح أنه لم تكن هناك محاولة بين الوفود العربية والاسرائيلية للوصول لاتفاق حول هذه القضية.

وفى مطلع ١٩٥٢، انقطعت مرة ثانية الاجتماعات بين الاسرائيليين والمصريين وغيرهم من العرب اليساريين، وقرر اجتماع روما التحضيرى عقد مؤتمر فى القاهرة فى يناير (كانون ثانى) ١٩٥٢. وأن يشهده الاسرائيليون أيضا. بيد أن هذا الاجتماع لم ينعقد أبدا، لأن الحكومة المصرية أعلنت الأحكام العرفية بعد حريق القاهرة فى ٢٦ كانون ثانى. وتم القبض على يوسف حلمى وقادة حركة السلام الآخرين وحظرت حركة أنصار السلام.

□ مجموعة روما واتصالات حدثو - ماكى

فيما بعد ذلك، كانت مصر تمثل عادة فى الاجتماعات الدولية للمنظمات غير الحزبية للحركة الشيوعية، بالشيوعيين اليهود المصريين المهاجرين فى باريس بقيادة هنرى كورييل، والمعروفة داخل حدثو باسم مجموعة روما. وكانت هذه المجموعة أكثر تلهفا من معظم أعضاء حدثو الذين يعيشون فى مصر لمواصلة الاتصال بالتقدميين الاسرائيليين. ورأت على الدوام أن مثل هذه الاجتماعات يُشكل عوامل مهمة تيسر النضال من أجل تسوية سلمية للنزاع العربى الاسرائيلى. وفى مؤتمر الاتحاد العالمى للشباب الديمقراطى الذى عقد فى بوخارست فى يوليو (تموز) ١٩٥٣، رتب أعضاء مجموعة روما اجتماعا بين وفد اسرائيلى بقيادة رئيس عصبة الشباب الشيوعى الاسرائيلى، عوزى بورشطاين ووفدين من مصر والعراق^(١٢). واجتمع يوسف حزان واميل حبيبى فى فيينا فى تشرين ثانى ١٩٥٣ فى تجمع لمجلس السلام العالمى، حيث انتقد حبيبى تأييد حدثو لانقلاب ٢٣ يوليو ١٩٥٢. ولم يستجب ماكى بحماس لمحاولات مجموعة روما تنظيم مثل هذه الاجتماعات، ربما بسبب استمرار النزعة الانقسامية فى الحركة الشيوعية المصرية مما جعل من الصعب تحديد من هو الحزب الشيوعى منها. وكانت حدثو موضع شكوك بسبب تأييدها للانقلاب العسكرى، معارضة فى هذا لباقى الحركة الشيوعية الدولية، والادعاءات عن تورط كورييل فى قضية مارتى. ومن ثم، فقد تبنى ماكى موقفا محافظا تجاه الشيوعيين المصريين، اتساقا مع البروتوكولات السائدة للحركة الشيوعية عندئذ.

وخلال صيف ١٩٥٣ بعثت حدثو برسالة لماكى، وهو أول اتصال رسمى بين الحزبين فى عدة

سنوات، وربما كان كورييل هو الذى اقترح هذه المبادرة ومن الواضح أنه كان الوسيط الذى نقل الرسالة. او كان يعرف فحواها على الأقل، لأنه انتقد، فى تقرير أرسله لمصر عن العلاقات العربية الاسرائيلية، قيادة حدثو على أنها أثارت فقط القضايا العامة المتعلقة بالسلام والديمقراطية فى هذه الرسالة وتفاعست عن أن تذكر النزاع وقد شجع كورييل على هذا، اجتماع بوخارست وأراد أن تعطى حدثو أولوية عالية للاتصالات مع التقدميين الاسرائيليين. وأكد أن القوى الديمقراطية فى اسرائيل بقيادة ماكى كانت «تناضل من أجل نفس الأهداف التى نناضل من أجلها» وأشاد بنضال ماكى والحزب الاشتراكى اليسارى ضد الايديولوجية الصهيونية، وليبرهن على وجهة نظره اقتبس رأيا لميكونس ورد فى مقال له فى صحيفة ماكى النظرية: «لقد كانت الصهيونية ولا تزال اتجاهها بورجوازيًا رجعيًا، ارتبط بالامبريالية فى كل سنوات وجوده، وتحالف معها وخدمها بإخلاص»^(١٤). وحث كورييل قيادة حدثو على أن تشيد بنضالات «حلفائنا الأقوياء»، ماكى والقوى الديمقراطية الاسرائيلية فى الدفاع عن حقوق عرب فلسطين، وفى الدفاع عن مصالح اللاجئين، وضد استفزازات الحكومة الاسرائيلية (والتي لا تقل عن استفزازات الدول العربية).

وكان الاتجاه الرئيسى للتقرير هو تأكيد سلامة تأييد حدثو لمشروع الأمم المتحدة للتقسيم فى ١٩٤٧، وبالإضافة لذلك، أكد أن التأييد السوفيتى للتقسيم كان هو المحرك الأول لموقف حدثو. وأشاد بحدثو لمعارضتها للمشاعر المعادية لليهود التى غلبت على مصر والعالم العربى فى ١٩٤٨. وكان كورييل يعتقد أن لرفاق حدثو موقفًا أفضل من موقف الشيوعيين العرب الآخرين بشأن هذه القضية: فقد وثقوا فى ماكى وفى الشعب الاسرائيلى ولم يكونوا شوفينيين. بيد أنه أوضح أن حدثو لم تدافع بعد ١٩٤٨ عن مواقفها بنفس الوضوح السابق، وقد ذكرت القضية فقط فى مقالات قليلة غير محددة فى الكاتب وفى فقرة من مشروع برنامج المنظمة^(١٥). أراد كورييل أن تولى حدثو اهتمامًا أكبر بالنزاع العربى الاسرائيلى، رغم أنه لم يعد ممكنا حينذاك اتباع خط الاتحاد السوفيتى مثلما كان الحال فى ١٩٤٨ أو خط الأحزاب الشيوعية العربية الأخرى أو الشيوعيين المصريين. وفى رأى كورييل، أن اللاجئين وحدود دولة فلسطين العربية، كانا المشكلتين الأساسيتين اللتين ينبغى التصدى لهما، ومع ذلك فلم يقدم حلاً محددًا لهما. والواقع، أن اقتراحاته البرنامجية كانت تطالب بالانسحاب الأردنى والمصرى من الضفة الغربية وقطاع غزة وإنشاء إدارتين فلسطينيتين ديمقراطيتين، لكنه لم يذكر انسحاب اسرائيل من الأراضى التى احتلتها فى ١٩٤٨-١٩٤٨^(١٦). هذا الغموض بشأن الحدود يوضح أن آراء كورييل كانت أقرب لآراء ماكى (مثلما نص عليها برنامج ١٩٥٢) من آراء الشيوعيين المصريين وغيرهم من الشيوعيين العرب، الذين أصروا صراحة على حدود مشروع الأمم المتحدة للتقسيم. ويمكن تفسير موقف كورييل على أنه صورة مسبقة لاقتراح ما بعد ١٩٦٧ بإنشاء دولة فلسطين العربية فى الضفة الغربية وقطاع غزة.

اكتسبت الاجتماعات الدولية مع الاسرائيليين أهمية أكبر بالنسبة لكورييل ومجموعة روما

معها بالنسبة للشيوعيين الذين يعيشون في مصر، لأنها كانت النشاط الوحيد لمهاجري باريس الذي أتاح لهم الإحساس بأنهم جزء عضوي من الحركة المصرية. وعلى النقيض من ذلك، لم يستطيع الشيوعيون في مصر أن يسافروا للخارج والشعور ببهجة الاجتماع بأجانب يشاطرونهم نفس الالتزامات والنظرة العالمية. وكانوا بالضرورة، منكبين على القضايا الوطنية المصرية. وكانت القضية الأساسية بالنسبة لهم، مثلهم مثل كافة تيارات الرأي السياسي، هي تأمين جلاء القوات البريطانية من منطقة قناة السويس؛ وكانت فلسطين قضية ثانوية. وبالإضافة لذلك، فإن حدثو كانت في ذلك الوقت غارقة في صراع داخلي، أدى في النهاية إلى الانقسام وتكوين حدثو - التيار الثوري. في الوقت نفسه، كان مجلس قيادة الثورة يكثف هجماته على الشيوعيين. ولم تكن هذه ظروف مواتية للاتخراط في اتصالات دولية خطيرة.

ولم يكن كورييل شخصا تفت في عضده مثل هذه التفاصيل، حيث استمرت مجموعة روما تلتصق إقامة علاقات دولية، تحركها إلى ذلك مفاهيمه وإحساسه بالأولوية. وعندما أطلق سراح يوسف حلمي من السجن في ١٩٥٤ إلى جانب القادة الآخرين لأنصار السلام، سافر إلى باريس. وهناك قدمه كورييل إلى عاموس كينان، وهو صحفي إسرائيلي بوهيمي زئبقي^(١٧). وبدأ هؤلاء الثلاثة، استمرارا للاتصالات بين المصريين والإسرائيليين التي استهلكت في بوخارست، في اللقاء مع جيلا كوهين، عضو ماكي التي تعيش في باريس مؤقتا لدراسة الفن، وحايا هراري، وهي ممثلة إسرائيلية، وعدنان أبو سناينا من الحزب الشيوعي السوداني، وأعضاء من الحزب الشيوعي العراقي، وممثلين لمجموعة روما، وربما المخرج المصري عبد القادر التلمساني. وانضم اليهم فيما بعد، إيلي لويل، الذي كان قد طُرد من كيبوتس نيريم وانضم للحزب الاشتراكي اليساري في ١٩٥٣^(١٨). (ربما كان لويل قد انضم لماكي إن كان قد بقي في إسرائيل، لكن شارل بتلهام دعاه لباريس في ١٩٥٤ للعمل بشأن القضايا الاقتصادية للهند. وخلال هذا العمل التقى بسمير أمين، الذين كان قريبا من الراية قبل أن يجرى لباريس لدراسة الاقتصاد). وكانت المجموعة التي التقت خلال ١٩٥٤-٥٥ تعرف باسم اللجنة العربية الإسرائيلية للسلام. وفي حين أنه لم يشترك فيها أعضاء من المابام بصورة منتظمة، فقد اجتمع يوسف حلمي في ربيع ١٩٥٦ بيسرائيل بارزيلاي من المابام، والذي كان حينذاك وزيرا للصحة في إسرائيل، ويُعاكوف مايوس، سكرتير لجنة السلام الإسرائيلية في المابام، وربما حدثت اجتماعات أخرى كهذه^(١٩). وبعد حرب ١٩٥٦، ظل أعضاء مجموعة روما والإسرائيليون الذين يعيشون في باريس فقط نشيطون، وأصبحت اللجنة هي اللجنة المصرية الإسرائيلية للسلام. وأصدرت بشكلها هذا نشرة بالفرنسية لفترة قصيرة، لم يبق منها سوى مقدمة كورييل للعدد الأول^(٢٠).

ولم يصادق ماكي رسميا على هذه الأنشطة، ولم تفعل ذلك حدثو أيضا. والواقع أن وجود مجموعة روما ضايق قيادة حدثو وأخرجها. ذلك أن النشر عن هذه الاجتماعات مع الإسرائيليين في

باريس أكد فحسب أسوأ شكوك منتقدي حدثو، ولذلك خف التركيز على مناقشات باريس. ولم يتقاعس ماكي عن الإعلان عن هذه الاجتماعات والترويج لها فقط، وإنما استمر أيضا في تجنب ذكر أنشطة الحركة الشيوعية المصرية كذلك، حتى بعد الاجتماع الذي عُقد في بوخارست والرسالة الموجهة له من حدثو. بيد أن ماكي كان ينشر عن أنشطة الحزب الشيوعي العراقي، الذي لم يغير موقفه لصالح تقسيم فلسطين منذ ١٩٤٨. بل لقد تدخل ماكي في النشاط الشللي في داخل الحزب العراقي بترجمة هجوم عنيف نشرته الصحيفة المركزية للحزب ضد مجموعة راية العمال^(٢١). كما تم حذف ذكر المصريين من كتيب نشرته اللجنة المركزية لماكي بشأن النضال من أجل السلام في البلدان العربية، رغم أنه أعاد طبع بيانات الحزبين الشيوعيين العراقي والأردني^(٢٢). وربما جعل وجود كثيرين من الأعضاء السابقين في الحزب الشيوعي العراقي في صفوف ماكي (وصلوا لاسرائيل مع باقي المجتمع اليهودي العراقي في ١٩٥٠-٥١ والعلاقات التاريخية مع قادة الحزب الأردني، الذين كانوا ينتمون إلى عصبة التحرر الوطني والذين كانوا معروفين شخصيا للكثيرين من أعضاء ماكي العرب، جعل ماكي يشعر بأنه أقرب إلى هذين الحزبين منه إلى الحركة المصرية وأكثر ثقة في أنه يفهم، على النحو الصحيح، معنى آرائهما المنشورة.

وعلى الرغم من الافتقار للموافقة الرسمية للحزب الاسرائيلي، فقد كانت الاجتماعات التي عقدت في باريس مهمة لجعل الاسرائيليين (حتى المعادين للشيوعية مثل عاموس كينان) يتصلون بالمصريين وغيرهم من العرب الساعين لحل سلمي للنزاع الفلسطيني/ العربي - الاسرائيلي استنادا لحق تقرير المصير للشعبين الاسرائيلي والفلسطيني وتقسيم فلسطين. وكان تأثير ذلك على مصير محدودا بدرجة أكبر، لأن يوسف حلمي كان هو المصري الوحيد المشارك في هذه الاجتماعات الذي عاد ليعيش في مصر.

وعلى الرغم من أن حرب ١٩٥٦ جعلت الحديث عن السلام أمرا صعبا بصورة متزايدة في كل من مصر واسرائيل، فإن البذور التي غرست في مسار هذه الاتصالات بدأت تنمو بعد ذلك بعدة سنوات. ففي ١٩٥٧، قدم عاموس كينان، هنري كورييل إلى اوري افنيري، رئيس تحرير هعولام هزيه (هذا العالم) وهي صحيفة أسبوعية اسرائيلية تهاجم المعتقدات الدينية، وبعدها قدمه كورييل بدوره لأعضاء جبهة التحرير الوطني الجزائرية^(٢٣). وتشجيع من كورييل والجزائريين، انضم افنيري لنانان يالين - مور، ماكسيم غيلان، شالوم كوهين، وعاموس كينان - زملاء افنيري في منظمة العمل السامي - لإنشاء اللجنة الاسرائيلية من أجل جزائر حرة، والتي عارضت السياسة الاسرائيلية حيث أبدت نضال الجزائر من أجل الاستقلال عن فرنسا وشجعت اليهود الجزائريين على ألا ينضموا للمستوطنين الفرنسيين في معارضة الاستقلال وأصبح كثيرون ممن شاركوا في اللجنة الاسرائيلية من أجل جزائر حرة ممن شاركوا في اللجنة الاسرائيلية من أجل جزائر حرة معارضين الداء للاحتلال الاسرائيلي للضفة الغربية وقطاع غزة بعد ١٩٦٧: أصبح نانان يالين - مور عضوا قياديا في اللجنة

الاسرائيلية للسلام الاسرائيلي* الفلسطينى حتى وفاته، وأصبح ماكسيم غيلان رئيس تحرير الصحيفة الشهرية التى تصدر فى باريس، اسرائيل وفلسطين، وانتقد عاموس كينان بانتظام سياسات اسرائيل تجاه عرب فلسطين فى عاموده الأسبوعى فى الصحيفة اليومية ذات التوزيع الجماهيرى الكبير يديعوت أحرنوت وفى روايته المبددة للوهم الطريق إلى عين حارود على حد سواء.

وكان كتاب أحمد القدسى (اسم مستعار لسيمر أمين) وايلى لوبل، العالم العربى واسرائيل^(٢٤)، نتاجا غير مباشر لاجتماعات باريس فى الخمسينيات. وكان لمحاولتهما وضع تحليل للنزعة القومية والصراع الطبقي فى العالم العربى وطبيعة النزاع العربى الاسرائيلى - وهو تحليل ينتقد سياسات اسرائيل والدول العربية على حد سواء - تأثير كبير فى مجال تقديم قضايا الشرق الأوسط للدوائر التقدمية الناطقة بالفرنسية والانجليزية فى أعقاب حرب ١٩٦٧.

وفى مابعد هذه الحرب، اجتمع خالد محبى الدين، خليفة يوسف حلمى كرئيس لمجلس السلام المصرى، مع اورى أفنيرى فى بلغاريا، واقترح خالد محبى الدين عقد مؤتمر دولى بشأن مشكلة السلام فى الشرق الأوسط، عقد بعد ذلك فى بولونيا فى ايطاليا فى ١٩٧١. ورغم أن المؤتمر كان مخيبا للآمال بالنسبة للكثيرين من الذين شاركوا فى التخطيط له، وحتى بالنسبة للبعض من لم يحضروا اجتماعاته، فإنه باعتباره أول اجتماع علنى مفتوح بين العرب والاسرائيليين منذ حرب ١٩٦٧، أرسى سابقة للقاءات كثيرة غير حكومية بين الفلسطينيين والعرب والاسرائيليين بدأت فى منتصف السبعينيات واستمرت حتى الآن. وكان من بينها الاجتماعات الأولى بين الاسرائيليين وممثلى منظمة التحرير الفلسطينية، التى كان كوريبيل قد ساعد فى ترتيبها^(٢٥). ويتأثير من كوريبيل، أصبح كثيرون من الاسرائيليين البارزين الذين طالبوا بالاعتراف المتبادل والتعايش السلمى بين دولة عربية واسرائيل - اورى أفنيرى، ماتى بيليد، يعاكوف أرنون، مثير باعيل، لوبا اليئاف، يوسى اميتاى، سميحا فلابان، والبيعزر فايلر - مشاركين فى هذه الاجتماعات وغيرها من الاجتماعات التى عقدت بعد ذلك الوقت بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

وبعد اغتيال كوريبيل على يد مهاجمين مجهولى الهوية فى ١٩٧٨، أصبح معروفا فى اسرائيل على نحو أفضل نتيجة لجهود أناس ألهمهم نضاله من أجل سلام عادل بين اسرائيل وعرب فلسطين. وفى ١٩٨٢، أصدرت دار نشر ميفراس، التى يديرها راديكاليون اسرائيليون مستقلون، طبعة عبرية من كتاب معنون «من أجل سلام عادل فى الشرق الأوسط»، يضم مجموعة من كتابات كوريبيل عن النزاع العربى الاسرائيلى نشرها أصلا أصدقاؤه الباريسيون بعد موته^(٢٦). وبعد ذلك بعامين، وصف شمعون بالاسى، زوج جيلا كوهين وعضو سابق فى ماكى ايضا، العام الأخير من حياة كوريبيل فى رواية سيرة ذاتية مبهمة بعض الشئ: الشتاء الاخير^(٢٧). ورغم أن نشاطات كوريبيل السياسية فى باريس كانت تقلق بعضاً من رفاقه فى مصر حيث أن البعض انتقد أسلوبه السياسى باعتباره سلوكا غير منضبط، غريب الأطوار، وجاهل من الناحية النظرية، لكن تفانيه الذى لا يهن

لإقامة صلة بين العرب والاسرائيليين الساعين لتعايش سلمى، أمر ينبغي تقديره.

□ مبادرة يوسف حلمى من أجل السلام

عزز وصول يوسف حلمى إلى باريس فى ١٩٥٤ أهمية الاتصالات المصرية الاسرائيلية التى كانت تجرى هناك بالفعل. فقد كان باعتباره القائد الرسمى لحركة السلام المصرية وعضوا فى مجلس السلام العالمى، قادرا على أن يخطى بإصغاء دولى لآرائه. وقد عمل حلمى فى باريس مع مجموعة روما بصورة وثيقة، وطلب من خلالهم أن يضم إلى حديثه. ورغم أن هذا الطلب حُوّل إلى مصر، فليس من الواضح ما إذا كانت القيادة هناك قد قبلته أم لا. وعلى أية حال، فقد اعتبرته مجموعة روما عضوا فى تنظيمها وأيدت بحماس مبادراته فى ١٩٥٥ للتشجيع على التسوية السلمية للنزاع العربى الاسرائيلى. بيد أن كثيرين من أعضاء الحزب فى مصر لم يكونوا سعداء بمبادرات حلمى فى باريس (٢٨).

وكان إطار مبادرات حلمى هو القرار الذى تبناه مؤتمر باندونج للبلدان الآسيوية والأفريقية فى نيسان ١٩٥٥ بشأن النزاع العربى - الاسرائيلى، والذى نصّ على التالى: «فى ضوء التوتر الراهن فى الشرق الأوسط الناجم عن الوضع فى فلسطين وخطر هذا التوتر على السلام العالمى، يعلن المؤتمر الآسيوى الأفريقى تأييده لشعب فلسطين العربى ويدعو لتطبيق قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين والتسوية السلمية للقضية الفلسطينية» (٢٩). وقد صاغ هذا القرار، جمال عبد الناصر الذى ظهر باعتباره داعية كبيرا للحياد الإيجابى فى المؤتمر. ومن ثم، كان بيانا غير مباشر لسياسة الحكومة المصرية. وكما أدلى عبد الناصر بعد عودته من باندونج بعدة بيانات تؤكد التزامه بشروطه. وكان التفسير المصرى للقرار هو أنه يطالب اسرائيل بالعودة لحدود الأمم المتحدة للتقسيم وإعادة كل اللاجئين الفلسطينيين لديارهم، فى مقابل أن تعترف مصر باسرائيل، على أنها قامت بموجب قرار للأمم المتحدة، وتتمسك بمبدأ الحل السلمى للنزاع.

وامتنعت حكومة اسرائيل بمرارة من استبعادها من المؤتمر بإصرار من الدول العربية. واعتبرت القرار رسالة عدا، وليس فرصة لتحقيق إنجاز دبلوماسى. كما اعتبر معظم الاسرائيليين أنفسهم الضحايا الوحيديين للنزاع ولم يكونوا مستعدين لا للتنازل عن الأرض ولا لإعادة اللاجئين. وكان تعليق رئيس الوزراء شاريت العدائى على محرر النيوزويك الذى سأله بعد مؤتمر باندونج بأسبوع عما إذا كانت اسرائيل مستعدة لأن تدعى لتظفر بالسلام مع جيرانها العرب هو: «لماذا يتعين على اسرائيل أن تقدم شيئا أصلا؟» (٣٠). وإذا كان هذا رد فعل شخص كان يعتبر معتدلا بالمقاييس الاسرائيلية، فما الذى كان يمكن لمصر أن تتوقعه من العناصر المتشددة الموالية لبن جوريون، الذى كان حينذاك شبه متقاعد فى كيبوتس فى النقب؟ وكانت تعليقات عبد الناصر فى لقاء صحفى واكب ذلك أكثر نزوعا للتوفيق: ففى حين انتقد اسرائيل بشدة، أصر على أنه ليس لدى مصر نوايا عدوانية

وأكد تأييده لقرار باندونج.

وقد استغل يوسف حلمي قرار باندونج لبرؤج مفهوم التسوية السلمية للنزاع العربي الاسرائيلي باعتباره أمرا يتفق مع السياسة المعلنة للحكومة المصرية. وكتب لعبد الناصر يحثه على أن يثبت نيته في الوفاء بالالتزام الشفوي الذي قطعه على نفسه في باندونج بالسماح لوفد مصري بأن يحضر الجمعية العالمية للسلام في هلسنكي في يونيو (حزيران) ١٩٥٥^(٣١). بيد أن مثل هذا الوفد كان لا بد وأن يضم متعاطفين مع الشيوعيين، فرفض عبد الناصر، ومن ثم، كان حلمي هو المندوب المصري الوحيد في هلسنكي.

لم يلقي يوسف حلمي خطاباً رسمياً في المؤتمر بل اكتفى بتقديم بيان مكتوب ربما لأنه لم تتوافر له فرصة التشاور مع زملائه من مصر ولأنه كان يريد تفادي أن تزداد عزلته.

أكد ذلك البيان أن قرار باندونج هو أول إعلان رسمي توافق عليه الدول العربية يستهدف حلاً سلمياً للنزاع وأنه يستحق خطوة مقابلة من «الحكومة الاسرائيلية» و«الامة الاسرائيلية». وأثار استخدام هذه التعبيرات التي تعترف بالسيادة الوطنية لاسرائيل بجلاء، إلى أن تفكير حلمي كان في الواقع أكثر تقدماً من تفكير عبد الناصر، الذي فضّل عبارات نصّ باندونج غير المباشرة. كما طالب حلمي باتخاذ خطوات إيجابية نحو السلام وحث المدافعين عن السلام في اسرائيل والدول العربية بأن يرسوا مع المبادئ العامة لحل عادل وتعايش سلمى. وأعاد ماكي نشر بيانات حلمي بحماس ووزعها على نطاق واسع^(٣٢). بيد أن تأثيرها في اسرائيل كان محدوداً نتيجة لإعلان مصر في ٢٧ ايلول اتفاقية شراء الأسلحة مع تشيكوسلوفاكيا، والتي استغلها رئيس الوزراء المعين بن جوريون لإثارة القلق بشأن نوايا مصر العدوانية تجاه اسرائيل.

وكان الأمر الأكثر إثارة هو رسالة حلمي إلى عبد الناصر و«النداء إلى الشعب الاسرائيلي» الذي وجهه، وتاريخهما هو ١٠ نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٥٥^(٣٣). ففي رسالته لعبد الناصر، وصف حلمي نفسه بأنه مواطن مصري مخلص أيد مؤتمراً باندونج وقراره بشأن القضية الفلسطينية. وأعرب عن أسفه لأن مصر لم تتخذ خطوات محددة لتنفيذ القرار في وجه المعارضة الامبريالية لتحقيق سلام عادل بين مصر واسرائيل. وانتقد «البلهاء أو الجواسيس إن أحببت، أو عملاء الامبريالية إذا كنت تفضل ذلك» بين مستشاري عبد الناصر الذين رفعوا شعار «لنلق اسرائيل في البحر». وأصر حلمي على التمييز بين حكومة اسرائيل والعناصر الاستفزازية من ناحية، وجماهير الشعب التي تعيش في اسرائيل والتي تحملت عبء الحرب من جانب آخر. ونصح عبد الناصر باتخاذ موقف الاتحاد السوفيتي والقيام بمبادرات للسلام، وانتقده لأنه لم يستجب لدعوة بن جوريون (ربما في إشارة للخطاب بن جوريون في الكنيسة الذي رحب فيه بالنظام المصري الجديد بعد انقلاب ٢٣ يوليو ١٩٥٢)، وحثه على الإدلاء ببيان واضح يعترف بحق شعب اسرائيل في إقامة دولة ودعا أخيراً لعقد مؤتمر دولي

مشابه لمؤتمر جنيف بشأن فيتنام وأرفق صورة من ندائه إلى الشعب الإسرائيلي والذي سينشر في الصحف الاسرائيلية.

وفي رسالته إلى الشعب الاسرائيلي، عرّف حلمي نفسه باعتباره مصرياً وطنياً ومحارباً قديماً في حركة السلام. وذكر بأنه نشر في الكاتب أن الشعب الاسرائيلي لا يقل عن المصريين حباً للسلام، مشيراً إلى استجابته لنداء ستوكهولم. وأقر أيضاً بعرفانه لأن مطبوعات المابام قد نقلت عن مقالاته في الكاتب، وأن بعض الصحف الاسرائيلية نقلت بيانه في هلسنكي في حزيران. وطمان حلمي الشعب الاسرائيلي مجدداً بأن الحكومة المصرية لا تريد حرباً مع اسرائيل ولا تستعد لها وأن ذلك ليس القصد من السلاح الذي يتم شراؤه من تشيكوسلوفاكيا. وحث الشعب الاسرائيلي على تقدير الموقف الجديد للدول العربية كما تراعى في قرار باندونج، وإذا استعرض حلمي تاريخ النزاع، فقد أكد مجدداً تحليل الشيوعيين المصريين على أن البريطانيين أثاروا حرب ١٩٤٨-٤٩ ليحرفوا انتباه الشعب المصري عن النضال ضد الاحتلال البريطاني. وأكد مجدداً أن المصريين الديمقراطيين، الذين قبلوا حق اسرائيل في الوجود إلى جانب دولة فلسطينية عربية، قد عارضوا الحرب. ودعا حلمي مرة أخرى لمؤتمر دولي لإيجاد حل سلمي للنزاع العربي الاسرائيلي استناداً للاعتراف بحق الشعب الاسرائيلي والشعب الفلسطيني في دولتين ديمقراطيتين مستقلتين.

ما هي إذاً منزلة وأهمية مبادرة حلمي الجزئية والاستثنائية؟

لا شك أن الإخلاص الملح في هذه الرسائل لا يمكن أن يعتوره الشك. فليس هناك ما يدفع حلمي للتصرف على هذا النحو سوى اقتناعه العميق بذلك. وقد ساندت مجموعة روما وماكي يوسف حلمي مساندة كاملة. وكان أعضاء الحزب الشيوعي المصري الموحد في مصر أقل حماساً لأعماله. فرغم أنهم كانوا يتبنون نفس هذه المواقف البراجماتية التي يتبناها حلمي - حل النزاع استناداً لتطبيق مشروع الأمم المتحدة للتقسيم، عودة اللاجئين، وإنشاء دولة فلسطين العربية - إلا أنه كان هناك فرق صارخ بين الإطار البلاغي لبيانات حلمي ونظيره الذي يأخذ به الشيوعيون الذين يعيشون في مصر^(٣٤).

لقد اعتمد حلمي موقفاً وطنياً مؤيداً للاتجاه الجديد للسياسة الخارجية لعبد الناصر (مؤتمر باندونج، الجياد الإيجابي، وشراء الأسلحة التشيكية) وانتقد سياسة اسرائيل بلا رحمة، مثلما فعل الحزب الشيوعي المصري الموحد. لكنه انتقد أيضاً عبد الناصر بشدة لعدم سعيه وراء السلام بصورة متواصلة، مستخدماً تعبيرات مثل «الشعب الاسرائيلي» وأيد مراراً وتكراراً ودون شروط حقه في إقامة دولة مستقلة. وباعتراف حلمي بأن الدول العربية غزت اسرائيل بصورة غير عادلة في ١٩٤٨، فقد تفادى تحديد اسرائيل باعتبارها المعتدى الوحيد في النزاع. وعلى النقيض من ذلك، فإنه بحلول عام ١٩٥٥، لم يعد الحزب الشيوعي المصري الموحد ينتقد الحكومة المصرية على مهاجمة اسرائيل في ١٩٤٨ وإنما أكد بدلاً من ذلك بصورة مطولة على أن سياسة اسرائيل العدوانية تجاه مصر وسوريا

والأردن، كانت موجهة من قبل الامبريالية الامريكية، التي كانت الدولة الجديدة تعتمد عليها اقتصاديا. ونظرا لأن الحزب الشيوعي المصري الموحد ساند السياسات الجديدة للنظام المصري المعادية للامبريالية، فإنه لم يذن عبد الناصر صراحة على التقاعس عن متابعة قرار باندونج بمبادرة سلام نشيطة مثلما فعل حلمي. ورغم أن الحزب أشار لاسرائيل مرارا وإمكان التعايش السلمي، فإن شعارات مثل «عاشت فلسطين عربية، ديمقراطية ومستقلة» و«عاش نضال الشعوب العربية ضد الامبريالية الامريكية» لم تكن مطمئنة ليهود اسرائيل مثلما حاول حلمي أن يكون.

ويوضح التناقض البلاغي بين إعلانات حلمي وإعلانات الحزب الشيوعي المصري الموحد في مصر، والذي يعكس خلافا ضئيلا في الموضوع، يوضح بهلاء تأثير الخطاب السياسي القومي العربي الناصري البازغ على الشيوعيين المصريين. ففي سياق قرار الحزب الشيوعي المصري الموحد بتأييد رفض عبد الناصر الانضمام لحلف بغداد، ول مؤتمر باندونج وشعاره السياسي عن الحياض الإيجابي، وصفقة الأسلحة التشيكية، ومناهضة عبد الناصر للامبريالية ذات الطابع النضالي المتزايد، في هذا السياق لم يكن من مصلحة الحزب أن ينأى بنفسه عن الاجماع الوطني المصري بالتذكير بمعارضته لغزو فلسطين في ١٩٤٨ ونقد مصر الدول العربية على إدامة النزاع العربي الاسرائيلي. وعلى النقيض من ذلك، فإنه نظرا لأن الخطاب السياسي القومي العربي البازغ لم يكن يقيد مجموعة روما ويوسف حلمي، فإن حلمي كان حرا في أن يعبر عما كان لا يمكن الحديث به في مصر، كما فاقم هذا الفرق الخلافات بين الشيوعيين في باريس والقاهرة. ودفع نشر بيان حلمي في هلسنكي، ورسائله لعبد الناصر، وندائه للشعب الاسرائيلي، بعض أعضاء الحزب الشيوعي المصري الموحد للمطالبة بحل مجموعة روما.

ولابد أن مجموعة روما قد أدركت أن حلمي كان يتجاوز حدود الخطاب السياسي المسموح به في أسلوبه للتعبير. فقد تضمنت الصيغة العربية لرسالته إلى عبد الناصر (ربما كانت هي النص الأصلي الحقيقي) والتي نشرت في كفاح شعوب الشرق الأوسط جملة تقول «إن إسرائيل قد وجدت وستوجد وسيستحيل إلغاؤها في البحر»، لكن هذا القول حذف من الصيغة الفرنسية التي نشرت في Nouvelles d'Égypte (أبناء من مصر). فمثل هذه الجملة كان يمكن تفسيرها بسوء نية باعتبارها شولينية اسرائيلية أو تحديا للشرف الوطني المصري. وعلى الأقل، فإن واقعيتها العنيدة كانت مشيرة لمن ألفوا العرض الشائع في العالم العربي عن اسرائيل. وربما كانت مجموعة روما تأمل بإلغاء هذه الجملة أن تنفادي اعتبارها مسؤولة عن بيان حلمي (على الرغم أن النص العربي كان من المرجح أن يشير في مصر رد فعل سلبي أكثر مما يفعل النص الفرنسي).

ويبقى الاختلاف بين الاستقبال الحماسي لرسالة حلمي من قبل ماكي ومجموعة روما ورد الفعل اللاتر أو الانتقادي في مصر، الضوء على أهمية اختلاف السياق المنطقي للعمل السياسي. ففي باريس، استطاع حلمي المعاط باليهود المصريين المهاجرين، أن يعبر عن أفكاره دون أن تثبط همته

ساحة سياسية مصرية يميزها شعور قومي متصاعد، وتأييد جماهيري متزايد لعبد الناصر، وتقارب بازغ بين النظام وكافة التيارات في الحركة الشيوعية. وفي مصر، كانت أى إشارة ايجابية لاسرائيل في أعقاب محاكمة اليهود المخربين والغارة الاسرائيلية على غزة، والتي اعتبرت اسرائيل فيها معتديا استفزازيا، ستلقى هجوما عنيفا باعتبارها عملا غير وطني على الإطلاق. فبالنسبة للمصريين في مصر، أكدت هذه الحوادث مجددا نوايا اسرائيل العدوانية، وكان نقد عبد الناصر لتقاعسه عن القيام بمبادرات سلام سيبدو أمرا منبث الصلة بالواقع.

والواقع، أن عبد الناصر تمحارب بصورة إيجابية مع جهود لجنة خدمة الأصدقاء الأمريكية ومبعوث الرئيس ايزنهاور للتوسط في تسوية دبلوماسية بين مصر واسرائيل في ١٩٥٥ و ١٩٥٦. وأكد فشل هذه المحاولات أن اسرائيل لم تكن مستعدة لبحث أى مشروع مشابه لشروط قرار باندونج، في حين أوضح إصرار عبد الناصر على أن تبقى هذه المفاوضات سرية افتقاره للثقة في أنه قد يحظى بالمساندة الكاملة من مجلس قيادة الثورة لاتفاق سلام. وختاماً، فإن حقيقة أن هذه المحادثات كانت سرية، تعنى هي نفسها أن نطاق الخطاب السياسى المسموح به في مصر أو اسرائيل بقى بلا تغيير.

وكانت الاستجابة لجهود حلمى محدودة في اسرائيل أيضا. فلم تكن غالبية الاسرائيليين اليهود، بما في ذلك الماهام واحدوت ها عفودا، تستطيع أن تتصور سلاما قائما على حدود التقسيم وعودة اللاجئين. وقد رفض مناخم دورمان من أحدوت ها عفودا بلا أدنى لبس مقترحات حلمى في الصحيفة اليومية للحزب، وانتقد حلمى بقسوة لتقاعسه عن إدانة الوفود العربية الأخرى في هلسنكى التى دعت لتدمير اسرائيل، وأدان حلمى لرفضه اللقاء معه في هذا المؤتمر المهم^(٣٦). وإذا لم يهد دورمان أى تقدير للحقائق السياسية المصرية، فقد اعتبر مقترحات حلمى خدعة لتحقيق مصالحه مع عبد الناصر.

ونشرت عال همشمار «نداء إلى الشعب الاسرائيلى» الذى وجهه حلمى مع ردّين عليه. أحدهما لمعلق لم يذكر اسمه (ربما يعاكوف مايرس)، يمثل الجناح اليميني للماهام، بدأ بمهاجمة ماكى ثم أكد أن جهود حلمى «لاتخدم قضية السلام لأنها تؤيد مؤامرة للسير انطونى ايدن وحلف بغداد» لأنها تستند لمشروع الامم المتحدة للتقسيم. وربما كان الحلال الجارى بين الماهام وماكى في لجنة السلام الاسرائيلية، والتي انقسمت منذ طرد سنيه من الماهام، عاملا شكل هذا الرد.

وتحدث اليهيزر بيرى عن يسار الماهام، فرحب بدعوة حلمى للسلام لكنه رفض افتراضاته. واعترض بيرى على تأكيد حلمى أن الحكومة المصرية لا تريد الحرب مع اسرائيل ورفض وصف اسرائيل بأنها معتد على حد سواء، ذاكرا أن الدول العربية كانت قد رفضت مشروع الأمم المتحدة للتقسيم كما أنها تسمح حاليا بهجمات اللدنيين المسلحة على اسرائيل من أراضيها. ولم ير بيرى أن قرار باندونج دليل على النوايا السلمية وأكد أن السلام ليس ممكنا على أساس حدود مشروع

التقسيم: «نظرا لان سنين طويلة قد انقضت منذئذ، ونظرا لأن حقائق جديدة قد نشأت على أرض الواقع على مر الزمن، ونظرا لأنه لم تقم دولة عربية (فلسطينية) ديمقراطية، فإن قرارات الأمم المتحدة في ١٩٤٧ لا يمكن تنفيذها حرفيا فيما يتعلق بالحدود» (٣٨).

وعلى النقيض من اليسار الصهيوني، روجَ ماكي وأيد بيانات حلمي. وقررت اللجنة المركزية وقد استحثها نشر رسائل حلمي أن تكثف الحملة من أجل السلام في اجتماعها في ١٤-١٦ ديسمبر (كانون أول) ١٩٥٥ (٣٩). ومع ذلك، فلم تذكر خطب قادة الحزب في هذه الحملة لا حلمي ولا الشيوعيين المصريين.

ومن ١٩٥٥ إلى ١٩٥٩، تلقى ماكي بصورة منتظمة مطبوعات مجموعة روما، لكنه لم يولها اهتماما كبيرا أو لم يسع لتطوير هذه الصلة، رغم أن حريته في أن يفعل هذا كانت أكبر من حرية قرنائه المصريين (٤٠). ومن الواضح أن ماكي لم يستجب أيضا لرسالة حدثت في ١٩٥٣، أو لرسالة أخرى بعث بها الحزب الشيوعي المصري الموحد في ١٩٥٦. يعرض فيها إقامة علاقات بينهما (٤١). وفي التحليل الأخير، فإن قواعد ومواثيق النزعة الأرثوذكسية منعت الشيوعيين الاسرائيليين من السعي لإقامة صلة رسمية مع المنظمات المثيرة للجدل مثل مجموعة روما أو الحزب الشيوعي المصري الموحد.

لقد كان يوسف حلمي متحررا من قيود الخطاب السياسي المصري وحدوده لكونه يعيش في باريس. وخلقت اجتماعاته بالاسرائيليين وباليهود المصريين المهاجرين معالم جديدة لتعبير سياسي مسموح به، وفتح الاتصال بين المصريين والاسرائيليين، إمكانيات لا يمكن تخيلها في الداخل. ومع ذلك فإن هذا التحرر من عملية تكوين المفاهيم السياسية والتعبير السياسي، جعل المشاركين فيه على هامش السياسات الوطنية في بلادهم نفسها. فيوسف حلمي مثلاً، لم يستعد موقعه كسكرتير عام لأنصار السلام بعد عودته لمصر، بل أخذ مكانه خالد محيي الدين. واستمرت مجموعة روما تروج للتسوية السلمية للنزاع العربي الاسرائيلي، لكنها أصبحت هامشية بدرجة متزايدة بالنسبة للحركة الشيوعية المصرية. بل لقد كان أوري أفنيري والاسرائيليون الآخرون غير الشيوعيين المتصلين بمجموعة روما في الخمسينيات، أقل تأثيراً في الدوائر اليهودية من ماكي (رغم أن هذا الوضع تغير في أواخر الستينيات). ولكن عندما بدأت أفكار السلام المستندة للحقوق القومية للفلسطينيين والاسرائيليين على حد سواء تكتسب مشروعية بعد حرب ١٩٧٣، أبدى الاسرائيليون، وبدرجة أقل المصريون، اهتماما متجددا بأنشطة يوسف حلمي وهنري كورييل ومجموعة روما.



الفصل السادس

تعزير السياسات القومية ١٩٥٥ - ١٩٥٨

بحلول نهاية عام ١٩٥٤، كان حماس الرأى العام فى مصر للنظام الجديد قد فتر، وعلى الرغم من انتصار عبد الناصر على نجيب فى أزمة مارس (آذار) ١٩٥٤، فقد أصبحت شعبيته الشخصية فى أدنى درجاتها وغدا استقرار النظام الجديد أمرا مشكوكا فيه. وبحلول شهر (تشرين اول)، تم التوقيع على اتفاقية انجليزية مصرية بشأن الجلاء التام للقوات البريطانية من القاعدة العسكرية فى قناة السويس بحلول شهر (حزيران) ١٩٥٦ - رغم أن الاتفاقية كانت تسمح بإعادة تشغيل القاعدة البريطانية فى حالة وقوع هجوم على تركيا أو مصر أو أى بلد عربى آخر. وقد استثارت هذه المادة والمفاوضات الودية التى أثمرت عن الاتفاقية (وهى تتعارض مع المطلب الوطنى النضالى التقليدى بأن يتلو المفاوضات من أجل علاقات انجليزية مصرية منقحة، الانسحاب العسكرى البريطانى الكامل) كافة قوى المعارضة السياسية - الإخوان المسلمون، الوفد، الشيوعيين - ودفعتها لمعارضة الاتفاقية باعتبارها خداعا يقصر عن ضمان الاستقلال والسيادة الكاملين. بل لقد حاول الإخوان المسلمون اغتيال عبد الناصر. وعندما فشلت المؤامرة، تم حظر جماعة الإخوان فى مصر للمرة الثانية فى خمس سنوات.

ولكى يؤمن مجلس قيادة الثورة سلطته، واصل قمعه المنافى للديمقراطية لقوى المعارضة. وبدأ أن لادانة الراية المتعجلة لعبد الناصر على أنه دكتاتور عسكرى موال للغرب ما يسندها. لكن أصبح من المتعين مراجعة هذا التقييم بصورة جذرية خلال ١٩٥٥، عندما قاد عبد الناصر بالحملة ضد الانضمام العربى لحلف بغداد، وظهر كقائد لدول عدم الانحياز فى مؤتمر باندونج للدول الآسيوية والافريقية، وأبرم اتفاقا لشراء الأسلحة من تشيكوسلوفاكيا. كما وأكد تأميم قناة السويس فى ٢٣ يوليو (تموز) ١٩٥٦، والهجوم الثلاثى على مصر فى اكتوبر من ذلك العام، ليس فقط ظهور عبد الناصر باعتباره بطلا معاديا للامبريالية على النطاق الدولى، بل أيضا قيام تحالف بين الشيوعيين والنظام المصرى.

وكان صيف ١٩٥٥ ذروة المد اليسار الماركسى فى اسرائيل ففى انتخابات الكنيست فى تموز، حصل ماكى على ٤.٥ فى المائة من الأصوات وستة مقاعد برلمانية^(١). وأدى عمله فى المجتمع

العربى لزيادة حصته من أصوات العرب إلى ٣٤,٩ فى المائة فى المدن و ١٥,٦ من أصوات النخبين الريفيين والبدو. ومع ذلك، فقد ظل ماكى حزبا يهوديا بصورة غالبة، وبلغ جمهور ناخبيه اليهود ٦٩ فى المائة. بالإضافة إلى أن نجاح ماكى هذا كجزء من العملية العامة لإضفاء طابع جذرى على الطبقة العاملة اليهودية. وعلى الرغم من الانقسام فى ماكى فى العام الذى سَبَقَ، فقد كان المجموع الإجمالى لمقاعد المابام وأحدوت ها عفودا (٧,٣ و ٨,١ فى المائة من الأصوات، وتسعة وعشرة مقاعد على التوالى) أكبر من الخمسة عشرة مقعداً التى ظفر بها الماباى المتحد فى انتخابات ١٩٥١. وانخفضت قوة الماباى، رغم أنه ظل الحزب المسيطر، وفقد خمسة مقاعد فى الكنيست وبلغ مجموع ما حصل عليه أربعين مقعداً. وحل بن جوريون محل شاريت كزعيم للماباى ورئيس لحكومة ائتلافية جديدة، ضمت لأول مرة المابام وأحدوت ها عفودا. وكان الكثيرون فى هذين الحزبين يرون فى موقف شاريت التوفيقى تجاه النزاع العربى الاسرائيلى دليلاً على خضوعه للولايات المتحدة ولم يأسفوا كثيراً على رحيله، وكانوا يأملون فى أن يكون لتحالف الأحزاب العمالية الصهيونية الثلاثة نظرة أكثر يسارية من الحكومات الاسرائيلية السابقة.

بيد أن بن جوريون لم يعتزم أبداً التخلي عن نهجه المتشدد تجاه النزاع العربى الاسرائيلى. وحتى قبل الحملة الانتخابية، استغل بن جوريون والمتشددون فى الماباى، تساندهم أحداث هعافوداه وحيروت، رد الفعل المصرى على غارة اسرائيل على غزة فى شباط ١٩٥٥ ليثيروا المشاعر العسكرية، واستمر الخط المتشدد الجديد بشأن القضايا العربية الاسرائيلية حتى حرب السويس/ سيناء وما بعدها. وفرض بن جوريون «الأمن» باعتباره القضية السياسية الغالبة فى اسرائيل، بتشجيع الهيستريا بشأن تزايد الغارات عبر الحدود من مصر فى أعقاب الهجوم الاسرائيلى على غزة والتهديد العسكرى من قِبَل مصر من جراء صفقة الأسلحة التشيكية. وتم القضاء على أية إمكانية فى أن تتبع الحكومة الجديدة سياسة اجتماعية موالية للعمال بصورة جذرية مع توجيه اهتمام الرأى العام صوب المواجهة الوشيكة مع مصر.

وهكذا كان عام ١٩٥٥ نقطة تحول فى الشرق الأوسط، إذ أصبحت مصر قوة قيادية فى الحركة المعادية للامبريالية لدول عدم الانحياز فى آسيا وأفريقيا وألزمت اسرائيل نفسها بصورة ثابتة باتجاه موأل للغرب - بلغ ذروته فى الهجوم الانجليزى الفرنسى الاسرائيلى على مصر فى ١٩٥٦. وركز كل من المراقبين الغربيين والماركسيين المصريين والاسرائيليين انتباههم على هذه التغييرات المثيرة. ومثلما أوضحت من قبل، كان الموقفان الدوليان للبلدين مرتبطين باقتصاديهما السياسيين بصورة لا تنفصم، وكذلك بالتكوين الاجتماعى لحركتيهما الوطنيتين، والمنطق الشامل للنزاع العسكرى (فور أن استولى المتشددون الاسرائيليون على المبادرة فى تحديد تطوره). وشكلت هذه العناصر معا خطاباً سياسياً قومياً فى مصر واسرائيل أصبحت فيه رؤيتان متعارضتان جذرياً لمتطلبات الاستقلال الوطنى، وكأن الواحدة منهما تنفى الأخرى.

وفى ظل هذه البيئة، وجد الماركسيون أنفسهم بعد حرب السويس/ سيناء، مستبعدين من

المشاركة الفعالة فى الساحة السياسية الوطنية، بسبب التزاماتهم الدولية. وقد حدث هذا فى اسرائيل أسرع منه فى مصر، نظراً لان الماهاى كان يسيطر على الاقتصاد السياسى لاسرائيل بصورة مضمونة مؤسسياً، حتى ما قبل الحرب. ومن ثم فقد فرض المتشددون سيطرتهم تدريجياً على الإيقاع العسكرى للنزاع من خلال إنشاء الوحدة ١٠١ فى ١٩٥٣، وتعيين ديان رئيساً للأركان فى ١٩٥٤، وعودة بن جوريون للوزارة كوزير للدفاع فى شباط وتولىه رئاسة الوزارة فى نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٥٥، وطرد شاريت من الوزارة فى يونيه (حزيران) ١٩٥٦. وفى مصر، فإنه على الرغم من أن موقف عبد الناصر السياسى قد تدعم بصورة كبيرة نتيجة لأحداث ١٩٥٥ و ١٩٥٦، فقد بدأت الدولة تؤكد سيطرتها على الاقتصاد بعد حرب ١٩٥٦ فقط، وهو الوقت الذى أصبحت فيه القومية العربية الاتجاه السياسى المشروع الوحيد. وبدا موقف القومية العربية المعادى لاسرائيل بصورة أكثر اتساقاً وعناداً بالنسبة لوجهة النظر المميزة للوطنية المصرية المحلية، وقد اكتسب مبرراً قوياً نتيجة لعدوان اسرائيل. كما دعمت علاقات مصر الوثيقة بصورة متزايدة مع الاتحاد السوفيتى، الدولة الناصرية وعززت قدرتها على قمع الشيوعيين عندما أحس عبد الناصر أنه من الضرورى أن يفعل ذلك.

□ وهم النجاح

كان لنجاح ماكى النسبى فى ١٩٥٥ نتيجة لعوامل مؤقتة، محلية، وعارضة. فمنذ انتخابات ١٩٥١، زادت صفوف الحزب بنحو ٢٥٠ عضواً يهودياً جديداً - أعضاء سابقين فى الماهاى والحزب الاشتراكى اليسارى بقيادة موسى سنيه^(٢). والتحق كثيرون من أنصار سنيه بالجامعة العبرية فى القدس فى منتصف الخمسينيات، حيث نظموا خلية طلابية نشيطة وناجحة لماكى كانت قوية بصفة خاصة فى كلية الطب. ونتيجة لذلك، حظى ماكى فى ايار ١٩٥٥ بنسبة ١٠,٦ فى المائة من الأصوات فى انتخابات اتحاد الطلاب^(٣). وأدى العمل التنظيمى النشط لأعضاء الحزب الاشتراكى اليسارى السابقين إلى حدوث زيادة مثيرة فى الأصوات التى حصل عليها ماكى فى انتخابات الكنيس فى ١٩٥٥ فى مواقع مثل ضاحية بات يام فى تل ابيب، حيث حصل ماكى على ٦,١ فى المائة من الأصوات (مقابل ٢,١ و ١ فى المائة فى ١٩٥١ و ١٩٤٩ على التوالى). كما كانت نتائج الانتخابات فى بات يام ترجع أيضاً إلى العدد الكبير من المهاجرين البلغار الجدد، مؤيدى الحزب الشيوعى فى بلغاريا الذين ساندوا ماكى فى اسرائيل. كما كان البلغار بارزين بين مؤيدى ماكى فى يهود، والرملة، ويافا^(٤) - وهى مواقع كانت فيها الأصوات التى حصل عليها ماكى أكبر مما حصل عليه فى المعدل العام على المستوى الوطنى. كما أضاف المهاجرون العراقيون الجدد الذين كانوا من مؤيدى وأعضاء الحزب الشيوعى العراقى جانباً كبيراً للأصوات التى ظفر بها ماكى فى ١٩٥٥ - فعلى سبيل المثال، حصل ماكى على ٩,٥ من الأصوات فى معسكرات المهاجرين فى رامات هشارون (معباروت)، وحصل فى كريات اونو على ٦,٥ فى المائة ونشر ماكى خلال ١٩٥١-٥٥، عدة صحف عربية غير منتظمة فى معسكرات المهاجرين الجدد التى تضم أعداداً كبيرة من المتحدثين بالعربية^(٥). وركزت هذه المطبوعات على المطالبة بالمساواة فى الإسكان والرعاية الصحية والمدارس

والوظائف وانتقدت إدارة الماباي للمعسكرات. ومع ذلك، فإن ماكي لم يظفر بعدد له شأنه من المشايخين له بين اليهود الشرقيين فيما عدا العراقيين.

بيد أن هذه النجاحات المتواضعة قد تقوضت بفعل تحول إطار السياسة الاسرائيلية بأسره صوب اليمين بعد أن أعاد بن جوريون وأتباعه المتشددون تشكيل الخطاب السياسى الصهيونى، ومجدوا الدولة (طبعا الدولة التى يسيطر عليها الماباي) وبصفة خاصة ذراعها العسكرية، باعتبارهما المؤسستين المركزيتين والقيمتين الساميتين لليهودى الجديد^(٦). وحلت أسبقية الدولة وقوات الدفاع الاسرائيلية، محل الأسبقية التى كانت للهستدروت خلال فترة الانتداب. وحيث أن نفس الحزب السياسى سيطر على الهستدروت، فقد استسلمت فى النهاية للسياسات الدولانية لبن جوريون فى معظم المجالات.

وتبدى ضياع منزلة الهستدروت، بصورة رمزية فى إلغاء الاتجاه العمالى فى النظام الدراسى العام فى ١٩٥٣^(٧). وقد علم هذا الاتجاه، الذى كانت له إدارة مستقلة ذاتيا تتفق مع نظرة الهستدروت، ٤٣,٤ فى المائة من كل الطلاب فى ١٩٥٢-٥٣. بيد أن الاحزاب السياسية البورجوازية والدينية عارضته باعتباره عقبة فى كسب أرواح المهاجرين الجدد. وأدى وجود ثلاثة اتجاهات تعليمية فى المدارس العامة - عمالى، وعام، ودينى إلى إسقاط الحكومة فى ١٩٥١ وعجل بحدوث أزمة وزارية فى ١٩٥٢. ومع تفكيك الاتجاه العمالى، اختفت رموز مثل العلم الأحمر والاحتفال بعيد أول ايار من المدارس العامة ومن الوعى العام فى النهاية.

ومع تولى الدولة لدور الهستدروت القيادى فى المجتمع اليهودى، بدأت القيادة السياسية للطبقة العاملة اليهودية، وإن ظلت تتبنى رسميا صورا متباينة للايديولوجية الاشتراكية، تتخذ مواقف المهادنة الطبقيّة بشكل متزايد. وكف بن جوريون نفسه عن الحديث عن الاشتراكية. وعلى الرغم من استمرار النضال الاقتصادى للعمال، بشأن الأجور والأسعار والضرائب، فقد ابتعد المسار السياسى للطبقة العاملة اليهودية حينذاك عن اليسار الماركسى فى حين تبنى المابام صيغة أكثر اعتدالا بصورة دائمة من الديمقراطية الاجتماعية بغية تشجيع وحماية استثمار رأس المال الخاص. وكانت هيمنة الماباي الآخذة فى الاتساع، على الطبقة العاملة، ومن ثم على المجتمع الاسرائيلى كله وعلى الحركة الصهيونية، تعنى أن التقدم الواضح لليسار الماركسى كان عابرا ووهميا. وعلى الرغم من أن اليسار الماركسى كان لايزال قوة سياسية قادرة على البقاء بين العمال اليهود فى ١٩٥٥، فقد كان الاتجاه المدنى يضى نحو اليمين، بغض النظر عن التصورات التى عاصرت ذلك والتى كانت تعتقد بعكس هذا.

□ باندونج وصفقة الأسلحة التشيكية

فى حين كان بن جوريون والماباي يقوضان بصورة عدوانية المؤسسات والهيكل الايديولوجية التى كان فى مقدورها أن تساند سياسة لعدم الانحياز، ويتبعان وقيمان أحلافا عسكرية مع الغرب، فإن منطق إنهاء الاستعمار دفع مصر فى الاتجاه العكسى. ولم يكن عبد الناصر فى السنوات الأولى

من حكمه يملك سيطرة مباشرة على الاقتصاد القومى وعلى الجهاز الثقافى والمؤسسى (فيما عدا سيطرته على الجيش) الامر الذى ساعد فى اسرائيل على استمرار هيمنة الماباى. لكن الالتزام الثابت بالاستقلال الوطنى المصرى (كما عبر عنه رفضه السماح بوجود قواعد عسكرية غربية فى مصر)، ومعارضته لعضوية مصر (والعرب) فى حلف بغداد، وحضوره مؤتمر باندونج للدول الآسيوية والأفريقية، ودوره القيادى فى حركة عدم الانحياز والحياد الإيجابى، وتدعيمه للجيش المصرى بشراء الأسلحة من تشيكوسلوفاكيا، شلّ المعارضة الداخلية ورسخ القومية العربية الناصرية باعتبارها الخطاب المهيمن فى السياسة المصرية.

وخلال الشهور التى انقضت بين مؤتمر باندونج وإعلان بيع الأسلحة التشيكية لمصر، بدأت المنظمات الشيوعية تعيد تقييم موقفها تجاه عبد الناصر. وكانت الديمقراطية الشعبية هى أول من دعا لتأييد السياسة الخارجية الجديدة للنظام، استنادا لرفضه لحلف بغداد ومشاركته فى مؤتمر باندونج. وتم تشكيل الحزب الشيوعى المصرى الموحد فى فبراير (شباط) ١٩٥٥، موحدا عدة تنظيمات كانت قد انقسمت من حدثوا، على أساس رفض الموقف الإيجابى الأصلى لحدثوا تجاه انقلاب ٢٣ يوليو (تموز) ١٩٥٢. ولكن بحلول نهاية العام، بدأ الحزب يعيد تقييم موقفه. وكانت الراية هى الأكثر تحفظا فى الاتجاهات الشيوعية الثلاثة الرئيسية فى مراجعة موقفها. فقد هاجمت رحلة عبد الناصر إلى باندونج بعنوان رئيسى فى راية الشعب يقول «فاشى مصر المفلس يبحث عن المجد فى باندونج»^(٩). وفى حين ظلت الراية متشككة فى نوايا النظام لمدة عام آخر وهاجمت الحزب الشيوعى المصرى الموحد لإفراطه فى الحماس فى تأييد السياسة الخارجية الجديدة، فقد أشادت عاليا باتفاق السلاح المصرى التشيكى باعتباره «خطوة للأمام على طريق استقلال بلادنا» وتطورا فى سلسلة من التطورات «قد تفضى إلى تغيير عميق» فى الاتجاه الدولى لمصر^(١٠). وأخيرا، أصدرت الراية فى ربيع ١٩٥٦ بيانا يؤيد السياسة الخارجية للنظام ويحث على تأييد الدستور الجديد فى استفتاء ٢٣ يونيو (حزيران) ١٩٥٦^(١١).

ولم يكن احتمال أن يشكل حصول مصر على السلاح من الكتلة السوفيتية تهديدا لأمن اسرائيل، اعتبارا يمكن أن يراعيه الشيوعيون المصريون، ناهيك عن أن يكون سببا للتردد فى تأييد الصفقة. وحتى يوسف حلمى كان يعتقد أن الاتفاقية قد أكدت النوايا السلمية للحكومة المصرية: «فى النهاية، تشيكوسلوفاكيا باعتبارها عضوا فى معسكر السلام الدولى، لن تورد السلاح لأغراض عدوانية، وهدفها الوحيد هو الدفاع عن استقلال مصر»^(١٢).

وهكذا، فإنه بحلول منتصف ١٩٥٦، كانت كافة المجموعات الشيوعية الثلاث قد سلمت بأن السياسة الخارجية المعادية للامبريالية التى يتبعها عبد الناصر تفرض عليها تأييد النظام. وتم إخضاع النقد الموجه للاقتدار إلى الديمقراطية فى مصر، وتدخل الشرطة فى النقابات، وحظر الإضرابات، وحظر الأحزاب السياسية فيما عدا هيئة التحرير، واستمرار حبس الشيوعيين، لمهمة بناء جبهة وطنية متحدة ضد الامبريالية. وقد تدعم هذا الانحياز من جراء التأييد الشيوعى الحماسى

لتأميم مصر لقناة السويس فى ٢٣ يوليو (تموز) ١٩٥٦.

وحتى عندما أرسى مؤتمر باندونج وصفقة الاسلحة التشيكية الأساس لتقارب بين الشيوعيين المصريين وعبد الناصر (على الرغم من استمرار اعتقال الشيوعيين وسجنهم)، فإن هذين الحدثين، فى المقابل، عقدا موقف ماكى فى اسرائيل. كان ماكى متحفزا فى الإعراب عن أى تأييد للنظام المصرى. وفى ٢٨ مارس (اذار) ١٩٥٥، قبل سفر عبد الناصر إلى باندونج بفترة وجيزة، ألقى ماير فلتر خطابا فى الكنيست، وفى سياق إدانته للغارة الاسرائيلية على غزة فى الشهر السابق، انتقد بن جوريون على خطابه فى الكنيست فى ١٨ أغسطس (آب) ١٩٥٢، الذى رحب فيه رئيس الوزراء بالنظام المصرى الجديد وأعرب عن الأمل فى أنه سيسعى للسلام مع اسرائيل. وفى رأى فلتر أن هذا الموقف كشف عن استعداد بن جوريون «للانضمام للطغمة العسكرية المصرية فى حلف عسكرى معاد للسوفيت برعاية الولايات المتحدة»^(١٣). وعلى الرغم من أن ماكى انتقد المؤتمرين فى باندونج لعدم دعوتهم اسرائيل للاجتماع (بسبب المعارضة العربية)، فقد أيد المحصلة السياسية للمؤتمر، بما فى ذلك قراره بشأن تسوية النزاع العربى الاسرائيلى. وهاجم سنيه بودره المابام لمعارضته للمؤتمر وقراره بشأن النزاع^(١٤). ولكن حتى بعد عودة عبد الناصر من باندونج وإدلائه بعدة بيانات يرفض فيها حلف بغداد وانضمام العراق إليه، ظل ماكى ينتقد النظام المصرى. فعلى سبيل المثال، نشرت الاتحاد أن ٧٥٠ شيوعيا مسجونين فى سجن القاهرة (سجن مصر، منهم ٦٨ من غزة، من بينهم الشاعر معين بسيسو، وغطت بالتفصيل أبناء إضراب عن الطعام امتد سبعة عشرة يوما قام به نزلاء سجن القناطر وإضرابا عن الطعام قامت به السجينات، وضمنهن نعيمى كانيل (والتي عُرقت فقط باعتبارها زوجة كمال عبد الحليم)، لتحسين أحوال السجناء^(١٥). وعلى النقيض من مثل هذه التقارير الانتقادية عن القمع المعادى للديمقراطية فى مصر، كان الشيوعيون المصريون - فيما عدا الراهبة - يبذلون كل الجهد لتوسيع أساس التحالف مع النظام.

وتبين مثل هذه التقارير فى الاتحاد أن القادة العرب لماكى حافظوا على نظرتهم النقدية لعبد الناصر ولم يتأثروا بالقومية الوجدوية العربية البازغة ليتبنوا الموقف الذى اتخذه معظم الشيوعيين المصريين تجاه نظام عبد الناصر. وقد نُشر الهجوم العنيف لاميل حبيبى ضد التعصب القومى اليهودى خلال حملة انتخابات الكنيست فى ١٩٥٥، وقدم دليلا إضافيا على أن العرب واليهود فى ماكى ظلوا متحدين على أساس أسمى. وكان من المفترض أن يصبح حبيبى باعتباره المتحدث الرئيسى لماكى بشأن حقوق عرب فلسطين. من أوائل من يعربوا عن أى مشاعر قومية متطرفة شائعة بين كوادر ماكى العرب، لكن هذا الكتيب لم يكشف عن مثل هذا الميل، على الرغم من أنه انتقد بشدة قمع اسرائيل للأقلية الوطنية لعرب فلسطين^(١٦).

وبدأت إعادة توجيه السياسة الخارجية المصرية التى رمز لها الدور البارز لعبد الناصر فى باندونج، توسع الهوة بين ماكى والشيوعيين المصريين تجاه النزاع العربى الاسرائيلى. وتبدت الضغوط المتباينة التى تؤثر على الحركتين بوضوح فى رد فعل ماكى إزاء أبناء اتفاقية الأسلحة التشيكية.

وفى ٢٢ سبتمبر (ايلول) ١٩٥٥، أعلن العنوان الرئيسى لكول ها عام، «إن الاتحاد السوفيتى لم يرسل ولايوشك على أن يرسل أسلحة للبلاد العربية»، وشجبت الافتتاحية التقارير المنشورة فى الصحف اليومية الاسرائيلية الأخرى مثل أن الشحن أصبح وشيكاً، وقالت إنها أكاذيب معادية للسوفيت. وفى ٢٧ سبتمبر (ايلول) نفت كول ها عام مرة ثانية أن الاتحاد السوفيتى يوشك إن يزود مصر بالأسلحة، كما هاجمت العرض الأمريكى ببيع أسلحة لمصر بما قيمته ١٠ ملايين دولار وقالت إن مثل هذه الخطوة ستؤدى فقط لزيادة التوترات فى الشرق الأوسط، وإلى تفاقم تدهور العلاقات بين مصر واسرائيل، وتشجع سباق التسلح بين البلدين. بيد أن عبد الناصر أعلن فى نفس اليوم أنه قد تم إبرام اتفاقية لبيع الأسلحة بين مصر وتشيكوسلوفاكيا.

وبعد أن لزمّت كود عا هام الصمت لعدة أيام، نشرت فى يوم ٢ أكتوبر (تشرين أول) كلا من الإعلان الذى أذاعته براغ عن اتفاقية الأسلحة ولقاء لندن تايمز مع عبد الناصر الذى قال فيه إن السبب الوحيد لحصول مصر على السلاح هو الخوف من النزعة التوسعية لاسرائيل. وفى يومى ٢ و٤ أكتوبر (تشرين أول)، نشرت كول ها عام ترجمات لمقالى خبيرين سوفيتيين فى شؤون الشرق الأوسط هما ي. برما كوف و ن. فانوليننا عن الأوضاع الجديدة فى مصر والعالم العربى. وتحمل موشى سنيه مسؤولية كبيرة فى تعديل خط ماكى ليتفق مع هذه الأوضاع الجديدة. ودافع فى مقال له فى كول ها عام فى ٤ تشرين أول عن مبيعات السلاح، مؤكداً أنها لم تكن «موجهة ضد اسرائيل وإنما كان القصد منها هو حماية (مصر) من الضغط الامبريالى» عليها للانضمام لحلف بغداد. وفى حين أن هذا الاعتبار لعب بلاشك دوراً فى مراجعة السياسة السوفيتية تجاه مصر، فقد تجاهل سنيه بيان عبد الناصر الذى كان قد نشر فى كول ها عام قبل ذلك بيومين وجاء فيه أن مصر تحصل على السلاح للدفاع عن نفسها ضد تهديد محتمل من اسرائيل. وأكد بدلا من ذلك أن الأسلحة التشيكية يمكن أن تشجع مصر على اتباع سياسة عدم الانحياز وتزيد فرص السلام العربى - الاسرائيلى، فى الوقت الذى انتقد فيه مصر على عدم الاتساق تجاه السلام مع اسرائيل. وقبل ذلك بفترة، فى ٣٠ سبتمبر (ايلول)، كانت الاتحاد قد أيدت صفقة الأسلحة بنفس التعبيرات والمقاييس التى استخدمها سنيه فى كول ها عام. وفى ٥ تشرين أول، «وازنت» كول ها عام تقريرها عن مبيعات الأسلحة بإعادة نشر مقال يرجع تاريخه إلى ٣٠ سبتمبر (ايلول) ١٩٤٨، يذكر أن تشيكوسلوفاكيا لن تستسلم للضغط الأمريكى وأنها ستستمر فى توريد الأسلحة لاسرائيل.

وقد أوضح عدم ارتياح كول ها عام الواضح تجاه صفقة الأسلحة التشيكية المصرية أن ماكى كان لايزال منغمساً فى إشكالية يهودية كان التوحد مع الاتحاد السوفيتى فيها مبرراً بسبب دوره فى النصر على النازية وتأييده لقيام دولة يهودية. وحاجّ سنيه بأن الاتحاد السوفيتى سيكون مستعداً لتقديم المعونة لاسرائيل أيضاً، فقط إذا رفضت اسرائيل الانضمام لحلف عسكري معاد للسوفيت و«إذا كان ذلك سيحافظ على استقلالها الوطنى فحسب»^(١٧). وعلى النقيض من ذلك، رحب الشيوعيون المصريون والعرب الآخرون بالتحول فى السياسة السوفيتية ولم يجدوا صعوبة فى تفسيره: ذلك أنه نتيجة طبيعية لطبيعة المشروع الصهيونى ذاتها، اتبعت الحكومة الاسرائيلية

باستمرار سياسة خارجية موالية للغرب. وفاقمت سياسات بن جوريون العسكرية النشطة المتشددة واستمرار إنكار حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير، التوترات بين مصر واسرائيل، مما خلق تهديدا لاستقرار النظام المصري. وفي ضوء طبيعة اسرائيل الأساسية واتجاهها الدولي، ومن جانب آخر، دور مصر البارز في تشكيل الكتلة المعادية للامبريالية من البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة السابقة، بدأ الاتحاد السوفيتي «يميل» نحو مصر، رغم أنه لم يتراجع عن التزامه بالاعتراف باسرائيل ومشروع الأمم المتحدة للتقسيم. وحتى لو كان سنيه يؤمن بصورة كاملة بهذا التفسير للسياسة السوفيتية الذي قدمه الشيوعيون العرب وهناك أدلة كثيرة على أنه لم يكن يؤمن بذلك - فإنه لم يستطع أن يقدم هذه المقولة للرأي العام اليهودي الاسرائيلي. فقد كان ذلك سيفاقم من عزلة ماكي فقط بزيادة التنافر بين خط الحزب وشروط الخطاب السياسي في اسرائيل.

وبالطبع، فقد استمر ماكي في تأييد سياسات الاتحاد السوفيتي، حتى بعد أن أعلن نيكيثا خروتشوف في خطاب له أمام مجلس السوفيت الأعلى في ٢٩ ديسمبر (كانون أول) ١٩٥٥: انه «لقد كانت دولة اسرائيل، منذ قيامها، تهدد جيرانها وتتبع سياسة معادية لهم»^(١٨)، وهو قول كان يراه ماكي غير صحيح لأن الدول العربية هاجمت اسرائيل في ١٩٤٨. فقد كان الغزو العربي، على الدوام، عنصرا مهما في تفسير ماكي (والشيوعيين المصريين) لأسباب الحرب ودلالاتها. وكان الاعتقاد الشائع في اسرائيل هو أن خطاب خروتشوف يمثل تحولا في السياسة السوفيتية. وقد انزعج بصفة خاصة كثيرون من أعضاء المابام، الذين كانوا مرتبطين عاطفيا بالاتحاد السوفيتي، لما اعتبروه موقفا جديدا «معاديا لاسرائيل» من جانب الاتحاد السوفيتي، ومن المرجح أيضا أن كثيرين من أعضاء ماكي اليهود شعروا بالقلق من بيان خروتشوف. وقد أوضح المابام بالفعل أن التزامه بالصهيونية يسبق ولاءه للاتحاد السوفيتي، ومن ثم لم يتردد قاداته في انتقاد ما اعتبروه مراجعة للسياسة السوفيتية. وهاجم ماكي بدوره، المابام على انتقاده لصفقة الأسلحة المصرية السوفيتية وخطاب خروتشوف^(١٩).

وقتل رد فعل ماكي إزاء العلاقة المتزايدة بين مصر والاتحاد السوفيتي، في شن حملة سلام مكثفة^(٢٠). ففي يناير (كانون ثاني) ١٩٥٦، نظم الحزب اجتماعات جماهيرية حاشدة من أجل السلام في المدن الكبرى. وتحدث أميل حبيبي في منطقة الأحياء العربية الفقيرة في وادي نسناس في حيفا، فربط بين الاحتجاج على حمى الحرب المتزايدة في اسرائيل والنضال ضد القهر القومي للأقلية العربية. وذكر جمهور الحاضرين بموقف الشيوعيين في ١٩٤٨:

نحن الشيوعيين الذين عارضنا غزو الحكام العرب لبلدنا في ١٩٤٨، والذين دافعنا عن حق اليهود والعرب في إقامة دولتيهما المستقلتين واعتبرنا أن الغزو مؤامرة امبريالية ضد اليهود والعرب على حد سواء - نعارض اليوم أيضا بنفس القوة والشجاعة والإخلاص لشعبنا، سياسة الغارات العسكرية التي ينظمها بن جوريون على حدود الدول العربية^(٢١).

وقد ظهرت هذه الملاحظات فى كول هاعام لكنها لم ترد فى تقرير الاتحاد عن الاجتماع الحاشد. بيد أن الاتحاد نقلت خطاب ميكونس فى اجتماع حاشد فى «ميدان مغربى» فى تل أبيب، وفيه قال «إن كل الوطنيين الاسرائيليين، وأولهم الحزب الشيوعى، سيبدلون كل ما فى وسعهم ... للحفاظ على السلام وسيعارضون الاستعدادات للحرب وسيعملون على تغيير سياسات الحكومة الاسرائيلية وإنشاء حكومة تعمل للسلام والاستقلال الوطنى»^(٢٢). ومن غير المرجح أن يكون عرب كثيرون قد حضروا اجتماع تل أبيب الحاشد، وربما لهذا السبب لم تذكر قضية اضطهاد الأقلية الوطنية لعرب فلسطين بصورة بارزة على نحو ما جرى فى حيفا.

وبين تقاعس الاتحاد عن أن تنشر القول السابق ذكره والذي ورد فى خطاب حيبى وتقاعس تظاهرة تل أبيب عن إثارة مسألة القمع الواقع على العرب كقضية مطروحة يبينان أن نداءات ماكى الدعائية كانت تركز على موضوعات مختلفة لدى الجمهورين اليهودى والعربى. ومع ذلك، فإن هذا لا يعنى أن التغييرات فى السياسة الخارجية السوفيتية فى نهاية ١٩٥٥ قد أنتجت موقفا خلافا بين أعضاء الحزب اليهود والعرب مثلما ادعى الان جريلسامر^(٢٣). بل على النقيض من ذلك، فقد خرج حيبى عن مألوف عادته ليذكر جمهورا من العرب فى الأساس، بأن الشيوعيين قد أيدوا إنشاء دولة اسرائيل، واختارت الاتحاد أن تقتبس فقرة من خطاب ميكونس ورد فيها النضال من أجل السلام فى إطار مصطلحات وطنية اسرائيلية. وتعكس هذه الخيارات محاولة للحفاظ على الوحدة الأمية للحزب استنادا للخط الذى اهتدى به ماكى منذ تشكيله. ومثلما اعترف جريلسامر، فإن المضمون السياسى للاتحاد ولكول هاعام كان موحدا عمليا خلال هذه الفترة^(٢٤). ولم تجر حملة السلام تحت تأثير انحراف عربى. فانتقاد ماكى لعبد الناصر بعد باندونج، وتردده إزاء صفقة الأسلحة التشيكية، وتعبير قادة الحزب عن تمسكهم بالأمية بصورة لا ليس فيها، يدحض ادعاء جريلسامر بأن الحزب دخل «حقبة عربية» فى فترة مبكرة ترجع إلى ١٩٥٤، وبدأ يقدم نفسه باعتباره حزبا للوطنية العربية^(٢٥). من المؤكد أن الحزب دافع عن الحقوق الوطنية والمدنية للأقلية العربية الفلسطينية فى اسرائيل، وهو موضوع كان الزعماء العرب مثل حيبى يركزون عليه عندما كانوا يخاطبون جمهورا عربيا، لكن ماكى قدم نفسه مع ذلك باعتباره «حزب الوطنية الاسرائيلية والأمية البروليتارية». ولا تعكس مقولة جريلسامر تغييرا فى سياسة ماكى بقدر ما تعكس الخطاب الصهيونى القائم على الهيمنة الذى كان على الدوام يصور تأييد حقوق عرب فلسطين والنقد الأساسى للتشدد والفعالية العسكرية باعتبارهما «تطرفا» و«عداء لاسرائيل» و«موالاة للعرب».

ورغم أن ماكى لم يتحول من إشكالية يهودية إلى إشكالية عربية قبل باندونج وصفقة الأسلحة المصرية التشيكية، فإن هذه التطورات أجبرت الشيوعيين على البدء فى إعادة تشكيل مفاهيم الصراع العربى الاسرائيلى. وعندما تصاعدت منازعات الحدود فى النصف الثانى من ١٩٥٣، أكد ماكى مرارا وتكرارا أن الحوادث، التى لام عليها الحكومات الاسرائيلية والعربية على حد سواء، «نظمها الامبرياليون الامريكيون والبريطانيون»^(٢٦). وكان هذا هو أيضا موقف حدتو فى ١٩٥٣ و١٩٥٤.

وعلى الرغم من أن الحزب الشيوعي المصري الموحد كان لا يزال يعتبر الامبريالية الأمريكية القوة المحركة في النزاع، فإنه بحلول ديسمبر (كانون أول) ١٩٥٥، حُدِّدَت اسرائيل باعتبارها العميل الرئيسي للامبريالية في الشرق الاوسط: «لقد جعلت الامبريالية الأمريكية... من اسرائيل رأس حُرَّتِها في سياستها تجاه الشرق الاوسط الموجهة ضد مصر وسوريا ولبنان والأردن والمملكة العربية السعودية - ونقطة وثوب لتوسيع نفوذها وسيطرتها على اقتصاد وسياسات البلدان العربية» (٢٧). وهكذا، فإنه حتى قبل حرب ١٩٥٦، أصبحت اسرائيل معتديا في عيون الشيوعيين المصريين. وأتاح لهم هذا التغيير المشاركة في الحملة الوطنية للدفاع عن سياسات حكومتهم المعادية للامبريالية دون الحاجة إلى إيلاء اهتمام كبير لما إذا كان عبد الناصر يسعى للسلام بنشاط مثلما هو في مقدوره أم لا.

وعلى النقيض من ذلك، استمر كورييل شخصيا يتبنى الموقف السابق لحدوثه، حتى بعد حرب ١٩٥٦. فقد أبرز في رسالة منه لعضو في الحزب الشيوعي المصري الموحد في مصر «أن التركيز على مسؤولية الامبريالية في النزاع العربي الاسرائيلي ليس أمرا صائبا فحسب بل إنه ييسر الحل لدرجة ما يجعل مسؤولية اسرائيل أخف» (٢٨). وقد التقى كورييل بميكونس وسنيه عندما مرَّ بباريس في طريق عودتهما لاسرائيل من موسكو، ومن الواضح أنه اتفق معهما على أن قوى السلام في اسرائيل ستندعم إذا ما تبنى التقدميون في العالم العربي هذا التحليل (٢٩). بيد أن الشيوعيين في مصر وجدوا هذا المنظور غير مقنع. وطعنت موجة الحماس الوطني الناجمة عن تأميم قناة السويس، مقولات يوسف حلمي، المدعومة من قبل مجموعة روما وكورييل، بأن الحكومة المصرية تفتقر للشباب والنشاط الكافي في سعيها من أجل السلام.

وفي اسرائيل، كان من الصعب كثيرا إقناع الرأي العام اليهودي بأن الحكومات العربية والاسرائيلية كانت مسؤولة عن النزاع. بنفس القدر، وأن استمراره يخدم الامبريالية فحسب، وكان القول بأن اسرائيل هي المعتدي والمخادم المطيع للمصالح الامبريالية، في حين أن مصر والدول العربية تسعى للسلام فحسب (مثلما تبدى في قرار باندونج وتحسن علاقات مصر مع معسكر السلام الدولي بقيادة الاتحاد السوفيتي)، يتجاوز حدود الخطاب السياسي المشروع. ولم تكن الحقائق الأولية التي تؤيد مثل هذا القول - أنشطة الوحدة ١٠١ وأخلافها، ومسؤولية اسرائيل عن حلقة التخريب اليهودية في يوليو ١٩٥٤، وفشل سلسلة من محاولات الوساطة، وجهود بن جوريون منذ أوائل ١٩٥٥ لإقناع مجلس الوزراء بشن حرب وقائية ضد مصر - معروفة في اسرائيل. كما لم يكن هناك سبيل لمعرفة من قبل معظم الرأي العام اليهودي. وعندما انتقد مراقبو الأمم المتحدة غارات الانتقام الاسرائيلية، أو عندما أعدمته الحكومة المصرية اليهود المصريين باعتبارهم جواسيس ومخربين، أو عندما عرضت الدول العربية قبول خطة الأمم المتحدة للتقسيم بعد أن رفضتها بشماني سنوات، ثم تصوير هذه الأحداث في الخطاب الصهيوني القائم على الهيمنة باعتبارها تهديدات محمومة معادية للسامية تستهدف أمن الدولة اليهودية.

وفى أعقاب اتفاقية الأسلحة المصرية التشيكية، حاول سنيه أن يبين أن إسرائيل أخذت تصبح، فى واقع الأمر، معتدياً فى النزاع^(٣٠)، وقد فعل ذلك، رغم هذا، بالتركيز على انتهاج إسرائيل لتحالف عسكرى مع الولايات المتحدة، موجه بالضرورة صوب الاتحاد السوفيتى، وقد أغفل هذا النهج إزاء القضية نقطة أساسية، بالطبع، لقد كان سنيه على حق فى القول بأن إسرائيل قد سعت لإقامة تحالف عسكرى مع الولايات المتحدة. لكن إسرائيل لم تكن ترغب فى مواجهة الاتحاد السوفيتى، بل كانت تريد فقط تدعيم موقفها ضد جيرانها العرب. ورفضت الولايات المتحدة من جانبها مسعى إسرائيل لأنها كانت تأمل فى إدخال الدول العربية فى حلف معاد للسوفيت، ولم تكن راغبة فى قبول إسرائيل إلا إذا تم حل نزاعها مع هؤلاء الحلفاء المحتملين، أو جرى تخفيف حدته على الأقل.

بالإضافة لذلك، فإن دافع مصر لالتماس الأسلحة من الكتلة السوفيتية، لم يكن مواجهة الإمبريالية الأمريكية، بل لقد كانت غارة إسرائيل على غزة فى ٢٨ فبراير (شباط) ١٩٥٥، كما قال عبد الناصر مراراً، هى التى اقنعتته بأنه ينبغي للجيش المصرى أن يحصل على أسلحة جديدة^(٣١). كما قام بعد الغارة بقلب سياسة مصر السابقة بمنع التسلل الفلسطينى وسمّح بتنظيم فرق الفدائيين للقيام بأعمال التخريب فى إسرائيل^(٣٢). وبعدئذ، فإن احتدام المعارك على الحدود المصرية الاسرائيلية فى أغسطس جعله يقبل العرض السوفيتى / التشيكي بعد أن حاول الحصول على الأسلحة من الولايات المتحدة وفشل.

وهكذا، كان النزاع الوطنى لمصر وإسرائيل على حد سواء دافعا مستقلا وكافيا لالتماس علاقة عسكرية مع دولة كبرى. وكان بن جوريون والمهايم قد قررا، قبل ذلك بزمان طويل، أنه ينبغي على إسرائيل أن تلتزم التحالف مع الغرب وكان عبد الناصر مستعداً لانتهاج اتجاه غربى فقط لو كان الغرب قد وافق على أن يحترم رؤياه للاستقلال المصرى. وفى عصر الحرب الباردة، فإن التحليلات التى تعطى الأولوية للعوامل المحلية لم تكن تخطى بالرضا فى كلا المعسكرين. وبالتالى، فإن ماكى لم يفهم بصورة كاملة الديناميات التى أدت لحرب ١٩٥٦، حتى وهو يعارض بنشاط استعدادات إسرائيل لها.

□ حرب السويس / سيناء واستسلام المهايم

فى مقال تنبأ بما حدث فى المستقبل، كتبه مثير يعارى خلال حملة انتخابات الكنيست فى ١٩٥٥، أعلن أن المهايم مستعد بعد الانتخابات للدخول فى حكومة ائتلافية تضم المهايم وأحدوت هعافودا^(٣٣). وعلى الرغم من أن يعارى ذكر أن مثل هذا الائتلاف ينبغي أن يقوم على حلول برنامجية وسطية، فإنه لم يحدد مطالب الحد الأدنى التى يتمسك بها المهايم عند الانضمام لحكومة يقودها المهايم. بيد أن المهايم اقترح مراراً خلال الحملة إقامة حكومة ائتلافية «من الأحزاب الرائدة والعمالية». وفى ضوء هزيمة اليسار داخل المهايم والانقسام عن أحدوت هعافودا، فإن مقال يعارى واستراتيجية المهايم الانتخابية قد أوضعا أن الحزب أصبح مُتعباً من سياسات المعارضة، وأنه كان

مستعداً للتخلي عن مشروع وضع بديل تاريخي وقبول الموقف التاريخي لحدوث هعافودا بأن دور اليسار الصهيوني العمالي هو مجرد تصحيح أعمال الماباي.

وكانت هناك قضية مركزية في الحملة هي: كيف ينبغي لإسرائيل أن ترد على الانتهاكات المتزايدة للحدود وأعمال التخريب والإرهاب. وأعلن المتشددون في الماباي وأحدوت هعافودا وحירות أن إسرائيل في حالة حرب فعلاً وزايدوا على بعضهم البعض في المطالبة برد عسكري قوي. وفي ٩ تموز، وعد كل من بن جوريون وشاريت، بفتح ميناء إيلات ومضيق تيران، اللذين أغلقهما الحصار المصري - بالقوة إذا لزم الأمر. وفي حين رفض المابام التشدد من حيث المبدأ، فإن معارضته كانت على الدوام غير متسقة وغير فعالة. فالافتخار الذي كان الحزب يشعر به نتيجة إسهامه في المؤسسة العسكرية الصهيونية (خاصة خلال فترة الوحدة مع أحدوت هعافودا) كثيراً ما منعه من أن يشجب أعمال المتشددين بين عشية وضحاها. وحتى قادة اليسار، مثل ريفتي، كانوا يعافون انتقاد الجيش مباشرة^(٣٤)، وأيدت افتتاحيات عال همشمار، الغارات الانتقامية في تل مطيلة وقيبه، ونحالين وغزه^(٣٥).

وخلال حملة الانتخابات، اتهمت أحدوت هعافودا المابام بالافتقار للميظظة العسكرية، مرددة أصدااء الجدل الذي أدى للانقسام في العام السابق. ورد المابام بدعم الدور العسكري لكيبوتساته لإظهار مشروعيتها السياسية الوطنية. فعلى سبيل المثال، نشرت عال همشمار خريطة في الصفحة الأولى لمنطقة الحدود في غزة، التي أوضحت أن اثنتي عشر كيبوتسا من الكيبوتسات السبعة والعشرين القائمة فيها تنتمي لكيبوتس ارتسي، وكان كلام الصورة يقول: «من هو حارس الحدود؟»^(٣٦). بيد أن الرد على نقد المتشددين بهذه الطريقة وتقديم نقد متحفظ فقط للرؤية السياسية والأعمال السياسية التي أثارت أعمال الإرهاب الأخيرة، لم يفد سوى في إضفاء المشروعية على الهيستريا الوطنية المتصاعدة.

ورغم أن المابام فسر نتائج الانتخابات باعتبارها فرصة لزيادة نفوذ اليسار الصهيوني، فقد كانت أيضاً انتصاراً للمتشددين: فقد زاد حירות تمثيله من ثمانية مقاعد إلى خمسة عشر مقعداً في الكنيست، وأصبح لأحدوت هعافودا، الذي كان يمثل الأقلية في المابام، عشرة مقاعد مقابل تسعة للمابام، وقُسر فقدان الماباي الخمسة مقاعد باعتباره رفضاً للنهج الدبلوماسي لشاريت في حل النزاع العربي الإسرائيلي. ولم يضيع بن جوريون وقتاً في تسخين الحدود، منهيها فترة من الهدوء النسبي سادت منذ أوائل حزيران. وكانت غارة إسرائيلية كبيرة على خان يونس في ٣١ آب ذروة عشرة أيام من القتال حول حدود قطاع غزة، وفي ٢١ أيلول احتلت إسرائيل منطقة العوجة منزوعة السلاح. وعجلت هذه المصادمات بقرار عبد الناصر بالحصول على الأسلحة التشيكية. وعلق الجنرال بيرنز قائد لجنة الهدنة المشتركة التابعة للأمم المتحدة بقوله:

إن سياسة بن جوريون - ديان المتشددة هي التي أجبرت عبد الناصر عملياً على قبول مقترحات السلاح الروسية والتشيكية. فأى عدو آخر كان يهدد مصر؟^(٣٧) « ومع ذلك، فبعد إعلان

صفقة الأسلحة، وفي حين كانت المفاوضات لاتزال تجرى بشأن إقامة حكومة ائتلافية، بدأت أحداث هعافودا، والمشتددون في الماباي، وحירות، يطالبون بشن حرب وقائية ضد مصر. وفي ٢٢ أكتوبر (تشرين أول)، قبل أن يقترح الكنيست بالثقة على الحكومة الجديدة، أمر بن جوريون بإعداد خطة للاستيلاء على شرم الشيخ ومضيق تيران بغية فتح خليج العقبة للملاحة الاسرائيلية^(٣٨). ورفض مجلس الوزراء الترخيص بتنفيذ هذه الخطة في كانون أول، لكن مع اشتراك أحداث هعافودا في الائتلاف وعودة بن جوريون لرئاسة الوزراء، تدعمت المجموعة المتشددة في الحكومة بصورة كبيرة، وأصبحت المسألة مسألة وقت فحسب قبل أن تنفذ.

لقد انضم المابام للائتلاف على الرغم من الطابع المتشدد للحكومة الجديدة ورفض الماباي تقديم أى تنازلات سياسية لها شأنها للمابام. وفسر ريتشارد واينتروب قرار المابام في افتتاحية في الصحيفة الايديولوجية لكيبوتس ارتسى^(٣٩). وبدأ بمهاجمة تأييد ماكي لعبد الناصر ثم أعلن أن حالة الطوارئ الحالية (حصول مصر على الأسلحة التشيكية) تبرر انضمام المابام للحكومة. وكان يعتقد ان الحكومة الجديدة ستكون تقدمية من الناحية الاجتماعية بسبب وجود المابام وأحداث هعافودا فيها، رغم أنه أحجم عن أن يذكر أن الماباي رفض طلب المابام بوضع حد لتجميد الأجور، والذي تحقق فقط نتيجة لإضراب الأكاديميين في مطلع ١٩٥٦. وكانت حجة واينتروب الأخيرة لمشاركة المابام في الائتلاف هي أن ذلك سيحول دون توقيع اسرائيل لحلف عسكري مع الولايات المتحدة. بيد أنه لم يستطع أن يذكر تنازلا برنامجيا واحدا حصل عليه المابام.

وتبرير عمل المابام من زاوية طوارئ الأمن، سلم واينتروب بتصوير حصول مصر على السلاح باعتباره تهديدا لاسرائيل وتبنى مبدأ أنه غير مسموح لمصر أن تفعل ما هو مصرح به لاسرائيل. وأخيرا، فإن اسرائيل كانت تحصل على الأسلحة سرا من فرنسا منذ يوليو (تموز) ١٩٥٤، ومع ذلك فلم يشجب أحد في المابام هذا باعتباره تهديدا لأمن مصر. ربما لم يكن واينتروب يعرف أن المتشددين كانوا قد قرروا بالفعل مواجهة مصر عسكريا، ومع ذلك فإن قبوله لأحكام خطاب الهيمنة جعل من المستحيل عليه أن يفهم أى دلائل كانت متوافرة حول الموضوع. لقد كانت فكرة أن وجود المابام في الحكومة سيحول دون ابرام تحالف عسكري مع الولايات المتحدة محاولة شكلية للاحتفاظ بالاتساق الايديولوجي بفرض قضية زائفة على المناقشة، من حيث أنه كان من المعروف تماما أن إدارة ايزنهاور كانت تعارض مثل هذا الحلف دوما. ولو كان بن جوريون قد تغلب على مثل هذه المعارضة، لما كان قد تردد لحظة في أن يفرض على الحكومة قبول هذه القضية، واثقا بأن اعتراضات المابام سيتم رفضها في صناديق الاقتراع. إن واينتروب، مثله مثل سنيه، لم يستطع أن يفصل بين الاتجاه الدولي الموالي للغرب والأهداف المستقلة للمتشددين، رغم أنه لاحظ أنه على الرغم من المعارضة الامريكية لنزعة التشدد الاسرائيلي، فإن بن جوريون استمر يسعى للحصول على تأييد الولايات المتحدة.

وقد ركز انتقاد المابام للسياسة الخارجية الاسرائيلية على مطالبته بالحياد الذي رفضه الماباي باستمرار. كما فشل المابام في تحدى التصوير القائم على الهيمنة لهجمات اسرائيل على مصر

باعتبارها أعمالاً مشروعة للدفاع عن النفس. وعبر قرار المركز الحزب إزاء صفقة الأسلحة المصرية التشيكية وخطاب خروتشون أمام السوفيت الأعلى عن:

الأسف العميق لأن أسلحة من بلد اشتراكي تتدفق على دولة رفضت أن تدخل في مفاوضات بشأن السلام مع إسرائيل، أسلحة تُقدم بلا شروط لديكتاتور يعلن عن خططه لتدمير إسرائيل.

وعلى الرغم من أن المايام قد عارض بقوة الخط السياسي الموالي للغرب للحكومة الإسرائيلية في السنوات الأخيرة، فإن المركز يعلن أنه ليس هناك أساس للدعاء بأن إسرائيل «هددت جيرانها منذ الأيام الأولى لوجودها فدولة إسرائيل لم تهدد حدود جيرانها ولا تهددها» (٤٠).

وفي حين كانت تجري مناقشة هذا القرار واعتماده، كان مبعوث الرئيس الأمريكي، روبرت ب. اندرسون، يقوم برحلات مكوكية بين القاهرة وتل أبيب محاولاً التوسط في النزاع المصري الإسرائيلي (٤١). ولا شك أن بعض أعضاء المايام على الأقل قد عرفوا بهذه الاتصالات حيث أن المايام كان حينذاك شريكاً في الائتلاف، رغم أنهم ربما كانوا أقل اطلاعاً على الاجتماعات العديدة الأخرى التي عقدت عندما كان الحزب في المعارضة. وعلى الرغم من أن عبد الناصر قد أصرّ على أن تظل هذه الاتصالات سرا، فلم يكن صحيحاً أن مصر رفضت التفاوض مع إسرائيل. فالواقع أنه بعد تشكيل الحكومة الإسرائيلية الجديدة بفترة قصيرة، وافق عبد الناصر على إجراء محادثات على أساس اقتراح أنطوني ايدن رئيس الوزراء البريطاني في ٩ نوفمبر (تشرين ثاني) من أجل سلام عربي إسرائيلي يقوم على حل وسط إقليمي بين حدود التقسيم وخطوط هدنة ١٩٤٩. بيد أن إسرائيل رفضت المبادرة، وأصرت على شرط مسبق لأي محادثات وهو قبول الوضع الإقليمي القائم (٤٢). وهكذا، ففي حين كان المايام محقاً في بيان عدم الدقة التاريخية لخطاب خروتشوف، فإن الجزم بأن إسرائيل لم تهدد حدود جيرانها تجاهل كل تاريخ المآثر العسكرية للمتشددين منذ البريج وقيبيه.

إن تكرار المايام غير الدقيق وغير النقدي للبديهة الزائفة التي تقول إن إسرائيل قد سعت دوماً للسلام في حين أن الدول العربية رفضت التفاوض، قد قوض حملته ضد الحرب الوقائية ودعم موقف المتشددين. لأنه لو كانت هذه البديهة حقيقية ودقيقة، لكان من المعقول القول إنه ستجئ لحظة يصبح فيها لضربة وقائية تقوم بها إسرائيل ما يبررها. ويصبح الجدل السياسي ممكناً فقط فيما يتعلق بتحديد أي الظروف تكون خطيرة بما يكفي لتبرير مثل هذه الخطوة. وبمجرد أن ضاق نطاق المناقشة ليقصر على تلك القضية، فإن المشاركة في حرب بمجرد أن بدأت لم يبد باعتباره تخلياً خطيراً عن المبدأ، حتى لو كان المايام قد فضل الانتظار فترة أطول قليلاً لحل النزاع بوسائل أخرى.

ولم يبدأ المايام، الذي كبّله قبوله لأحكام خطاب الهيمنة فيما يتعلق بالنزاع، حملة مكثفة ضد

التشدد والدعوة للحرب وقائية إلا بعد أن هاجمت إسرائيل نقطة شرطة أردنية في قلقيلية في ١٠ أكتوبر (تشرين أول) ١٩٥٦ - وهو أكبر عمل عسكري منذ حرب ١٩٤٨-٤٩. وحتى حينذاك، فإن عال همشمار لم تدن، وهي تطالب باتخاذ كل التدابير الممكنة للحيلولة دون وقوع الحرب، الغارة نفسها صراحة، بيد أنها وبخت الدول الغربية على إعرابها عن مثل هذا النقد^(٤٣).

وفي ذلك الوقت، كان بن جوريون قد قرر الهجوم على مصر بالفعل. وعندما بدأت الحرب في ٢٩ تشرين أول، أعلن المابام أنه سيقوم بمسؤولياته كعضو في التحالف:

لقد وقعت العاصفة التي قلنا إنه كان بالإمكان منعها. إننا نتعرض لاختبار كبير. وسيصمد الجيش والأمة فيه. ولن نعود الآن لمسألة ما إذا كان لابد من أن تسير الأحداث في هذا الطريق أم لا. نحن في معركة ... ومن ثم، فإننا سنقف بشجاعة وبطولة وبتصميم راسخ لضمان السلام لإسرائيل ومستقبلها^(٤٤).

وبعد أن كسبت إسرائيل الحرب واحتلت قطاع غزة وشبه جزيرة سيناء، اعتمدت اللجنة السياسية للمابام قرارا يدعو إسرائيل لضم قطاع غزة، حتى وهي تواصل انتقاد التفكير المتشدد الذي أفضى للحرب^(٤٥). وأيد المابام بنشاط مقاومة الحكومة لمطالب الأمم المتحدة والولايات المتحدة بأن تجلو إسرائيل عن كل الأراضي التي احتلتها خلال الحرب وانضم لأحزاب الائتلاف الأخرى في الإشراف على تنظيم مظاهرات على نطاق البلاد تدعو لضم شرم الشيخ وقطاع غزة^(٤٦). وأعلن حزان في الكنيست بصورة مثيرة أن «المعركة السياسية تهددنا بتصفية النتائج العادلة للمعركة العسكرية المجيدة»^(٤٧).

وعندما خضعت إسرائيل أخيرا للضغط الدولي للانسحاب من شرم الشيخ وقطاع غزة، اختار المابام البقاء في الائتلاف على الرغم من معارضته لهذا القرار الذي اتخذته الأغلبية في الحكومة^(٤٨). ومثلما حدث في ١٩٤٨، استخدم المابام آنذاك بلاغته في الحديث عن العداء للامبريالية والتشدد في ذلك ليبرر ضم أراض تقع فيما وراء ما كان المجتمع الدولي يعتبره جزءا مشروعا من إسرائيل، في حين توصل الماباى بصورة براجماتية إلى أن إسرائيل لا يمكنها أن تعارض الرأي العام الدولي، خاصة لأن الولايات المتحدة طلبت انسحاب إسرائيل بصورة لا تقل حسما عما فعله الاتحاد السوفيتي. ولكن مثلما حدث في قرار المابام في ٧ تشرين أول ١٩٤٨ الذي برر نتائج حرب إسرائيل الأولى على الرغم من نقد الحزب القاسى للطريقة التي تم خوضها بها ونتائجها على السكان المدنيين من عرب فلسطين، فإن المطالبة بضم قطاع غزة بأثر رجعي بررت حرب ١٩٥٦ وأضفت مشروعية على منطق المتشددين.

بيد أن اللحظتين اختلفتا بصورة أساسية بغض النظر عن التشابه الهيكلي والتواصل التاريخي بينهما. فبحلول عام ١٩٥٧ كان المابام قد أصبح حزبا أصغر كثيرا، وهلك القسم الأكبر من جناحه اليسارى، وفشل فعلا في النضال بصورة متسقة من أجل القضايا العربية الاسرائيلية لنحو

عقد، وبالإضافة لذلك، انضم لحكومة بدون أن يحصل على أى تنازلات برنامجية لها شأنها وفشل فى تركها عندما شنت هذه الحكومة حربا كان المابام يعارضها. ولم يكن عدم الأمانة الشخصى ولا سلسلة من الأحداث المشؤومة هما اللذان أوصلا المابام لنهاية طريقه باعتباره قوة معارضة راديكالية فى اسرائيل. وكثيرا ما فسر نقاد الحزب تاريخه، بما فى ذلك فشله فى التمسك بمثله الخاصة عن النزاع العربى الاسرائيلى، باعتبار ذلك مجرد نتيجة للالتزام بالصهيونية، أو على الأقل لإعطائه الصهيونية الأسبقية على الأهمية. وفى حين أن هذا لابد أن يكون عنصرا فى التفسير، فقد أبرزت فى كتابى الظروف المادية، والعمليات التاريخية والمنطق المتبدل الذى أدى لاستسلام المابام فى ١٩٥٦-٥٧ ولم يكن ذلك من أجل التبرير أو العقلنة، وإنما لبيان مدى تغلغل آثارها فى كافة أنحاء المجتمع الاسرائيلى.

□ التحالف الناصرى الشيوعى

بحلول منتصف ١٩٥٦، كانت التيارات الرئيسية الثلاثة فى الحركة الشيوعية المصرية قد اتحدت فى تأييد الحكومة على أساس سياستها الخارجية المعادية للامبريالية. وقد تم الإعراب عن منطق هذا الموقف الجديد فى تقرير اعتمده الحزب الشيوعى المصرى الموحد فى ابريل (نيسان) ١٩٥٦ بعنوان «الاستعمار هو العدو الأول». وأعلن التقرير «أننا نؤيد حكومة عبد الناصر ... فى سياساتها من أجل السلام والاستقلال. ونحميها من أى مناورات استعمارية»^(٤٩). وعلى الرغم من أن الحزب الشيوعى المصرى الموحد انتقد الافتقار للحريات الديمقراطية فى مصر ودعا الحكومة لتعبئة الجماهير، وإطلاق سراح المسجونين السياسيين وإلغاء الرقابة، ووقف تدخل الشرطة فى الانتخابات، وإنشاء اتحاد للفلاحين، واتحاد للطلاب، وإجراء انتخابات نقابية مهنية، فإنه أخضع هذه المطالب الديمقراطية لبناء الوحدة المعادية للامبريالية. وهكذا، فإنه حتى قبل تأميم قناة السويس فى ٢٣ تموز ١٩٥٦، كانت الحركة الشيوعية قد قبلت، انطلاقا من مقدمة تقول إن النضال المعادى للامبريالية من أجل التحرر الوطنى هو البند الأكثر إلحاحا وعجلة فى جدول الأعمال السياسى لمصر، الدور القيادى للدولة الناصرية فى النضال المعادى للامبريالية وتخلت عن استراتيجيتها السابقة فى بناء جبهة بديلة معادية للامبريالية فى مواجهة النظام.

وفى ضوء ضعف الشيوعيين السياسى، لم يستطيعوا إلا أن يكونوا شريكا صغيرا فى جبهة وطنية وأن يشاركوا وفقا للشروط التى حددها عبد الناصر. وفى مقابل تأييدهم، بدأ عبد الناصر بإطلاق سراح كثيرين (وإن لم يكن كل) من الشيوعيين المسجونين، وسمح لهم رسميا بدرجة محدودة من النشاط العام^(٥٠). وفى مطلع ١٩٥٦، تم افتتاح دار الفكر للنشر التى يديرها أعضاء الحزب الشيوعى المصرى الموحد. وكان من بين مطبوعاتها الأولى، أشعار قائد الحزب كمال عبد الحليم وترجمة لكتاب ماوتسى تونج فى الفن والأدب. وتم افتتاح عدة دور نشر أخرى يديرها الشيوعيون، وبدأ الشيوعيون واليساريون الآخرون يكتبون فى الصحفيتين اليوميتين الشعب والجمهورية ويظهرون فى البرنامج الثانى فى الإذاعة. وفى شهر شباط صرحت الحكومة بإنشاء شركة تقدمية للأفلام، أفلام النور. وكان من مؤسسيها عبد القادر التلمسانى الذى كان على اتصال بمجموعة روما

وزيما التقى باسرائيليين في باريس. وسمح لإفجي أفلاطون، وهي عضو في الرابطة وفي المجلس الوطني لأنصار السلام والتي كان زوجها لا يزال في السجن، بتنظيم معرض للوحاتها. وفي ٦ أكتوبر صدر العدد الأول من المساء، التي ضم طاقمها كثيرين من الشيوعيين والمتعاطفين معهم.

ودعم تأميم قناة السويس في ٢٣ يوليو (تموز) ١٩٥٢، تأييد الشيوعيين للنظام المصري. وأجبر خصوم النظام السابقين على التسليم بأن عبد الناصر والجيش يحققان تقدما لقضية الاستقلال الوطني لمصر بصورة أكثر جرأة مما كانوا يتخيلون أنه ممكن في أي وقت. ورسخ التأييد الحماسي العربي لتأميم القناة مكانة عبد الناصر باعتباره الزعيم السياسي البارز للعالم العربي ودعم القومية العربية باعتبارها الخطاب السياسي المهيمن في مصر. وتبنى الشيوعيون النشاط في مجال الثقافة والإعلام القومية العربية كمرجعية. وضاعت المحاولات الوجيزة لفرض صوت شيوعي متميز ومستقل في كافة القضايا السياسية الحساسة خاصة الأكثر دقة منها، وأدى تقارب الشيوعيين مع النظام تدريجيا إلى إعادة تشكيل وجهة نظرهم للنزاع العربي الاسرائيلي وفي حين استمروا في تأييدهم لمشروع الأمم المتحدة للتقسيم كأساس للحل السلمي للنزاع، فقد بدأت بياناتهم حينذاك تتضمن رطانة أكثر تطرفا في العداء للصهيونية من حركة القومية العربية.

ففي ديسمبر (كانون أول) ١٩٥٥ قدمت كفاح الشعب، لسان حال الحزب الشيوعي المصري الموحد السري، تحليلا شاملا «للمسألة الاسرائيلية»، ربما كرد على بيانات يوسف حلمي ومجموعة روما جاء فيه:

منذ إنشاء دولة اسرائيل في ١٩٤٨، تغيرت المسألة الاسرائيلية بصورة أساسية ... واختفت كل العوامل التي أدت لميلاد القضية الفلسطينية. ومن الواضح أن الامبريالية الأمريكية قد استغلت هذه العوامل كذريعة لجعل اسرائيل رأس حربة لسياساتها في الشرق الأوسط^(٥١).

ومن الواضح أن الحزب الشيوعي المصري الموحد كان يعتقد بصورة خاطئة أن الولايات المتحدة كانت تشجع اسرائيل على رفض الحل السلمي للنزاع.

وعلى الرغم من هذا التقييم المتعجل لاسرائيل، أكد الحزب الشيوعي المصري الموحد مجددا تأييده للمواقف التي اعتمدها الغالبية الساحقة للشيوعيين المصريين في ١٩٤٧: تنفيذ مشروع الأمم المتحدة للتقسيم في ١٩٤٧، عودة اللاجئين الفلسطينيين، ودفع تعويضات عن الخسائر المتكبدة في الملكية، وإنشاء دولة فلسطينية ديمقراطية مستقلة. كان الحزب الشيوعي المصري لا يزال يتطلع إلى حل سلمي للنزاع، مؤكدا أنه سيكون «من السهل إيجاد تسوية سلمية مع اسرائيل بمجرد أن تتخلص من نفوذ الامبريالية وبمجرد إقامة الدول العربية لحكم نياهي»^(٥٢). ويبدو هذا المفهوم لطريق السلام متأثرا بالموقف المعادي لاسرائيل الأكثر تشددا للحزب الشيوعي السوري والذي أكد أن السلام مع اسرائيل مستحيل حتى تتحرر من النفوذ الامبريالي^(٥٣). وهكذا، فإن موقف الحزب

الشيوعي المصري الموحد بشأن النزاع العربي الاسرائيلي في بداية تحالفه مع النظام، كشف عن استمرار موقفه التاريخي والوطنية الجديدة للقومية العربية على حد سواء.

وقد تراءى هذا التوتر نفسه في تحليل «الامبريالية هي العدو الرئيسي». وكان من بين مظاهر الضغط الامبريالي على مصر والعالم العربي التي وصفها، التهديد بهجوم اسرائيل. واذ نقل التقرير عن النيوزويك فقد أوضح التقرير أن أهداف اسرائيل في حالة وقوع هذا تتمثل في ضم الضفة الغربية وقطاع غزة - وهي أهداف كان الحزب الشيوعي المصري الموحد يعتقد خاطئا أن الولايات المتحدة وبريطانيا توافقان عليها. وتضمنت الشعارات الختامية للتقرير: «لتسقط الصهيونية!» «لتحيا جبهة الشعوب العربية ضد الامبريالية، والأحلاف العسكرية، والصهيونية!» و«لتحيا الثقافة الوطنية، والثقافة المصرية العربية، ثقافة السلام والاستقلال الوطني!» - وبذا تصاعدت نبرة العداء للصهيونية في دعاية الحزب الشيوعي المصري الموحد، والتي كانت مكبوتة من ١٩٤٨ حتى منتصف ١٩٥٥. وكان الإطار البلاغي لهذه الوثيقة هو التوحد الحماسي مع القومية العربية باعتبارها القوة الرئيسية المعادية للامبريالية في الشرق الأوسط. وفي هذا السياق، فإنه عندما أصبحت اسرائيل تمثل تهديدا عسكريا خطيرا لمصر، أخضعت الدعوة للحل السلمي للنزاع العربي الاسرائيلي للدعوة إلى وحدة وطنية نضالية ضد الصهيونية والامبريالية، فعلى سبيل المثال، دعا كتييب مشترك أصدره في عيد أول ايار الحزب الشيوعي المصري الموحد وطلبة العمال إلى «اعادة تشكيل دولة فلسطين العربية ومعارضة أي حل آخر لمشكلة اللاجئين، بما في ذلك توطينهم في البلاد العربية أو سيناء»، ولم يجر ذكر إمكان التسوية السلمية^(٥٤).

كان الاتحاد السوفيتي لا يزال يمارس تأثيرا ضابطا للشيوعيين المصريين. ففي ١٧ ابريل (نيسان) ١٩٥٦، أصدرت وزارة الخارجية السوفيتية بيانا يدعو للحل السلمي للنزاع العربي الاسرائيلي. وأيد محمود أمين العالم وهو قائد لمجموعة معادية لكورييل في الحزب الشيوعي المصري الموحد، في مقال كتبه في روز اليوسف، الصحيفة الاسبوعية السياسية ذات النفوذ، الدعوة السوفيتية لعقد مؤتمر دولي لسلام، تشترك فيه اسرائيل، «حيث أنها طرف في النزاع». كما أكد حق مصر «في الإصرار على تمثيل الشعب العربي الفلسطيني في مثل هذا المؤتمر بوفد شعبي أو لجنة شعبية»^(٥٥).

وعندما صدرت المساء لأول مرة، كرّسَ بيانها الافتتاحي اهتماما ضئيلا فحسب بالقضية الفلسطينية، مع إدراج الدفاع عن الشعب الفلسطيني مع تأييد شعب قبرض والجزائر في بيان عام هادئ بقائمة القضايا التي تنبغى مناصرتها^(٥٦). ولكن مع استعداد اسرائيل للهجوم على مصر، تغيرت نغمة الصحيفة. فرداً على هجوم اسرائيل على نقطة الشرطة الأردنية في قلقيليه، عرض خالد محبى الدين تقويما متميزا (وخاطئا جزئيا) للغارات الانتقامية الاسرائيلية بغرض بيان أن هجمات اسرائيلية كبيرة وقعت على مصر والأردن فقط بعد رفضهما الانضمام لحلف بغداد، وحصول مصر على الأسلحة التشيكية، وتأيد الأردن لمصر في تأميمها لقناة السويس، وكانت النتيجة التي توصل إليها أن المستفيد الأول من أعمال اسرائيل هو الامبريالية الغربية وأن هدف الهجمات هو «تفتيت

الجبهة العربية وتحويل أنظار العرب من معركة مباشرة مع الاستعمار الغربى إلى معركة غير مباشرة مع ربييته اسرائيل» (٥٧).

وقد جمع هذا التحليل بين وجهة النظر الشيوعية التقليدية عن أن النزاع العربى الاسرائيلى ليس هو المشكلة الأساسية مع الإشارة ضمنا إلى أن إسرائيل ليست دولة ذات سيادة وإنما مجرد تابع امبريالى. وختم خالد محيى الدين تحليله بالقول بأن قرار مصر بإرسال معونة عسكرية للأردن فى أعقاب الهجوم على قلقيلية، يبين أن «كل العرب موحدون اليوم ضد الاستعمار وضد اسرائيل». وتطور تشخيص اسرائيل باعتبارها مغلبا امبرياليا، مثلما تبدى من قبل فى مقال كفاح الشعب عن «المسألة الاسرائيلية» وفى «الاستعمار هو العدو الأول»، تطور فى النهاية إلى وجهة نظر تقول إنه نظرا لأن اسرائيل هى مجرد «ربيبة الاستعمار»، فإنها ليست تعبيرا مشروعا عن حق الشعب الاسرائيلى فى تقرير المصير، ومن ثم فإن وجودها ليس له ما يبرره.

ورأى يوسف حلمى ومجموعة روما أن هذا التحليل يشكل خطرا مختللا على الحل السلمى للنزاع مع اسرائيل وحاولا تصحيحه فى عملهما الدعائى. وشكلت مجموعة روما لجنة للدفاع عن تأميم قناة السويس، زودت الصحافة الأوروبية بوثائق وبيانات أعدها الحزب الشيوعى المصرى الموحد تبرر موقف مصر (٥٨). وبعث حلمى عن طريق ماكى نداء جديدا للشعب الاسرائيلى يدافع فيه عن تأميم القناة ويشرح أنه ليس عملا عدائيا تجاه اسرائيل وإنما خطوة لتحرير مصر من الامبريالية ويؤكد أنه لا فرنسا ولا إنجلترا قد دافعتا عن حق اسرائيل فى المرور فى القناة عندما كانت تحت السيطرة الاجنبية وحث الشعب الاسرائيلى على تأييد حق مصر فى القناة ورفض الدعوة لحرب وقائية ضد مصر، لأن التطورات الأخيرة قد أوضحت «أن عبد الناصر ربما كان الوحيد بين الساسة العرب الذى يرى ضرورة وضع حد للخصومة التى طال أمدها بين الدول العربية واسرائيل عن طريق اتفاق سلمى» (٥٩). وذكر حلمى بأن عبد الناصر قد أخبر كريستيان بينو وزير الخارجية الفرنسى مؤخرا «إن مصر لن تهاجم اسرائيل أبدا، وأنا من أنصار إقامة علاقات سلمية معها (اسرائيل)» (٦٠). وقال إنه ينبغي للاسرائيليين أن يتغلبوا على قلقهم ومخاوفهم، التى غذتها الدعاية الامبريالية، لأن هذه المخاوف قد «عزلتكم إلى حد ما عن المشاركة فى قضايا الشعوب العربية، مع أنها قضايا جميع الشعوب بينما وأنتم وكان يأمل فى أن ينضم الشعب الاسرائيلى لكل شعوب العالم الأخرى فى المطالبة «برفع الأيدي عن مصر» ورفض التيار الانتهازى فى اسرائيل، الذى يحاول استغلال أزمة التأميم فقط لتأمين حق اسرائيل فى الملاحة عبر القناة. وكرر حلمى مجددا تأييده للحل الكامل للمشكلة الفلسطينية والسلام الدائم مع اسرائيل استنادا للصداقة والتفاهم والتعاون المثمر، واختتم بيانه بتحذير: «فإن شرف الشعب الاسرائيلى فى الميزان» (٦١). ورغم أن التماس حلمى كان توفيقيا أكثر من دعاوى الشيوعيين الذين يعيشون فى مصر، لكن الفروض التى قام عليها تبعد كثيرا عن إطار خطاب الهيمنة فى اسرائيل على نحو أكبر من أن يشير استجابة ذات شأن.

وخلال الهجوم الانجليزى الفرنسى الاسرائيلى، شارك الشيوعيون بالكامل فى الدفاع الوطنى عن مصر. وطالب المستجئون فى -الوحدات الخارجة- بإطلاق سراحهم لينضموا للمعركة (٦٢). وكان الشيوعيون نشيطين بصفة خاصة فى تنظيم المقاومة للاحتلال الانجليزى الفرنسى لبورسعيد، وأرسلو الصحفيين والمنظمين السياسيين للمدينة لإصدار صحيفة سرية، وقيادة المظاهرات الجماهيرية، وشن

أعمال المقاومة المسلحة بالتعاون مع الجيش المصرى ضد المحتلين الاوروبيين، وفى المؤخرة، نظم الشيوعيون لجان المقاومة الشعبية لدعم النضال فى بورسعيد^(٦٣). وفى هذه المرة أخضع كل الشيوعيين انتقادهم للنظام، لقضية الدفاع الوطنى.

وعكس التقرير المجتزأ الذى نشرته المساء عن إغلاق مكتبى محاماة لاثنيين من اليهود الشيوعيين، يوسف درويش وشحاته هارون، استراتيجيتها العامة فى التقليل لأدنى حد من الإغراب عن معارضة النظام. لكن الصحيفة أبرزت بصورة غير مباشرة التزامها بحماية حقوق اليهود المصريين بإبراز وعد وزير الداخلية بأن الحكومة، على النقيض من الشائعات السارية، لن تطرد اليهود أو تصدر بمتلكاتهم^(٦٤). بيد أن الحكومة لم تحترم هذا الوعد، فقد تمت مصادرة أملاك اليهود ذوى الجنسية الاجنبية بعد الحرب. كما نشرت المساء رفض شخص يدعى جوزيف باروخ، وهو يهودى من سكان بورسعيد يحمل الجنسية الأرمنية، أن يتعاون مع المحتلين الاوروبيين - وهو تأكيد لوطنية اليهود المصريين والذى ناقض التوقعات العامة للحكومة والشعب فى مصر^(٦٥). كما قدمت صفحتها الأولى تغطية لبرقية لتاس تتضمن محتوى مقال لشمونيل ميكونس عن النتائج السلبية لعدوان اسرائيل على مصر^(٦٦).

ورغم أن نداء يوسف حلمى كان يمد يد الاعتراف والصداقة للشعب الاسرائيلى، فقد أوضح أن موقف اسرائيل من المواجهة بين مصر والامبريالية الغربية هو اختبار لها. فإذا فشلت اسرائيل فى هذا الاختبار، فمن المرجح أن تضيق الفرصة للحل السلمى للنزاع التى قدمتها سياسة عبد الناصر منذ باندونج وقد فشلت اسرائيل، وبذلك أسهمت فى إزالة الحواجز التى منعت التقدميين المصريين من الدعوة لتدميرها صراحة. فخلال الحرب، نشرت المساء رسماً كاريكاتيرياً يقول كلامه «وحدة العرب تمحو اسرائيل» ومقالاً فى نفس اليوم يعلن أن «... اسرائيل تؤدى اليوم مهمتها التى وجدت من أجلها (بواسطة بريطانيا)» بعبارة أخرى، إن إقامة دولة اسرائيل لم يكن، مثلما صورة الشيوعيين المصريين والاسرائيلون فى ١٩٤٨، عنصراً فى النضال ضد بريطانيا العظمى، بل مناورة امبريالية ضد العرب.

رقد عملت المساء فى ظل قيود منعتها من أن تنشر آراء الشيوعيين المصريين بصفتهم هذه. وكانت تنقل تحليل الشيوعيين للدلالة السياسية للحرب بنشر آراء زعيم الحزب الشيوعى السورى، خالد بكداش. ففى حوار مطول معه أكد فيه أن كل الشيوعيين العرب يقفون مع الجبهة القومية العربية المعادية للامبريالية ويعتبرون أن النضال من أجل التحرر الوطنى له أعلى أولوية، فقد أعلن بكداش أنه:

لقد عارض الشيوعيون فى سوريا ولبنان على الدوام. وفضحوا إدعاء اسرائيل بأنها بلد ديمقراطى محب للسلام وقالوا إن اسرائيل هى قاعدة امبريالية وأداة امبريالية ضد حركة التحرر العربى ولممارسة القهر ضد البلدان العربية. وقد وجدنا على الدوام تفهما كاملاً لهذا الموضوع فى الاتحاد السوفيتى وجمهورية الصين الشعبية والبلدان الاشتراكية.

وكان الحزب الشيوعي السوري متميزا بين الأحزاب الشيوعية العربية بمعارضته لتقسيم فلسطين، وقد عكس هذا البيان موقف الشيوعيين السوريين الأكثر تشددا على مر التاريخ تجاه إسرائيل. وبالطبع، لم يكن من الصحيح أن الاتحاد السوفيتي قد أيد هذا التحليل «على الدوام». بيد أن بكداش كان القائد الأقدم والأكبر بين الشيوعيين العرب، ومن ثم كانت آراؤه تحظى بوزن كبير وكانت ترخيصاً للشيوعيين المصريين ليراجعوا آراءهم في ضوء الوضع الجديد.

وبعد حرب ١٩٥٦، أجرى الحزب الشيوعي المصري الموحد حوارا داخليا حول حق إسرائيل في إقامة دولة وإمكان تحقيق السلام مع المعتدى. وقد أصر كورييل في رسائل وتقارير خلال ١٩٥٧ أنه على الرغم من عدوان إسرائيل، فإنه ليس هناك تغيير في موقف الحركة الشيوعية الدولية تجاه حقها في الوجود وأن بيان الاتحاد السوفيتي في ١٧ نيسان ١٩٥٦ الذي يدعو للحل السلمي للنزاع لا يزال ساريا وسليما^(٦٩). ومن ثم، فإن التسوية السلمية كما قال، تبقى عنصرا مركزيا في دعاية الحزب الشيوعي المصري الموحد. بيد أنه كان واضحا أن لقيادة الحزب في مصر شكوكا حول سلامة هذا النهج في ضوء الحرب. لكن موضوعات الحوار المحددة غير واضحة، لأن تقارير حميدو (محمد شطا) وعزيز (شريف حتاتة) التي كان من الواضح أن كورييل يرد عليها، غير متوفرة. وعلى أية حال، فقد أشار كورييل إلى أن هذه التقارير «شجاعة» ونظرا لأن شطا وحتاتة كانا شخصا من المقربين جدا من كورييل، فربما كانت مواقفهما مماثلة لموقفه. وقد أيد كورييل تقييم حتاتة بأنه ينبغي احتساب المآبام وأحداث هعافودا إلى جانب ماكي، بين قوى السلام في إسرائيل وأنه يتعين مساندتهما - وعو موقف لا يبدو أنه يأخذ في الاعتبار هجوم أحداث هعافودا على مبادرة يوسف حلمي للسلام في ١٩٥٥. إقتبس كورييل تقرير لومانتيه عن المؤتمر الثالث عشر لماكي مبرزا موقفه القوي ضد العدوان الاسرائيلي، وحث الحزب الشيوعي المصري الموحد على أن ينشر قرارات المؤتمر، التي رأى أنها توفر أساسا للحل السلمي للنزاع (انظر ما يلي). ولاتتوافر أى وثائق تبين آراء المنظمات الشيوعية المصرية الأخرى. وحسبما أوضح فؤاد مرسى، فقد واصلت الراية التمسك بمشروع الأمم المتحدة للتقسيم، ومع ذلك، فبسبب ارتباط إسرائيل الوثيق بالامبريالية البريطانية والفرنسية في حرب ١٩٥٦، ثارت أسئلة تتعلق بمشروعية التقسيم، وبدأ أعضاء الحزب يقولون أن «وجود (إسرائيل) كدولة هش»^(٧١).

كما تمسكت المساء أيضا بمشروع التقسيم. فبعد يوم من نشرها لحوار أجراه صحفي هندي مع عبد الناصر رفض فيه الرئيس أن يؤكد (وإن لم ينف بصورة مباشرة) أن حل النزاع مع إسرائيل لا يزال ممكنا وفق الأحكام التي ارستها قرارات الأمم المتحدة في ١٩٤٧ و ١٩٤٨، جاء في افتتاحية المساء: «أن التسوية السلمية لمشكلة فلسطين تكون على أساس تنفيذ قرارات الأمم المتحدة في سنتي ١٩٤٧ - ١٩٤٨، خاصة عودة اللاجئين إلى ديارهم وتعويضهم عما فقدوا من أموال وممتلكات»^(٧٢)، وكان هذا هو أحد التعبيرات عن الاختلاف مع عبد الناصر، التي سمحت بها المساء لنفسها.

وكان الرأي العام والرسمى فى اسرائيل، ومنذ أمد طويل، يرى أن الاستعداد العربى لتسوية النزاع استنادا لحدود التقسيم، تعبيراً عن العداء. ولكن فى سياق خطاب القومية العربية المهيمن حينذاك فى مصر، كانت دعوة المساء للسلام بعد أيام فحسب من جلاء اسرائيل عن قطاع غزة بياناً مبدئياً شجاعاً بلاشك.

وبعد الانسحاب، تراجع النزاع العربى الاسرائيلى للخلف، وكان يذكر فى المساء لماما فحسب. ولكن عندما كان تاريخ النزاع الفلسطينى يكرر على الأسماع فى ذكرى قيام اسرائيل، كانت الامبريالية الامريكية تُصور باعتبارها الراعى والنصير الوحيد للدولة اليهودية. ولم يكن يذكر تأييد السوفيت لتقسيم فلسطين ودور الأسلحة التشيكية فى ضمان بقاء اسرائيل، حتى فى تقارير الشيوعيين أو الشيوعيين السابقين^(٧٣). وكان هذا خروجاً كبيراً آخر عن التحليل التاريخى للشيوعيين المصريين، ولم يكن هذا الخلاف مع الخط الدعائى لماكى الذى لم يضيع أبداً فرصة للتذكير بهذه الحقائق، ليصبح أبداً أكثر حدة من هذا.

□ توحيد الحركة الشيوعية المصرية

بدأت المناقشات بين الاتجاهات الشيوعية الثلاثة الرئيسية لى أواخر ١٩٥٦ بمشاركة من فيليو سبانو من الحزب الشيوعى الايطالى وعامر عبد الله من الحزب الشيوعى العراقى، اللذين فوضتهما الحركة الشيوعية الدولية فى هذه القضية. وفى مارس (آذار) ١٩٥٧، عقدت الديمقراطية الشعبية مؤقراً وأصبحت حزب العمال والفلاحين الشيوعى - وحددت نفسها للمرة الأولى باعتبارها تنظيمًا شيوعياً. وتبنى الحزب استراتيجية التجنيد السريع، عاكساً بذلك اتجاه سياساته التنظيمية الحذرة تاريخياً. وضم خلال حملة الانتخابات البرلمانية فى تموز ١٩٥٧ كثيرين من العمال وغيرهم مما كانوا على أطراف المجموعة ومن ثم سرعان ما أصبح أكبر التنظيمات الشيوعية الثلاثة الرئيسية، مع نحو ألف عضو لى صفوفه^(٧٤). ومن بين المنظمات الثلاث، كان حزب العمال والفلاحين هو الأشد مقاومة للوحدة: فقد كان قاداته يبغضون كورييل وأتباعه ويعتبرون كمال عبد الحليم ومجموعة دار الفكر، يمينيين لا يعتمد عليهم^(٧٥).

كذلك كان حزب العمال والفلاحين هو التنظيم الوحيد الذى يوجد يهود بين قاداته. ومع ذلك، فقد طالبت الراية كشرط للوحدة استبعاد اليهود من قيادة الحزب وحلّ مجموعة روما. وعارض قادة الحزب الشيوعى المصرى الموحد الذين كانوا قريبين من كورييل (مثل كمال عبد الحليم) هذه الشروط، فى حين كان غير المنتمين أصلاً لحدثو (مثل محمود أمين العالم) أكثر استعداداً للإذعان لمطلب الراية. ويفسر هذا السبب فى أن محمود أمين العالم وعبد العظيم أنيس، المنظرين القياديين للقومية العربية فى الحركة الشيوعية، طالباً فى تقرير قدماه حول الوحدة العربية، باستبعاد اليهود من اللجنة المركزية^(٧٦). وداقعا عن هذا الموقف فى رسائل إلى المسجونين الشيوعيين فى الواحات الخارجة حيث ربما عارضها محمد شطا وزكى مراد، أنصار كورييل.

وفى يونيو (حزيران) ١٩٥٧، قبل الحزب الشيوعى المصرى الموحد شروط الراية، واندماج الحزبان ليشكلوا الحزب الشيوعى المصرى المتحد. وفى اكتوبر، أبلغ المكتب السياسى للحزب الجديد مجموعة روما بأنها قد حُلّت، رغم أن القرار لم يتخذ صورته النهائية إلا فى مارس (آذار) ١٩٥٨، بسبب استمرار مناقشات الوحدة مع حزب العمال والفلاحين^(٧٧).

وبالطبع، لم يكن لقبول مطالب الراية تأثير عملى كبير، لأن الحزب الشيوعى المصرى الموحد لم يكن به قادة يهود، وكانت مجموعة روما قد فقدت منذ زمن طويل اتصالها بالظروف المتغيرة للسياسات المصرية والنشاط الجارى للحزب. ومع ذلك، فإن هذه التغييرات التنظيمية، أبرزت فى رأى فؤاد مرسى إعادة توجه سياسى شامل صوب القومية العربية تضمن أيضا مراجعة موقف الشيوعيين المصريين بشأن تقسيم فلسطين^(٧٨).

وقد كتب نصير حدتو رفعت السعيد أن مجموعة روما:

قد واصلت وبلا ملل سلسلة من المواقف الخاصة بأزمة الشرق الأوسط وإن كانت تبدو صحيحة نظريا، إلا أنها كانت يصعب الدفاع عنها عمليا .. ومن ثم يمكن القول إن حل مجموعة روما لم يكن مجرد ثمرة لتحالف ع.ف.ف والراية مع بعض الضغوط الخارجية، بل ويمكن أيضا القول إن البعض فى الطرف الآخر قد استراح إلى هذا القرار. وإن كان لم يرغب فى إن يتصدى هو لاتخاذها ..^(٧٩).

وقد اعتبرت مجموعة روما أن قرار الحزب باصدار أمر بحلها خضوعا للعنصرية. وقد فصلت اعتراضاتها فى رسالة احتجاج تؤكد محتوياتها ان دفاع المجموعة المستمر عن السلام بين اسرائيل والدول العربية، كان جزئيا هو الدافع للمطالبة بحلها^(٨٠). وأكدت المجموعة أن خطها يتفق مع خط ماكى، والحركة الشيوعية الدولية والاتحاد السوفيتى، وأصرت فى الوقت نفسه على أنها لم تقدم هذا أبدا باعتباره خط الحزب الشيوعى المصرى الموحد وأنها قد التزمت بإخلاص بقرارات الحزب حتى عندما كانت تعتقد بأنها غير سلمية.

وتبين خطابات كورييل لمصر خلال أواخر ١٩٥٦ وأوائل ١٩٥٧، أنه بالإضافة للخلافات فى رأى بشأن النزاع العربى الاسرائيلى، فإنه اختلف مع عناصر أخرى فى خط الحزب الشيوعى المصرى الموحد^(٨١). وأبدى نفاذ صبر متزايد لتأييد الحزب غير المشروط للحكومة المصرية واعتراض على الدفاع عن جمال عبد الناصر شخصا أو عن نظامه الداخلى، فعلى الرغم من أن كورييل أيد النظام المصرى بثبات منذ ٢٣ تموز ١٩٥٢، واعتبر أن فترة معارضة حدتو له خطأ، فقد كان يعتبر عبد الناصر وطنيا متطرفا لا أكثر. وكان يعتقد أن الحزب الشيوعى المصرى الموحد قد بالغ فى التهديد الذى تشكله أزمة قناة السويس بالنسبة لمصر، وسخر من وصف الحزب للمقاومة الشعبية فى بورسعيد بأنها «ستالينجراد جديدة».

وأدان حزب العمال والفلاحين طلب الراية باستبعاد اليهود من قيادة الحزب المتحد، باعتباره

مطلباً عنصرياً. فقد كان أعضاؤه العمال مرتبطين بيوسف درويش بقوة، وعارضوا الوحدة ما لم ينضم للجنة المركزية الجديدة. ويتذكر حلمى يسمن وهو من قادة الحزب السابقين: «ان العمال قالوا إن يوسف درويش ربنا»^(٨٢). وكان درويش قد اعتنق الإسلام عملياً قبل عشر سنوات بغية أن يتزوج بيهودية ربانية (لم تكن السلطات الدينية اليهودية تصرح بزواج بين يهودى من القرائين ويهودية ربانية، فى حين كانت الشريعة الإسلامية تبيح الزواج بين المسلم واليهودية)، وبالمثل كان أحمد صادق سعد وريمون دويك قد تحولوا للإسلام خلال ١٩٥٧ وذلك لاستبعاد أن تكون قضيتهم عقبة أمام الوحدة. لكن الراية ظلت تعتبرهم جميعاً يهوداً وطالبت باستبعادهم من القيادة. وكان فؤاد مرسى واسماعيل صبرى عبد الله وسعد زهران بصفة خاصة مصرين على هذه النقطة.

وأصر فيليو سبانو على أن تنجز الوحدة الشيوعية فوراً وأن تؤجل مناقشة كل الخلافات الأيديولوجية إلى ما بعد الوحدة. وتحدث سبانو بسلطان كبير باعتباره شخصية قيادية فى الحركة الدولية (كان قد زار توا ماوتسى تونج)، ومن ثم مارس هذا الطلب ضغطاً كبيراً على حزب العمال والفلاحين ليوافق على الوحدة^(٨٤). وقد أبرز سبانو فى تقريره عن تقدم المحادثات، «كوزموبوليتانية» القيادة الشيوعية المصرية وأصولها الأجنبية وكذلك الطابع «الكتيبي» و«التلمودى» للحركة، كما انتقد بصورة حادة هنرى كورييل على تقاعسه عن الانضمام للحزب الشيوعى الفرنسى واستمراره فى العمل فى الحركة المصرية فى حين أنه يقطن أوروبا^(٨٥). وقد أمكن تفسير هذه الملاحظات على أنها تتفق مع الموقف التاريخى للراية بشأن الدور السلبي لليهود فى الحركة الشيوعية. كما لام سبانو الشيوعيين المصريين على موقفهم فى البدء من عبد الناصر، لكنه لم يعز أى فضل لكورييل وحدثو فى الدفاع عن انقلاب ٢٣ يوليو (تموز) ١٩٥٢، كما أنه لم يبرز أن موقف الراية، وحزب العمال والفلاحين، والأحزاب الشيوعية فى أوروبا التى عارضت نظام الضباط الأحرار، بالإضافة إلى هجوم عبد الناصر المتواصل على الشيوعيين، قد أجبر حدثو عن التراجع عن تأييدها للنظام الجديد فى ١٩٦٣. وعلى الرغم من أن سبانو انتقد الراية على الحلقية فى أوائل ١٩٥٦، فإنه وصفها بأنها التنظيم الذى يضم أكثر الكوادر جدية وأعلى مستوى من التدريب الأيديولوجى.

وإذ تم مسح الراية بزيت الأرثوذكسية المعترف بها دولياً، فإن رفضها التنازل بشأن قضية اليهود بدا أمراً لا يمكن التغلب عليه. ونتيجة لهذا، نحتت هذه القضية وكل الخلافات السياسية الأخرى جانبا. واستسلم حزب العمال والفلاحين فى ٨ يناير ١٩٥٨، وقام الحزب الشيوعى المصرى المتحد بعدد من الأعضاء يبلغ نحو ألفين وأربعمئة عضو. وقد رأت الحزب الجديد لجنة دائمة مكونة من ممثل لكل من اتجاهاته الرئيسية الثلاثة: أبو سيف يوسف (السكرتير العام، وكان من قبل عضواً فى حزب العمال والفلاحين)، فؤاد مرسى (من الراية قبلاً)، وكمال عبد الحليم (من الحزب الشيوعى المصرى المتحد من قبل). كما حافظ المكتب السياسى على التكافؤ بين المجموعات الثلاث، فكان لكل منهم خمسة ممثلين. وكانت اللجنة المركزية هى أعلى هيئة، وقد عكس تقسيم المقاعد فيها القوة العددية النسبية للتيارات الثلاثة - حزب العمال والفلاحين، أربعة عشر، الحزب الشيوعى المصرى

الموحد، احد عشر، والراية تسعة (٨٦).

وقد تم استسلام الشيوعيين المصريين لطلب الراية نتيجة لضغط خارجي، وعدوان اسرائيل الأخير على مصر، ورغبة الشيوعيين فى الانضمام للموجة الصاعدة للقومية العربية بقيادة عبد الناصر. وحيث أن الراية كانت تستبعد اليهود دوما من صفوفها فلم يكن الطلب يمثل فكرة جديدة فى داخل الحركة. بيد أن نجاحها كما يقول فؤاد مرسى، يعكس إعادة ترتيب سياسى: فهو يرمز لمنظور الراية التاريخى رغم ضعف هذه الفرقة العددى داخل الحزب الشيوعى المصرى المتحد. ونظرا لأن الراية لم تضم أبدا عددا كبيرا من الأعضاء من الطبقة العاملة ولم تضم أعضاء يهودا، فقد مثلت أكثر من المجموعات الشيوعية الأخرى، تطلعات المثقفين الراديكاليين المصريين من أبناء البلاد الأصليين. وفى النهاية، لم تكن هناك تناقضات أساسية تفصل منظور هؤلاء المثقفين عن منظور النظام الناصرى.

واستند الخط العام للوحدة الشيوعية على الاتجاه القومى العربى الذى كان يتطور فى صفوف الراية والعناصر التى لا تنتمى لحدتو فى الحزب الشيوعى المصرى الموحد منذ ١٩٥٤-٥٥. وعالج هذا الاتجاه النزاع الفلسطينى/ العربى - الاسرائيلى باعتباره جزءا من النضال من أجل الوحدة العربية واعتبر اسرائيل فى الأساس عقبة أمام هذه الوحدة غرزتها القوى الامبريالية فى قلب العالم العربى. وهكذا، فإن الحزب المتحد عندما لخص برنامج الحزب استجابته لرسالة من حزب العمال والفلاحين، أبرز أن الحزب قد أكد:

«على ضرورة إنجاز الوحدة العربية الشاملة على الأسس الثابتة للقومية والتزامنا بالنضال من أجل إنجاز الوحدة الفيدرالية مع سوريا كنقطة انطلاق للوحدة الشاملة، وبرفض الصلح مع اسرائيل على أسس استعمارية وبالتمسك بقرار التقسيم الصادر من هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٤٧، كحد أدنى لحل قضية فلسطين وقد أكدنا أن الحل النهائى الحاسم لهذه القضية لن يتحقق إلا بتصفية الاستعمار نهائيا فى الشرق العربى» (٨٧).

وقد جمعت هذه الصيغة بين تأييد الشيوعيين المصريين التاريخى لتقسيم فلسطين ومفهوم الشيوعيين السوريين الأكثر تشددا بأنه لا يمكن أن يكون هناك حل للنزاع العربى الاسرائيلى حتى تتم هزيمة الامبريالية. وكان تأييد المتحد للتقسيم متحفظا وجزئيا. ولم يكن يتم الدفاع عن التقسيم باعتباره حلا عادلا لقضية صعبة يكفل الحقوق القومية للشعبين اللذين يعيشان فى فلسطين التاريخية، بل كان يتم قبوله على مضض باعتباره أكبر عقبة يمكن السماح لها مؤقتا بأن تعرقل الوحدة العربية.

وقد تطور الخط العام للحزب الشيوعى المصرى المتحد فى نشرة الحوار التى أصدرها مكتب الوحدة الذى أقامه المتحد وحزب العمال والفلاحين الشيوعى. فقد أعلنت النقطة الأولى من البرنامج المقترح: «إننا نؤيد بلا تحفظ حكومة الرئيس عبد الناصر فى سياساتها من أجل الاستقلال والسلام،

ونناضل بكل قوانا لتقوية الوحدة بين الشعب والحكومة». وكما كان الحال من قبل. استمر الشيوعيون فى تأييد السلام العالمى، بيد أن النزاع مع اسرائيل لم يذكر هنا - فمثلا حدث فى برنامج المتحد - عولج بصورة موجزة فى قسم يعرب عن تأييد الوحدة القومية العربية ولقيام اتحاد فيدرالى بين مصر وسوريا:

إننا نناضل من أجل أن تشكل البلدان العربية حاجزا واقيا، وتقيم جبهة متحدة ضد التوسعية الصهيونية التى تدعمها الامبريالية العالمية. إننا نناضل من أجل حقوق اللاجئين العرب فى العودة لبلادهم وتعويضهم، ونرفض أى سلام مع اسرائيل ترغب الامبريالية فى فرضه على البلدان العربية^(٨٨).

ولم يذكر أى سلام سيكون مقبولا مع اسرائيل، هذا إن قبل أصلا.

لقد قدم الحزب الشيوعى المصرى تأييدا بلا أى تحفظ تقريبا للنظام الناصرى، وأصبحت مساندة السياسات الخارجية للحكومة الأولوية السياسية الأولى له. وأيد بشكل كامل قيام الجمهورية العربية المتحدة. وكنتم تحفظاته بشأن طلب عبد الناصر حل جميع الأحزاب السياسية السورية (بما فى ذلك الحزب الشيوعى) ليحل محلها الاتحاد القومى وإنشاء شكل وحدوى للحكم بدلا من الشكل الفيدرالى. وفى سياق مثل هذا الحماس الكبير للقومية العربية الناصرية والتقييمات المبالغ فيها للإمكانات المعادية للامبريالية للقومية العربية، وأصبح من المتعذر تقريبا تمييز موقف الحزب من قضية فلسطين عن موقف القوميين العرب. فقد أشار بيان للمكتب السياسى للحزب يؤيد إقامة الجمهورية العربية المتحدة إلى اسرائيل بصورة عابرة فحسب ملاحظا أن وحدة مصر وسوريا ستوجه «ضد الاستعمار وضد اسرائيل صنيعة الاستعمار والصهيونية»^(٨٩).

وقد تبلورت كافة الاتجاهات التى أبداها الشيوعيون للتخلى عن منظورهم السابق عن الحل السلمى للنزاع العربى الاسرائيلى فى عنوان كتاب عبد المنعم الغزالى الذى أصدرته دار الفكر فى ١٩٥٨: اسرائيل قاعدة للاستعمار وليست أمة^(٩٠). فقد ادعى الغزالى وهو يستخدم حججا تاريخية زائفة تفرط فى التركيز على مدى التأييد الأمريكى لاسرائيل وأهمية الاختلافات فى السياستين الأمريكية والفرنسية فى الشرق الأوسط، إن الفضل فى وجود اسرائيل يرجع فقط للدعم المالى والعسكرى الامبريالى (الامريكى فى المحل الأول). (ولم يذكر بالطبع أن الاتحاد السوفيتى أيد تقسيم فلسطين أو أن تشيكوسلوفاكيا وردت الأسلحة لاسرائيل خلال حرب ١٩٤٨-٤٩). ثم طالب بإزالة دولة اسرائيل وكل المؤسسات الصهيونية، وإلغاء مشروع الأمم المتحدة للتقسيم، وإنشاء دولة عربية فى فلسطين كلها. والمكانة المحددة لكتاب الغزالى داخل الحزب الشيوعى المصرى غير واضحة لأنه نُشر بعد بدايات انقسام فى الحزب. بيد أن دار الفكر كان يديرها أعضاء حدثوا السابقون المقربون لكورييل، واستعدادهم لنشر الكتاب يوضح تخيلهم العنيف عن وجهة نظرهم التاريخية ويعنى نهاية محاولة الشيوعيين المصريين وضع منظور بديل لمنظور النظام الناصرى بشأن حل النزاع العربى الاسرائيلى.

□ المؤتمر العشرون للحزب الشيوعى السوفيتى والشيوعية القومية

لم يؤد فصح نيكيتا خروتشوف لجرائم ستالين فى شباط ١٩٥٦، فى المؤتمر العشرين للحزب الشيوعى السوفيتى، إلى حدوث عمليات ارتداد جماعية فى الأحزاب الشيوعية فى الشرق الأوسط مثلما فعل فى أجزاء من أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية وكان أهم تأثير للمؤتمر فى كل من مصر وإسرائيل، بعد استيعاب صدمته، هو استرخاء الانضباط فى الحركة الشيوعية وحدوث تطور مشروع وشجاع «للشيوعية القومية» - وهو اتجاه أدى فى نهاية المطاف لتوسيع الفجوة بين ماكى والشيوعيين المصريين بشأن القضية الفلسطينية والنزاع العربى الاسرائيلى.

وفى مصر، يبدو أن المؤتمر العشرين قد أحدث تأثيرا مباشرا ضئيلا، ربما بسبب أن الصراع حول تأميم قناة السويس، وحرب السويس/ سيناء، والتحرك لتوحيد المنظمات الشيوعية، قد غطى عليه. وبدأت صياغة «دروس مؤتمر الحزب العشرين» فى خريف ١٩٥٧ فقط، عندما أخذت الحركة الشيوعية المصرية تتوحد حول خط التأييد للقومية العربية والنظام الناصرى وتطور أساسا منطقيا نظريا لهذا الاتجاه. وشرح فؤاد مرسى فى مقال نُشر فى الصحيفة الداخلية للمتحد بعنوان: «الماركسية: النظرية الحية»، أهمية المؤتمر على النحو التالى: «ينبغى لكل حزب شيوعى اليوم أن يدرس بلده الخاص». ومن ثم كان على الشيوعيين المصريين أن يطبقوا الماركسية على الظروف المصرية «وان يبتكروا حلولا لبلدنا لها جذورها فى تراثنا الثقافى الخاص وأن يطوروها خلال نضالنا». وقد أنتج تطبيق مرسى الخاص للماركسية مبدأ الخصوصية المصرية الذى قام على صياغة مبكرة لنظرية طريق التنمية غير الرأسمالى. وشخص البرجوازية المصرية باعتبارها نوعا جديدا كلية ليس له مثيل تاريخيا. وهى فى عصر أزمة الامبريالية الأخيرة، قوة وطنية وتقدمية بصورة دائمة لأنها لن تستطيع أن تتحول إلى بورجوازية احتكارية، وهى تتأثر بالأفكار الاشتراكية وترتبط بالمعسكر الاشتراكى العالمى لأن هذا المعسكر وحده يؤيد تطلعاتها للتنمية الاقتصادية. ولم يكن طريقها التاريخى لا إلى الرأسمالية ولا إلى الاشتراكية بل إلى رأسمالية الدولة. وكان التحالف الراهن بين الطبقة العاملة والبرجوازية شكلا جيد للصراع الطبقي تستطيع الطبقة العاملة ان تسعى فيه «لتعليم» البرجوازية الفهم الصحيح للثورة الوطنية المصرية. وسيتم ترسيخ قيادة الطبقة العاملة للجبهة الوطنية سلميا وتدريبيا، وبذا تتوافر الشروط للانتقال للاشتراكية^(٩١).

وطور عبد العظيم أنيس، فيما يكتبه فى المساء (حيث لم يستطع أن يقول إن تحليله يستند لدروس مؤتمر الحزب العشرين)، نفس المنظور فى مقال عن حزب الدولة الجديد، الاتحاد القومى. ووفقا لما قاله أنيس، فإن المجتمع المصرى كان «شكلا جديدا من أشكال الانتقال إلى الاشتراكية بالطريقة السلمية. دون مرور بمرحلة كاملة عن النظام الرأسمالى كما عرفت أوروبا الغربية فى تاريخها». ومن ثم فقد أيد أنيس إنشاء الاتحاد القومى، الذى صورته باعتباره تنظيما أكثر ديمقراطية مما كان عليه حقا - وتلك توليفة من الرغبة وحث الحكومة بلطف^(٩٢).

وقد بررت نظرية الطريق غير الرأسمالي للتنمية بالنسبة للشيوعيين المصريين، التخلي عن النضال من أجل بديل أساسى للنظام الناصرى، طالما أن الطريق الناصرى سيفضى للاشتراكية على أية حال. ولم يعد السلام مع اسرائيل، بنذا في جدول الأعمال السياسى. ففوات الرقابة التابعة للأمم المتحدة المتمركزة على الجانب المصرى من الحدود العربية الاسرائيلية بعد حرب ١٩٥٦ (رفضت اسرائيل السماح بنشر قوات الأمم المتحدة على الجانب الخاص بها من الحدود)، قد قضت تقريبا على حوادث الحدود، وكان قد تم إخضاع الفلسطينيين كقوة سياسية مستقلة. ونظرا لأن النزاع بدا أبديا وحميدا على حد سواء، فلم ير الحزب الشيوعى المصرى جدوى فى إثارة قضية ستعرق الوحدة العربية وربما تعزل الحزب سياسيا. وفى ضوء العدوان الاسرائيلى والتحالف مع الامبريالية الانجليزية الفرنسية، لم يعد كثيرون من الشيوعيين المصريين يؤمنون بأن السلام ممكن.

وقد مثل شموئيل ميكونس وأميل حبيبي ماكى فى المؤتمر العشرين للحزب الشيوعى السوفيتى، ومثل موشى سنيه وتوفيق طوبى الحزب فى مؤتمر موسكو للأحزاب الشيوعية الذى عقد فى نوفمبر (تشرين ثانى) ١٩٥٧ لإعادة تقييم مسار الحركة الدولية بعدما كشف عنه خروتشوف وحسب مقال بيرل بالتى (القائد السابق لماكى)، فإن حبيبي وطوبى بدأ، بعد لقاء خالد بكداش والشيوعيين العرب الآخرين فى موسكو، يعلنان أن قرار تأييد تقسيم فلسطين كان خطأ يرجع لعبادة الفرد، ستالين، وأن حرب ١٩٤٨-٤٩ كانت حربا ظالمة معادية للعرب، ومن ثم عادا إلى اسرائيل ليطالبيا بأن يعلن ماكى عدم الاعتراف بما استولت عليه من أراض فيما وراء حدود مشروع الأمم المتحدة للتقسيم^(٩٣). ومع ذلك، فعندما حوسب حبيبي على ذلك، ردّ بفحوى مخالفة: إن بعض أعضاء الحزب اليهود (اساسا بالتى) قد بدأوا يعلنون أن أخطاء ستالين تسببت فى تبني الحركة الشيوعية الدولية موقفا سلبيا تاريخيا تجاه الصهيونية^(٩٤). وليست هناك أى وثائق تؤيد أيا من الزعيمين، وربما كان كلاهما صحيحا.

وكانت النتيجة المباشرة بدرجة أكبر للمؤتمر العشرين فى ماكى هى طرد حانوخ بزوزاخ بسبب انحرافات القومية اليهودية فى ٤ أبريل (نيسان) ١٩٥٦، وهو اليوم الذى عاد فيه ميكونس من موسكو. وكان لبزوزاخ، وهو عضو سابق فى هشومير هتسعين ومؤسس كيبوتس عين شيمر قبل أن ينضم إلى الحزب الشيوعى الفلسطينى فى ١٩٣٠، تاريخ مع الأفكار القومية اليهودية. وكان قائد القسم اليهودى فى الحزب الشيوعى الفلسطينى فى ١٩٣٧، وكان من النقاد الأوائل لمحاكمة سنانسكى والمظاهر الأخرى للعداء للسامية فى الاتحاد السوفيتى. وبلغاريا والمجر ورومانيا. وفى رسالة يرد بها على طرده، انتقد اللجنة المركزية لتقاعسها عن إعادة فحص خط ماكى فى ضوء ماكشف عنه مؤتمر الحزب السوفيتى^(٩٥). كما انتقد معارضة ماكى للحكومة الائتلافية الاسرائيلية فى ١٩٥٥، حيث أنها كانت مشكلة من ثلاثة أحزاب عمالية. وبعد طرده، أصدر بزوزاخ وقد انضم إليه الشيوعيون العبرانيون السابقون، مثير سلونيم وسميحا تسابارى وآخرون كثيرون، مطبوعات

غير دورية تدعو لتجديد الشيوعية الاسرائيلية، وإقامة تحالف أوثق مع الأحزاب الاشتراكية الصهيونية، ورفض التركيز على عدوانية اسرائيل فى النزاع العربى الاسرائيلى دون إيلاء اهتمام مماثل لرفض الدول العربية تحقيق السلام مع اسرائيل. وكان بزوزاخ على اتصال باليهود المنشقين من الحزبين الشيوعيين البريطانى والكندى، وكانت النظرة العامة لهذه المجموعة مماثلة لوجهة نظر اليسار البريطانى الجديد والشيوعيين السابقين الملتفين حول «التيارات اليهودية» فى الولايات المتحدة.

وفى مناخ مابعد حرب السويس/ سيناء، لم تكن انتقادات مجموعة بزوزاخ لماكى بسبب مواقفه الموالية للعرب من جانب واحد ومعارضته المستمرة للحكومة التى شنت الحرب، تلقى اهتماما جادا فى الحزب. ولم يعان ماكى من خسائر كبيرة فى العضوية فى أعقاب المؤتمر العشرين للحزب السوفيتى. وفى ١٩٥٧، ترك الحزب ٧ فى المائة فقط من أعضائه فى منطقة تل أبيب و١٥ فى المائة فى منطقة حيفا ولم يحل محلهم منضمون جد، وعلى الرغم من أن ثلاثة وستين استقالوا فى المناطق الأربع الأخرى، فقد حل محلهم سبعة وخمسون عضوا جديدا^(٩٦). وتركز الارتداد بين الأعضاء اليهود. وفى منطقة القدس حيث كان الحزب يهوديا بصورة كاملة تقريبا، حدثت أربعة وعشرين استقالة وانضم ثلاثة أعضاء جدد فقط، لكن فى منطقة الناصرة العربية بأكملها، فقد كان الحزب يهوديا بصورة كاملة تقريبا، حدثت أربعة وعشرون استقالة وانضم ثلاثة أعضاء جدد فقط، لكن فى منطقة الناصرة العربية بأكملها، فقد كان قبول سبعة عشر عضوا جديدا تعويضاً وزيادة كبيرة على الاستقالات الثلاث. وربما كان معظم الأعضاء الأربعة والثلاثين الذين استقالوا فى منطقة السهل الساحلى من اليهود، فى حين من المرجح أن السبعة وثلاثين عضوا جديدا كانوا فى معظمهم من عرب قرى «المثلث»، مثل الطيبة، حيث كانت قوة ماكى آخذة فى النمو.

وفى حين أن منظورا شيوعيا قوميا فى مصر، دعمه مؤتمر الحزب السوفيتى ونظرية طريق التنمية اللارأسمالى، قد وفر الأساس لتوحيد الحركة الشيوعية، فإن الشيوعية القومية اليهودية لمجموعة بزوزاخ فى اسرائيل قد فقدت مشروعيتها بسبب حرب ١٩٥٦، التى أوحى باستنتاجات مزعجة بشأن الطابع العدوانى والقمعى لاسرائيل. كما عزز الارتداد اليهودى عن ماكى أهمية العضوية العربية فى التكوين الديمقراطى للحزب. وأدت هذه التطورات الاسرائيلية، مقترنة بالموجة الصاعدة للقومية العربية التى تقودها مصر المعادية للامبريالية بصورة نضالية والعلاقات الأوثق بين الاتحاد السوفيتى والدول العربية القومية الراديكالية، إلى تشكيل اتجاه جديد يركز على البعد العربى فى ماكى، حل محل اشكاليته السابقة التى تركز على البعد اليهودى.

□ الحقيقة العربية لماكى

فى يوم ٢٩ أكتوبر (تشرين أول) ١٩٥٦، عندما شنت اسرائيل هجوماها على مصر فى حرب السويس/ سيناء، ظهر حرس الحدود فى الساعة الرابعة مساء فى عدة قرى عربية على الحدود مع

الأردن وأعلنوا أن خطر التجول سبى فى الساعة الخامسة مساءً. لم يعرف العمال الفلسطينيون العرب من قرية كفر قاسم الواقعة قرب بتاح تكفا، والذين كانوا قد رحلوا صباحاً إلى أعمالهم، بحظر التجول. وعادوا لديارهم فى نفس لحظة سريانه، فقتلت قوات الدفاع الاسرائيلية رمياً بالرصاص تسعة وأربعين منهم وجرحت ثلاثة عشر آخرين وقتل عربيان آخران رمياً بالرصاص لانتهاك حظر التجول فى الطيبه والطيرة. وحظر الرقيب العسكرى نشر أنباء المذبحة لعدة أسابيع، وقدم تقرير جزئى فقط فى الصحافة فى ١١ نوفمبر (تشرين الثانى). وحاولت ستير فالنسكا إثارة الأمر فى الكنيسة فى ١٣ نوفمبر (تشرين ثانى)، لكنها لم تمكن من هذا، وحذفت الكلمات القليلة التى استطاعت قولها من المضبطة. وزار توفيق طوبى كفر قاسم فى ٢٠ نوفمبر (تشرين ثانى) ليتحرى الأمر، ونشر بعد ذلك بثلاثة أيام تقريراً عن الحادث متضمناً أسماء الموتى والجرحى - فى رسالة مفتوحة بالعربية والعبرية والانجليزية، دعا فيها إلى مساندة كافة قطاعات المجتمع الاسرائيلى لمطلبه بمحاكمة مرتكبى المذبحة^(٩٧). وفى نهاية المطاف، تلقى الضباط العسكريون المسؤولون عن الجريمة عقاباً رمزياً خفيفاً جداً.

وفى أعقاب حرب ١٩٥٦، أصبح اسم كفر قاسم صيحة للحرب ضد قمع اسرائيل مواطنيها العرب وإنكار حقوقهم الوطنية ووفر لماكى موضوعاً بارزاً يمكن به حشد المجتمع العربى وتمكين الحزب من توسيع نفوذه فى قرى المثلث الجنوبى. وربطت كفر قاسم وحرب ١٩٥٦ القضية المحلية للقهر الوطنى الفلسطينى بالخطر الإقليمى الذى تشكله اسرائيل بالنسبة للعالم العربى بأسره. وأوضح بروز هذه القضايا فى عمل الحزب بعد ١٩٥٦ تبنى ماكى لإشكالية تركز على البعد العربى كانت قد أخذت تتبلور منذ إبرام صفقة الأسلحة التشيكية المصرية. وكان وجود الدولة الاسرائيلية وأمنها آنذاك يعتبران حقيقة واقعة، فى حين كانت القضية المطروحة حينذاك هى الخطر الذى تمثله هذه الدولة وحلفاؤها الامبرياليون على أمن العالم العربى وسلامه وحقه فى تقرير المصير، وعلى حلفائه المعادين للامبريالية.

وأدى تبنى اتجاه يركز على البعد العربى، فى حين كان باقى المجتمع الاسرائيلى غارقاً فى احتفالات القومية المنتصرة، إلى عزلة ماكى عن رأى العام اليهودى بصورة متزايدة. وحينذاك كانت الافتراضات الأساسية للحزب من الأمور التى لا يمكن التحدث عنها تقريباً فى الساحة السياسية الاسرائيلية - وهى أن اسرائيل كانت معتدية فى الحرب، وأنه كان خطأ مميتاً بالنسبة لاسرائيل أن تحالفت مع الامبريالية ضد القومية العربية المعادية للامبريالية، وأن السلام بين اسرائيل وجيرانها يتوقف على إعادة اللاجئين الفلسطينيين والاعتراف بحق عرب فلسطين فى تقرير المصير، وأن المواطنين الفلسطينيين العرب فى اسرائيل هم أقلية قومية مقهورة. وفى الوقت نفسه، ضغط كثيرون من المواطنين العرب فى اسرائيل - بما فيهم أعضاء ماكى وقادته - والذين شجعهم الصعود الصاروخى للقومية العربية الناصرية وتكوين الجمهورية العربية المتحدة على ماكى ودفعوه لتبنى إطار خطابى

للعداء العربى للامبريالية. ويقدر ما فعل الحزب هذا، أصبح أكثر عزلة عن الأغلبية اليهودية فى اسرائيل.

لقد عارض ماكى كلية الحرب الاسرائيلية البريطانية الفرنسية ضد مصر، وقدمت مجموعته البرلمانية فى الكنيست اقتراحا بحجب الثقة عن الحكومة لشنها الهجوم. وطالب الحزب بانسحاب اسرائيل الفورى والكامل إلى خطوط الهدنة، ووضع حد للتواطؤ مع الامبريالية، والاعتراف بحق الشعب العربى الفلسطينى فى تقرير المصير^(٩٨). واستمر يعتبر البيان السوفيتى الصادر فى ١٧ ابريل (نيسان) ١٩٥٦، أساسا سليما لحل النزاع العربى الفلسطينى، وأكد ردا على الاتهامات بأن الاتحاد السوفيتى كان «مواليا للعرب»، وأن هذا البيان لايزال الخط الهادى للسياسة السوفيتية.

وقد حاول ماكى حتى وهو يشجب عدوان اسرائيل، أن يروج لقيام علاقات سلمية بين مصر واسرائيل. واقتبست كول ها عام بشأ باللغة العبرية. لراديو القاهرة جاء فيه أن مصر ترى أن الامبريالية، وليس بن جوريون، هى العدو الرئيسى لكل شعوب الشرق الأوسط^(١٠٠). وأدان كتيب باللغة العربية وزع فى الطيبة خلال الحرب، الخطر الذى فرضته الحكومة العسكرية على الاجتماعات السياسية وأعمال القمع الأخرى، وانتهى بشعارات تقول: «لنلغ الحكم العسكرى الطاغى» و«لنوقف هiestريا الحرب»، «ليحيا السلام بين اسرائيل والدول العربية»^(١٠١). وكانت الدعوة للسلم فى خضم الحرب مستمدة من وجهة ماكى التى اعتنقها منذ أمد طويل بأن النزاع لا يخدم مصالح الشعب الاسرائيلى أو الشعوب العربية وإنما يخدم فقط مصالح الامبريالية. بيد أن هذه الدعوة تناقضت بصورة حادة مع الدعوة الحماسية للشيوعيين المصريين بالدفاع الوطنى ضد المعتدين. وفى حين أنه يسهل تفسير مواقف الشيوعيين المصريين والاسرائيليين باختلاف الظروف على كل جانب من الحدود، فإن الحرب عجلت بالتباعد بين الخطوط السياسية والحساسيات فى كلا الحركتين.

لقد نشبت حرب ١٩٥٦ عندما كان ماكى يستعد لمؤتمره الثالث عشر والذى كان سينعقد فى شهر تشرين ثانى. وأجبرته على تأجيل المؤتمر. ودفعت الحزب إلى إعادة تقييم مواقفه بشأن العلاقات العربية الاسرائيلية. وقد نشرت الأطروحات السياسية الأصلية للمؤتمر فى ايلول^(١٠٢)، وبعد الحرب نشرت اللجنة المركزية فى نيسان ١٩٥٧، إضافات وتفسيرات وتصحيحات للأطروحات الأصلية استعدادا للمؤتمر الذى أعيد تحديد مواعده لينعقد فى ٢٩ سبتمبر (آيار). وبين سبتمبر (ايلول) ونهاية (آيار) مايو، استمر نقاش داخلى حاد حول القضايا العربية الاسرائيلية.

وقد عارض ماكى فى مؤتمره الثانى عشر فى ١٩٥٢، مناقشة الحدود النهائية بين اسرائيل ودولة فلسطين العربية، التى ستقام كتعبير عن حق الشعب الفلسطينى فى تقرير المصير. وكان هذا الرفض تنازلا لمشاعر الأغلبية اليهودية فى اسرائيل، والتى اعتبرت الوضع الإقليمى القائم الذى حددته اتفاقية الهدنة فى ١٩٤٩، هو حدود الحد الأدنى (ولكن ليس الحد الأقصى بالضرورة) للدولة

اليهودية. وهكذا افترق خط ماكي عن خط الشيوعيين العرب، الذين كانوا يرون أن قرار الأمم المتحدة في نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٤٧ قد عيّن حدود اسرائيل المشروعة.

ومن الواضح أن بعض أعضاء ماكي العرب قد أثاروا قضية الحدود حتى قبل المؤتمر الثاني عشر. فحسب ما يقول ميكونس، فإن حبيبي طالب في ١٩٥١ بأن يستمر الشيوعيون في الأراضي التي تحتلها اسرائيل رغم أن الامم المتحدة قد حددتها باعتبارها جزءاً من دولة فلسطين العربية، في العمل باعتبارهم عصبة التحرر الوطني^(١٠٣). وكان قبول هذا المطلب يعنى أن ماكي لا يعترف بفتوحات اسرائيل الإقليمية في حرب ١٩٤٨-٤٩. وحيث أن ميكونس أعلن هذا الادعاء في لقاء صحفي تم بعد الانقسام في ماكي، عندما كان مهتماً بأن يؤكد «الانحرافات القومية المتطرفة لحبيبي»، وحيث أن هذه القضية كانت قد حسمت قبل مؤتمر ماكي الحادي عشر في ١٩٤٩، فليس هناك سبب للشك في قول ميكونس. ربما غير فقط تاريخ الطلب الذي قدمه حبيبي عامين للأمام. ومع ذلك، فإن هذه القضية لم تكن قضية منتهية بين الكوادر العربية في الحزب. فقد أوضح قرار مؤتمر باندونج بشأن النزاع العربي الاسرائيلي ان الدول العربية قد تكون مستعدة لتسوية النزاع إذا عادت اسرائيل لحدود التقسيم. ومن ثم، سعى بعض أعضاء الحزب العرب لتعيين حدود اسرائيل لتسهيل حل النزاع وفق احكام قرار باندونج.

وفي سبتمبر (ايلول) ١٩٥٦، كتب فؤاد خوري عضو اللجنة المركزية، خلال حوار داخلي في الحزب حول الأطروحات الأصلية للمؤتمر الثالث عشر، إلى اللجنة السياسية مطالباً بإلحاح بأن يتم ربط حق عرب فلسطين في تقرير المصير بتحديد الأراضي وموضحاً أن مسألة الحدود. «يمكن حلها في ضوء قرار الأمم المتحدة في ١٩٤٧». كان خوري يعتقد أن هذه الصيغة تمثل حلاً وسطاً، ولم يصر على الحدود الدقيقة لمشروع التقسيم، ومع ذلك فإن الإشارة لقرار الأمم المتحدة للتقسيم رسخت مشروعية اقتراحه الذي كان يهدف إلى «منع العناصر الرجعية والمالية للامبريالية في البلاد» من ترسيخ «نظرية الأمر الواقع»^(١٠٤). ورفض ميكونس صيغة خوري، محاجاً بأن مثل هذا البرنامج سيشجع انفصال عرب الناصرة والمثلث، وهو ما كان يعارضه، ويجعل مسألة شرح حق تقرير المصير الفلسطيني للرأي العام اليهودي أكثر صعوبة^(١٠٥). ومن ثم فإن الأطروحات الأصلية للمؤتمر الثالث عشر كانت تمثل حلاً وسط بين موقفى ميكونس وخوري، وتطالب «بحل وسط بشأن مسألة اللاجئين وكذلك حل وسط بشأن مسألة الحدود» (أى بين الوضع القائم وحدود التقسيم) ويهاجم إصرار الحكومة الاسرائيلية على أن يقوم السلام على الوضع القائم^(١٠٦).

وبدا عدوان اسرائيل اللاحق على مصر مؤكداً لسلامة موقف أعضاء ماكي الذين طالبوا باتخاذ موقف أكثر تشدداً ضد السياسات الاسرائيلية. وأعلنت الإضافات والتصحيحات للأطروحة الأصلية أن «الدوائر الحاكمة في بلدنا تابعة للامبريالية، وخدم وأدوات في أيديها ضد قضية السلام، وضد حركات التحرر الوطني لشعوب الشرق العربى»^(١٠٧). ورغم عنف هذه الصيغة، فإنها كانت أخف

حدة من مقولة صليبيا خميس عضو اللجنة المركزية -والتي عكست خط الشيوعيين المصريين وغيرهم من العرب- بأن حرب ١٩٥٦ جعلت الشعب العربى يدرك أن «اسرائيل (أى الدولة كلها، وليس حكامها فحسب) قد أصبحت قاعدة للعدوان الامبريالى ضدها» (١٠٨).

وكانت الإضافة الأكثر إثارة للخلاف للأطروحات الأصلية هى تحديد أن «السلام العربى الاسرائيلى يتطلب اعتراف اسرائيل بحق تقرير المصير، بما فى هذا حق الانفصال، للشعب العربى الفلسطينى، بما فى ذلك الجزء الذى يعيش منه فى فلسطين» (١٠٩). بعبارة أخرى، فإن العرب الفلسطينيين ليسوا مخولين فى إقامة دولة مستقلة فحسب، بل إن العرب الذين يعيشون فى اسرائيل (والمفترض انهم من يعيشون فى مناطق ملاصقة اقليميا للجليل والمثلث) لهم الحق فى الانفصال عن اسرائيل والانضمام للدولة الفلسطينية فور قيامها. وهذه الصياغة غير المباشرة، التى تشير إلى أن اسرائيل قد تعود إلى حدود تشبه تلك التى وردت فى مشروع التقسيم، نبعت من الصراع داخل الحزب السابق الإشارة اليه، الذى أصر فيه بعض القادة العرب (ربما فؤاد خورى، اميل توما، صليبيا خميس، ومن المحتمل حبيبى ايضا) على تحديد أن حلا سلميا للنزاع يمكن أن يتحقق فقط إذا تم الالتزام بحدود الأمم المتحدة للتقسيم. ولم يسمح لاميل توما أبدا، بسبب معارضته لمشروع التقسيم فى ١٩٤٧، بالانضمام للجنة المركزية لماكى، على الرغم من أنه كان من أكثر كوادر الحزب موهبة. ومن ثم حضر توما المؤتمر كعضو فى منطقة حيفا، وأعلن فى خطبة من القاعة وليس من المنصة، أنه يعتبر حتى الأطروحات الجديدة معتدلة باكثر من اللازم. واشتكى من ماكى «لعدم اتساقه الكافى مع معارضته أعمال الغزو التى يقوم بها حكام اسرائيل. وهذا الخطأ يجعل من الصعب على حزبنا أن يناضل ضد الدعاية الرجعية القائلة بأن هذه الغزوات قانونية وعادلة» (١١٠). ثم طالب الحزب بأن يذكر الرأى العام الاسرائيلى بأن الدول العربية مستعدة للاعتراف باسرائيل إذا قبلت حدود التقسيم، وهو تطور إيجابى يدعم حل النزاع العربى الاسرائيلى.

ولم يكن بعض أعضاء الحزب من اليهود راضين عن الأطروحات الجديدة أيضا. فقد عبر مونيّا جيسس من لجنة منطقة حيفا، عن خوفه من أن عبارة «بما فى ذلك الانفصال» قد «تشجع التيارات الانعزالية بين عرب اسرائيل» (١١١). وهكذا فإن التعارض بين ملاحظات توما وجيسس فى السجل الرسمى لماكى يكشف بصورة حذرة عن الفجوة بين المقولات «القومية اليهودية» والمقولات «القومية العربية» فى الحزب فى أعقاب حرب ١٩٥٦.

ونتيجة للصياغة النضالية لماكى لحق عرب فلسطين فى تقرير المصير، عانى أعضاء الحزب من اليهود من ضغوط كثيفة من مجتمعهم. وكانت الصحافة العبرية تدين ماكى بقوة مرارا وتكرارا على مطالبته بانفصال مواطنى اسرائيل العرب، رغم أن الحزب حدد هذا بدقة على أنه حق وليس التزاما. ولاحظ تقرير عال همشمار عن المؤتمر بصورة انتقادية أن قادة الحزب وأعضاءه من العرب لم ينشدوا النشيد الوطنى الاسرائيلى، «هتكفاه»، خلال الاحتفال الافتتاحى، وأن المتحدثين أشاروا إلى «خليج

العقبة» وليس إلى «خليج ايلات». وبالمثل أوردت، لمحاب، (إلى المنطقة) التابعة لحدوت هعافودا أن ميكونس أشار فى تقديم التقرير السياسى للجنة المركزية إلى «حرب ١٩٤٨» وليس إلى «حرب التحرير»^(١١٢). فى مناخ ما بعد الحرب، كان من المستحيل توضيح عبث أن يغنى العرب نشيدا وطنيا يبدأ بقوله «طالما القلب ينبض فإنه يتوق للروح اليهودية». ولم يكن الحقيقة أن حرب ١٩٤٨-٤٩ كانت كارثة وطنية بالنسبة للمواطنين الفلسطينيين العرب فى اسرائيل، أى اعتبار فى الخطاب العام.

وانعكست عزلة ماكى عن رأى العام اليهودى، إلى جانب تدعيم التحالف بين الدول العربية القومية الراديكالية والاتحاد السوفيتى إلى اهتمام متزايد بمسألة حقوق العرب الفلسطينيين فى اسرائيل. وفى سبتمبر (ايلول) ١٩٥٧، عقد الحزب بعد مداولات فى هيئاته القيادية، مؤتمرا وطنيا لمناقشة تكثيف نضاله ضد القهر القومى للسكان العرب فى اسرائيل^(١١٣). وبعد هذا المؤتمر بفترة قصيرة، بدأ الحزب فى تشكيل لجان كفر قاسم للاحتفال بالذكرى المذهبة. وقمت الدعوة لإضراب عربى عام فى ٢٩ أكتوبر (تشرين أول) ١٩٥٧، وعقدت اجتماعات تذكارية كثيرة. وأصدرت الاتحاد عددا خاصا فى ٢٨ تشرين أول كرس كله تقريبا لكفر قاسم والمظاهر الأخرى لقمع اسرائيل القومى لمواطنيها العرب. وعندما حاولت الحكومة العسكرية منع إحياء الذكرى فى القرى العربية، ازدادت المشاعر العربية اشتعالا.

وفى ٢٦ أكتوبر (تشرين أول) ١٩٥٧، كان توفيق طوبى وأعضاء عرب آخرون كثيرون فى ماكى يقتربون من كفر قاسم حيث كانوا سيشترون فى اجتماع تذكارى، فى سيارة أجرة. ورغم أن الركاب كانت لديهم تصاريح سفر سليمة، فإن الشرطة المدنية والعسكرية منعت العرب من دخول القرية. وكان لطوبى حصانة برلمانية باعتباره عضوا فى الكنيست، ولم يكن للشرطة الحق فى وقفه دون استصدار قرار بأن وجوده يشكل «خطرا على الأمن». وبينما كانت الشرطة تفحص تصاريح الركاب الآخرين، حاول طوبى أن يعدو متخطيا الحاجز ويدخل القرية. وسقط على الأرض فى شجار مع الشرطة فى نفس اللحظة التى كانت فيها شاحنة مليئة بالعمال تقترب من الحاجز، ومنعت هى أيضا من الدخول. واشتعل العمال غضبا ونزلوا من الشاحنة ليواجهوا الشرطة. وحاول طوبى أن يهدئهم، وورد أنه قال لهم، «لا ترتعبوا. إننا سندمر هذه الدولة فى لحظات». وتلقت هارتس هذا التعليق الذى قيل فى لحظة غضب باعتباره «دليلا» على أن قادة ماكى العرب معادون لوجود دولة اسرائيل. وفى الوقت نفسه، لم تعرب هارتس عن أى قلق حيال انتهاك الحصانة البرلمانية لطوبى، وذلك مثال للفجوة المتنامية بين ما يعتبره اليهود عاديا ومعقولا من جانب وما يراه العرب كذلك من جانب آخر^(١١٤).

وحاولت قوات الأمن العام شابال استغلال عزلة ماكى المتزايدة فى المجتمع اليهودى والانزعاج الذى يشيره هذا لدى بعض أعضاء الحزب اليهود لإساءة العلاقات بين أعضاء الحزب العرب واليهود.

ففى ٦ فبراير (شباط) ١٩٥٨، التقت الشابات مع رؤساء تحرير كل الصحف فيما عدا كول هاعام والاتحاد وأبلغتهم بأنه فى شهر كانون ثانى اجتمع القادة العرب لماكى فى بيت اميل حبيبى فى الناصرة لمناقشة ما إذا كان ينبغى للعرب فى ماكى أن ينفصلوا ويشكلوا حزبا مستقلا. ونشرت الصحف القصة فى اليوم التالى، وأدانت بصورة شاملة ماكى على خيانتة، وذلك فيما عدا هعلام هزبه لأورى افنيرى. وركبت جيروزاليم بوسى الشطوط وكان تعليقها غير الواعى بالذات نموذجيا: «إن السيد حبيبى بدعوته عرب اسرائيل لمحاربة الاستعمار والامبريالية، يدعو فى الواقع لتمرد حسب النموذج الجزائرى»^(١١٥). وتضمن مقال همشمار وافتتاحيتها غير الموقعة أعنف هجوم على ماكى، فى حين قدم مراسل الشؤون العربية بها، آمنون كابيلوك، أكثر التقارير تفضيلا عن الخلافات السياسية بين أعضاء الحزب العرب واليهود. حسبما قال كابيلوك، فإن اميل حبيبى وصليبا خميس يقودان زمرة قومية عربية متطرفة فى ماكى^(١١٦). وجمع تحليله بين المعلومات الصحيحة عن التوترات داخل ماكى وبين الشائعات عن الخلفية الدينية لقادة الحزب العرب، والصراعات الشخصية، والزوجتين اليهوديتين لخميس وتوما، وتفسيرات مهنية عن معارضة توما لتشكيل حزب عربى منفصل بسبب افتقاره للجرأة. وكان كابيلوك باتهامه لقادة ماكى اليهود بأنهم مسؤولون عن هذا بسبب مطالبة الحزب بحق «تقرير المصير بما فى ذلك حق الانفصال»، يعنى ضمنا أن اليهود فى الحزب مسؤولون عن فرض الانضباط على رفاقهم العرب (كما جرت العادة فى المابام).

ولم تقدم لا الشابات ولا أى صحيفة أدلة ثابتة على أن الاجتماع المزعوم قد تم. وذكر بعض التقارير أن الاجتماع قد تم تسجيله سرا، لكن لم يظهر مثل هذا التسجيل أبدا. وكرر أعضاء الحزب السابقون من اليهود هذه القصة فى مذكراتهم وفى حكاياتهم الشفوية، لكن هذه الروايات ليست أكثر قوة من الحكايات التى نشرت فى الصحف^(١١٧). ومع ذلك، فإن الباحثين الاسرائيليين قبلوا رواية اليهود الذين أصبحوا بعد ذلك خصوما سياسيين للعرب الذين شملتهم هذه الواقعة، دون أى تساؤل^(١١٨).

وشجبت اللجنة المركزية لماكى المسألة بأسرها باعتبارها استفزازا من قبل الشرطة، ودافعت كول هاعام من جانبها عن أطروحات مؤتمر الحزب الثالث عشر^(١١٩). وحسبما يقول اميل حبيبى، فإن الواقعة نجمت عن اجتماع غير رسمى لأعضاء الحزب العرب فى منزله نوقشت فيه موضوعات سياسية، منها حقيقة أن الشباب الفلسطينيين فى القاهرة كان يفكر فى إنشاء حركة مسلحة. وحدث نوع من الإفراط فى الشرب، وفى لحظة التقط حبيبى وحنا نقاره التليفون الذى كان يفترضان انه يتم التسجيل منه وصبا اللعنات على الدولة اليهودية فى سماعة التليفون^(١٢٠). وتعكس رواية حبيبى للواقعة بصورة سيئة حالة الانضباط والحالة المعنوية المتدهورة لقادة الحزب العرب. ولهذا السبب فإنها قد تكون صحيحة جزئيا على الأقل.

كما تكشف عن الإحباط والغضب الجامح الذى يشعر به الفلسطينيون الواعون سياسيا فى

اسرائيل: ففي الوقت الذي بدا فيه باقى العالم العربى، بما فى ذلك الفلسطينيون خارج اسرائيل، آخذاً فى التوحد والسير نحو التحرر، كانوا هم معزولين، ومترولين فى المؤخرة فى دولة يهودية يعتبر فيها أى تعبير عن المشاعر الوطنية الفلسطينية أمراً غير مشروع. وقد عبر حبيبى فيما بعد عن هذا السخط فى رواية تراجيدية كوميدية رائعة، الحياة السرية لسعيد، المتشائل: الفلسطينى الذى أصبح مواطناً فى اسرائيل، والتي يعتبرها كثيرون من أرقى الأعمال الروائية العربية فى فترة ما بعد ١٩٦٧.

وقد توجت موجة القومية العربية الناصرية التى اكتسحت العالم العربى بعد حرب السويس/سينا، بتكوين الجمهورية العربية المتحدة فى فبراير ١٩٥٨. ويرى كثيرون من المراقبين المعاصرين، أن الوحدة القومية العربية بدت مكرسة لاستئصال بقايا النفوذ الامبريالى فى الشرق الأوسط. وقد شجعت القوة البادية للقومية العربية، فادة ماكى العرب على أن يتحدثوا علانية بصورة نضالية أكثر مما فعلوا فى أى وقت مضى. كما صحح الشيوعيون اليهود أيضاً، وإن استخدموا أسلوباً خطابياً مختلفاً، تقييماً للوضع الإقليمى والمحلى فى ضوء هذه النهضة القومية^(١٢١). وفى حين يصعب اعتبار أن النتيجة كانت مجرد عودة صحافية للتمرد، كما ادعى جريلسامر، فإنها تبين الطريقة التى أدرك بها المجتمع اليهودى، بما فى ذلك المابام، النزعة النضالية الجديدة لماكى والتعاطف مع الجمهورية العربية المتحدة^(١٢٢).

وحينذاك بدت المشاعر القومية العربية المعادية للامبريالية التى أدت لقيام الجمهورية العربية المتحدة، قوة سياسية صاعدة فى الشرق الأوسط، ولم يعد أعضاء ماكى العرب يشعرون أنهم معزولون ومروغون. وهكذا، فبعد أن مرت عاصفة اجتماع قادة الحزب العرب المزعوم، هاجم حبيبى وهو يتحدث فى قرية عربية «من يضطهدون الشعب العربى، ويسرقون أرضه، ويحتلون بلاده، وينكرون حقه فى تقرير المصير». كما اغتنم الفرصة ليشيد بقيام الجمهورية العربية المتحدة^(١٢٣). وهاجمت افتتاحية عال همشمار، وهى تعكس الرعب الذى أثاره عبد الناصر فى المجتمع اليهودى، هذه الخطبة باعتبارها دليلاً على انبعاث عمليات تحريض ضد اليهود، مثيلة لما كان يقوم به المفتى (إشارة للحاج أمين الحسينى) ضد اليهود، وربطت إدانتها لحبيبى بإدانتها لعبد الناصر^(١٢٤).

وكان فؤاد خورى أكثر جرأة حتى من حبيبى. فعندما حاولت الحكومة جعل مجلس مدينة الناصرة يرعى احتفالاً بالعيد العاشر لقيام اسرائيل، حذر أعضاء المجلس بالألا يرتكبوا «خيانة». وبعد أن ذكر الطرق المختلفة التى يتم بها اضطهاد مواطنى اسرائيل العرب، ختم كلامه قائلاً:

إن للشعب العربى فى اسرائيل الحق فى المساواة الكاملة مع المواطنين اليهود لأنه يعيش فى بلاده الخاصة به. إن للشعب العربى الحق فى تقرير المصير والحق فى الوحدة مع باقى الشعوب العربية. إن الشعب العربى فى اسرائيل يحترم حق الشعب

الاسرائيلى فى الاستقلال ومن ثم فهو لن يتنازل أبدا عن حقه الخاص فى تقرير المصير. إن للشعب العربى الحق (فى المطالبة) بان يحترم حكام بلاده حقوقه القومية ووجوده القومى وكرامته الوطنية^(١٢٥).

وقد تجاوز اقتراح خورى بأن لمواطنى اسرائيل العرب الحق فى الانضمام للجمهورية العربية المتحدة صياغة المؤتمر الثالث عشر لماكى. ولا يمكن تخيل احتمال أكثر إثارة للرعب من هذا بالنسبة لغالبية اليهود الاسرائيليين.

وانفجرت التوترات المتنامية بين ماكى والدولة فى مواجهة عنيفة خلال احتفالات عيد العمال، أول سبتمبر (ايار)، فى ١٩٥٨ فى الناصرة^(١٢٦). فعندما رفض المابام والماباى عرض لجنة عيد العمال التى أقامها ماكى بتنظيم مظاهرة مشتركة، قرر تنظيم مظاهرة خاصة به^(١٢٧). وبعد أن وافق الحاكم العسكرى مبدئيا على الخطة، عاد ليرفض طلب ماكى بتنظيم مسيرة فى الصباح، وهو الوقت التقليدى لهذا الاحتفال. وعندئذ قرر قادة الحزب المحليون التظاهر بدون تصريح^(١٢٨). وفى الأيام السابقة للمظاهرة، تم وضع عشرات من العرب تحت الحجز التحفظى من قبل الحكومة العسكرية. وتم القبض على اميل حبيبى وصليبا خميس فى مكتب ماكى فى الناصرة فى ٣٠ ابريل (نيسان). وفى يوم عيد أول مايو نفسه، منع الجيش والشرطة مئات من الأشخاص من القرى المجاورة من دخول الناصرة وهاجما مظاهرة ماكى. وتم اعتقال توفيق طوبى وهو يتحدث فى حشد وجرى نقله إلى حيفا، رغم أنه كان لديه تصريح بدخول الناصرة، وتم حمل ميكونس على أكتاف المتظاهرين، حيث استمر فى الحديث. وقبضت الشرطة على ١٢٩ عربيا فى الناصرة فى ذلك اليوم، وأرسل ١٦ إلى منفى داخلى فى صفد. وإجمالا، تم القبض على ٣٠٠ عربى قبل عيد أول ايار وبعده.

وعزز العنف فى الناصرة النقد الحاد للحكم العسكرى بين كثير من القوى السياسية اليهودية خارج الحزب الشيوعى^(١٢٩). وردا على صدام عيد العمال واعتقالاته، شكل ماكى لجنة عامة لتحرير سجناء الحكم العسكرى، خطيت بتأييد شخصيات وطنية عربية بارزة من غير الشيوعيين مثل عمدة كفر ياسيف، ينى ينى (تم القبض على ثلاثة من أعضاء المجلس المحلى لكفر ياسيف فى مظاهرة الناصرة)، وعمدة شفا عمرو، جبور جبور، والمحامى الياس كوسا. وبحلول نهاية شهر ايار توسعت اللجنة وتحولت إلى اللجنة العامة للعمل على إلغاء الحكم العسكرى وتحرير سجناء الحكم العسكرى^(١٣٠).

وكانت هذه اللجنة هى السلف التنظيمى «للجبهة العربية»، التى أعيدت تسميتها بعد ذلك إلى «الجبهة الشعبية» التى قامت فى ٦ يوليو (تموز) ١٩٥٨. وحتى مطلع ١٩٥٩، عملت الجبهة الشعبية باعتبارها تحالفا بين أعضاء ماكى العرب والقوميين العرب غير الشيوعيين. وكان برنامجها يدعو إلى (١) إعادة العرب «الغائبين - الحاضرين لقراهم، (٢) وقف سرقة الأراضى وإعادة الأراضى المصادرة، (٣) إلغاء الحكم العسكرى وكافة أشكال القهر القومى، (٤) ضمان المساواة وإلغاء التمييز، (٥) فرض اللغة العربية كلغة رسمية فى كافة المكاتب الحكومية، (٦) وإعادة

اللاجئين^(١٣١). وعلى الرغم من استمرار ملاحقة الحكومة، أقامت الجبهة الشعبية لجانا محلية فى كثير من المدن والقرى، وأصبح ماكي والجبهة معا القوتين السياسيتين القياديتين فى المجتمع العربى^(١٣٢). بيد أن الخلافات الداخلية التى نشبت نتيجة لتحطم التحالف الناصرى الشيوعى -وليس قمع الحكومة الاسرائيلية- دمرت الجبهة الشعبية فى النهاية وأضعفت بصورة شديدة وضع ماكى فى المجتمع العربى لعدة سنوات.



الفصل السابع

انتصار القومية

١٩٥٩ - ١٩٦٥

أعاد ظهور القومية العربية الناصرية باعتبارها القوة الرئيسية المعادية للامبريالية في الشرق الأوسط، رسم الخريطة السياسية والاستراتيجية للمنطقة، مثلما فعل إنشاء دولة إسرائيل قبل ذلك بعقد تقريبا. واستأثرت هالة الزعامة الشخصية لعبد الناصر وجرأته السياسية بحماس الجماهير العربية، وربما كان ذلك أكثر انطباقا في لبنان وسوريا والأردن منه في مصر نفسها. فتحويل مصر للهزيمة العسكرية إلى نصر سياسى فى ١٩٥٦، وإقامة الجمهورية العربية المتحدة فى ١٩٥٨، والانقلاب العسكرى الذى أطاح بالملكية الهاشمية الموالية للغرب وسيئة السمعة فى العراق فى ١٤ تموز ١٩٥٨، أقنع حتى الخصوم الأشد عزمًا بأن الوحدة القومية العربية هى موجة المستقبل. ولم تحوّل التناقضات الداخلية لحركة القومية العربية والأفكار الخاطئة التى روجتها عن النزاع العربى الاسرائيلى، لمجاراتها الأولى إلى هزيمة ضخمة إلا فى ١٩٦٧.

وعلى الرغم من أن الشيوعيين الاسرائيليين والمصريين سرعان ما تخلوا عن أوهامهم الأولى عن إمكانات إسرائيل المعادية للامبريالية، فقد ظلوا قادرين، طالما بقيت الدول العربية محتفظة بوضعها باعتبارها اوتوقراطيات متأخرة مرتبطة بالغرب، على الاحتفاظ بالموقف الذى تبنيه فى ١٩٤٧-٤٨ تجاه النزاع العربى الاسرائيلى. بيد أنه ابتداء من ١٩٥٦، حدد وجود عبد الناصر جدول الأعمال السياسى للعالم العربى وجدول أعمال إسرائيل أيضا إلى حد كبير. واضطر الماركسيون إلى إعادة تعديل موقفهم والاعتراف بمكانته الإقليمية، حتى وإن كانوا ينتقدونه.

□ تحطم التحالف الناصرى الشيوعى

فى مصر، أدت الخلافات الداخلية فى الحزب الشيوعى المصرى حول علاقة الحزب بالنظام الناصرى إلى تدمير وحدته^(١). ونظرا لأن الخلافات السياسية الدائمة لم تكن قد حلت قبل اندماج التنظيمات الثلاثة، فلم يمض وقت طويل حتى ثارت الخلافات بين أعضاء حدتو السابقين ورفاقهم فى الحزب المتحد وأشعلت عدم الثقة التاريخى فى «الكورييليين». وكما هو الحال عادة، ثارت المصادمات الأولى حول المسائل التنظيمية: انسحاب كمال عبد الحليم من اللجنة الدائمة بعد تكوين الحزب بفترة قصيرة (حل محله محمود أمين العالم) وتقليل عدد محترفى الحزب الذين يتلقون راتبا (وكانوا من

أعضاء حدثوا أساساً). وكان جوهر النزاع يكمن في المدى الذي ينبغي به تأييد النظام الناصري: فقد طالب أعضاء حدثوا السابقون بالتأييد الكامل وغير المشروط، وتحفظت العناصر الأخرى المكونة للحزب محتفظة بحق نقد نظامه الداخلي والإعراب عن تضامنها مع الأحزاب الشيوعية العربية، على الرغم من أنها كانت تؤيد عبد الناصر وإقامة الجمهورية العربية المتحدة. فقد ثار القلق في صفوف الحزب بشأن حل الحزب الشيوعي السوري واستمرار الافتقار للديمقراطية في الجمهورية العربية المتحدة، وخاصة قرار الحكومة بأن أعضاء الاتحاد القومي فقط يستطيعون التقدم لشغل المناصب عن طريق الانتخابات النيابية وهو قرار أدى عملياً لاستبعاد الشيوعيين من الساحة التي كان لهم بها اهتمام خاص.

وفي أعقاب الانقلاب العسكري العراقي في يوليو (تموز) ١٩٥٨، بدأ الأعضاء السابقون في الراية وحزب العمال والفلاحين الشيوعي يتطلعون لذلك البلد، حيث كان الحزب الشيوعي العراقي قد أصبح آنذاك عنصراً أساسياً في التحالف المعادي للملكية الذي يقوده عبد الكريم قاسم، باعتباره نموذجاً أكثر صواباً للجهة الوطنية المعادية للامبريالية مما هو قائم في الجمهورية العربية المتحدة، حيث يسمح للشيوعيين بحرية عمل محدودة فقط على مضض من عبد الناصر. وظهر بعض أعضاء الحزب الشيوعي المصري في المظاهرات التي قامت للإشادة بالإطاحة بالملك العراقية وفي اجتماعات جماهيرية أخرى كان بين شعاراتها «زى قاسم يا جمال» و«جبهة، جبهة، زى العراق» - وهي دعوة لعبد الناصر ليتعاون مع الشيوعيين بصورة أكثر اكتمالاً. بيد أن أعضاء حدثوا السابقين، اعتبروا أن هذه الشعارات هي هجوم استفزازي على الوحدة الوطنية واستمروا ينادون بتأييد عبد الناصر والجمهورية العربية المتحدة بلا تحفظ.

وكان الحزب الشيوعي العراقي يعارض انضمام العراق للجمهورية العربية المتحدة لأن الحزب سيصبح عندئذ غير شرعي، مثلما حدث للحزب الشيوعي السوري. واتفق قاسم في ذلك مع الشيوعيين لأسبابه الخاصة به، وأصبحت هذه نقطة احتكاك بين قاسم وعبد الناصر، الذي خشى من أن يهدد النظام العراقي الجديد قيادته لحركة القومية العربية، خاصة وأن التحالف الشيوعي القومي في العراق كان يحظى بإعجاب أكبر من قبل الاتحاد السوفيتي. وبعد أيام من الانقلاب العراقي، تم فصل كل الحداثيين السابقين الأربعة من المكتب السياسي للحزب الشيوعي المصري - كما عبد الحليم وشهدى عطية الشافعي وأحمد الرفاعي وفؤاد حبشى، وهم قادة الاتجاه الأكثر موالاة لعبد الناصر في الحزب. واعترف أعضاء من كلا الفريقين في الحزب فيما بعد بأن قيادة الحزب الشيوعي العراقي قد شجعت هذا الفصل لضمان أن يؤيد الشيوعيون المصريون من أعماق قلوبهم معارضة العراق للانضمام للجمهورية العربية المتحدة^(٢). واحتشد معظم الحداثيين (وبعض شركائهم في الحزب الشيوعي الموحد السابقين)، والذين كان عددهم يبلغ نحو ثلث الحزب الشيوعي المصري، حول قادتهم المفصولين، وشكلوا نحو نهاية ١٩٥٨ الحزب الشيوعي المصري - حدثوا، وكان ذلك في الأساس إعادة تشكيل لحدثوا التاريخية.

واستمر الحزب الشيوعى المصرى يؤيد قاسم والصراع بينه وبين عبد الناصر يحتدم. ومع ذلك، كان الحزب لا يزال راغبا فى التعاون مع الاتحاد القومى، الذى لم يعتبره جبهة وطنية بل حزب البورجوازية الوطنية، إذا امكن التوصل لاتفاق على برنامج. وفوض المكتب السياسى للحزب الشيوعى المصرى محمود أمين العالم لاقتراح هذا التحالف على الأمين العام للاتحاد القومى، أنور السادات، عندما اجتمعا فى سبتمبر (أيلول) ١٩٥٨. بيد أن الحزب رفض أن ينظر فى اقتراح السادات بأن يحل الحزب نفسه ويوجه أعضائه للانضمام للاتحاد القومى كأفراد^(٣). وفى نقد شامل «للاتجاهية اليسارية» للحزب الشيوعى المصرى فى هذه المناسبة رفض أعضاء حديثو الأربعة المفصولون، تشخيص المكتب السياسى للاتحاد القومى، وبدلا من ذلك وصفوا الاتحاد القومى باعتباره تحالفا عريضا للقوى التى تضم قياداتها بعض الشيوعيين و«المفتوحة للعمال والفلاحين ... باعتبارهم مواطنين»^(٤).

ومن الواضح أن عبد الناصر لم يدرك دلالة الانقسام فى الحزب الشيوعى المصرى، وقرر استنادا لرفض المكتب السياسى للحزب الترخيص لأعضاء الحزب بالانضمام للاتحاد القومى بلا شروط، وكذلك استنادا على النقد الذى نشره الحزب الشيوعى السورى لنظام عبد الناصر، أنه ليس أمامه خيار سوى تصفية كل الشيوعيين المصريين. وبعد عدة اعتقالات فى الخريف، تحطم التحالف الناصرى الشيوعى فى ٣١ ديسمبر (كانون أول) ١٩٥٨، عندما تم القبض على مئات الشيوعيين فى منتصف الليل. وفى ١٣ مارس (آذار) ١٩٥٩، تم إبعاد خالد محبى الدين واثنى عشر محررا آخرين من مناصبهم فى المساء لأنهم رفضوا تأييد التمرد ضد عبد الكريم قاسم الذى قاده ضباط ناصريون. وبنهاية السنة، كان قد تم سجن ما يتراوح بين الفين إلى ثلاثة آلاف من خصوم النظام من الجناح اليسارى، منهم ما يتراوح بين الف والفين من أعضاء كل من الحزب الشيوعى المصرى، والحزب الشيوعى المصرى - حديثو.

ومن ١٩٥٩ إلى ١٩٦٤، كانت الساحة الأساسية للعمل السياسى الشيوعى فى مصر داخل جدران السجون والمعتقلات، حيث كان كل شيوعى معروف تقريبا وكثيرين من الخصوم اليساريين الآخرين محبوسين. تعرض المساجين للإذلال والتعذيب والضغط للتخلي عن عقيدتهم السياسية. وفى حين ارتدت قلة، فإن الاغلبية قاومت وصانت نفسها من خلال الأنشطة السياسية والثقافية والاجتماعية: المجلات الشفوية، العروض المسرحية، ومزرعة لزراعة الخضر وتحسين نوعية الطعام. وكان يتم تهريب الصحف وأجهزة الراديو، وكانت المناقشات السياسية تجرى حول القضايا المحلية والدولية. ناضل المسجونون باستمرار للدفاع عن صحتهم وكرامتهم الإنسانية من خلال الإضرابات عن الطعام وأنواع الاحتجاج الأخرى. ومات كثيرون من الضرب على أيدي حراس السجون، وحجب الرعاية الطبية والأنواع الأخرى من سوء المعاملة. وأشهر من اغتيلوا فى المعتقل كان شهدى عطية الشافعى، الذى ضرب حتى الموت فى معتقل سجن أبو زعبل فى ١٥ يونيو ح (حزيران) ١٩٦٠^(٥). وأدت الفضيحة الدولية التى ثارت نتيجة هذا إلى وقف أسوأ أنواع التعذيب، وأتاح هذا التخفيف من سوء المعاملة لبعض الشيوعيين النظر فى المصالحة مع النظام، مما أدى فى النهاية إلى

حلّ الحزبين في ١٩٦٥.

وفي اسرائيل، كانت الجبهة الشعبية هي التعبير المحلي عن التحالف الناصري القومي العربي - الشيوعي. ومن ثم، فقد رأت الحكومة فيها تهديدا خطيرا. وعندما بدأ ذلك التحالف ينحل في مصر، تم الإحساس بانعكاساته في اسرائيل أيضا. ففي مطلع ١٩٥٩، انقسمت الجبهة الشعبية بين العناصر القومية العربية الموالية لعبد الناصر وأولئك الذين بقوا على ولائهم لماكي. ومضى القوميون العرب ليقيموا حركة الأرض^(٦)، في حين واصل أعضاء الجبهة الذين كانوا لا يزالون راغبين في التعاون مع ماكي، نشاطهم وإن كان على نطاق أقل بكثير.

وأنهى تحطم التحالف الناصري الشيوعي الحقبة العربية لماكي. كان الحزب لا يزال يعتبر حركة القومية العربية القوة الرئيسية المعادية للامبريالية في الشرق الأوسط، لكن النقد لهذه الحركة أصبح بعد ١٩٥٩ مقبولا بصورة متزايدة. ومع ذلك، فقد حال استمرار تحالف اسرائيل مع فرنسا والمانيا الغربية، والتهديد الذي شكله هذا على النظم القومية العربية الراديكالية، واستمرار قهر المواطنين الفلسطينيين العرب في اسرائيل ومصادرة ممتلكاتهم، والطريقة التي عرضت بها هذه القضايا في الخطاب الصهيوني القائم على الهيمنة، والاحتفال بالقوة العسكرية الإسرائيلية بعد ١٩٥٦، كله حال دون رجوع ماكي ببساطة إلى الاشكالية اليهودية التي وجهت نشاطه من ١٩٤٨ إلى ١٩٥٥، بسبب فقد التأييد مؤقتا في المجتمعات العربية، فإن المكون العربي للحزب كان آخذا في التزايد بصورة كبيرة من حيث العدد، وبالإضافة إلى توسيع نفوذه في المجتمعات الإسلامية في المثلث، فقد أخذ ماكي يصبح المنبر المعترف به للقوى للمواطنين العرب في اسرائيل، في حين ركز وضعه في المجتمع اليهودي أو تدهور. وأدت هذه التوترات الهيكلية في النهاية إلى الانقسام في ماكي وفق خطوط قومية في الأساس في ١٩٦٥.

ورد المابام على صعود القومية العربية الناصرية وأزمة العلاقات الناصرية الشيوعية بتكثيف محاولاته للتنظيم في المجتمع العربي. لكن هذه الجهود تراكبت مع رفض الحزب للماركسية اللينينية كأساس أيديولوجي له في مؤتمره الثالث في ١٩٥٨ واستمرار مشاركته في التحالف الحاكم الذي يسيطر عليه بن جوريون، ونتيجة لذلك فإن ظهور المابام في هذا الفصل هو ملحق لتاريخ القوى السياسية الماركسية وليس جزءا لا يتجزأ منه. وظل المابام يستخدم الرطانة الماركسية حتى بعد ١٩٥٨، لكن منذ ١٩٥٦ فصاعدا اختلفت ممارسة الحزب بدرجة أكثر حدة عن مواقفه الاسمية وانفتحت فجوة واسعة ودائمة بين الأعضاء العرب واليهود. وبقي ريفتي وييري في الحزب حتى ١٩٦٩، عندما قادا مجموعة صغيرة جدا للخروج على المابام احتجاجا على تشكيل تحالف المابام - حزب العمل. وفيما عدا دائرتيهم، فإن الماركسية كانت قد أصبحت في أواخر الخمسينيات مصدر ازعاج أو موضوعا ينتمى للماضي الذي يحزن المرء إليه، وذلك بالنسبة لمعظم أعضاء الحزب.

□ حلّ الحزبين الشيوعيين المصريين

إذا كانت الأدلة الوثائقية عن تاريخ الشيوعية المصرية قبل ١٩٥٩ ضئيلة ومبعثرة، فإنها غير موجودة تقريبا بعد الاعتقالات الجماعية للمناضلين الشيوعيين النشطاء. وكان هذا هو التحديد

سد الحكومة: محو كل آثار الماركسية من الخريطة السياسية لمصر. وتتمثل المصادر الأساسية للمعلومات عن فترة الاعتقال فى عدة مجلدات عن ذكريات السجون نشرت خلال إرخاء الرقابة السياسية التى صحبت حملة انور السادات لإلغاء الناصرية فى أعقاب حرب أكتوبر (تشرين أول) ١٩٧٣^(٧). وتتسم هذه المذكرات بالتزام سياسى مستمر وبذكريات غير كاملة لمؤلفيها الشيوعيين السابقين. وعلى الرغم من تجربتهم الميره فى السجن فقد دافع هؤلاء الكتاب جميعا عن الاتجاه الرئيسى للنظام الناصرى، فى مواجهة تحول السادات للمشروع الخاص، والاتجاه الدولى الموالى لأمريكا، ودافعوا عن الحركة الشيوعية من حيث موقفها الوطنى.

وعلى الرغم من أن ذكريات السجون مليئة بالتفاصيل عن المشاق وروتين الحياة اليومية فى السجن والقضايا السياسية والثقافية التى كانت تشغل المسجونين، فإنها سكتت بصورة واضحة عن النزاع العربى الاسرائيلى. ومن الواضح أن هذه القضية كانت قد كفت عن إثارة أى خلاف كبير سواء بين الشيوعيين أنفسهم أو بين الشيوعيين والحكومة، كما التزمت المذكرات بصمت مطبق على نحو ملحوظ إزاء المسجونين الشيوعيين اليهود. فبحلول ١٩٥٩، كان عدد قليل من الشيوعيين قد بقى فى مصر، وكانت حفنة من هؤلاء فحسب من الشيوعيين: يوسف درويش، احمد صادق سعد، رمون دويك (كلهم من الحزب الشيوعى المصرى)، البير ارييه، شحاته هارون (من الحزب الشيوعى المصرى - حدثوا)، وبضعة أفراد آخرين أقل شهرة. وبالطبع اعتقلوا مع رفاقهم فى ١٩٥٩، لكن لم يظهر أى من أسمائهم بين العشرات الذين ذكروا فى المذكرات المنشورة.

ولاشك أنه كان مما يزعم الشيوعيين السابقين فى السبعينيات، وهم يحاولون الدفاع عن المشروع الوطنية لماضيهم السياسى وفى الوقت نفسه يعارضون جهود الحكومة المصرية لإبرام اتفاقية سلام منفصلة مع اسرائيل، أن يذكروا قراءهم بموقفهم التاريخى بشأن النزاع العربى الاسرائيلى ومساهمة اليهود فى الحركة الشيوعية. وبالإضافة لذلك، فإنه بنهاية الخمسينيات، كان من الواضح ان النزاع مع اسرائيل لم يكن قضية سياسية أساسية بالنسبة للشيوعيين فقد كانوا مشغولين أساسا بقيام الجمهورية العربية المتحدة وانهارها، وتأميم بنك مصر وغيره من المشروعات الصناعية والتجارية الكبيرة، وتبنى الاشتراكية العربية كأيديولوجية جديدة للنظام، والصراع ضد الخصوم الداخليين للنظام.

وقدم الحزب الشيوعى المصرى - حدثوا تأبيدا كاملا لعبد الناصر خلال فترة سجن الشيوعيين كلها، على الرغم من التعذيب والاعتقالات وفى البدء شخص الجمهورية العربية المتحدة باعتبارها نظاما قوميا برجوازيا صغيرا، ومع ذلك ففى أواخر ١٩٥٩ ونتيجة لتطبيق التخطيط الاقتصادى وتأميم ملكية الرعاية الأجانب، وكثرة حديث الحكومة عن الاشتراكية، تبنى قادة الحزب وجهة نظر مؤداها أن مجموعة من الاشتراكيين يقودها عبد الناصر استولت على السلطة فى مصر. أما بالنسبة للحزب الشيوعى المصرى، فقد تبنى فى نهاية ١٩٥٨ وجهة نظر فؤاد مرسى بأن النظام الناصرى يمثل مصالح البورجوازية الوطنية وينبغى تأييده على هذا الأساس. ومع ذلك ففى شهر مارس (آيار)

التالى، بدأ الأمين العام للحزب، ابو سيف يوسف - وهو من قادة الحزب القلائل الذين أفلتوا من الاعتقال - إعادة تقييم للنظام. ففى ضوء الاعتقالات والتعذيب الجماعيين للشيوعيين، أصبح الحزب آنذاك يسعى لبناء جبهة وطنية ديمقراطية ضد الحكومة، التى بدت فى ضوء النظر اليها من هذا المنظور الجديد، تخدم مصالح البرجوازية الرأسمالية الاحتكارية^(٨). بيد أنه بحلول أواخر ١٩٦٢ أو بداية ١٩٦٣، تضاعفت الخلافات بين الحزب الشيوعى المصرى والحزب الشيوعى المصرى - حدثوا. وعاد الحزب الشيوعى المصرى لموقفه قبل أيار ١٩٥٩، وبدأ الحزبان يعبران عن موقف أكثر موثابة تجاه النظام، وحزبه الجديد، الاتحاد الاشتراكى العربى وميثاق العمل الوطنى. وبعد عدة تأخيرات، تم إطلاق سراح الشيوعيين الأخيرين من السجن فى أبريل (نيسان) ١٩٦٤، تماما عندما كان عبد الناصر يستعد لاستقبال نيكيتا خروتشوف فى القاهرة.

هل وافق الشيوعيون على حل حزبيهما قبل إطلاق سراحهم من السجن؟ يرد بالإيجاب على ذلك أحد النزلاء السابقين، طاهر عبد الحكيم، ولكن عندما سأله صادق سعد عما اذا كان لديه أى دليل رد بأنه استنتج ذلك فحسب مما حدث بعد هذا^(٩). وادعى سجين سابق، فتحى عبد الفتاح، ان الحزب الشيوعى المصرى - حدثوا حل نفسه عمليا فى السجن فى أواخر ١٩٦٣^(١٠). بيد أن معظم الشيوعيين السابقين يتفقون مع ابو سيف يوسف الذى أكد أنه على الرغم من أن الشيوعيين كانوا يتعرضون للضغط لحل الحزب قبل إطلاق سراحهم من السجن، فقد رفضوا أن يفعلوا ذلك^(١١). ربما ناقش الشيوعيون حل الحزبين فى السجن، ورغم أنهم قرروا رفض القيام بهذا العمل فى ظل الحبس والإكراه، فإن القادة على الأقل أدركوا أنه من المرجح أن يفعلوا ذلك بعد إطلاق سراحهم.

وقد حاج المراقبون الغربيون بأن حل الحزبين الشيوعيين المصريين، كان مناورة تكتيكية أملت بها متطلبات السياسة الخارجية السوفيتية^(١٢). وعلى النقيض من ذلك، يصر ابو سيف يوسف على ان القرار كان مبادرة مصرية تماما^(١٣). وفى ظل عدم وجود أدلة وثائقية، لا يمكن أن تكون هناك إجابة حاسمة على هذا السؤال. وعلى أية حال، فإن تحرك الشيوعيين المصريين صوب التكيف مع النظام الناصرى يسبق فى تاريخه قرار حل الحزبين بسنوات كثيرة، وذلك أمر له دلالة أكبر كثيرا من القرار التنظيمى المحدد. وحتى قبل توحيد الحزب الشيوعى المصرى، وضع فؤاد مرسى فى مقاله فى سبتمبر (أيلول) ١٩٥٧ المعنون «الماركسية: النظرية الحية» والذى نظر فيه لوجود طريق مصرى على الخصوصية تجاه الاشتراكية، التبرير الأيديولوجى لحل الأحزاب الشيوعية (انظر الفصل السادس). وذلك تفسير للأمور بأثر رجعى كما هو واضح، فمن المؤكد أن فؤاد مرسى لم يتصور إنهاء الحزب الشيوعى المصرى قبل أن يتم تشكيله. ومع ذلك، فالحزب الشيوعى المصرى كان منزوع السلاح أيديولوجيا بسبب صيغة فؤاد مرسى عن الشيوعية الوطنية المصرية. ولو لم يتم سجن الشيوعيين ولو لم يقع التعذيب الحكومى الوحشى عليهم، لربما كانت الأحزاب المصرية قد اتخذت طوعا طريق الشيوعيين الجزائريين الذين حلوا حزبهم فى ١٩٦٣. وكانت الاستمرارية الأيديولوجية بين الطريق المصرى الاستثنائى للاشتراكية لفؤاد مرسى وحل الأحزاب واضحة فى تقرير اللجنة المركزية للحزب الشيوعى المصرى الذى صدر فى أغسطس (آب) ١٩٦٤، بعد شهور فقط من إطلاق

سراح الشيوعيين من السجون، والذي تنبأ بحل الحزب الشيوعي المصري.

وذكر هذا التقرير فلسطين والنزاع العربي الاسرائيلي بصورة عابرة فحسب، معربا عن موافقة الحزب على «المساعدة القوية» التي يقدمها النظام المصري للشعب الفلسطيني (ربما في إشارة لتأييد عبد الناصر لإنشاء منظمة التحرير الفلسطينية). وذكر التقرير أيضا أن الأمريكيين قد «أكدوا رسميا أنهم يقدمون لاسرائيل مساندتهم وحمايتهم، حيث أنها قاعدة للعدوان ومركز متقدم لهم»^(١٤). وتشى هذه الاشارات الموجزة بالاستمرارية في الارتباط بمواقف عبد المنعم الغزالي في ١٩٥٨: تشخيص اسرائيل باعتبارها مجرد قاعدة للامبريالية الأمريكية وليس باعتبارها تعبيرا مشروعيا عن حق الشعب اليهودي في تقرير مصيره، وبالإضافة لذلك، لم يتم أى انتقاد لنهج الحكومة المصرية إزاء النزاع العربي الاسرائيلي، رغم أن إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية أعتبر في بعض أجزاء العالم العربي، محاولة من قبل الدول العربية (خاصة مصر) لاحتواء الحركة الوطنية الفلسطينية والسيطرة عليها. (إن الإعلان الذي يكثر الاستشهاد به لأول رئيس لمنظمة التحرير الفلسطينية، احمد الشقيري، بأن الدول العربية «ستلقى اسرائيل في البحر» ربما أضر القضية الفلسطينية بأكثر من أى شئ آخر منذ تعاون الحاج أمين الحسيني مع النازية. وهذا التقرير هو الدليل الوثائقي الوحيد المتاح حول رأى الشيوعيين المصريين في النزاع العربي الاسرائيلي من ١٩٥٩ حتى حل الحزبين الشيوعيين في مارس وايل ١٩٦٥. ولم يذكر قرارا الحل النزاع، ولم يكن عاملا في قرار الحل^(١٥)).

ويبين تقرير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي المصري في (أغسطس) آب ١٩٦٤ ومقال فؤاد مرسى في ١٩٥٧ أنه على الرغم من استمرار الجدل بين الشيوعيين السابقين عن «اليمينية» أو «اليسارية المتطرفة» النسبية للاتجاهات الثلاثة، فإن المسافة الايديولوجية بين مرسى (والذي كان اتجاه الراية الذي يتبعه يوصف في معظم الأحيان بأنه يساري) وغالبية حداثو (التي توصف بصفة عامة بأنها يمينية) لم تكن جد كبيرة. فكلاهما كان منذ أمد طويل يعتبر أن النضال من أجل الاستقلال الوطني هو القضية الأساسية في السياسات المصرية، وتبنيا كلاهما نظرة قومية عربية من نحو ١٩٥٤ فصاعدا. وجاءت عملية إعادة تحديد الاتجاه هذه جزئيا كرد فعل لرفض طبقة المثقفين الوطنيين المصريين للموقف الشيوعي تجاه المسألة الفلسطينية في أواخر الاربعينيات وأوائل الخمسينيات والدور البارز لليهود في الحركة الشيوعية خلال تلك السنوات. وجرّت القومية العربية الشيوعيين بعيدا عن موقفهم الأول بشأن فلسطين وحدّت من دور اليهود في الحركة الشيوعية. بإزاحة القيادة اليهودية، فتحت الأحزاب الطريق لصعود قادة من المثقفين من أبناء البلاد الأصليين مثل فؤاد مرسى وشهدى عطية الشافعي ومحمود أمين العالم وعبد العظيم انيس - منظري الاتجاه الجديد.

٣ الناصرية، المابام، ماكي، والمواطنون الفلسطينيون العرب في إسرائيل

عقد المؤتمر الثالث للمابام في يناير (كانون ثاني) ١٩٥٨ عشية إعلان الجمهورية العربية المتحدة. واستبعد المؤتمر من معجم الحزب مفهوم «إزالة الحدود بين المابام وعالم الثورة» (الشعار

المشترك لسنه - ريفتي - بيرى فى مطلع الخمسينات. فلم يعد المابام يعتبر الاتحاد السوفيتى والأحزاب الشيوعية، مركز الحركة الاشتراكية الدولية، وأعلن أنه لم يعد مقيدا بالماركسية اللينينية الأرثوذكسية:

فى حين أن المابام سيحافظ على استقلالنا الايديولوجى المستند على الإنجاز الصهيونى الرائد والصراع الطبقي مقترنا ببناء بلادنا، وعلى مبدأ بوروخوف باعتباره صياغة ماركسية لحل المسألة الوطنية للشعب اليهودى، فانه سيكرس نفسه لتطويع أساسيات الماركسية واللينينية بطريقة لا تتسم بالجمود العقائدى، كأساس نظرى للاشتراكية الثورية الدولية، بما يتفق مع ظروف شعبنا وبلادنا.

وكان لهذه المصطلحات نكهة ماركسية كافية لاسترضاء أنصار التمسك بالتقاليد فى الحزب «لكن التطويع بطريقة لا تتسم بالجمود العقائدى» «لأساسيات الماركسية اللينينية»، سرعان ما أصبح تبريرا لكل الماركسية فيما عدا جانبها الشكلى، خاصة وأن الحزب قام بتحول تاريخى من المعارضة إلى الحكم بالانضمام للوزارة قبل ذلك بعدة سنوات.

ولم تكن النزعة الانتقائية الايديولوجية (وقد يقول البعض الانتهازية) التى أطلقت عقاليها قرارات المؤتمر الثالث للمابام أشد وضوحا فى أى مكان منها فى المجتمع العربى، حيث وفر الصدام بين الشيوعية والقومية العربية فرصة للحزب لتعزيز قوته. فقد حضر المؤتمر خمسون مندوبا عربيا، يمثلون نحو ألف وخمسمائة من أعضاء الحزب^(١٧). وكان هذا يزيد عن أعضاء ماكى العرب بأربع إلى خمس مرات، على الرغم طبعاً من أنه ليس هناك مجال للمقارنة بين مستوى الالتزام الايديولوجى والانضباط التنظيمى أو الأهمية النسبية للعرب فى الحزبين.

وفى المؤتمر، تحدث المندوبون العرب والأعضاء اليهود فى دائرة الشؤون العربية عن عودة اللاجئين الفلسطينيين، وحق تقرير المصير الفلسطينى، والحكم العسكرى والمظالم المرتبطة بذلك. وكانت مواقفهم بشأن هذه القضايا أكثر راديكالية من مواقف معظم أعضاء الحزب اليهود^(١٨). والواقع أن يعارى وحزان تجنباً هذه المسائل برمتها، مفضلين التركيز على إعادة التوجيه الايديولوجى للحزب. واعترف حزان فى خطاب موجه «إلى رفاقنا العرب» بأن القضايا العربية الاسرائيلية ليست هى الشاغل الأول للمابام. واختلف مع بيانات عضوى الحزب القياديين من العرب، رستم بيسيونى وجميل شحاده، وعارض بصورة مباشرة امكانية عودة «عشرات الألوف»^(١٩).

وبعد المؤتمر، أعيد تنظيم دائرة الشؤون العربية تحت قيادة جديدة (سبعة من اليهود وسبعة من العرب) وبدأت تصدر نشرة إعلامية جديدة^(٢٠). وانضم سمحا فلابان، وهو قائد ثانوى ليسار المابام فى مطلع الخمسينيات ومؤسس مجلته الشهرية الانجليزية «نيو اوت لوك» فى ١٩٥٧، لسكرتارية الدائرة، وأصبح مديرها بعد انتخابات الكنيست فى ١٩٥٩. ونزع العرب واليهود ذوو النظرة الراديكالية إلى أن يصبحوا منقسمين لأجزاء مستقلة فى هذه المؤسسة الحزبية الهامشية.

وأدى قيام الجمهورية العربية المتحدة إلى إثارة جدل في المابام حول القومية العربية الناصرية. وحدد يعارى، وهو يلخص نقاشا دار في اللجنة السياسية للمابام، المبادئ التوجيهية لمداولات الحزب حول المسألة، بوصفه للجمهورية العربية المتحدة بأنها دكتاتورية عسكرية معادية للطبقة العاملة وعدو لإسرائيل. وانتقد صراحة اقتراح فلابان الأخير باقامة اتحاد فيدرالى بين إسرائيل والأردن^(٢١) وكان للأعضاء العرب واليهود اللصيقين بمجلة «نيو أوت لوك» تقييم أولى أكثر ايجابية، مؤكدين الإمكانيات المعادية للامبريالية والتقدمية من الناحية الاجتماعية للجمهورية العربية المتحدة والخطوات الأخرى التى اتخذت صوب تحقيق الوحدة العربية. ورغم أن المابام كان هو القوة التنظيمية الرئيسية وراء مجلة «نيو أوت لوك»، فإنه نظرا لأنها لم تكن صحيفة الحزب من الناحية الرسمية ولأن هيئة تحريرها كانت تضم مستقلين سياسيين ومؤيدى الأحزاب الأخرى، فقد استطاعت المجلة أن تعبر عن آراء ومواقف أكثر راديكالية تجاه الشؤون العربية الاسرائيلية مما توافق عليه هيئات المابام القيادية وهكذا، نشرت «نيو أوت لوك»، وقد استحثها قيام الجمهورية العربية المتحدة، مقالات تناقش كيف يمكن لإسرائيل أن تندمج فى الشرق الأوسط بالانضمام لاتحاد فيدرالى إقليمى يقوم على اتحاد اقتصادى^(٢٢).

كما كشفت مقالات «النيو أوت لوك» عن فجوة أخذة فى الاتساع بين أعضاء المابام العرب واليهود، حتى اليهود الذين يعتبرون يساريين، بشأن القضايا العربية الاسرائيلية. وطالب بستونى، اتساقا مع آرائه فى مطلع الخمسينيات، بحل النزاع وفق شروط مماثلة لشروط ماكى: الاعتراف بحق الشعبين الفلسطينى واليهودى فى تقرير المصير، الحل الوسط الإقليمى بين حدود التقسيم والوضع القائم، حق اللاجئين الفلسطينيين فى الاختيار بين العودة والتعويض. واتخذ عضو عربى آخر فى المابام، نعيم فحول، رغم أنه كان أكثر تشاؤما بشأن الإمكانيات المباشرة للحل من بستونى ولم يتناول مسألة الحدود صراحة، نفس الموقف تجاه حق تقرير المصير واللاجئين.

ورد سميحا فلابان واليعيزر بنيرى على مقالات رفاقهما العرب^(٢٤). ورفض كلاهما تغيير حدود إسرائيل، كما وعارضا إقامة دولة فلسطينية واعتبرا الأردن هى مستودع حق تقرير المصير الفلسطينى، ورفضوا كلاهما مبدأ أن للاجئين الفلسطينيين الحق فى الاختيار بين العودة والتعويض. وكان الخلاف بين آراء هذين العضوين القياديين فى دائرة الشؤون العربية فى المابام - وهو الذى يقابل الخلاف بين «اليمن» و«اليسار» (اليهودى) فى المابام - يتلخص فى أن بيثرى عارض إعادة أى أعداد كبيرة من اللاجئين ومضى لينتقد مخول لأنه نسب لإسرائيل قدرا مبالغا فيه من المسؤولية عن مشكلة اللاجئين وعلى وصفه «المتشائم» لوضع المواطنين العرب فى إسرائيل، كما أن الحدود والدولة الفلسطينية لم تكن موضوعات للمناقشة بالنسبة له، ومن ثم لم يتضمن مقاله أى إشارة لهذه النقاط التى أثارها رفاقه العرب. على النقيض من ذلك، كان فلابان، على الرغم من معارضته لفكرة الدولة الفلسطينية، مستعدا على الأقل للجدل مع بستونى حولها (ولكن ليس حول الحدود). وكان يتطلع لاتحاد اقتصادى مع الأردن وحيد السماح لبعض، وليس كل، اللاجئين بالعودة إذا أرادوا. واقترح فيما بعد بأنه يمكن قبول من خمسة إلى عشرة آلاف لاجئ سنويا قبل التوصل إلى تسوية سلمية شاملة،

كبادرة حسن نية اسرائيلية^(٢٥). واكتسبت قضية اللاجئين أهمية خاصة فى هذه المحاورات لأن الجمعية العامة للأمم المتحدة ناقشت المسألة فى دورة خريف ١٩٥٨، وكان اليهود بصفة عامة يخشون أن يخضع رفض اسرائيل لإعادة اللاجئين للرقابة، مثلما كان فعلاً.

وفى عام ١٩٥٩ كانت الهيئات المركزية للمابام تنتقد القومية العربية الناصرية بانتظام، لكن المابام استمر فى المجتمع العربى فى اسرائيل يؤيد عبد الناصر والجمهورية العربية المتحدة، آملاً أن يستفيد من السخط الواسع على ماكى بسبب الانقسام بين عبد الناصر والشيوعيين. ونشرت المرصاد والمجلة الشهرية الجديدة للمابام، الفجر كلاهما، مقالات موالية لعبد الناصر، وأعادت الفجر نشر مقالات الكتاب المصريين المشهورين المائلين للنظام، ومنهم احمد بهاء الدين، واحسان عبد القدوس، وكامل زهيرى، واتخذت عال همشمار مساراً مخالفاً، منتقدة عبد الناصر ومؤيدة قاسم. وأعادت دار نشر الكتب العربية التابعة للمابام التى إنشئت فى سبتمبر (ايلول) ١٩٥٨، طباعة كتب لم تكن من قبل متوافرة لمواطنى اسرائيل العرب، وكانت كتب المؤلفين المصريين، بما فيهم مؤيدو النظام الناصرى البارزين هى الدعامة الأساسية للدار، حتى تم إغلاقها بضغط من اليعيزر بثيرى. كان بولس فرح، وراشد حين، وفوزى الاسمر، يكتبون كثيراً فى نيو اوت لوك وفى صحافة المابام العربية. وعمل حسين محرراً أدبياً فى الفجر، ووظفت دار النشر العربية الاسمر، ونشرت كتاب فرح عن التاريخ الاجتماعى للعالم العربى^(٢٧). كانت آراء هؤلاء المثقفين حول القضايا الخاصة بالمسائل العربية الاسرائيلية تشبه فى كثير من النواحي، الآراء التى ظل المابام يوبخ ماكى عليها طويلاً. كما أن المابام غازل «الأرض» لفترة قصيرة. قبل أن يدرك فلابان أن هذه المجموعة لن تُقيد نفسها فى حدود الخطاب السياسى الصهيونى^(٢٨).

وفى حين دافع المابام عن الناصرية فى المجتمع العربى، رحب ماكى وقادته العرب بالثورة العراقية بحماس، واعتبروها «بداية النهاية» لعصر السيطرة الامبريالية على الشرق الأوسط، و«فجر الوحدة العربية الشاملة» ودليلاً آخر على أن نصر القومية العربية وشيك^(٢٩). وعندما بلغت العلاقات بين عبد الناصر وقاسم حد الأزمة، انتقدت الغالبية الساحقة من أعضاء ماكى العرب عبد الناصر بحماس، رغم الخسارة المباشرة للتأييد العام الذى تسبب فيه هذا فى المجتمع العربى، خاصة فى الناصرية^(٣٠). ونشرت الاتحاد قصيدة لتوفيق زياد، وكان حينذاك عضواً فى المجلس البلدى لمدينة الناصرية، تنتقد تمرد الضباط الناصريين فى الموصل على النظام العراقى. وعلى الرغم من أنه قد تم صنع وجه زياد فى شوارع الناصرية وهو يبيع هذا العدد من صحيفة الحزب، إلا أنه لم يغير موقفه^(٣١). ويتضح الانخفاض المباشر والمثير فى التأييد لماكى فى المجتمع العربى من أرقام مبيعات الاتحاد فى الناصرية والقرى المحيطة، معقل ماكى فى المجتمع العربى، قبل تمرد الموصل وبعده (الجدول ٤).

الجدول ٤ مبيعات الاتحاد

المنطقة/الفرع	كانون أول	١٩٥٨	شباط	١٩٥٩	آذار	١٩٥٩
	الثلاثاء	الجمعة	الثلاثاء	الجمعة	الثلاثاء	الجمعة
الطيبة	١٥٠	١٥٨	١٢٠	١٣١	--	--
أم الفحم	صفر	١٦	--	--	--	--
باقة الغربية	٢٠	٤٠	٢٠	٤٠	٢٠	٤٠
حيفا (المدينة)	٢٥٥	٣١٥	٢٣٩	٣٠٧	٢٢٦	٢٩٧
عكا	٩٩	١١٢	--	--	--	--
الطيرة	٦	٧	٦	٧	٦	٧
الناصر (المدينة)	٤٤٦	٦٦٢	٦٦٤	٦٦٢	٣٧٧	٥٩٩
الناصر (منطقة)	٥٧٧	٨٠٦	٥٧٧	٨٠٦	٥٣٥	٧٣٣

المصدر: «الوضع بين الجماهير» تقرير سياسى غير مؤرخ (ربما ابريل «نيسان» ١٩٥٩) وغير موقع يقدم تقييما صريحا لخسائر الحزب فى أعقاب الانقسام الناصرى الشيوعى. ك م ٣٥ يعملون بمجازار هفرى (النشاط فى الوسط الغربى).

ملاحظة: إن الأرقام بالنسبة للمواقع المحلية فيما عدا الناصر وحيفا غير حاسمة بسبب عدم اكتمال التقارير (وتشير تلك الخاصة بباقى العربية والطيرة إلى أن المسؤولين عن توزيع الاتحاد كانوا ببساطة يدفعون ثمن الصحيفة من جيوبهم).

كما أن حرية الانشقاق على الناصرية أتاحت ظهور خلافات كبيرة بين الخطوط السياسية للقسمين العربى واليهودى فى ماكى، لأن معظم الأعضاء العرب كانوا ينتقدون بصورة متحفظة فحسب (مثلما فعل الشيوعيون المصريون) فى حين فعل ذلك كثيرون من اليهود بحماس وارتياح. وللاحتفال بالذكرى العاشرة لقيام اسرائيل، خطط ماكى لنشر تقرير شامل عن أوضاع السكان العرب الفلسطينيين وقدم صليبا خميس مشروعا بالانجليزية عنوانه «الحقيقة بشأن العرب فى اسرائيل: فى الذكرى العاشرة لدولة اسرائيل». وربما يفسر وصفه للمناطق التى تتجاوز حدود مشروع التقسيم التى ضمتها اسرائيل بأنها «الأراضى المحتلة»، إلى جانب تعبيرات متشددة أخرى عن المشاعر الوطنية الفلسطينية، السبب فى عدم نشره. وبدلا من ذلك طلب فلنر، باعتباره رئيس تحرير الصحيفة النظرية للحزب، زوهديرخ (هذا هو الطريق) من طوبى أن يعد مقالة بعنوان «عشر سنوات من القهر القومى»، كان مقررا لها أن تصدر فى ١٩٥٩. وقد كانت مسودة خميس مشروطة بطلب فلنر، بحيث

أن الفقرات الخاصة بحرب ١٩٤٨-٤٩ وكذلك الخاصة بالإصرار على حق اللاجئين الفلسطينيين في العودة، تحدد تحريرياً للحذف بواسطة كاتب عبري سلس الأسلوب. ولم يتم نشر المقال الذي طلب من طوبى أبدا، وليس من المؤكد أنه كتبه أصلاً^(٣٢).

منذ يناير (كانون ثانى) ١٩٥٨ على الأقل شجب ماكى بصورة مباشرة الاتجاه الذى أصبح شائعاً بصورة متزايدة فى الخطاب القومى العربى لوصف اسرائيل بأنها «قاعدة امبريالية». وفى ذلك الشهر، عقد مؤتمر الشعوب الآسيوية والافريقية فى القاهرة، وعلى الرغم من أن اللجنة المركزية اعتبرت أن الاجتماع بصفة عامة يمثل حدثاً إيجابياً، فقد انتقدت أحد قراراته بشأن النزاع العربى الاسرائيلى بصورة حادة:

قاس جداً ذلك القرار الذى يحدد أن اسرائيل تعمل كقاعدة امبريالية تهدد أمن وتقدم الشرق الأوسط وتعرض للخطر السلام العالمى. والسبب العميق والأساسى لهذه الضباغة يمكن أن يوجد أولاً وقبل كل شئ فى السياسات اللاوطنية والموالية للامبريالية لحكومة بن جوريون التى وضعت دولة اسرائيل فى خدمة الامبرياليين وخططهم العدوانية ضد نضال الشعوب العربية من أجل التحرر الوطنى، وفى سياسة القهر القومى القاسى لسكان (اسرائيل) العرب، وفى سياسة التجاهل التام للحقوق الوطنية العادلة للشعب الفلسطينى العربى. هذه السياسة، المشحونة بالاحطار، عزلت دولة اسرائيل عن شعوب آسيا وافريقيا بصفة عامة وعن الشعوب العربية بصفة خاصة، وبالذات منذ حرب العدوان على مصر بالتحالف مع الاستعمار البريطانى والفرنسى^(٣٣).

وكان رأى العام الاسرائيلى يعتقد أن الفرق بين «قاعدة امبريالية» ودولة «فى خدمة الامبرياليين» أمر غير منطقى، ويرى أن كلا الصياغتين تحركهما فقط رغبة شريرة فى تدمير اسرائيل. لكن هذا الفرق الدقيق كان يعنى بالنسبة لمن تربوا على النظرية الماركسية، فرقاً بين إعلان اسرائيل كدولة مشروعة أم لا، وماكى لم يتخل أبداً عن موقفه بأنها دولة مشروعة، ومثلما كتب سنه فى كول هاعام، «إن حق اسرائيل فى الوجود، مثل حق أى دولة أخرى، لا يتوقف على سياساتها وحكامها»^(٣٤).

ألقى الضوء على هذه الفروق الدقيقة الصغيرة فى الصياغة فى الكتيب الذى صدر فى أغسطس (آب) ١٩٥٩ عن الحزب الشيوعى السورى الذى انتقد القمع المعادى للشيوعية فى الجمهورية العربية المتحدة. فمثلما جاء بالعبرية فى كول هاعام، فإن الشيوعيين السوريين أبانوا أن «الطريق الوحيد للخروج من الوضع الخطير والتخلص من قمع الجماهير هو تصحيح سياسات الجمهورية فى الساحتين العربية والدولية والعودة مرة أخرى إلى سياسة التضامن العربى الصحيح ضد الامبريالية وعملائها». بيد أن الصيغة العربية للكتاب (وربما كانت هى المماثلة للأصل) التى نقلت عنها الاتحاد، دعت إلى «التضامن العربى ضد الامبريالية ودعامتها اسرائيل»^(٣٥). وهكذا قبل

محرورو الاتحاد صيغة تكاد تقارب النقيض لموقف اللجنة المركزية لماكى، فى حين «صححت» كول هاعام كتيب الحزب الشقيق لتفادى جملة قد تؤذى سمع قرائها اليهود.

❑ هزيمة اليسار فى انتخابات الكنيست فى ١٩٥٩

أجريت الانتخابات للمؤتمر التاسع للهستدروت فى مايو (آيار) ١٩٥٩، وتلتها انتخابات الكنيست فى تشرين ثانى، وساد مناخ يشبه مناخ الحملة فى معظم السنة. وأثار أمنون كابلوك اهتمام الرأى العام الذى يقرأ بالعبرية بالفرق بين الصيغتين الواردتين بالكتيب السورى فى مقاله فى عال همشمار كجزء من هجوم المابام الانتخابى على ماكى^(٣٦). وكما لاحظنا، فقد كانت الفجوة بين أعضاء المابام العرب واليهود كبيرة بحلول عام ١٩٥٨، ولم يبذل الحزب جهدا لتوحيد موقفه، كما أنه بالإضافة لذلك، تجنب دوما التركيز على العنصر المركزى فى برنامج -الصهيونية- فى المجتمع العربى، لكن خلال حملة الكنيست هذه، قدم ماكى أيضا وجهين مختلفين للرأىين العامين اليهودى والعربى. ولم يشكل الانشقاق بين عبد الناصر والشيوعيين مشكلة صعبة فقط لماكى فى المجتمع العربى، بل إن المابام أيضا قد تحدى مكانة ماكى باعتباره المدافع الأشد إخلاصا عن حقوق عرب فلسطين بطرح البديل الوطنى.

وبالنسبة للمجتمع اليهودى، كانت القضايا الأساسية فى انتخابات الكنيست هى بيع الأسلحة الإسرائيلية لألمانيا الغربية، التى أدت إلى استقالة بن جوريون المبكرة فى ٥ تموز وظروف القهر فى المجتمع اليهودى الشرقى، التى أصبحت حينذاك تحظى باهتمام الرأى العام لأول مرة بسبب أعمال الشغب التى وقعت فى منطقة وادى صليب من أحياء حيفا الفقيرة، والتى انتشرت بعدئذ إلى أجزاء أخرى من البلاد. عارض كل من المابام وماكى صفقة الأسلحة بين إسرائيل وألمانيا الغربية وشنا حملة قوية ضدها، وقد أتاح هذا لهما أن يبدوا فى صورة وطنية معادية للفاشية وتجنب الاتهام بأنهما «متساهلان فى موضوع الأمن» و«مواليان للعرب» ومرتبطان بسياسات الاتحاد السوفيتى التى لا تحظى بشعبية، كما دافعا عن قضية اليهود الشرقيين، وإن لم يحقق ذلك نجاحا كبيرا فيما يتجاوز التأييد الذى كان ماكى يحظى به من قبل بين اليهود العراقيين. وقد أعطيت لأبرز قائد يهودى عراقى فى ماكى، وهو يعكوف موجمان، المرتبة العاشرة فى قائمته للكنيست، وهى أعلى منزلة نالها يهودى شرقى فى أى وقت، ولكن فى ضوء آفاق الحزب الانتخابية الباهت، فإن هذا لم يكن له تأثير حقيقى.

كانت هذه القضايا تمثل شواغل ثانوية فى المجتمع العربى، حيث أصبحت الحملة الانتخابية نزاعا بالوكالة للمعركة بين قاسم والشيوعيين من جانب وعبد الناصر من جانب آخر. ووزع المابام رسما كاريكاتوريا يبين «القومية العربية» تحتضن «الصهيونية» ويتعاونان معا ضد الشيوعية^(٣٧). ونشرت الفجر و«نيو أوت لوك» مقالات لراشد حسين كانت نقدية جداً لقاسم وجدّ مؤيدة لعبد الناصر لدرجة أن إحداها وجدت طريقها للنشر فى مجلة آخر ساعة الأسبوعية المصرية^(٣٨). واستمرت الفجر تعيد نشر مقالات المصريين الموالين لعبد الناصر، وفتحت المرصاد صفحاتها لغير أعضاء المابام الذين

أشادوا بالقومية العربية (٣٩).

رد ماكي بهجاء ونقد شديدين للتناقض بين سياسة المابام المعلنة عن المساواة الكاملة للمواطنين العرب في إسرائيل وممارساته كعضو في التحالف الحاكم (٤٠). فعلى سبيل المثال، عارض المابام الحكم العسكرى وشن حملة شديدة ضده، خاصة قبل أن ينضم للحكومة في ١٩٥٥، ومع ذلك فقد رفض التعاون مع ماكي في هذا الجهد، واقترح ضد مقترحات ماكي في الكنيست بإلغاء الحكم العسكرى في ديسمبر (كانون أول) ١٩٥٥، وفبراير (شباط) ١٩٥٦، ويوليو (تموز) ١٩٥٧. وكان عضو الكنيست العربى عن المابام، يوسف خميس، هدفا خاصا لسخرية ماكي الهازئة، التى صورتها باعتباره متملقا ذليلا يتلاعب به ويسيطر عليه قادة الحزب اليهود. كما اتهم ماكي خميس وعضو الكنيست فارس حمدان، من القائمة العربية المنتمية للمابام، بأنهما كانا يعرفان تفاصيل مذبحة كفر قانسم ولكنهما تقاعسا عن فضحها.

وفى حين كانت دعاية ماكي العربية فى مطلع الخمسينيات تتضمن بصورة دائمة تقريبا شعارات مثل «لتحيا صداقة الكادحين اليهود والعرب» ودعوة للأخوة العربية الاسرائيلية والسلام، فإن أدبياته الانتخابية العربية فى ١٩٥٩ حذفت هذه الشعارات عادة وركزت بدلا منها على موقف الحزب الوطنى المتشدد. وقد أكدت الفقرة الختامية لكتيب أصدرته لجنة ماكي فى منطقة المثلث (وهى منطقة عربية بالكامل) فى اليوم السابق على الاقتراع للكنيست عزف الحزب على المشاعر الوطنية العربية المحضة.

إن لكل الوطنيين الواعين من أبناء شعبنا العربى المتمسكين بحقوقهم القومية المناضلين من أجل أرضهم ومن أجل العيش الحر فى أرض الآباء والأجداد طريق واحدة فى هذه المعركة الانتخابية. هذه الطريق هى نبذ الاحزاب الصهيونية ومأجوريها - هى تأييد الحزب الشيوعى حامل لواء النضال الصابر والمنتصر حتما ضد حكومة بن جوريون الطامعة واهدافها العدوانية.

أيها الإخوان! تذكروا أن ازدياد قوة الشيوعيين معناه ارتفاع صوت شعبنا المضطهد وصوت النضال من أجل حقوقه (٤١).

وكانت الانتخابات هزيمة مدمرة ليسار بأكمله فى المجتمع اليهودى فى حين زاد المابام من قوته فى المجتمع العربى، على حساب ماكي فى الأساس (الجدول ٥). وانخفضت القوة الإجمالية للمابام وماكى واحدت هعاقدوا - عن خمسة وعشرين مقعدا فى الكنيست الثالث - إلى تسعة عشر مقعدا فى الكنيست الرابع. وزاد الماباى قوته على نحو غير متوقع من أربعين إلى سبعة وأربعين مقعدا. وبالإضافة لذلك، اتسمت الحملة الانتخابية للماباى بتحول كبير إلى اليمين. وظفر موسى ديان وشيمون بيرس، وهما منفذان متحمسان لسياسة بن جوريون العسكرية النشيطة المتشددة. والعضوان القياديان فى الحرس التكنوقراطى البراجماتى الفتى فى الحزب والذى كان يريد تحرير الحزب من «الحنين للماضى الماركسى»، ظفرا بمقعدين فى الكنيست لأول مرة (٤٢)، ودخل ديان الوزارة كوزير للزراعة، وأصبح بيرس نائبا لوزير الدفاع.

الجدول ٥ - نتائج انتخابات الكنيست الرابع

(٣ أكتوبر «تشرين ثانى» ١٩٥٩)

إجمالي الاصوات	%	أصوات اليهود	%	أصوات العرب	%	أصوات اليهود كنسبة مئوية من الإجمالي	أصوات العرب كنسبة مئوية من الإجمالي	مقاعد
٣٧٠٥٨٥	٣٨,٢	٣٦٤٧٣٥	٤٠,١	٥٨٥٠	٧,٥	٩٨,٤	١,٦	٤٧
٣٤٣٥٣	٣,٥	---	---	٣٤٣٥٣	٤٤,٢	---	١٠٠	٥
٦٩٤٦٩	٧,٢	٥٨٤٦٩	٦,٦	١١٠٠٠	١٤,١	٨٤,٢	١٥,٨	٩
٢٧٣٧٤	٢,٨	١٨٢١٢	٢,٢	٩١٦٢	١١,٨	٦٦,٥	٣٣,٥	٣
٩٦٩٣٣٧	١٠٠	٨٩١٣٣٧	١٠٠	٧٨٠٠٠	١٠٠	٩٢	٨	١٢٠

المصدر: إسرائيل، حاليشكا ها مركزيت لستاتستيكا، توزعوت حايرحوت لكنيست حاحا ميشيت، سیدرات
بيروسميم الخاصة، عدد ١٦٦ (القدس ١٩٦٢)، زئيف شيف، «انتخابات إسرائيل الرابعة»، نير أوت لوك ٦، عدد ١١
يناير (كانون ثانى ١٩٦٤)، جاكوب م. لاندوار، العرب فى إسرائيل: دراسة سياسية (لندن، ١٩٦٩).

ملاحظة: حصل ماكى على ٨٠٩٧ صوتا والمابام ١٠٣٦٣ صوتا فى كل المجلتات العربية. ويتضمن إجمالى
الاصوات العربية لهذه الاحزاب، فى تقديرى الاصوات فى اماكن الاقتراع العربية أساسا فى المدن المختلطة.

واحتفظ المابام بمقاعد التسعة، أساسا بسبب أن الأصوات العربية التى حصل عليها زادت
بنسبة ١٢٠ بالمائة، من خمسة آلاف فى ١٩٥٥ إلى أحد عشرة ألفا فى ١٩٥٩. والواقع أن مايزيد
على ٨٥ بالمائة من إجمالى ماكسبه المابام من الأصوات كان يرجع إلى تزايد التأييد له فى المجتمع
العربى، وبدون ذلك كان الحزب سيفقد مقعدا. على النقيض من ذلك، فقد ماكى ٥٠ بالمائة من تمثيله
فى الكنيست الذى انخفض إلى ثلاثة مقاعد، مع تناقص تأييد الحزب بنفس الدرجة تقريبا فى كل
من المجتمعين العربى واليهودى وحصل ماكى فى المجتمع العربى على ١١,٨ بالمائة فقط من
الأصوات، ومع ذلك فإن مكاسب كبيرة جدا فى الطيره والقلنسوه، مهدت الارض للتقدم المستقبلى
فى القرى المسلمة فى المثلث الجنوبى^(٤٣).

وفى اجتماع اللجنة المركزية لماكى الذى عقد لتحليل هذه الهزيمة الانتخابية، كانت موضوعات المناقشة الأساسية هى خط الحزب حول النزاع العربى الاسرائيلى ومدى العداء للسامية فى بلدان الكتلة السوفيتية. وأكد ميكونس أن خط ماكى صحيح وأن الأسباب الموضوعية للهزيمة هى تحول الناخبين نحو اليمين^(٤٤). وادعى هو وايستر فيلنسكا ان أكبر استقرار لماكى كان بين أصوات الطبقة العاملة، رغم أن هذا التقييم كان ينطوى على مساواة خاطئة بين أصوات الطبقة العاملة فى المدن والقرى. وبالإضافة لذلك، سلم ميكونس بأن هناك أوجه ضعف خطيرة فى تنظيم الحزب لمواقع العمل وأن ماكى تأخر فى التصدى للقضايا التى أثارها أعمال الشغب فى وادى صليت. والواقع أن موقف ماكى بين الطبقة العاملة اليهودية، كان جد ضعيف بحيث أن ابراهام هاس اعتقد أن تشكيل خلية جديدة من العمال اليهود فى مصنع فريد مان للثلاجات فى القدس خلال فترة الانتخابات أمر مرموق بدرجة تستحق تقديم تقرير عنه للجنة المركزية.

ولاحظ يهوشوع ايرجا أن كثيرين من العمال اليهود الذين اقترحوا لماكى لم يقبلوا موقف الحزب بشأن القضايا العربية الاسرائيلية.

لايهم الناس إن كان هناك حكم عسكرى، أو أن كفر قاسم قد وقعت. كل الاحزاب الصهيونية تحلم بالفتوحات، وذلك مقبول. إن الناس مقتنعون بأنهم هزموا العرب فى حربين وبأنهم يستطيعون أن يواصلوا هزمهم ...

وإذا كان هناك تنافس على «التشدد» فى الانتخابات، فهذا (بسبب) المناخ القائم بين الناس.

وقد أورد عوزى يورشتاين، سكرتير عصبة الشباب الشيوعى-الاسرائيلى، أن رفيقا فى سكرتارية العصبة يائير تسابان، كان بفضل عدم إخبار الناس بكل شئ يعتقد ماكى بشأن القضية العربية الاسرائيلية والمسائل «الحرجة» الأخرى (ربما إشارة إلى وضع اليهود فى الكتلة السوفيتية). وانتقد أعضاء يهود كثيرون فى اللجنة المركزية ايستر فيلنسكا، بيرل بالتى، دافيد حنين، ادولف بيرمان، وفيش هرتزبيرج - الحزب على إفراطه فى تأييد عبد الناصر خلال ١٩٥٨ وعلى مطالبته بحق عرب فلسطين فى تقري المصير «حتى الانفصال». وشعر سنيه باكتئاب عميق من نتائج الانتخابات. ومع ذلك، فإنه لم يعتقد أنها ترجع لتوحد الحزب مع سياسات الاتحاد السوفيتى، وأكد أن المشكلات التى نجمت عن عبادة شخصية ستالين قد تغلب عليها ما حققه الاتحاد السوفيتى من تقدم جديد. وكان سنيه يعتقد أن السبب الكامن للتحول نحو اليمين فى اسرائيل هو تدفق رأس المال الأجنبى وأن هزيمة ماكى حدثت أساسا بسبب «القومية اليهودية ذات الأبعاد المتطرفة»^(٤٥).

وأعلن كل الأعضاء العرب فى اللجنة المركزية الذين سجلت ملاحظاتهم - توفيق طوبى، زاهى كركبى، صليباً خميس، وفؤاد خورى - تأييدهم الكامل لخط المؤتمر الثالث عشر للحزب بشأن النزاع العربى، واعرب خورى بالإضافة لذلك عن بعض التفاؤل بشأن الإمكانيات الثورية للطبقة العاملة اليهودية.

إن وضع تقييم حاسم فيما يتعلق بهذه الخلافات فى الرأى والتى تم الإعراب عنها فى هذا الاجتماع، أمر مستحيل لأن محاضر دورات اللجنة المركزية المتقاربة ليست متوافرة للمقارنة. وبالإضافة، فإن الآراء المنقولة فيما سبق تستند لمذكرات ميكونس الشخصية التى لا تعكس الوزن الكامل لدوره القيادى فى المناقشة. ومع ذلك، فإن استنتاجات كثيرة لها ما يبررها. ومن الواضح، أن الخلافات فى الرأى حدثت إلى ما وفق خطوط قومية وكان محركها الأول متطلبات العمل السياسى فى المجتمعين القوميين. ولم يكن معظم قادة الحزب من اليهود يدركون على نحو كامل حقائق الوضع فى المجتمع العربى، أو حتى فى الأقسام العربية من الحزب. كان نحو ٧٥ بالمائة من أعضاء ماكى يهوداً واعتبرت الهيئات المركزية للحزب أن المجتمع اليهودى هو جمهورها الأول. وكان من الصعب جداً أقلمة المهاجرين الجدد الذين كانوا يشكلون نسبة مئوية كبيرة من الأعضاء اليهود، مع المجتمع اليهودى الاسرائيلى، ناهيك عن المجتمع العربى. وبالعكس، بالنسبة للقادة العرب، فقد كان من الطبيعى أن يشكل مجتمعهم مركز حياتهم السياسية. لم يكن كثيرون منهم يجيدون العبرية (كان خورى وخميس يقدمان تقاريرهما للجنة المركزية باللغة الانجليزية على الدوام)، وكانت معرفتهم بظروف المجتمع اليهودى وحساسيتهم تجاهها أفضل بصورة هامشية من معرفة اليهود بالظروف العربية.

وكان من الطبيعى أن تتفاقم الخلافات السياسية التى وجدت تاريخياً فى الحركة الشيوعية الفلسطينية - الاسرائيلية، من جراء هزيمة ماكى التاريخية. لكن الانقسامات بين الشيوعيين اليهود فى عملية إعادة التقييم فيما بعد الانتخابات تحددت بصورة مختلفة عما آلت اليه بالفعل فى النهاية فى انقسام ١٩٦٥. فقد اتحد بعض أنصار سنيه الذين انضموا لماكى من الحزب الاشتراكى اليسارى (بيرمان، هرتزبيرج، وتسابان، والأخير منهم لم يحضر اجتماع اللجنة المركزية لكن عبر تقرير بورشتاين عن موقفه) مع أحد قدامى الحزب الشيوعى الفلسطينى (بالتى) وعضو راكم مستقبلاً (حنين) فى الارتداد للوراء عن الخط السياسى لماكى فى الحقبة العربية. وظل سنيه نفسه حصناً لا يهتز للأرثوذكسية وللولاة للسوفيت، ربما حتى أكثر من ميكونس. وكان الأعضاء العرب فى اللجنة المركزية فقط منافسين لسنيه فى الولاة للسوفيت، مثلما تراءى فى عدم اهتمامهم بمسألة العداء للسامية فى الكتلة السوفيتية: بعد أن سلموا بولاة بنتائج التأييد السوفيتى لقاسم والانفصال، لم يروا فائدة فى نقد الاتحاد السوفيتى على معاملته لليهود. وكان الشاغل الأساسى لفيلنسكا وهاس، اللذين كان يهتمان فى المحل الأول بمسؤولياتهما السياسية، هو تحسين العمل النقابى للحزب وعمله التنظيمى للطبقة العاملة، ومن ثم كانا أقل انتقاداً لخط الحزب بشأن النزاع العربى الاسرائيلى من القادة اليهود الآخرين. وكان هذا النهج يبدو مصدراً لأفضل أمل من أجل المستقبل، بالإضافة إلى أنه نظراً لأن الهستدروت كان قد قرر توا السماح للعرب بأن يصبحوا أعضاء كاملي العضوية، فقد وفر أساساً يمكن به توحيد العرب واليهود للتغلب على هزيمة ماكى وعزلته.

□ بداية جديدة - أم بداية النهاية؟

بين انتخابات الكنيست في ١٩٥٩ و ١٩٦١، بدا أن المناخ السياسي في إسرائيل قد تغير بصورة مثيرة، مما زاد من آمال ماكي ليس فقط في تحسين خطه وإنما أيضا في تحطيم قبضة هيمنة المabay وخلق إمكانات جديدة للحركة العمالية وأحزاب اليسار. ونشأ الوضع الجديد من أزمة المabay في ١٩٦٠-٦١ التي أشعلها الافتضاح المعارض أمام الرأي العام لبعض التفاصيل المتعلقة بحملة إسرائيل للتخريب في مصر في يوليو (تموز) ١٩٥٤ والتي تم إجهاضها. وأصر بن جوريون على أن لافون، وزير الدفاع في ذلك الوقت، يتحمل المسؤولية الكاملة عن «الحادث الأمني المؤسف» ورفض السماح بأن تعزى أى مسؤولية لاتباعه السياسيين أو لضباط قوات الدفاع الإسرائيلية، الذين كانوا بالفعل قد أصدروا أوامره بالتخريب بدون علم لافون. نجح بن جوريون في إظهار لافون في صورة الوغد المسؤول فيما أصبح يعرف باسم «قضية لافون»، وأجبر المabay على طرد لافون كسكرتير عام للهستدروت. وانقلب كثيرون من أعضاء المabay على التكتيكات الديكتاتورية للرجل العجوز. واحتشد بعضهم وراء حركة للإصلاح في الحزب، والتي فشلت في النهاية رغم أنها كانت تبدو في البداية صاحبة إمكانات لنجاح كبيرة.

واعتبر ماكي هذه الأزمة التي أسقطت الحكومة واقتضت الدعوة لانتخابات مبكرة في ١٥ أغسطس (آب) ١٩٦١، «أقوى وأعمق (أزمة) عرفها نظام بن جوريون منذ إنشاء الدولة» (٤٦). وكان الحزب متفانلا بأن أقساما عريضة من الشعب الاسرائيلي ستدرك التناقض الذي تطرحه سياسات بن جوريون على «المصالح الوطنية الحقيقية لاسرائيل والمصالح الاقتصادية والاجتماعية للشعب العامل». وبأمل الاستفادة لأقصى حد من ضعف المabay، اقترح ماكي على المabay واحداث هعافودا أن تشكل الأحزاب الثلاثة جبهة «عملية» للدفاع عن الديمقراطية. بيد أن الحزبين الصهيونيين رفضا هذا الاقتراح في غير إبطاء (٤٧).

وكان ماكي يعتقد أيضا أن الاضراب التحذيري لمدة نصف ساعة الذي نظمته في ٢٣ يناير (كانون ثانى) ١٩٦١ لجان العمل العمالية في تل ابيب، رمات جان، وحيفا للاحتجاج على ارتفاع تكاليف المعيشة وزيادة الضرائب، والذي أعقبته مظاهرات العمال في تل ابيب وحيفا والقدس وبيتاح تكفا في ١٥ آذار، علامة على انبعاث الصراع الطبقي بعد الجزر الذي اعتور نضالية النقابات منذ حرب ١٩٥٦. وقد استثار شكل جديد من التنظيم هبة الحركة العاملة هذه: وهو لجان العمل التي لم يقرها الهستدروت. وبدا أن مثل هذا العمل الجماعي الجماهيري على مستوى القاعدة يعكس إضفاء طابع راديكالى على العمال اليهود فيما يتعلق بالقضايا الاقتصادية.

وكان المجتمع العربى أقل انشغالا بهذه القضايا منه بالجهود المتصلة للدولة للاستيلاء على أراضييه. ذلك أن توحيد الصندوق القومى اليهودى والأراضى المملوكة للدولة تحت إشراف هيئة الأراضى الاسرائيلية في ١٩٦٠، أدى بصورة فعالة إلى حظر قيام العرب بالتملك أو الاستئجار أو التوظيف في ٩٢ بالمائة من كافة الأراضى في دولة اسرائيل. وفي السنة نفسها، اقترح ديان وزير

الزراعة على الكنيست إصدار قانون موحد للأراضي يسمح للدولة بإعلان «مناطق تركيز». (أى مناطق قاصرة على الحيازات اليهودية فقط) والاستيلاء على الأراضي العربية مقابل أراض أخرى أو تعويض نقدي.

وفى هذه المسألة، وعلى خلاف الأمة داخل الماباي والعمل العمالي، استطاع ماكي أن يقوم بمبادرة سياسية وقيادة واضحة بتنظيم نضال الجماهير الناجح ضد إصدار القانون. وتحدث سنيه فى الكنيست مطالباً بأن يحذف هذا البند من جدول الأعمال، وأصدر ثلاثة عشر مجلساً عربياً محلياً قرارات تعارض القانون، وعقدت عدة اجتماعات للاحتجاج، وشهد أكبر هذه الاجتماعات الذى عقد فى ٥ فبراير (شباط) ١٩٦١، ممثلون من ثلاثة وأربعين مدينة وقرية عربية، وقد عقد فى مقهى فى عكا لشجب القانون وذلك بعد أن منع الضغط الرسمى للمنظمين من استئجار قاعة فى حيفا فى البدء، ثم أجبر مالك مسرح سينمائى فى عكا على إلغاء اتفاق الإيجار الذى أبرمه معهم. وفى ٢٨ شباط، قدم حنا نقاره ومشاركون آخرون فى اجتماع عكا احتجاجهم للكنيست، وفى اليوم نفسه قامت إضرابات ومظاهرات فى الطيبه، كفر ياسيف، عيلبون، والرامة^(٤٨). واستجابة للاحتجاج المنظم جيداً، تخلت الحكومة عن التشريع المقترح. وكان هذا أول انتصار قانونى للمجتمع العربى الفلسطينى فى الدفاع عن حقوقه، كما كان إشارة إلى أنه استوعب قواعد النظام السياسى بصورة جيدة بما يكفى ليخوض المباراة بل والنجاح.

وقد تبع هذه الحملة بشأن قضايا الأرض الريفية، عقد مؤتمر للمثقفين فى حيفا فى آذار (ومرة أخرى تدخلت السلطات لعرقلة استئجار القاعة المطلوبة)، شهدته كثيرون من غير الشيوعيين أيضاً. ودعا الاجتماع الحكومة لتوسيع إمكانيات العمل للعرب المتعلمين، ورفع مستوى التعليم فى القرى، ووقف حملة ترويع المعلمين العرب، كما مد يد التضامن للعناصر الديمقراطية اليهودية^(٤٩).

واستكمل ماكي دائرة قواعد التأييد له فى المجتمع العربى بالدعوة إلى مؤتمر عمالي فى حيفا فى ٢٢ نيسان. وشهده مايزيد على ثلاثمائة عامل من ثلاثين قرية طالبوا بأن تعمل الهستدروت سريعاً لضمان المساواة للعمال العرب فيما يتعلق بالأجور وظروف العمل، وفتح عيادات طبية وإقامة مجالس عمالية فى المحليات العربية. ولم يحضر الاجتماع ممثلو الهستدروت والأحزاب العمالية الصهيونية رغم دعوتهم، ومن ثم كان هذا الاجتماع الأكثر شيوعية بصورة راسخة بين الثلاثة اجتماعات التى عقدت فى المجتمع العربى. ومع ذلك، فقد قرر مندوبو المؤتمر أن يعملوا داخل الهستدروت باعتبارها تنظيم الطبقة العاملة الاسرائيلية (اليهود والعرب على حد سواء) وأصدروا نداء للأخوة اليهودية العربية^(٥٠). وقد بنيت هذه الاجتماعات مجتمعة، أن ماكي حطم عزله فى المجتمع العربى وعاد إلى موقع القوة والاحترام.

لقد أعطت الأزمة فى الماباي، والنهضة فى الحركة العمالية، وفورة النشاط فى المجتمع العربى، لماكي إحساساً جديداً بالثقة وهو يقترب من مؤتمره الرابع عشر، الذى عقد قبل انتخابات الكنيست بفترة قصيرة. واستعداداً للمؤتمر، عدل الحزب الأسلوب التقليدى لعرض أطروحاته فيما قبل المؤتمر

لجعلها أكثر بساطة و«أقرب إلى إدراك الجماهير». ومن ثم، تم التخلي عن صياغات أطروحات المؤتمر الثالث عشر، التي اعترفت بحق الشعب الفلسطيني، بما في ذلك الجزء الذي يعيش في إسرائيل، في تقرير المصير «حتى الانفصال». فهذه الجملة الأخيرة أثارت عقبات كثيرة أمام ماكي، حيث أنها تحدث صراحة عنصرا أساسيا في الخطاب الصهيوني القائم على الهيمنة: أن خطوط هدنة ١٩٤٩ تمثل الحد الأدنى لحدود إسرائيل. وأكد ميكونس أن «الصيغة الجديدة» تعني ضمنا «أنه لا تغيير في المبدأ» وأنها مجرد محاولة «لجعل المشكلة أقرب إلى إدراك الرأي العام العريض بتبسيط الحجة»^(٥١). ومن ثم أكدت الأطروحة المبادئ العامة وكانت غامضة قصدا:

إن نقطة الانطلاق لحزبنا الشيوعي فيما يتعلق بحل مشكلة العلاقات الاسرائيلية العربية هي حق تقرير المصير للأمم. وإنها حقيقة أن أرض إسرائيل قد أصبحت في تطورها التاريخي وطنا لأمتين: اليهودية والعربية. ومن الضروري والممكن ضمان الحقوق الوطنية المشروعة للأمتين ...

ويتطلب النهج اللينيني، النهج الديمقراطي لحل المشكلة المعنية ... اعترافا متبادلا بالحقوق القومية المشروعة للأمتين. ومن ثم فإننا نطالب بسياسة اسرائيلية تعترف بالحقوق المشروعة للشعب العربي الفلسطيني والتزامها بتصحيح المظالم التاريخية التي نجمت عن إنكار هذه الحقوق. كما أن شعب إسرائيل في حاجة لاعتراف الدول العربية بدولة إسرائيل، بما في ذلك: الاعتراف بحق الملاحة الحرة في قناة السويس ومضائق خليج العقبة، وإلغاء المقاطعة العربية، وحل متفق عليه لمسألة المياه من الأنهار المشتركة بين إسرائيل والبلدان المجاورة، وإقامة علاقات طبيعية مع إسرائيل. وللحصول على هذا الاعتراف من الدول العربية، ينبغي للجانب الاسرائيلي أن يعترف بحق اللاجئين في العودة لإسرائيل، وضمان التعويض المناسب لمن سيقرون عدم العودة، وإبداء الاستعداد لتحويل خطوط وقف إطلاق النار المؤقتة إلى حدود دائمة للسلام، من خلال اتفاق متبادل.

إن حزبنا الشيوعي سيشجع أي اتفاق للسلام يتم التوصل إليه بين إسرائيل والبلدان العربية ويراعى الحقوق المشروعة للأمم^(٥٢).

ورغم إصرار ميكونس على أن هذه الصياغة تمثل استمرارا تاريخيا لمبادئ الحزب، فقد احتوت على عدة سمات جديدة. فقد كان المحتوى البرنامجي للحق الفلسطيني في تقرير المصير غير محدد. ولم تذكر الدولة الفلسطينية، رغم الإصرار المتكرر على مبدأ حق الأمم في تقرير المصير الذي لا يستبعد ذلك. ولم تحدد حدود إسرائيل النهائية. وتوحي لغة الأطروحة بأن خطوط الهدنة ينبغي أن تصبح دائمة لكنها تترك الباب مفتوحا لإمكان تعديلها من خلال اتفاق متبادل. وكان التركيز على الاعتراف المتبادل بين إسرائيل والدول العربية ابتكارا نظريا، ولأول مرة قدم ماكي قائمة تفصيلية بعناصر الاعتراف العربي بإسرائيل.

وأكد سنيه أيضا عندما سأله صحفي عن سبب التغيير، أنه ليس هناك فرق في المعنى بين أطروحتي المؤقرين الثالث عشر والرابع عشره لأن «أى تقرير للمصير، سواء أضيفت عبارة «حتى الانفصال» أم لا، يتضمن إمكان الانفصال». وقد تفسر هذه الحيلة التأويلية وتجنب سنيه لقضية ما إذا كان حق تقرير المصير ينطبق أم لا على أى من مواطنى اسرائيل العرب (وهو موضوع الخلاف الرئيسى الذى أثاره المؤتمر الثالث عشر) لماذا لم يجد ماكى صعوبة كبيرة فى توحيد الأعضاء العرب واليهود حول الخط الجديد. ومضى سنيه ليفسر «تماما مثلما نعارض التصريحات والأعمال ذات الصبغة العسكرية المتشددة لاسرائيل، فإننا نشجب كل التصريحات الاستفزازية للقادة العرب بأنهم سيدمرون اسرائيل»^(٥٣). ومن ناحية المبدأ، لم يكن وضع هذا مقابل ذاك أمرا جديدا، لكن الاتجاه الجديد «لموازنة» نقد السياسات الاسرائيلية بنقد سياسات الدول العربية، مثل تعبير «الاعتراف المتبادل» أدخل تناسقا فى تحليل ماكى للنزاع كان قد تم إلغاؤه خلال الحقبة العربية للحزب وثبت أنه غير مقبول من الأعضاء العرب للحزب ومن الأحزاب الشيوعية العربية الأخرى بعد حرب ١٩٥٦ (٥٤).

ومع ذلك، فلم يكشف مقال اميل توما فى الاتحاد عن وجود أى اعتراض على الأطروحة. ورغم أنه كان من أشد المناضلين الذين جذبوا صراحة المطالبة بحدود ١٩٤٧ للتقسيم قبل المؤتمر الثالث عشر وخلالها، فقد أصبح حينذاك يؤكد أن ما يفصل ماكى عن الأحزاب الصهيونية هو أن ماكى يصير على أن القضية الفلسطينية لاتزال قائمة - تعبير الحد الأدنى (وإن كان حقيقيا) عن الفرق البارز بين الخطاب الصهيونى وموقف الحزب بشأن النزاع العربى الفلسطينى^(٥٥). وربما كان تخلى توما عن موقفه النضالى الوطنى السابق، سبب انتخابه كعضو مرشح فى اللجنة المركزية فى المؤتمر وأصبح فؤاد خورى الذى كان يعرب عن تأييده الواضح لحدود التقسيم قبل المؤتمر الثالث عشر، الآن مؤيدا للصبغة الجديدة الأكثر غموضا لخط الحزب^(٥٦).

وقد سجل التلخيص الذى قام به ميكونس لمناقشات اللجنة السياسية للبرنامج الانتخابى لماكى، الطابع الغامض عن قصد للنهج الجديد، بعد المؤتمر مباشرة: «إننا لن نضع مسألة الحدود فى برنامج الانتخابات. إننا نتحدث عن حق اللاجئين فى العودة بدون أن ندخل فى جدل حول الأعداد»^(٥٧). ويوضح هذا القول أنه اتخذ قرارا واعيا على أعلى مستويات القيادة بتخفيف عرض مواقف الحزب المتميزة بشأن النزاع العربى الاسرائيلى فى محاولة لكسب تأييد المجتمع اليهودى. وعلى الرغم من أن ايدولوجية ماكى منعت الحزب بعد حرب ١٩٤٨-٤٩ بفترة قصيرة من أن يستحث القومية اليهودية بصورة مباشرة، فقد أصبح الآن يحاول أن يتفادى على الأقل إثارة المشاعر الوطنية اليهودية كلما أمكن.

بيد أن هذا النهج كان انعكاسا تاما لخط ماكى الدعائى فى المجتمع العربى فى ١٩٥٩، عندما دافع عن نفسه بالدخول فى منافسة وطنية مع المايام. وبمجرد أن ترسخ هذا الأسلوب باعتباره أسلوبا ناجحا (بالمعايير النسبية للهزيمة الانتخابية الشاملة لماكى فى ١٩٥٩)، كان من الصعب ألا يتكرر

اللجوء إليه، خاصة أن الانقسام بين عبد الناصر والشيوعيين لم يكن قد التأم بحلول ١٩٦١. وهكذا، تميزت حملة ماكي الانتخابية في المجتمع العربي بالهجوم الحاد على المابام لبقائه في الائتلاف وقرار الوزارة في ٩ تموز ١٩٦١ بعدم إعادة أي لاجئين عرب^(٥٨). وكان موقف المابام الرسمي هو أنه ينبغي السماح بعودة «عدد معين ومتفق عليه من اللاجئين» في سياق تسوية سلمية، ورد ماكي بتأكيد التزامه باعطاء كل اللاجئين حق الاختيار بين العودة والتعويض. ومثلما حدث في ١٩٥٩، هاجم ماكي المابام حتى يعرض نفسه باعتباره مؤيدا للقومية العربية في المجتمع العربي، موضحا الفروق بين الخططين السياسيين لغال همشمار والمرصاد، والتي ربما كانت أكثر وضوحاً في ١٩٦١ مما كانت عليه في ١٩٥٩.

وتسبب التوجه المتباين صوب المجتمعين القوميين خلال الحملة الانتخابية، في إثارة خلافات في اللجنة السياسية. فقد انتقد حبيبي كول هاعام إيلاء اهتمام مغالى فيه لمحاكمة ايخمان، التي كانت تجرى حينذاك، وطالب بأن تركز الصحيفة على الحملة الانتخابية. كما اشتكى من أن دعاية الحزب كانت جد لطيفة مع المابام. ورد سنيه بالاعتراض على الخط الدعائي في المجتمع العربي وأكد بوضوح أن مسألة الديمقراطية (التي اثارها قضية لافون)، وليست قضية اللاجئين، هي القضية الأساسية في الانتخابات. وتوصلت اللجنة المركزية لحل وسط باعتماد قرارات تنتقد كلا من أجهزة الدعاية العربية واليهودية في الحزب. وأعلن أن كتيبا انتخابيا صدر بالعربية قد جانبه الصواب لأنه لم يؤكد الحقوق المتبادلة للشعبين الفلسطيني واليهودي، وصدرت التعليمات لكول ها عام بأن تُدعم تغطيتها للحملة الانتخابية^(٥٩).

وقد خُفّت الخلافات السياسية بين القادة اليهود والعرب والتي بزغت أثناء الحملة الانتخابية نتيجة لنجاحات الحزب. فقد زاد ماكي، بنسبة ٤,٢ بالمائة من الأصوات، تمثيله في الكنيست من ثلاثة إلى خمسة مقاعد، وحافظ المابام على مقاعده التسعة (الجدول ٦). ابتهجت اللجنة السياسية لماكي بالنتائج. وتشجع ميكونس بحيث اقترح أن يحدد الحزب لنفسه هدفا هو مضاعفة عضويته حتى المؤتمر القادم. ولكن الفروق حتى في تحليل نتائج الانتخابات بين أعضاء الحزب القياديين من العرب واليهود داخل المكتب السياسى للحزب عاودت الظهور، بسبب طبيعة النجاح نفسه.

وتقليديا، كانت أصوات ماكي موزعة بالنسبة: الثلثين من اليهود والثلث من العرب، لكنها في ١٩٦١ كانت موزعة بالتساوي تقريبا بين اليهود والعرب، وحصل الحزب على ٣٨٩٩ صوتا يهودياً فقط زيادة على أصوات اليهود التي حصل عليها في ١٩٥٩ نحو نصف العدد المطلوب للحصول على مقعد واحد في الكنيست. وتضاعف التأييد الذي حصل عليه ماكي في المجتمع العربي من ٩١٦٢ في ١٩٦٩ إلى نحو ٢٠.٠٠٠ مما وفر معظم الأصوات الضرورية لزيادة نصيبه في الكنيست. وأصبح ماكي مرة ثانية، ثاني أقوى حزب في المجتمع العربي، بعد قوائم الماباي العربية، وبدا في موقف جيد لتحدي بروز الماباي، وأصبحت قوة الحزب الانتخابية حينذاك تتوقف، لحد كبير، على تأييد العرب الذين لم يكونوا أعضاء في الحزب (في ذلك الوقت، كان هناك نحو

الجدول ٦ - نتائج انتخابات الكنيست الخامس
(١٥ أغسطس (آب) ١٩٦١)

إجمالي الأصوات	%	أصوات اليهود	%	أصوات العرب	%	أصوات اليهود كنسبة مئوية من الإجمالي	أصوات العرب كنسبة مئوية من الإجمالي	مقاعد	
٣٤٩٣٣٠	٣٤,٧	٣٣٥٢٠٠	٣٦,٦	١٤١٣٠	١٥,٧	٩٦	٤	٤٢	الماباي
٣٥٣٧٦	٣,٥	---	---	٣٥٣٧٦	٣٥,١	---	١٠٠	٤	القوائم العربية للماباي
٧٥٦٥٤	٧,٥	٦٥١٥٤	٧,١	١٠٥٠٠	١١,٧	٨٦,١	١٣,٩	٩	المابام
٤٢١١١	٤,٢	٢٢١١١	٢,٤	٢٠٠٠٠	٢٢,٢	٥٢,٥	٤٧,٥	٥	ماكي
١٠٠٦٩٦٤	١٠٠	٩١٦٩٦٤	١٠٠	٩٠٠٠٠	١٠٠	٩١,١	٨,٩	١٢٠	إجمالي الأصوات الصحيحة لكل الأحزاب

المصادر: إسرائيل، حاليشكا ها مركازيت لستاتستيكا، توتز اعوت حايرحوت لكنيست حاحا ميشيت، سيدرات بيروسميم ميوهاديم، عدد ١٦٦ (القدس ١٩٦٢)، موسى م. كزودنويسكي وجاكوب م. لنداو، الحزب الشيوعي الاسرائيلي والانتخابات للكنيست الخامس، ١٩٦١ (ستانفورد، ١٩٦٥)، جاكوب م. لنداو، العرب في اسرائيل: دراسة سياسية (لندن، ١٩٦٩).

ملاحظة: حصل ماكي على ١٧٢٨٧ صوتا والمابام ٩٢٣٢ صوتا في كل المحليات العربية. وتتضمن إجمالي الأصوات العربية لهذين الحزبين في تقديري الأصوات في أماكن الاقتراع العربية في الأساس في المدن المختلطة.

أربعمئة من العرب أعضاء في الحزب)، أو حتى قرار الاتحاد (نحو الفين أيام الثلاثاء وأربعة آلاف أيام الجمعة)، واستند التأييد على دفاع الحزب المستمر عن الحقوق المدينة والوطنية لعرب فلسطين، وليس على ايديولوجيته الشاملة. وفي حين أنه كان يمكن توسيع نطاق هذا التأييد لو كان الحزب قد ركز على موقفه المتميز بشأن النزاع العربي الاسرائيلي، فإنه كان يمكن أن يتبدد لو كان الحزب قد جعل موقفه أكثر اعتدالا. ومع ذلك كان من المرجح أن الحزب سيفقد التأييد اليهودي لو كان قد اتبع المسار الأول. ولا تبين ملاحظات ميكونس الضخمة التي تضم معلومات عن اجتماعات قيادة ماكي من حزيران فصاعدا أن هذه القضية قد نوقشت بمثل هذا الوضوح في أي وقت. لكن لابد أن كل عضو في هيئات الحزب القيادية كان واعيا لها، وكان التناقض قائما تحت سطح كثير من المناقشات قبل انتخابات الكنيست في ١٩٦١ وبعدها على حد سواء.

□ ماكى والشيوعية الوطنية العربية

خلال الاستعدادات للمؤتمر والحملة الانتخابية التالية، حاول ماكى التخلص من قواعده التقليدية المستندة للأسلوب السياسى والثقافى لأوروبا الشرقية، مسقط رأس معظم قدامى محاربى الحزب اليهود، واعتماد أسلوب اسرائيلى أكثر شعبية. فبعد سنوات من العزلة والهزيمة بعد حرب ١٩٥٦، شعر الحزب بالحاجة إلى الانتقال إلى التيار الرئيسى الثقافى الاسرائيلى إذا أراد أن يستغل على خير وجه الظروف السياسية الجديدة فى البلاد. وثارت مسألة الطريق الاسرائيلى إلى الاشتراكية فى ماكى، نتيجة لإرخاء الانضباط فى الحركة الشيوعية الدولية فى أعقاب المؤتمر العشرين للحزب الشيوعى السوفيتى، ومؤتمر الأحزاب الشيوعية فى موسكو فى ١٩٥٧ و ١٩٦٠، والتجديدات النظرية لهالمىرو تولياتى زعيم الحزب الشيوعى الايطالى، والمطالبة الرائدة بالمركزية التعددية والطرق الوطنية إلى الاشتراكية فى الحركة الشيوعية: وكان المنادى بأفكار تولياتى فى ماكى هو اليعزر فايلر، سكرتير ميكونس الشخصى والعضو المرشح للجنة المركزية. وكان فايلر مسؤولا عن العلاقات الدولية للحزب، ومثل ماكى فى المؤتمر العاشر للحزب الشيوعى الايطالى فى كانون أول ١٩٦٢ (٦١).

وتردد أعضاء ماكى مدة أطول مما فعل الشيوعيون المصريون قبل أن يناقشوا طريقهم الوطنى للاشتراكية، ولم يطوروا أبدا المفهوم من الناحية النظرية لأن ميكونس واللجنة السياسية بأسرها اعتبرا خط تولياتى جدّ معاد للسوفيت. ولم تكمل اللجنة التى عينت لوضع برنامج اسرائيلى للاشتراكية بعد انتخابات الكنيست فى ١٩٦١ مهمتها أبدا (٦٢). ويفسر الارتباط العميق لقدامى محاربى ماكى من يهود شرق أوروبا بالاتحاد السوفيتى جزئيا الأسلوب السياسى الدوجماتى بصورة استثنائية للحزب وتحفظه فى اعتماد المركزية التعددية. وبالإضافة لذلك، فقد كان للأورثوذوكسية وظيفة اجتماعية وسياسية داخل ماكى. ومثلما كان حل الكومنترن فى ١٩٤٣ ترخيصا بالأشكال المختلفة من الشيوعية الوطنية وعاملا فى الانقسام فى الحزب الشيوعى الفلسطينى، فإن مفهوم المركزية التعددية أيضاً هدّد بتقويض سلطة كثير من الأحكام الايديولوجية التى حافظت على الوحدة اليهودية العربية فى ماكى، رغم أنه كان مصاغا بعبارات مجردة مفرطة وغارقة فى نوع من التفكير الرغيبى.

وقشلت إحدى صعوبات تطوير طريق اسرائيلى للاشتراكية فى أن الثقافة الاسرائيلية كانت لاتزال تمر بعملية تكوين، ولم تكن توجد «قومية» اسرائيلية حتى بالمعنى القانونى الضيق، وكانت الهوية كيهودى أو عربى هى الحاسمة. والبرنامج الاشتراكى الراسخ بجذوره فى التقاليد الثقافية القومية لاسرائيل، كان لابد وأن يبرز، بصورة حتمية تقريبا، الثقافة اليهودية الأوروبية الشرقية. لقد كانت الثقافة العربية، بما فى ذلك ثقافة اليهود الذين جاءوا من العالم العربى، هامشية يحكم تعريفها فى اسرائيل، فى حين كانت مظاهر الشعور الوطنى العربى تعتبر انتهاكا لأمن الدولة. ومحاولة تحديد طريق اسرائيلى للاشتراكية ربما كانت ستدمر - وقد فعلت ذلك فعلا - الوحدة القائمة بين القوميتين فى الحزب.

ومن ناحية المبدأ، ربما حاول ماكي الترويج لهوية اسرائيلية قائمة على قوميتين، هوية ترتبط بعناصرها العربية واليهودية العالمية ولكن تتمايز عنها في نفس الوقت. وقد أعلن انطون شماس تأييده لمثل هذه الهوية في روايته العبرية التي تحكى سيرته الذاتية، عريسك. لكن في مطلع الستينيات، كان الأساس الاجتماعي لذلك المشروع أضعف حتى من ذلك الأساس الهزيل الذي استندت إليه مغامرة شماس الأدبية، عندها لم يكن هناك فلسطيني عربي قادر على أن يكتب رواية بالعبرية، وفي حين كان اليهود العراقيون شخصيات مهمة في التاريخ الأدبي للعراق، استمر عدد كبير منهم، من بينهم أعضاء ماكي، شمعون بالاس، وسامى ميخائيل، وساسون سوميخ، في الكتابة باللغة العربية بعد الوصول لاسرائيل، فقد خضعوا جميعا لضغط اجتماعي شديد ليتحولوا إلى العبرية. ومن الناحية النظرية، ربما كان أعضاء ماكي من اليهود العراقيين قادرين على توفير القيادة الثقافية لتوحيد اليهود والعرب حول هوية تتركز حول الشرق الأوسط، لكن من الناحية العملية لم يكن ذلك ممكنا في ماكي أكثر منه في أي حزب سياسى اسرائيلى آخر، لأن الثقافة اليهودية الشرقية لم تكن قد بدأت بعد في تأكيد نفسها، مثلما فعلت مؤخرا.

وكان أعضاء المابام والحزب الاشتراكي اليسارى السابقون الذين انضموا لماكي مع سنيه في ١٩٥٤ موردا قيما لماكي في سعيه نحو اتجاه اسرائيلى. فقد تنقل أعضاء الحزب هؤلاء خلال حركات الشباب الصهيونية والكيبوتسات، وخدم بعضهم على نحو متميز في البالماح والهاجاناه وقوات الدفاع الاسرائيلية. وشاركوا كثيرين من الصهيوينيين اليساريين خبراتهم التعليمية والمعيشية المشتركة وكانوا جزءا من نسيج المجتمع الاسرائيلى بطريقة لم يستطعها معظم قدامى المحاربين في الحزب الشيوعى الفلسطينى أبدا. وكان بعض قداماء الحزب قد نظروا إلى أتباع سنيه باسترايه عندما انضموا لماكي^(٦٣)، أما الآن فقد ظهروا باعتبارهم أمل الحزب في المستقبل.

وكانت محاولة ماكي لإحياء عصبة الشباب الشيوعى تعبيرا بارزا عن رغبته في أن يحتوى الثقافة الوطنية الاسرائيلية، وأصبحت قيادة العصبة مركز المشاعر اليهودية الوطنية الشيوعية في الحزب. وفي أواخر ١٩٦١، حلّ يثير تسابان محل عوزى يورشتاين كسكرتير للعصبة. وهو من أتباع سنيه وكان من رأيه أنه لا ينبغي لماكي أن يطلع الرأى العام اليهودى على كل ما يعرفه عن النزاع العربى الاسرائيلى. مما يصل إلى علم اللجنة المركزية، واعتمدت العصبة في ظل قيادة تسابان كثيرا من ممارسات حركات الشباب الاسرائيلية الأخرى، التي كانت بحكم تركيزها على الطلائعية والاستيطان الريفى والدفاع المسلح، جزءا من الهيكل المؤسسى للصهيونية العمالية وعبرت عن روحها. وكان من المستحيل تبني معاييرها مع تفادى قبول (أو على الأقل كان من المستحيل النضال ضد) مشروع البناء القومى مثلما تصوره ونفذته الحركة الصهيونية ولكن نظرا لأن الحركة الصهيونية كانت هي المعين الذى لا ينضب للثقافة الوطنية اليهودية الاسرائيلية، فإن أى محاولة للتكامل مع هذه الثقافة كانت بحكم تعريفها ستشكل عدوانا محتملا على أعضاء الحزب من العرب ومؤيديهم.

وفى ١٩٦١، نشرت العصبة كتابا للأغاني بالعبرية يتضمن كثيرا من الأغاني التي كانت تردد فى حركات الشباب الصهيونية العمالية وكذلك أغاني لعدة أعياد يهودية. ورغم ادعاء العنوان بأن الكتاب يحتوى على «أغاني الأمم»، فلم يتضمن أى اغاني عربية، فى حين كانت هناك عدة أغاني بالروسية^(٦٤). بعد ذلك اقترح تسابان أن تقبل العصبة أعضاء جدد فى عيد أول ايار والخانوكاه (عيد التدشين) بدلا مما جرت عليه العادة بقبولهم فى أول ايار و٧ تشرين الثانى، وأن يتم الاحتفال لمنح لفاع الرقبة (رمز الترقى فى الصفوف الشائع فى كل حركات الشباب الاسرائيلية) فى مساهة (القلعة)، حيث حارب المتمردون اليهود آخر معارك مقاومتهم للرومان. كما أقامت العصبة وحدة للناحال (نوعار حالوتسى لوحيم - الشباب المقاتل الرائد) - وهى مجموعة من خريجي المدارس الثانوية الذين التحقوا بقوات الدفاع الاسرائيلية وتلقوا تدريباً أساسيا معاً قبل إرسالهم لكيبوتس على الحدود، حيث قاموا بالعمل الزراعى وواصلوا التدريب العسكرى فى الوقت نفسه. وذهبت مجموعات الناحال التابعة للعصبة إلى كيبوتس ياد حانا، الذى انضم معظم أعضائه لماكى. مع سنيه^(٦٥). ومن الواضح أن تسابان وقادة العصبة اليهود الآخرين قد تجاهلوا أن الشباب العربى لن يجد معنى لتلقى لفاع الرقبة مساهة خلال الخانوكاه وأن أعضاء العصبة وماكى العرب سيقبلهم إشراف الحزب على وحدة للناحال. وعندما قتل ابراهام جورى سكرتير وحدة الناحال فى ياد حانا، بطلقة بندقية من عبر الحدود فى ديسمبر (كانون أول) ١٩٦٤، أعلنت شوشانا كاتز عضو سكرتارية العصبة فى جنازته أن هناك حاجة «لمزيد من الوطنية» فى ماكى^(٦٦).

الممارسات الوطنية الشيوعية مثل تلك التى أدخلتها العصبة لم تكن جديدة فى تاريخ الحركة الشيوعية الفلسطينية الاسرائيلية. فقد نادى بها كل من عصبة التحرر الوطنى والحزب الشيوعى العربى فى الأربعينيات، ونادى به حانوح بزوزاخ ومجموعته فى منتصف الخمسينيات. بيد أنه بحلول الستينيات، لم يعد معظم قادة الشيوعيين العربيين السابقين أعضاء فى ماكى، وتم طرد بزوزاخ ومؤيديه، ومنهم كثيرين من الشيوعيين العربيين السابقين من ماكى وأدانهم سنيه بصورة حادة باعتبارهم دعاة للشيوعية القومية الاسرائيلية خلال ١٩٥٦-٥٨. وعلى النقيض من ذلك، ظل كثيرون من قدامى عصبة التحرر الوطنى فى ماكى رغم فشلهم فى تطوير شيوعية وطنية فلسطينية، فقد انضموا لماكى بعد إجراء نقد ذاتى وقبول اتجاه الحزب اليهودى فى الأساس فى مطلع الخمسينيات. ومع ذلك، فإن الحقبة العربية لماكى بينت أن هناك إمكانات كبيرة فى المجتمع العربى لقيام جبهة شيوعية وطنية. ورغم أن الانقسام الناصرى الشيوعى فى ١٩٥٩ عرقل تكوينها، فإنه بحلول ١٩٦٢-٦٣، ومع إصلاح الانقسام، نشأت الفرصة لإعادة بناء التحالف تحت علم الولاء للسوفيت والأرثوذكسية الايديولوجية.

ومن قبل، كان الشيوعيون اليهود قد انتقدوا عصبة التحرر الوطنى لافتقارها إلى الأرثوذكسية فى المسألة الوطنية، ومع ذلك فقد أصبح القادة العرب لماكى الآن المدافعين الأشد مراسا عن الارثوذكسية، فى حين كان بعض القادة اليهود هم المدافعين الرئيسيين عن المرونة والتجديد. لكن لا يمكن للمرونة أن تسير فى اتجاه واحد فقط. وإذا كان ماكى قد اضطر لأن يكون أكثر انفتاحا

للتعاون مع اليسار الصهيوني وأن يطوع خطه وعمله مع الثقافة الوطنية اليهودية، فقد كان على الحزب أيضا أن يكون مستعدا للسماح للكوادر العربية بحرية الإبداع والتجديد في مجتمعهم الخاص. وقد خلق هذا الشرط تناقضا داخليا لم يستطع الحزب حله.

بعد طردهم من ماكي، حاول زوزاخ وزملاؤه التنظير لشيوعية وطنية يهودية من خلال مطبوعاتهم السريعة واتصالاتهم الدولية، ولكن نظرا لأن هذا الاتجاه لم يطور شكلا تنظيميا متينا دائما، فإن تأثير جهوده النظرية كان ضئيلا. وعلى النقيض من ذلك، فإن الشيوعيين القوميين اليهود الذين حكمهم انضباط البقاء في حزب يعارض خطة الشيوعية القومية على خلاف الحزب الإيطالي، لم يطوروا أبدا تبريرا نظريا شاملا لموقعهم. واعتمدوا بدلا من ذلك على تقييمات تكتيكية للظروف السياسية (فأفراطوا مثلا في التركيز على فرص التغيير السياسي التي أتاحتها قضية لافون)، وعلى تعديل الأساليب في عمل الحزب - تغيير تكتيكات الحزب في حملة الانتخابات في ١٩٦١، وإدخال تغييرات على عصبة الشباب الشيوعي (بانكي)، أو تبني نغمة أكثر شعبية في أطروحات المؤتمر الرابع عشر دون نقد خط المؤتمر الثالث عشر - مع تفادي إعادة التقييم الايديولوجي. ومن ثم، فعندما تفجر الجدل داخل الحزب حول هذه القضايا في النهاية، اتسم بتعبيرات أرثوذكسية جافة بطريقة مقولبة ألقت غموضا على الكثير مما كان مطروحا.

٧ نحو الانقسام في ماكي

في أعقاب انتخابات الكنيست في ١٩٦١، كان ماكي يواجه اتجاهين متعارضين متناقضين ينبثقان بمزيد من التباعد: اتجاه «قومية يهوديا» واتجاه «قومية عربيا». وبعد أن دافع سنيه عن راية الارثوذكسية خلال الخمسينيات، أصبح الممثل الأكثر بلاغة للاتجاه القومي اليهودي. وقد أعرب عن هذا التغيير في الاتجاه في الاتجاه في مناقشة اللجنة السياسية لنتائج الانتخابات باقتراح الاقتراب من المابام والتأكيد أنه لو كان الحزبان قد تعاونا لجاء أداؤهما أفضل. كما كان يريد شن حملة عامة لجعل المابام، واحدوت هعافدا، والليبراليين يفون بوعدهم بأنهم لن يدخلوا حكومة جديدة يرأسها بن جوريون^(٦٧). (وحافظ المابام والليبراليون على كلمتهم، لم تفعل احدوت هاهعافودا ذلك).

وكان حبيبي قائد الاتجاه القومي العربي وقد أعلن أنه ينبغي على ماكي أن يكون أكثر إقداما في حملته الهجومية على أحزاب اليسار الصهيوني، وأن يرسى الأساس لجبهة مناهضة لبن جوريون. وأورد أن المثقفين العرب يرفضون محاولة المابام في أن يبدوا ناصريا: «لقد اختار الشعب العربي طريق النضال وليس طريق المابام في مهادنة النظام». وحسبما قال حبيبي، فإن القضية المبدئية للحملة في المجتمع العربي، هي مسألة اللاجئين (وهنا استمر في حاجته القديمة السابقة لسنيه)، وأن الرأي العام أوضح في اقتراحه تأييده لنهج ماكي لحل النزاع العربي الاسرائيلي. كما اقترح حبيبي أن تصبح الاتحاد يومية. ورغم أن المكتب السياسي وافق على هذا الاقتراح، فإنه لم ينفذ لنقص الأموال^(٦٨).

وكان الخلاف الرئيسي بين سنيه وحبيبي في هذه النقطة هو المدى الذي ينبغي لماكي أن يسعى به للتعاون مع المابام. لقد سعى ماكي دوما لمثل هذا التعاون، لكن مابام ١٩٦١ كان كيانا جد

مختلف عن ما بام ١٩٤٨-٥٢، فقد أثار تأييد المابام لحرب ١٩٥٦، واستسلامه للإجماع الصهيوني بشأن النزاع العربي الاسرائيلي، وتكتيكاته في المجتمع العربي، اشمئزاز الشيوعيين العرب، خاصة حبيبى. وكان لب الجدل يدور حول تقييم الاتجاه الذى تمضى إليه السياسات الاسرائيلية. فلو كانت قضية لافون تعنى إفلاس البن جوربونية وكل ما تمثله، يصبح من الرشد اقتراح أن يشكل ماكى جبهة مع كل من يعارضون بن جوربون للإسراع بالإطاحة به. ولكن إذا كانت أزمة الماباي سطحية فحسب ولا تخلق آفاقا لإعادة ترتيب أساسية للمصفوف السياسية، فإن التعتيم على الفروق بين ماكى واليسار الصهيوني قد يؤدى إلى استسلام الحزب الايديولوجى وخسارة التأييد الذى يحظى به فى المجتمع العربى، وحتى سنيه سلم بأنه فى حين أن نتائج الانتخابات تعد علامة على التحرك صوب اليسار، فقد كانت الحكومة التى شكلها بن جوربون تحركا نحو اليمين^(٦٩). ومن ثم لا غرو فى أنه لم يستطع أن يقنع حبيبى بتأييد حماسة الجديد للتحالف مع اليسار الصهيوني.

أشارت استقالة بن جوربون كرئيس للوزراء للمرة الأخيرة فى ١٦ يونيو (حزيران) ١٩٦٣ (والتي عجل بها افتضاح أن علماء المانيا الغربية كانوا يعملون فى تطوير قذائف من أجل مصر)، واستبداله بليفى اشكول، إلى بداية نزاع قومى حاد وانقسام فى نهاية المطاف داخل قيادة ماكى. فقد رأى ميكونس وسنيه والقادة اليهود الآخرون أن استقالة بن جوربون هى ثمرة متأخرة للأمال التى علقوها على أزمة الماباي فى ١٩٦٠-٦١، وأكد ميكونس أنه ينبغي على ماكى أن يركز هجماته على مؤيدى بن جوربون فى «الحارش الشاب» فى الماباي (ديان وبيرس ويوسف الموجى). بيد أن فلنر لم يكن متفائلا نسبيا بشأن رحيل بن جوربون، ومال القادة العرب إلى الموافقة معه^(٧٠). ومع ذلك، فنظرا لأن فلنر كان صريحا بصفة خاصة فى تحفظاته بشأن أشكول، فإن قيادة للحزب لم تنقسم فورا وفق خطوط قومية عند تقييمها لاستقالة بن جوربون.

فاقمت المصادمات على الحدود بين سوريا واسرائيل فى صيف ١٩٦٣ الخلافات فى اللجنة السياسية وأوضحت أن النزاع العربى الاسرائيلي، وهو ليس مجرد خلاف فى التقييم حول دلالة رحيل بن جوربون، كان قضية أساسية مطروحة، لقد كانت التوترات على الحدود السورية حادة دوماً بسبب الخلافات التى لم تحل حول المناطق منزوعة السلاح وبناء اسرائيل لمشروع قومى لنقل المياه حول مجرى جزء من نهر الأردن. وفى ١٣ يوليو (تموز)، قبض السوريون على ثلاثة اسرائيليين وثلاثة سواح بلجيكين المنحرف زورقهم إلى الأراضى السورية على الشاطئ الشمالى الشرقى لبحر الجليل. فتم إطلاق سراح البلجيكين، فى حين ظل الاسرائيليون محتجزين. وفى ٢٠ أغسطس (آب) وقع اسرائيليان فى كمين نصبه السوريون. فقتلا قرب ناحل الماجور على الحافة الشمالية لبحيرة طبريا. وكان الشعور العام بين قادة ماكى اليهود أنه ليس هناك ما يبرر هذه الأعمال السورية وأنها استفزازية دون مقتضى.. على الرغم من تسليمهم بأن عدم حل قضية الحدود ومقاطعة اسرائيل للجنة الهدنة السورية الاسرائيلية المشتركة منذ ١٩٥١، كانا هما السبب الجذرى للمشكلة.

وافتتح سنيه مناقشة اللجنة السياسية لمصادمات الحدود التى حضرها هو وفيلنسكا وتسقى

برايتشتاين فقط (والأخير لم يكن عضواً في اللجنة السياسية لكنه حضر معظم اجتماعاتها في تلك الفترة)، بينما كان ميكونس وفلنر وحنين وطوبى وحبيبي يقضون إجازة الصيف. وكانت حكومة أشكول قد قررت أن ترفع الأمر لمجلس الأمن، وهو ما اعتبره سنيه تحسناً كبيراً بالنسبة لاحتقار بن جوريون الهازي للرأى العام الدولى. ووافق سنيه وفلنسكا على أن سوريا كانت مسؤولة عن الحوادث الأخيرة وأن الرد السورى على ما اعتبرته انتهاكاً للمنطقة منزوعة السلاح كان مبالغاً فيه. بل لقد كان موقف سنيه «أكثر اسرائيلية» من رفيقيه^(٧١).

وبعد أن استخدم الاتحاد السوفيتى فى ٣ سبتمبر (ايلول)، الفيتو ضد مشروع القرار الأمجلو أمريكى لمجلس الأمن لإدانة سوريا، ناقشت اللجنة المركزية الأمر مرة ثانية (وكان ميكونس وفلنر لا يزالان فى إجازة) وأعلنت فيلنسكا أن الفيتو السوفيتى خلق موقفاً معادياً جداً ضد أعضاء الحزب (اليهود) فى أماكن عملهم، وأعربت بحرص عن فزعها من العمل السوفيتى بإبراز جانبه التكتيكى وليس المبدئى. وباعتبار سنيه رئيساً لتحرير كول هاعام صحيفة الحزب اليومية، فقد أيد موقف الاتحاد السوفيتى علناً فى تلك الصحيفة^(٧٢). بيد أن طوبى انتقد مساندة الصحيفة الباردة للعمل السوفيتى وطالب بتشكيف نقد الحزب للحكومة (فى حين لطف سنيه من نقده لأنه كان يؤيد قرار الحكومة باللجوء إلى مجلس الأمن). وإذا لاحظ حبيبي أن الفيتو مكّن الاتحاد السوفيتى من استعادة نفوذه الضائع فى العالم العربى، فقد نادى بأن يطالب الحزب بأن تستأنف اسرائيل المشاركة فى لجنة الهدنة المشتركة وحل النزاع بشأن المنطقة منزوعة السلاح.

وكان هذا الخلاف تمثيلاً مسبقاً لانقسام ١٩٦٥ فى الحزب والذى شمل معظم العناصر التى كونته أو سببته. وكانت المسألة الأساسية هى ما إذا كان ينبغى لماكى أن يؤيد بإخلاص سياسة الاتحاد السوفيتى، التى كانت تقوم على تقييم مفاده أن حركة القومية العربية بقيادة عبد الناصر هى القوة الأساسية المعادية للإمبريالية فى الشرق الأوسط، أم أن صياغة طريق اسرائيلى للاشتراكية تتطلب تباعد الحزب عن مواقف الاتحاد السوفيتى التى كانت تعتبر فى اسرائيل «موالية» للعرب» بصورة مفرطة وبلا شروط؟ وحاج المدافعون عن الموقف الأول (والذى تبلور فيما بعد باعتباره الرأى أ) بأنه إذا كانت الدول القومية العربية الراديكالية تشكل فى الواقع القوة الأساسية المعادية للإمبريالية فى الشرق الأوسط، فإنه ينبغى على ماكى أن يساندها فى أى نزاع بينها وبين اسرائيل، حليف الامبريالية، وهى التى لا تشكل، على أية حال، خطراً ملموساً على اسرائيل رغم تهديداتها الكلامية. وتبنت هذه المجموعة الرأى التقليدى للحزب بأنه مثلما أن الدول الامبريالية قد شجعت الرجعية العربية على مهاجمة اسرائيل فى ١٩٤٨، فإنها قد شجعت اسرائيل على مهاجمة مصر فى ١٩٥٦ واستمرت تشجع نزعة التشدد (العدوان) الاسرائيلى ضد الدول العربية المعادية للإمبريالية. وأكد المدافعون عن الموقف الثانى (الرأى ب) أن الدول القومية العربية الراديكالية هى ديكتاتوريات عسكرية، تمارس القمع ضد طبقتها العاملة وأحزابها الشيوعية. وترفض الاعتراف باسرائيل وتدعو لتدميرها، وتتوقع ذلك من الدعوة للتعايش السلمى - الذى أصبح الشعار الرئيسى للسياسة الخارجية السوفيتية فى أعقاب إبرام معاهدة الخطر الجزئى للتجارب النووية مع بريطانيا والولايات

المتحدة في ٥ أغسطس (آب) ١٩٦٣.

وطور مؤيدو الاتجاه الشيوعي القومي الاسرائيلي نظرية جديدة مفادها أن النزاع العربي الاسرائيلي منفصل عن المعركة بين القوى الامبريالية والقوى المعادية للامبريالية في الشرق الأوسط. وكانت بذور هذا المفهوم حاضرة بالفعل في أطروحات المؤتمر الرابع عشر للحزب، لكن ماكي لم يجر مناقشة ايدولوجية متعمقة يمكن أن تصقل هذه المسألة وتحدها، وحدث نقاش حول مدى الاختلاف الذي تمثله حكومة اشكول بالنسبة لحكومة بن جوريون وسياساتها المتشددة، وأدى ذلك إلى خلاف أساسي بدرجة أكبر حول طبيعة النزاع العربي الاسرائيلي ودرجة التأييد الذي ينبغي تقديمه للنظم القومية العربية غير الديمقراطية، وكان لهذا الجدل الأخير انعكاسات على موقف ماكي تجاه الحركة الصهيونية ومدى التركيز الذي ينبغي أن تحظى به مبادئه الايدولوجية الموالية للصهيونية فإن كان الفرق بين اشكول وبن جوريون في أدنى حد (الرأى أ)، فعندئذ لا يمكن تحقيق الكثير بتخفيف نقد الحزب للحكومة والحركة الصهيونية بأسرها، ولو كان الفرق كبيراً (الرأى ب)، فإنه يجدر بماكي عندئذ أن يشجع القوى التي تعارض التشدد في الماباي وفي الاحزاب الصهيونية العمالية الأخرى.

وقد وصفت دراسات عديدة بالانجليزية والعبرية والفرنسية تطور النزاع في اللجنة السياسية من خريف ١٩٦٣ حتى إعلان الرأيين المتناقضين للرأى العام علانية في كول ها عام في ١٩ مايو (آيار) ١٩٦٥، الانقسام في الحزب في آب، رغم أن احدا لم يستخدم المحاضر التي كتبها ميكونس عن هذه الاجتماعات، والتي أصبحت متاحة للمباحثين مؤخرًا فحسب^(٧٣). وقد تناولت كل هذه الدراسات المسألة من خلال الخطاب الصهيوني، مفترضة أن موقف اسرائيل من النزاع العربي الاسرائيلي كان له ما يبرره بصورة كاملة وان المشاعر الوطنية لأعضاء ماكي العرب هي التي سببت الانقسام، في حين أن أعضاء الحزب اليهود كانوا أميين صادقين، من الواضح أن هذا النهج غير مرض، لكنى لن أحاول تصحيحه ببناء رواية منقحة للحجة. فنظرا لأن الجدل كان مقصورا على اللجنة السياسية وبعد ذلك على اللجنة المركزية، ظلت كوادر الحزب غير واعية به لحد كبير حتى نهاية ١٩٦٤، وإعادة تشكيل الرواية تفصيلا لن تقول الكثير عن كفاءة ماكي الحقيقية والظروف الاجتماعية التي كان يعمل في ظلها.

هل كانت هناك فرصة لتحدى هيمنة الماباي في مطلع الستينيات؟ هل كانت لدى ماكي إمكانية حقيقية للنمو بين العمال اليهود؟ هل كان هناك أساس جوهري للوحدة بين اليهود والعرب في اسرائيل بدون وقوع اعتداء جذرى على البنى المؤسسية للامتياز اليهودي؟ الإجابة على هذه الاسئلة لا بد وأن تكون سلبية، مما يبين أنه لم تكن هناك في الواقع أى إمكانيات لطريق قومي يهودى إلى الاشتراكية في الستينيات. فقد بدأت الخلافات العرضية الأولى بين الأعضاء اليهود والعرب تتبلور وفق أسس قومية في الأساس في أواخر ١٩٦٣، وانتهى قادة الحزب العرب إلى إدراك الإمكانيات السياسية المحدودة للمجتمع اليهودي والمطالبة بنهج يركز على العرب باعتباره المنهج الوحيد الذي يمكن أن

يحقق مزيدا من المكاسب للحزب. وبالطبع، كان معظم الشيوعيين اليهود عازفين عن قبول هذا الاتجاه، بل لقد استمر كثيرون منهم فى الاحتفاظ بأوهامهم حول إضفاء طابع راديكالى على الطبقة العاملة اليهودية فى اسرائيل حتى طرحت الشيوعية القومية اليهودية جانبا فى السبعينيات. ويمكن فهم انقسام ١٩٦٥ فى ماكى على أفضل وجه باعتباره تعبيراً عن هذه الظروف وليس نتيجة «لانتهازية» طرف أو آخر أو «انحرافه القومى».

□ انهيار نفوذ ماكى بين الطبقة العاملة اليهودية

على الرغم من أن ماكى أيد دوما المطالب الاقتصادية للطبقة العاملة، إلا أنه بحلول أواخر الخمسينيات كان العمال جد مغتربين عن الحزب بسبب موقفه من النزاع العربى الاسرائيلى بدرجة جعلت إنجازاته على المدى البعيد ضئيلة فحسب، حتى خلال فترة العامين من الصراع الاقتصادى المكثف بصورة استثنائية والتي بدأت بإضراب ٢٣ يناير (كانون ثانى) ١٩٦١. وفى فبراير (شباط) ١٩٦٢، «طبقت الحكومة سياسة اقتصادية جديدة» تهدف إلى جذب الاستثمار الأجنبى، وتقليل استهلاك السلع المستوردة، وتشجيع الصادرات، وتجميد الأجور. وكان العنصر المركزى فى السياسة هو تخفيض قيمة الجنيه الاسرائيلى بنسبة ٤١ فى المائة مما قلل من قدرة كاسبى الأجور على شراء السلع المستوردة، ورد العمال بتنظيم لجان عمل مستقلة عن قيادة الهستدروت وتنظيم أربعة إضرابات عامة نضالية خلال العام، إضافة إلى عدة احتجاجات صغيرة. وشارك كل من ماكى والمابام فى لجان العمل بنشاط، حتى أنه ولمدة ما كانت هناك شبكتان من اللجان المتنافسة لكل حزب نفوذ فى واحدة منهما.

حقق ماكى تقدما ضئيلاً فحسب بين العمال اليهود خلال هذين العامين. وقد حاضرت السيتر فلنسكا أمام اللجنة المركزية فى ٢٤ ابريل (نيسان) ١٩٦٢، عن جهود الحزب التنظيمية فى أماكن العمل واستطاعت أن تقدم أربعة أمثلة حديثة فقط على العمل الناجح^(٧٤). وكان أحدها يروى نفس القصة عن تكوين خلية حزبية فى مصنع فريدمان فى القدس والتي كان ابراهام هاس قد أبلغ اللجنة المركزية بها فى نهاية ١٩٥٩. أضف إلى ذلك، أن عضوا فى الحزب انتخب مؤخرا كسكرتير للجنة العمال فى مصنع همنيه فى تل ابيب (وهو مركز رئيسى للنشاط خلال إضرابات ١٩٦٢)، وفاز نفس عضو الحزب الذى فشل فى الحصول على مقعد فى لجنة عمال آتا فى ١٩٥٨، بمقعد له، وحصل أعضاء ماكى على ١٣ و ١٥ بالمائة من أصوات لجان العمال فى إدارتين من إدارات ميناء حيفا.

ومع ذلك، وفى تقريره عن عام ١٩٦٣، أبلغ فرع ماكى فى حيفا اللجنة المركزية للحزب أنه ليست لديه خلايا للعمال الصناعيين فى المدينة الصناعية الرئيسية فى اسرائيل^(٧٥). وأن كثيرين من أعضاء الحزب الذى كانوا من قبل عمالا أصبحوا يعملون لحسابهم الخاص، وكانت المشروعات الكبيرة الوحيدة التى يعمل بها أعضاء الحزب هى الميناء، مستشفى رامبام، بلدية حيفا، المستشفى الحكومى فى نهاريا، وبنك لنومى. إن عدم وجود الصناعات الأساسية فى هذه القائمة صارخ ولم يقم الفرع بجهود تنظيمية كبير فى أماكن العمل ولم يشترك فى حملة زيادة الأجور فى تلك السنة.

كان انهيار نفوذ ماكي بين العمال اليهود هو السبب الرئيسي للركود الشامل أو الانهيار في عضويته اليهودية، ومثلما يوضح الجدول ٧، انخفض عدد أعضاء الحزب في المناطق اليهودية أساساً (تل أبيب - يافا، حيفا، القدس، منطقة السهول الداخلية، الجنوب، النقب) بصورة طفيفة في الفترة بين ١٩٦١ و ١٩٦٥، في حين تضاعفت تقريباً العضوية في المناطق العربية بكاملها (الناصرة، المثلث). ومن المحتمل أن يكون الانخفاض في عدد الأعضاء اليهود في منطقة حيفا حتى أكثر بروزاً مما يبينه الجدول لأن فرع الحزب في عكا، الواقعة في تلك المنطقة والمكونة من العرب أساساً، نما سريعاً خلال ١٩٦٢ (٧٦). ومنذ ١٩٥٨ كان هناك انخفاض مزمن في العضوية في كل المناطق التي كان اليهود فيها أغلبية عدا تل أبيب - يافا والجنوب/ النقب (حيث كانت الزيادة هامشية وربما كانت تعزى إلى الأعضاء العرب الجدد في اللدوالرملة).

ويمكن العثور على دليل أكبر على تدهور نفوذ ماكي بين اليهود واتساع نفوذه بين العرب في الستينيات في توزيع صحافة الحزب (جدول ٨). فبعد حرب السويس/ سيناء، انخفض عدد قراء صحافة الحزب في كلا المجتمعين: في المجتمع اليهودي بسبب الحرب والظروف المحيطة، وفي المجتمع العربي بسبب القطيعة مع عبد الناصر في ١٩٥٩. لكن لم تستعد كول هاعام أو أي من صحف الحزب الأسبوعية (والتي يقرأها اليهود وحدهم) قدرة توزيعها من فترة ما قبل الحرب ابداً (كانت الصحيفة الأسبوعية البولندية استثناء لأنها بدأت استجابة للهجرة الكبيرة من بولندا في ١٩٦١). وعلى النقيض من ذلك، استعادت الاتحاد تقريباً مستوى ١٩٥٦ لعدد القراء وذلك في مطلع ١٩٦١، وتضاعفت بصورة مطردة بعد ذلك. كان التوزيع المرتفع بشكل غير عادي في آب ١٩٦١ يرجع إلى انتخابات الكنيست في ذلك الشهر). ونتيجة لذلك، فإنه بحلول ١٩٦١، بلغ عدد قراء عدد الجمعة للاتحاد ضعف عدد قراء كول هاعام - وهي نسبة استمرت خلال باقى الفترة التي تتوافر عنها إحصاءات، حتى على الرغم من أن معدلات معرفة القراءة والكتابة لدى العرب أدنى كثيراً منها بين اليهود وأنهم يشكلون ١١,٣ في المائة فقط من سكان إسرائيل.

٣١ حشد المواطنين الفلسطينيين العرب في إسرائيل

كان إضفاء طابع بروليتارى سريع على الفلاحين العرب السابقين بعد تخفيف الحكم العسكرى لبعض قيود العمل والانتقال في ١٩٥٩ والتوسع في التعليم الثانوى والجامعى، هما العمليتان الاجتماعيتان الأساسيتان اللتان حطمتا سلطة رؤساء العشائر، وحشدتا المجتمع العربى في التسعينيات، وأدتا إلى زيادة التأييد لماكى (٧٧). ففي ١٩٥٤، كان ٥٨,٢ في المائة من المواطنين العرب المستخدمين في إسرائيل يعملون في الزراعة والحراجه وصيد الأسماك، وبحلول ١٩٦١ بلغ هذا الرقم ٣٨,٢ في المائة فقط. وكان لاكتساب السكان العرب طابعاً بروليتارياً تأثير سياسى مباشر، خاصة في الهستدروت. ففي ١٩٦٥ كانت صناعة البناء تستخدم ٢١,٦ في المائة من قوة العمل العربية وكانت ثانى أكبر قطاع في المجتمع العربى بعد الزراعة. وتفسر هذه الحقيقة بروز ماكى المشير للإعجاب في الاقتراع من أجل مؤتمر اتحاد عمال البناء الذى عقد في ٣١ يناير (كانون ثانى) ١٩٦٥، وهى أول انتخابات للهستدروت يشترك فيها العرب: فقد ظفر ماكى بنسبة ١٧,٧ في المائة

الجدول ٧ عضوية ماكي، ١٩٥٨ - ٦٥
(المرشحون بين قوسين)

المنطقة	١٩٥٨	١٩٥٩	١٩٦١	١٩٦٥
- تل أبيب يافا (أ).	٤٦٠ (٣٠ +)	٤٥٥ (٢٥ +)	٥٤٠	٥٣٢
- حيفا.	٢٥٦ (٢٢ +) (ب)	٢٣٥ (١٨ +)	٢٢٤	٢١٩
- الناصرة.	١٦٥ (٩٥ +)	٢١٤ (٤٧ +)	٢٤٠	٤٤٤
- المنطقة الداخلية.	٢٤٦ (٢٢ +)	٢٤٥ (١٦ +)	١٩٤	٦٩
- الشارون (ج).	--	--	--	٧٧
- المثلث (د).	--	--	٤١	٨١
- القدس.	٦٥ (٨ +)	٧٧ (٧ +)	٧٥	٦٥
- الجنوب.	٩٦ (١٦ +)	١٠٠ (١١ +)	٩١	٧٥
- النقب (هـ).	--	--	٣٥	٤١
- اللجنة المركزية ولجنة				
الرقابة المركزية.	--	--	--	٣٢
الإجمالي	١٢٨٨ (١٩٣ +)	١٣٢٦ (١٢٤ +)	١٤٤٠	١٦٣٥

المصدر: تعداد الحزب، كى ام ٣٥ مؤتمرات، ٢٠ - ١، ٢٠ - ٢، ٢٠ - ٤.
ملاحظات: هذه الأرقام تقل عن ماوردت في كل الدراسات الأخرى عن ماكي، لكن نظرا لأنها تعتمد على تعدادات الحزب غير المنشورة التي أجريت قبل المؤتمرات الرابع عشر والخامس عشر (مع مقارنات بأثر رجعي استنادا للتجديد السنوي لبطاقات العضوية في ١٩٥٨ و ١٩٥٩)، فلاحظك أنها أكثر دقة.

أ- تتضمن أعضاء اللجنة المركزية ولجنة الرقابة المركزية في ١٩٦٥.

ب- تتضمن بعض الفروع التي حولت إلى الناصرة في ١٩٥٩.

ج- جزء من المنطقة الداخلية حتى ١٩٦١.

د- جزء من الجنوب حتى ١٩٦١.

الجدول ٨
توزيع صحف ماكي، ١٩٥٦ - ٦٣

٥٦/٨	٦١/٤	٦١/٤	٦١/١٢	٦٢/٦	٦٣/١٢	٦٣/٦	٦٣/١٢
١٨٣٤	١٤١٣	١٤٢٠	١٤٣١	١٥٥٣	١٥٩٥	١٦٦٣	١٦٥١
<u>كولها عام</u>							
<u>الاتحاد</u>							
١٨٣٧	١٧٣٤	٢١٨١	٢٠١٢	١٩٠٨	١٨٧٤	١٩٢٩	٢١٤٢
٢٧٨٨	٢٦١٦	٣٤٥١	٢٩١٥	٣٠١٠	٣٠٧٦	٣١٢٠	٣٢٩٩
<u>الصحف الأسبوعية</u>							
٢٧٦٤	١٧١٢	١٧٩٠	١٧٧٢	١٧٢٠	١٧٨٥	١٧٩٤	١٧٥٦
١٧٦١	٧٢٤	٨٤٣	٨١٨	٩٠٧	١٠٣٩	١٠٩٤	١٠٨٥
٢٣٣١	١٠٩٨	١١٧١	١١٤٦	١١٠٤	١١٣٢	١١٨٨	١١٥٧
٣٤٧	٣٣٠	٣٥٢	٣٢٤	٣٠٣	٣٢٠	٣٢٣	٢٩٣
٦٠٣	٤٩٦	٥١٣	٤٦٣	٤٨٠	٥٠٨	٥٣٥	٥١٤
--	٩٢٩	١٠٥٨	٩٨٦	١٠٩٥	١١١٤	١١٤٩	١١١٦

المصدر: تعداد الحزب، كى ام ٣٥ سكروتاترية الحزب، مازكيروت، انيانيم شوتفيم، ١٩٦٤.
ملاحظات: يوجد فى الملف مجموعات عديدة متباينة بصورة طفيفة من أرقام التوزيع، أخذت منها هذه الأرقام،
لكنها جميعا تبين نفس الاتجاه

من أصوات العرب وأصبح ثالث أقوى حزب بعد الماهايم والمهاوى، وبالإضافة لذلك، فقد ظفر بنسبة ٤,٣ بالمائة من إجمالى الأصوات (مقابل ٣,١ فى المائة فى ١٥٩)، وهى أول زيادة كبيرة للحزب فى انتخابات لهستدروت خلال عقد من الزمان (٧٨).

وأصبح الشبان الذين ينتقلون يوميا من قراهم للعمل فى المدن، إلى جانب خريجى المدارس الثانوية (والجامعات فيما بعد)، القواعد الأساسية لتأييد ماكى فى المجتمع العربى. ونظراً لأن الحشد الاجتماعى لهذا المجتمع - وهى عملية غير قابلة للرجوع للوراء بحكم طبيعتها - قد استمر بوتيرة متسارعة حتى الآن، فقد زادت قوة الحزب الشيوعى والقوى السياسية الراديكالية الأخرى، بين المواطنين الفلسطينيين العرب منذ مطلع الستينيات.

وكان انقسام ماكى فى ١٩٦٥ فى الأساس تعبيرا عن التغيير فى القاعدة الاجتماعية للحزب وضعف احتمالات إجراء إعادة توجيه جذرى فى السياسات الاسرائيلية. كانت الطبقة العاملة اليهودية تتحرك نحو اليمين، وفشل نشاط الحزب فى النضال النقابى فى أن يجذب أعضاء أو قراء يهودا جددا لصحافة الحزب فى مطلع الستينيات. وعلى النقيض من ذلك، كان عدد الاعضاء والمؤيدين العرب للحزب آخذا فى النمو سريعا، وكان الوزن السياسى للمجتمع العربى وحصته من عموم السكان آخذين فى الزيادة، وفى حين كان قبول العرب فى الهستدروت إنجازا مهما، فقد استمرت مصادرة أراضي العرب فى الستينيات مع تطبيق الحكومة لخطط «تهويد الجليل»، كما ظل الحكم العسكرى ساريا حتى ١٩٦٦. ولم تفض قضية لافون ولا استقالة بن جوربون إلى إعادة ترتيب للصفوف السياسية فى اسرائيل أو تقلل اعتماد اسرائيل على الغرب. وزاد عجز ميزان المدفوعات الاسرائيلى بصورة مطردة خلال الخمسينيات والتسعينيات وتفاقم اعتماد اسرائيل على استيراد رأس المال من الغرب. وفى سبتمبر (ايلول) ١٩٦٢، وافقت إدارة كيندى على أن تباع لاسرائيل قذائف هول متوسطة المدى، وهى أول مرة توافق فيها حكومة الولايات المتحدة على أن تزود اسرائيل بأسلحة متقدمة بصورة مباشرة. وكانت هذه المبيعات، التى تبعها توريد دبابات فى ١٩٦٤ وطائرات سكاي هوك النفثة فى ١٩٦٦، استهلالا لعلاقة عسكرية امريكية اسرائيلية بعيدة الأثر أصبحت سمة أساسية للمجتمع الاسرائيلى. ورغم أن اشكول حاول كبح جماع المتشددى فى المؤسسة العسكرية (كما يتبدى فى قراره برفع الانتهاكات السورية لخطوط الهدنة إلى مجلس الأمن فى ١٩٦٣)، فإن التشدد كان راسخا باعتباره السياسة العسكرية الوحيدة القادرة على البقاء بدرجة جعلت الرأى العام يجبر اشكول على أن يتبع خطاها فى شن حرب ١٩٦٧.

وكان انقسام ماكى وما ترتب عليه من تكوين حزبين شيوعيين - ماكى اليهودى كلية، ويقوده ميكونس وسنيه، وراكاح وأغلبيته الساحقة من العرب، ويرأسه فلنر وطوبى - تعبيرا عن عجز الطبقة العاملة اليهودية فى أن تحافظ على دورها فى الصفقة التى تم الوصول إليها عندما اتحد الشيوعيون اليهود والعرب لتشكيل ماكى فى ١٩٤٨. ووافق العرب على الاعتراف باسرائيل والعمل داخل نظامها السياسى، وفى المقابل، كانوا يتوقعون أن يحقق التضامن الطبقي بين العمال

اليهود والعرب فى تحالف مع القوى الديمقراطية الأخرى فى كلا المجتمعين، الحقوق الديمقراطية الكاملة للمواطنين العرب الفلسطينيين فى اسرائيل واعتراف اليهود بحق الشعب الفلسطينى فى تقرير المصير الوطنى فى شكل دولة مستقلة. وبحلول مطلع الستينيات، بدأت احتمالات تحقيق هذه النتيجة جدّ نائية. وهكذا، فلكى يتفادى ماكى أن يصبح معزولا بصورة يائسة فى المجتمع اليهودى، تراجع عن الحديث عن النزاع العربى الاسرائيلى باللغة التى استخدمها فى الخمسينيات. ولم يكن هذا التراجع مقبولا من أعضاء الحزب العرب، ليس فقط لأنه يدمر احتمالات نمو الحزب مستقبلا فى مجتمعهم، وإنما ايضا لأن نبض القومية الوحيدة العربية الناصرة المعادى للامبريالية لم يكن قد استهلك بعد. ومن ثم، كان لايزال فى الإمكان تصور استراتيجية تستند إلى تحالف ناصرى شيوعى. ولم تكن أوجه ضعف الحركة القومية العربية قد تكشفت بعد بصورة كاملة حتى وقعت هزيمة العرب فى ١٩٦٧، لكن ماكى كان قد انقسم بالفعل عندئذ وكان قدامى محاربى الحزب من اليهود قد قطعوا شوطا طويلا نحو الصهيونية بحيث أصبحت إعادة بناء الحزب على الأسس القديمة أمرا مستحيلا.

□□□

الفصل الثامن:

خاتمة

فى يوليو (تموز) ١٩٦٤، التقى وفدان، أحدهما من ماكى، يمثل شمشيل ميكونس واميل حبيبي، والآخر من الحزب الشيوعى الأردنى يمثل فؤاد نصار و«فريد»، سرا فى موسكو لمدة ثلاثة أيام لتبادل الآراء وتنسيق المواقف السياسية^(١). كانت هناك علاقة تاريخية قائمة بين الشيوعيين الأردنيين والعنصر العربى فى ماكى لأن كليهما جذور فى عصابة التحرر الوطنى التى كانت قائمة فى عصر الانتداب. وكان الحزب الأردنى لا يزال مكونا من الفلسطينيين: اللاجئين من ١٩٤٨ وأهل الضفة الغربية الأصليين. وكان حبيبي ونصار يعرفان بعضهما البعض جيدا لأنهما كانا كلاهما قائدين للعصبة، وكان ميكونس ونصار هما المتحدثين الرسميين الرئيسيين لحزبيهما.

وبعد تبادل التعبيرات الرسمية عن التضامن، كانت النقطة الأساسية فى جدول الأعمال هى المسألة الفلسطينية. وكانت صياغة نصار لخط حزبه قريبة من الخط الشيوعى الشائع فى ١٩٤٧-٤٨. ومع ذلك، فعلى الرغم من أن الحزب الأردنى قد أعلن أن الحركة الصهيونية كانت على الدوام حليفا للإمبريالية، فإنه لم يأسف على تأييد مشروع ١٩٤٧ للتقسيم، واعترف بحق الشعب اليهودى فى تقرير المصير فى اسرائيل. وبقي أساس الحل السلمى للنزاع هو مشروع الأمم المتحدة للتقسيم، بالإضافة إلى الاعتراف بحق اللاجئين الفلسطينيين فى العودة وإنشاء دولة فلسطينية عربية. والواقع أن الدول العربية الراديكالية أصدرت دعوات لتدمير اسرائيل (شجبتها الحزب الشيوعى الأردنى)، لكن لم تكن هناك خطط عسكرية حقيقية لمهاجمة اسرائيل أو «للالقاء باليهود فى البحر». وقد دافع الشيوعيون الأردنيون عن ماكى واعتبروه حزبا ماركسيا لينينا حقيقيا، وكانوا يتطلعون لتنسيق مواقفهم معه. إن لم يكن بنفس الشكل التعبيرى، ففى الجوهر والمحتوى.

وفى بيانه الافتتاحى، أعرب ميكونس عن ايار بشأن المؤتمر التأسيسى لمنظمة التحرير الفلسطينية الذى عقد فى مايو ١٩٦٤ فى القدس الشرقية (كانت حينذاك تحت حكم الأردن)، واللغة المعادية لاسرائيل للمنظمة وقائدها، أحمد الشقيرى. وعلى الرغم من أن ماكى كان يعترف بحق اللاجئين فى تنظيم أنفسهم وفى المطالبة بحقوقهم، فقد كان ميكونس يؤمن بأن بيانات الشقيرى تضر بقضية السلام. ووفق رأى ماكى، فقد كان على اسرائيل أن تقوم بالخطوة الأولى نحو حل

النزاع، بالاعتراف بالحقوق الوطنية لعرب فلسطين. واستعرض ميكونس موقف ماكي التاريخي بشأن القضية الفلسطينية من خلال نصوص التقارير السياسية التي اعتمدت في مؤتمر الحزب، والتي استنتج منها أنه ليس هناك «فرق في المبدأ أو الجوهر بين شعاراتنا لحل المشكلة الفلسطينية وبين ما قرره اللجنة المركزية لحزبكم».

وأوضحت لقاءات أخرى لتبادل الرأي أنه في حين لم يصر الشيوعيون الأردنيون على الحدود الدقيقة لمشروع الأمم المتحدة للتقسيم، فإن هذه الحدود تقريبا هي التي كانت في أذهانهم كأساس إقليمي للتسوية السلمية. وكان الأردنيون يرون أن الأراضي التي ضمتها إسرائيل فيما يجاوز حدود التقسيم هي «أراض محتلة»، مثلما فعل ماكي في ١٩٤٨-٤٩ وأصر نصار على أنه ينبغي أن يكون هناك أساس إقليمي محدد لحق تقرير المصير الوطني الفلسطيني، إذا أريد أن يكون لهذا المفهوم مضمون حقيقي. وفسر ميكونس جاهدا السبب في أنه لم يكن من المجدي الدفاع عن هذه المواقف في إسرائيل وأنه كان على ماكي أن يشجب الإعراب العربي عن العداء لإسرائيل. وكرر مجددا أنه لا يعتقد أن هذا الموقف يعنى وجود أى تناقض أو خلاف جوهري بين مواقف ماكي والحزب الأردني.

وفي الجوهر، فإن ميكونس بذلك كان يسلم بأن ماكي لم يكن يستطيع أن يتحدث بنفس لغة الشيوعيين الأردنيين وغيرهم من الشيوعيين العرب. ففي إسرائيل، كان مفهوم أن التسوية السلمية للنزاع ينبغي أن تقوم على أساس أحكام قرار الأمم المتحدة بالتقسيم الصادر في ١٩٤٧، قد أصبح بالفعل يعتبر دليلا على النوايا العدوانية وليس السلمية، وذلك في وقت مؤتمر باندونج في ١٩٥٥. وكان هذا أشد إنطباقا في عام ١٩٦٤. ولهذا السبب تحديدا، راجع ماكي صياغته لمتطلبات تسوية القضية بين المؤتمرين الثالث عشر في ١٩٥٧ والرابع عشر في ١٩٦١. فقد جعلت الحاجة إلى المشاركة في الخطاب السياسي الوطني الإسرائيلي، الشعارات الشائعة الاستخدام بين الشيوعيين العرب، منطقة محظورة بالنسبة لماكي. ولم يعد الشيوعيون العرب أيضا يتحدثون نفس اللغة التي كانوا يستخدمونها قبل ١٩٥٥. وقد حاولت أن أدعى، في معارضة لميكونس، بأن إعادة الصياغة على كلا الجانبين لم تكن مجرد عملية لغوية بل سياسية.

بيد أنه أيا كان إنكار ميكونس لذلك، فإن تبادل الرأي بين ماكي والحزب الشيوعي الأردني أكد أن مواقف ماكي وكل الأحزاب الشيوعية العربية، وليس الحزب الشيوعي الأردني فحسب، تختلف حول هذه القضية بطريقة مهمة جدا. ومثلما ألح فؤاد نصار، فإن الفجوة بين ماكي والأردنيين كانت أضيق منها بين ماكي والشيوعيين العرب الآخرين، بما في ذلك المصريين. وفي إسرائيل، أصبح محضر هذا الاجتماع عاملا أدى إلى الانقسام في ماكي لأن معظم أعضاء الحزب العرب وبعض أعضائه اليهود لم يكونوا يريدون تبني مواقف تتعارض مع مواقف الأحزاب العربية الشقيقة وتلك مسألة كانت قد كفت عن إثارة قلق المابام. وفي مصر، كان حل الحزبين الشيوعيين يعنى أن الماركسيين لم يعودوا يبذلون حتى مجهودا شكليا للتنسيق مع ماكي. وفي كلا البلدين، سادت

الشيوعية القومية، مما قوض الموقف الأسمى المشترك بشأن القضية الفلسطينية الذى تقاسمه معظم الماركسيين العرب واليهود فى أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات.

ولم يكن هذا الموقف نتيجة «أخطاء» أو «انتهازية» مثلما يقول القاموس الشيوعى الكلاسيكى. كما لم يكن مجرد خلاف تكتيكي صغير يعكس الحاجة إلى التكيف مع الظروف المحلية المختلفة. وعلى الرغم من أن العملية بدأت فى فترة الجبهة الشعبية، فإن انهيار الاتحاد السوفيتى كمركز للحركة الشيوعية الدولية بعد ١٩٥٦ وتطور نظرية المركزية التعددية قد عجل بتطور الشيوعية القومية. وعلى الرغم من عدم التخلي عن الأممية، فقد سعت الأحزاب الماركسية بصورة متزايدة لاكتساب مشروعية لنفسها بالمقاييس الوطنية وليس الأممية. ونظرا لأن المابام كان على الدوام يحدد نفسه بالمقاييس الوطنية فى المحل الأول حتى عندما كان يعتبر الاتحاد السوفيتى قائد «عالم الثورة» فى أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات، فقد تكيف مع الساحة السياسية الوطنية الاسرائيلية بصورة أسرع وأعمق من الشيوعيين.

□ الماركسية والصهيونية والقومية العربية

إن الماركسيين المصريين والاسرائيليين فى نهاية الأمر، لم يعتبروا القومية فكرة اجتماعية تتوافر لها إمكانات حشد القوى فيما وراء مصالح طبقات معينة تقود حركة وطنية معينة. وكان النضال الوطنى - ذلك الذى يمكن تأييده - يعتبر جبهة فى النضال ضد الامبريالية، ومن ثم كان يعتبر بصفته هذه وبدون جدال، مرحلة فى النضال من أجل الاشتراكية. ثم اتبع الماركسيون نهجا تكتيكياً وذرائعياً إزاء القومية مكنهم من أن يكونوا جدّ مرنين فى الظروف المتغيرة سريعا فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية. وكان بعض المراقبين الذين شكلت الحرب الباردة أو القومية وعيهم، سواء كانوا عربا أم صهاينة، عادة ما يعتبرون مثل هذه المرونة التكتيكية، انتهازية. ومن المؤكد أن الدور القيادى، على نحو لا نزاع فيه، للاتحاد السوفيتى فى الحركة الشيوعية الدولية، كان عاملا هاما فى تحديد مواقف الماركسيين فى الشرق الأوسط، والواقع أنهم ربما استطاعوا تغيير مواقفهم بمثل هذه السرعة فى ١٩٤٧-٤٩، على وجه الدقة بسبب أن الأممية كانت تحركهم وانهم لم يعتبروا المشاعر الوطنية فرضا لازما.

وبالإضافة إلى عجز الماركسية النظرى عن تفسير قوة القومية على بناء بديل للسياسات الطبقة قائم على الهيمنة، فإن عجزها بصفة خاصة عن تفسير طبيعة الصهيونية أدى إلى فقد الاتجاه السياسى والتفتت أيضا. ولم تستطع الترسانة التحليلية الماركسية أن تنظر بصورة سليمة إلى كل من عنصرى الصهيونية، القومى - ومن ثم المعادى للامبريالية فى إطار ما بعد الحرب - والاستعماري الاستيطاني. لقد تحالفت الحركة الصهيونية مع الامبريالية البريطانية حتى ١٩٣٩. وفى خضم الحرب العالمية الثانية، حول بن جوريون والماباي الحركة صوب الاتجاه الأمريكى. وفى الوقت نفسه، أباد النازيون معظم اليهود غير الصهيونيين الذين كانت تحركهم إما مشاعرهم الدينية الأرثوذكسية أو السياسية المنتمية للجناح اليسارى. وكان لليهود، باعتبارهم رمزا لضحايا الفاشية

«وروبية، حق معنوي قوي على القوى التقدمية فى عالم ما بعد الحرب. وأصبحت الحركة الصهيونية، فى ظل عدم وجود بدائل مقنعة وعدم استعداد البلاد الرأسمالية لتوفير ملاذ للناجين من الهتلرية، هى الوريث الوحيد لهذا الحق. وبالإضافة لهذا، فإنه على الرغم من اعتماده المبكر على الامبريالية البريطانية، فقد تشكل مجتمع وطنى يهودى فى فلسطين خلال فترة الانتداب البريطانى، وشن نضالا لطرد البريطانيين من فلسطين. ولم يكن لدى النظرية الماركسية مقولات لتفسير هذا المسار المعقد والمتناقض.

وقد خلق قرار الاتحاد السوفيتى بتأييد تقسيم فلسطين فترة اندماج بين الحركات الشيوعية والصهيونية. فقد رأى الاتحاد السوفيتى التقسيم فى الحل الأول باعتباره تكتيكياً لهزيمة الامبريالية البريطانية فى الشرق الأوسط وربما أيضا باعتباره تعاطفا مع ضحايا النازية. وانطلق كثيرون من الماركسيين - ليس فقط أعضاء المابام والأعضاء اليهود فى ماكى - من القرار التكتيكى الأسمى بتأييد إنشاء دولة يهودية ليبتخلوا أن دولة اسرائيل تجسد إمكانيات تقدمية كبيرة^(٢). وقد مثل هذا الاتجاه فى مصر، صوت المعارضة/ مسمش. وكان الأمر يتطلب من الدولة اليهودية لكى تصبح قوة تقدمية تاريخيا فى الشرق الأوسط، أن تنخلص من كل تاريخ الحركة الوطنية المتطرفة التى خلقتها. وفى حين أن مثل هذا المسار كان ممكنا من الناحية التجريدية، فقد كان فى التطبيق أسرا غير محتمل لأقصى حد. وبدلا من ذلك، شكلت الصهيونية - الواقع صهيونية بن جوربون العدوانية المتشددة - الثقافة السياسية والممارسة الاجتماعية للدولة الجديدة. وبالنسبة للشيوعيين، كانت حقيقة أن دولة اسرائيل استمرت تهتدى بنفس النظرية والممارسة اللتين وجهتا الاستعمار الاستيطانى الصهيونى لفلسطين، مصدرا مستمرا لمشكلات لا تحل، وبدأ المابام من جانبه يهجر الماركسية عندما أصبح واضحا أنه لا يمكنه أن يدين بالولاء لكل من الصهيونية والماركسية.

وكانت الحركة الشيوعية تاريخيا، تنظر للقومية العربية بشك كبير، كذلك كان يفعل المابام. كانت الوحدة القومية العربية تعتبر رؤية رومانسية مثالية روج لها البريطانيون كحيلة للحفاظ على هيمنتهم فى المنطقة. وتغيرت هذه المواقف عندما ظهر جمال عبد الناصر فى النصف الثانى من الخمسينيات كقائد معاد للامبريالية فى العالم العربى. وفيما عدا هنرى كورييل وزملائه (والذين نادرا ما حظوا بالاعتراف بالفضل لرؤيتهم المتبصرة هذه)، كان إدراك الشيوعيين العرب للإمكانات المعادية للامبريالية لعبد الناصر بطيئا، وبالنسبة للمابام، فإنه كان يستطيع الادعاء بأنه يستند فى موقفه السلبي منه بصورة غالبية، إلى السوابق الماركسية.

وفى الستينيات، كان الماركسيون المصريون وغيرهم من الماركسيين العرب واقعين تحت إغراء النظرية التى رعاها السوفييت عن الطريق غير الرأسمالى للتنمية، فى محاولتهم لتعزيز صورة الناصرية. وقد بررت هذه النظرية باقتدار السياسة الخارجية السوفيتية فى مصر والجزائر وأجزاء أخرى من العالم الثالث، وربما كانت أيضا تعبيرا عما أسماه سمير أمين القرابة الطبيعية بين النظم الاقتصادية للماركسية السوفيتية واستراتيجية التنمية القائمة على تدخل الدولة التى تبنتها

الاشتراكية العربية والتي كانت فى الواقع شكلا من رأسمالية الدولة^(٣). ولم تفسر النظرية الماركسية بصورة سليمة، المسار التاريخى للقومية العربية، ناهيك عن مسار الصهيونية. ووجد كثيرون من الماركسيين أنفسهم يقللون لأدنى حد من المظاهر المعادية للديمقراطية والمعادية للطبقة العاملة للنظام المصرى ويركزون على اتجاهه الدولى الموالى للسوفيت، كما لو أن هذا فى ذاته، وبذاته، سيغير طبيعة النظام. قاوم هذا الاتجاه، بعض الشيوعيين العرب، خاصة السوريين، ومع ذلك فلم يجد أى من الشيوعيين العرب أن هذا النهج تجاه النظام المصرى يمثل مشكلة، مثلما فعل الاعضاء اليهود فى ماكى.

وحتى الآن، فإن هذه التعليقات الختامية قد أدرجت فى مجال الأفكار. لكن عجز الأحزاب الماركسية عن أن تطور نظرية سليمة عن القومية وعن أن تفلت من تحديها، كان راسخ الجذور فى الضعف السياسى للقوى الاجتماعية التى استندت إليها. وقد أكدت فى الفصل الثالث أن الطبقة العاملة المصرية الصغيرة عدديا وغير المتطورة تنظيميا وسياسيا لم يكن فى مقدورها أن تتطلع لفرض هيمنتها الاجتماعية. وخلال الفترة قيد المناقشة هنا، حجب الاتجاه المعادى للامبريالية للقومية العربية مدى القمع الناصرى للطبقة العاملة وسمح للمثقفين الماركسيين أن يمثلوا مصالحها بطريقة أدت فى نهاية المطاف إلى التراضى مع الناصرية. وفى اسرائيل، فإن الجانب الاستيطانى الاستعمارى للمشروع الصهيونى واعتماده على رأس المال الغربى، قد نال كثيرا من قوة الطبقة العاملة اليهودية، رغم تقدمها التنظيمى وخبرتها السياسية. ومن ثم، كانت الحركة عاجزة عن أن تلعب دورا ثوريا يصوره لها المابام وماكى على حد سواء. ومصير القوى السياسية الماركسية بعد ١٩٦٥ وتطور الاقتصاد السياسى لمصر واسرائيل، يعزز هذه المقولة.

كما تبدى افتقار الشيوعية القومية الاسرائيلية لأساس اجتماعى فى اسرائيل بدرجة أكبر فى تصفية اتجاه ميكونس - سنيه فى ١٩٧٥. فقد اندمجت هذه الزمرة فى مجموعة اشتراكية صهيونية هزيلة، انضمت بدورها قبل انتخابات الكنيست فى ١٩٧٧، إلى مجموعة شيلى (السلام من أجل اسرائيل)، وهى قائمة سلامية لم تتخذ مواقف اشتراكية صراحة. وحصلت شيلى على مقعدين فى تلك الانتخابات، لكنها انهارت بعد ذلك سريعا. واليوم لا تدعى أى منظمة فى اسرائيل أنها ورثة الميراث التاريخى لزمرة ميكونس - سنيه.

وعلى النقيض من ذلك، استمرت الحركة الشيوعية التى ضربت بجذورها فى المجتمع العربى فى اسرائيل تتوسع بعد ١٩٦٥. وفى ١٩٧٧، حصل راکاح (القائمة الشيوعية الجديدة) وحلفاؤه فى الجبهة الديمقراطية من أجل السلام والمساواة على غالبية أصوات العرب فى انتخابات الكنيست. ورغم أن الجبهة التى يسيطر عليها الشيوعيون فقدت بعد ذلك أغليبتها، فقد ظلت أكبر قوة انتخابية فى المجتمع العربى، زودت القائمة بأكثر من ٩٠ فى المائة من التأييد الانتخابى الإجمالى فى الثمانينيات. وقد استعاد راکاح اسم ماكى واستمر يعرب عن التزامه بالأمية بأن حصص لليهود مقعدين على الأقل من مقاعد الكنيست التى فازت بها الجبهة فى انتخاباته وهو ما يزيد كثيرا على

ما يبرره عدد الناحيين اليهود فى الجبهة.

وبعد إطلاق سراح المثقفين الشيوعيين المصريين من السجن، استفادوا من استراتيجية النظام لاختيار الحركة الشيوعية زميلا جديدا له. فقد قبل الكثيرون منهم فى الاتحاد الاشتراكى العربى، حزب النظام الجديد الذى أقيم فى ١٩٦٢، بيد أنه لم يُقبل العمال الشيوعيون السابقون بصفة عامة^(٤). وعاد المثقفون لوظائفهم السابقة أو تولوا مناصب مسؤولة جديدة فى وسائل الإعلام وفى الجهاز الثقافى للنظام، ومع ذلك، فللمرة الثانية لم يُعد استخدام العمال عادة فى أماكن عملهم القديمة. وكانت سياسة النظام الجديدة فى توفير وظائف فى القطاع العام لخريجي الكليات الذين ما كانوا يستطيعون بغير هذا أن يجدوا وظيفة، قد خفضت من المظالم الاقتصادية التى أضفت طابعا راديكاليا على المثقفين فى الثلاثينيات والاربعينيات. وفى حين أن كثيرين من المثقفين الشبان ربما لم يكونوا راضين على الجلوس إلى مكاتبهم طوال اليوم وليس لديهم سوى القليل من العمل المجدى يؤدونه، فقد كان بقاؤهم المادى قد أمّن، على الأقل حتى جاءت موجة التضخم التى صحبت سياسة الانفتاح الاقتصادى فى السبعينيات. ولم تكن لدى الشيوعيين السابقين، خاصة المثقفين، خبرة كبيرة بعلاقات الإنتاج الحقيقية فى ظل الاشتراكية العربية، وهى حقيقة أسهمت بلاشك فى أوهامهم حول طبيعتها. كما بينت المعاملة المتباينة للمثقفين والعمال، ما هو العنصر الاجتماعى فى الحركة الشيوعية الذى كانت الحكومة تعتبره أشد تهديدا.

وفى أعقاب حرب ١٩٦٧، سعى مديرو القطاع العام، الذين كانوا المستفيدين الأكثر خطورة من الاشتراكية العربية، لحل أزمة مصر الاقتصادية بالابتعاد عن النزعة الاستهلاكية الشعبوية، وتدعيم سلطة البيروقراطيين والتكنوقراطيين باسم الكفاءة، وتقليص نطاق القطاع العام، وإلغاء تأمين بعض المشروعات، وتشجيع تبني معايير السوق الحرة فى إدارة القطاع العام^(٥). وانضموا بعد ذلك لعناصر من الطبقة الحاكمة السابقة والاستغلاليين الأفراد لإعداد الساحة لإعادة دمج الاقتصاد المصرى فى السوق الرأسمالية العالمية، حتى عندما أصبح الشيوعيان السابقان، فؤاد مرسى واسماعيل صبرى عبد الله، وزيرين فى حكومة أنور السادات فى أوائل السبعينيات. ونظرا لأن النظام الناصرى لم يقم أبدا بتفكيك ثورى للنظام القديم، فلم يكن من الصعب على الطبقات القديمة والجديدة من أصحاب الامتيازات أن تعيد توجيه مصر صوب الغرب، وتحويل الاشتراكية العربية إلى مرحلة انتقالية بين الاقتصاد الكولونىالى والكولونىالى الجديد.

وبينما كان يحدث ذلك، لم تكن هناك أى سياسات ماركسية فى مصر يمكن الحديث عنها. وقد أعيد إنشاء الحزب للشيوعى المصرى فى ١٩٧٥، بعد أن أصبحت سياسة أنور السادات للانفتاح الاقتصادى وإعادة توجيه مصر نحو الولايات المتحدة، حقائق راسخة. ولم ينضم كثيرون من أعضاء الحزب السابقين للحزب الجديد وقصروا نشاطهم السياسى على إطار المعارضة اليسارية القانونية، الحزب الوطنى التقدمى (الوحدة)، وهو جبهة وطنية متحدة تضم الماركسيين والناصرين وغيرهم. ولم يكن لا التجمع ولا الحزب الشيوعى منظما ناجحا للعمال مثلما كان الماركسيون فى

الأربعينيات. وأبقى التجمع على هامش الحياة السياسية عن طريق القمع الدورى، والقوانين الانتخابية التقييدية، والأسلوب السياسى الذى يجذب المثقفين الراديكاليين أساسا، فى حين ظل الحزب الشيوعى غير قانونى، مثلما كان منذ ١٩٤٦.

□ الخطاب السياسى والعمل السياسى

فسر الحزب الشيوعى الإيطالى التراث النظرى لانطونيو جرامشى باعتباره تبريرا لاستراتيجيته عن «الحل الوسط التاريخى». واستمد الاتجاه الشيوعى الأوروبى بأسره، والذى كان اتجاه الحزب الشيوعى الإيطالى تعبيرا مبكرا عنه، إلهامه من تركيز جرامشى على أهمية الثقافة الوطنية والحاجة إلى خوض «حرب القضية» فى البلدان الرأسمالية المتقدمة عبر فترة متطاولة من الزمان. وأتاح ثراء عمل جرامشى وأسلوبه المماثل لأسلوب إيسوب الذى فرضه عليه سجنه، قراءات أخرى لها ربما ألفت الضوء على الصلة بين الخطاب السياسى والظروف المادية وحدود العمل السياسى.

إن استراتيجية جرامشى لمحاربة هيمنة الطبقة الحاكمة هى خلق كتلة مضادة للهيمنة، والنضال السياسى والثقافى يحول ميزان القوة من القوى المهيمنة للقوى المضادة للهيمنة، ويمكن الكتلة المتمردة من توسيع قوتها الاجتماعية والظهور باعتبارها ممثلا جديدا لمصالح الأمة جمعا. وبغية خلق كتلة تاريخية قادرة على القيام بهذا الدور، ينبغى ربط مشكلات الإصلاح الثقافى والأخلاقى بالإصلاح الاقتصادى، وينبغى للكتلة المضادة للهيمنة أن تشيد نظامها الخاص للتفسير وأن تقدم عرضا بديلا مقنعا لمعنى الثقافة الوطنية. وإقامة مثل هذه الكتلة المناهضة للهيمنة هو مشروع ثقافى -متغير وسياسى- تاريخى على حد سواء. وينبغى للمجموعات التابعة أن تناضل لخلق شكل جديد من الوعى ونظرية جديدة للمعرفة. ومثلما قال جرامشى فإن «إنشاء جهاز للهيمنة، بقدر ما يوفر أرضية ايدولوجية جديدة، يحدد إصلاح الوعى وأساليب المعرفة»^(٦).

ومن الواضح أن جرامشى كان يعتقد أن الطبقة العاملة وحدها هى التى تستطيع أن تشكل نواة الكتلة المناهضة للهيمنة. وأن هذا على وجه الدقة كان أمرا مستحيلا فى مصر واسرائيل. فقد اتبع الماركسيون جانبا فقط من استراتيجية جرامشى: فقد تنبهوا للحاجة إلى العمل فى سياق ثقافتهم الوطنية، لكنهم لم يستطيعوا إقامة كتلة مناهضة للهيمنة حولهم. ولم يكن هذا بسبب فشل معنوى، وإنما بسبب الاقتصاد السياسى، والهيكل الاجتماعى، والاتجاه الدولى لمصر واسرائيل الذى وضع حدود قاسية على إمكانيات وكفاءة هذا النوع من العمل السياسى. وتم التخلّى عن مهمة إقامة خطاب مناهض للهيمنة. وليست هناك قضية سياسية توضح هذا بأوضح مما يفعل موقف الماركسين تجاه النزاع الفلسطينى/ العربى- الاسرائيلى.

وكثيرا ما اعتقدت الأحزاب الشيوعية التى كانت تعمل فى ظروف عسيرة أن مهمتها السياسية الأكثر أساسية هى البقاء للقتال يوما آخر. ولهذا المنظور، المتجذر فى كل من النزعة المحافظة البيروقراطية وعلم اللاهوت الماركسى، منطق معين لانزاع فيه من زاوية السياسات العادية. وقد عارض جرامشى مثل هذه الاستراتيجية، محاجا بأنها نبعت من حتمية ميكانيكية «مثل الدين

أو المخدرات (فى تأثيرهما المخدر)»، ومع ذلك، فقد سلم بأنه «عندما لا تتوافر لك المبادرة فى النضال وينتهى النضال نفسه إلى أن يصبح مرادفا لسلسلة من الهزائم، تصبح الحتمية الميكانيكية قوة هائلة للمقاومة المعنوية، للتلاحم والصبر والمثابرة العنيدة»^(٧). وكان تكيف الماركسيين مع خطاب الهيمنة السياسى فى مصر واسرائيل جزءا من استراتيجية شاملة تهدف لضمان بقائهم وتعظيم قدرتهم على تحقيق القليل من الإصلاح السياسى. ومن السهل إدراك السبب فى تبنى هذه الاستراتيجية، لكن ينبغى الاعتراف بتكاليفها. وإذا كانت الظروف صعبة بالنسبة للسياسات الماركسية فى الخمسينيات والستينيات، فقد أصبحت أشد صعوبة نتيجة لذلك.

ومن الممكن جدا أن رفضاً أشد حزماً لخطاب الهيمنة السياسى من قبل الماركسيين فى هذين البلدين كان سيؤدى إلى المزيد من عزلتهم، ويقلل بدرجة أكبر من نفوذهم السياسى، ويؤدى إلى مزيد من القمع ضدهم. وربما كان أفراد ومجموعات منفصلة نوعاً ما عن مجتمعها، مثل هنرى كوريل ومجموعة روما، هما اللذين استطاعوا التمسك برؤية معارضته بصورة راديكالية لا يتوافر لها أساس اجتماعى كبير واضح يكفل تحقيقها فوراً. فخلال الفترة، محل المناقشة فى الكتاب، لم تكن مثل هذه الرؤية أكثر قدرة على إعادة تشكيل هيكمل المجتمع من الطريق الذى اتبعه الماركسيون المصريون والاسرائيليون بالفعل فى الخمسينيات والستينيات. لكن هذا قد لا يكون المقياس الوحيد المهم.

إن الرفض الجذرى لخطاب الهيمنة يحقق بالإضافة لقيمتة الوجودية والمعنوية، وظيفة سياسية ضرورية. فلا يمكن تحقيق سياسات بديلة مالم يتم الإعراب عنها وصياغتها كنظام للتفسير قادر على البقاء. ومع ذلك، فإن هذا الإعراب والصياغة وحدهما لا يضمنان النجاح، فالنجاح يعتمد فى نهاية المطاف على ما إذا كانت رؤية سياسية بديلة تتفق مع مصالح القوى الاجتماعية التى يمكن توحيدها فى كتلة مضادة للهيمنة وحشدتها للقيام بعمل سياسى فعال.

□ خاتمة: نحو دولة فلسطينية وما وراء ذلك

لا توجد حالياً سوى احتمالات واقعية قليلة لتنفيذ مشروع الأمم المتحدة للتقسيم الصادر فى ١٩٤٧، وقد كان الماركسيون هم القوة السياسية المنظمة الوحيدة فى الشرق الأوسط التى التزمت بدقة بالاعتراف بحق تقرير المصير للمجتمعين اليهودى والعربى فى فلسطين، ومع ذلك فقد كانت قاعدتهم الاجتماعية أضعف من أن تمكنهم من الدفاع عن التقسيم سياسياً وعسكرياً. وبعد ذلك، فإن تكيف الماركسيين مع ثقافتهم السياسية القومية منعهم من الدفاع عن أحكامهم الأصلية المتغيرة. ومن ثم، فهشية إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية فى ١٩٦٤، كان مفهوم حق الشعب الفلسطينى فى تقرير المصير قد أصبح مفهوماً غامضاً ليس له وضع فى السياسات الدولية.

ومنذ أن احتلت اسرائيل الضفة الغربية وقطاع غزة فى ١٩٦٧، أنكرت كافة حكوماتها بدون استثناء الهوية الوطنية الفلسطينية لسكان الأرض المحتلة، وظل مفهوم أن مواطنى اسرائيل العرب هم جزء من الشعب الفلسطينى (وليسوا مجرد «عرب اسرائيليين») باعشاً على قلق الغالبية الساحقة

من اليهود الاسرائيليين، بما فى ذلك كثيرين من معارضى سياسة الحكومة، بحيث لا يذكر إلا بصحوة. وحظيت مثل هذه الأقوال وما يرتبط بها من تصورات، والتي كفلت لاسرائيل الاستمرار فى الاحتلال سنوات كثيرة دون تحد دولى جوهري، بقبول غير عادى فى الغرب باعتبارها جزءا من تشكيل متحول قوى تطور فى سياق هزيمة الولايات المتحدة فى فيتنام واستراتيجية نيكسون - كيسنجر المترتبة على ذلك والتي تقضى بتشجيع الوكلاء الإقليميين للحفاظ على مواقع الولايات المتحدة فى العالم الثالث، وجعل النزاع العربى الاسرائيلى ماثلا للصراع العالمى بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى، والخوف من القومية العربية، والانشغال بضمان إمداد مستمر من البترول رخيص السعر، والإعجاب الحسود بالانتصار العسكرى السريع وبلا مجهود كما هو واضح لاسرائيل فى ١٩٦٧. وبالإضافة لذلك، فقد استمرت الفكرة المسيحية عن قدوم العصر الألفى السعيد، والاحساس بالالتزام تجاه الناجين من النازية، مثلما كانا من قبل، يعصمان اسرائيل من نقد أعمالها ضد الفلسطينيين والعرب الآخرين. واكتسبت جماعات الضغط الصهيونية المحلية فى الولايات المتحدة قدرة غير مألوفة، بما فى ذلك القدرة على تعزيز هذا الخطاب والتعظيم على مجمل العوامل المادية التى ينظم فيها هذا الخطاب، وذلك جزئيا نتيجة لهذه القوى وجزئيا لأن الاثنية اليهودية الامريكية المنبعثة أصبحت معادلا للموالاه: لاسرائيل بلا شروط.

وكان من أبرز العوامل التى جعلت الهجوم على مدنيين غير مسلحين جزءا بارزا من استراتيجية منظمة التحرير الفلسطينية المبكرة ضد اسرائيل، بأس الشعب الفلسطينى فى مواجهة عالم ينكر وجوده نفسه، وقدسية النضال المسلح (وهو مكمل للهاجس المتسلط على اسرائيل فيما يتعلق بالقدرة العسكرية، وهو خطأ مفهوم من قبل شعب شعر أنه بغير هذا سيكون بلا حول ولا قوة)، والافتقار لأى أساس إقليمى مستقر يشن منه نضاله القومى. ومن مظاهر قوة الخطاب الصهيونى، أن الهجمات الفلسطينية على المدنيين (بل وحتى على الجنود المسلحين) قد وصفت عند الرأى العام الدولى ووسائل الاهلام الدولية على نطاق واسع بأنها ارهاب، وأن الهجمات الاسرائيلية الأشد تدميرا والأكثر تواترا على المدنيين الفلسطينيين (على سبيل المثال فى معسكرات اللاجئين فى جنوبى لبنان)، نادرا ما حظيت باهتمام الرأى العام، ناهيك عن إدانته. وعلى الرغم من الدلالة السياسية والسيكولوجية الكبيرة للاستراتيجية العسكرية لمنظمة التحرير الفلسطينية، فقد فشلت. ومع ذلك، فإن اسرائيل لم تنجح فى سحق مقاومة الشعب الفلسطينى.

وبعد سنوات من المأزق السياسى، خلقت الانتفاضة الفلسطينية فى الضفة الغربية وقطاع غزة التى بدأت فى ديسمبر (كانون أول) ١٩٨٧ وقرار المجلس الوطنى الفلسطينى فى نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٨٨ بالسعى لإقامة دولة فلسطينية مستقلة إلى جوار اسرائيل، ميزانا جديدا للقوى فى النزاع الفلسطينى- الصهيونى. ونتيجة لذلك، عاود الاعتراف المتبادل بحق تقرير المصير لكلا الشعبين الظهور باعتباره المبدأ الوحيد المقبول دوليا لحل النزاع، رغم أن رفض اسرائيل والولايات المتحدة لهذا الإجماع الدولى قد عرقل تنفيذه حتى كتابة هذه الأسطر. إن الشعب الفلسطينى لا يدعى لنفسه الآن حقا يزيد عما يدعيه الشعب الاسرائيلى لنفسه: دولة ذات سيادة تعيش فى سلام

مع جيرانها. وهذا التأكيد على المساواة هو نبذ بليغ لكل من الاتجاه الكولونيالى للمشروع الصهيونى والسلاح الأول للشعب الفلسطينى، وهو المقاومة. وقد قوضت المطالبة الفلسطينية بالمساواة فى المنزلة وقدرة الانتفاضة على تأكيد هذا المطلب بصورة مقنعة، استقرار الاحتلال الاسرائيلى للمضفة الغربية وقطاع غزة وزادت كثيراً من احتمال تحقيق المطامحات الوطنية الفلسطينية فى نهاية المطاف.

ماذا كان دور اليسار الماركسى فى هذه العملية؟ على الرغم من الانهيار الإقليمى لليسار الماركسى كقوة سياسية منظمة، فقد اكتسب الحل الذى اقترحه للنزاع الفلسطينى الصهيونى مصداقية أوسع مما كان له منذ مطلع الخمسينيات. والواقع أن الأحزاب الشيوعية ومؤيديها يؤكدون أن التطورات الأخيرة تثبت تاريخياً صحة موقفهم من النزاع منذ ١٩٤٧. بيد أن القوة المنظمة للتشكيلات السياسية الماركسية لم تكن قوة رئيسية فى عودة ظهور الحل القائم على إنشاء دولتين، رغم أن التأييد السوفيتى لهذا البرنامج كان مهماً فى إقناع قيادة منظمة التحرير الفلسطينية بتبنيه. لكن أهم سبب مفرد للبروز الجديد للحل الوسط القائم على إنشاء دولتين هو استمرار مقاومة الشعب الفلسطينى فى الضفة الغربية وقطاع غزة وقبوله لهذا البرنامج. فقد أصبحت الانتفاضة جزءاً لا يتجزأ من تفاصيل الحياة اليومية والتنظيم الاجتماعى لكثيرين من الفلسطينيين بحيث بات من الصعب تخيل كيف يمكن لأى دولة أن تمحو الوعى الذى تجسده.

وإن لم يمكن القول بأن البروز الجديد للحل القائم على إنشاء دولتين هو انتصار سياسى للقوى الماركسية المنظمة، فإنه يظل مشروعاً الادعاء بأنه نصر معنوى للمبادئ الاممية التى اعتنقتها تاريخياً. ولاريب أنه ليس نصراً معنوياً لا يشير إشكالية. فالخط الأساسى لحجج كل من أنصار الحل القائم على إنشاء دولتين من الفلسطينيين والاسرائيليين، هو خط براجماتى وقومى: فذلك وحده هو الذى يمكنه أن يكفل البقاء القومى للشعب اليهودى الاسرائيلى أو للشعب الفلسطينى. ومثل هذه الاستراتيجية المتحولة ربما تكون ضرورية إذا ما توافرت لهذا البرنامج أى فرصة للتطبيق. لكن الخطاب السياسى القومى لا يستطيع أن يحل المشكلات الأعمق للنزاع: هل ستعترف اسرائيل بالظلم التاريخى الذى اقترفته ضد الشعب الفلسطينى؟ هل تستطيع اسرائيل أن تبقى كثقافة أوروبية مزروعة فى الشرق الأوسط؟ هل يمكن لدولة أن تكون يهودية وديمقراطية على حد سواء؟ هل يمكن إعادة تشكيل الشعب الفلسطينى إقليمياً، وماذا ستكون عليه العلاقات بين المقيمين فى دولة فلسطين والمقيمين فى الشتات؟ هل يمكن للقومية العربية أن تجد طريقاً للتوافق مع الأقليات غير العربية وغير المسلمة فى الشرق الأوسط وحاجتها للتعبير السياسى والثقافى؟ هل يمكن إقامة علاقات اقتصادية بين دولة فلسطين ودولة اسرائيل بدون إدامة الخضوع الهيكلى للاقتصاد العربى للاقتصاد اليهودى؟ هل يمكن تحقيق تحرير المرأة، والذى أخضعتة قبل كل الأحزاب السياسية من قبل للنضال السياسى القومى من أجل النزاع؟ وفى الوضع الراهن، فإن هذه القضايا ليست على قمة جدول الأعمال السياسى. ولن يبدأ سريعاً البدء فى صياغتها أو التفكير فى كيفية بناء كتلة تاريخية من القوى الاجتماعية التى ستسعى لتحقيقها.

□□□

الحواشي

الفصل الأول - مقدمة

Eric Hobsbawm, "Problems of Communist History", New Left Review, no.54 (Mar.-Apr. (١) 1967), P.85.

Henri Curiel, "Pour une lutte conséquente pour l'unité des communistes égyptiens," Mar. (٢) 1953 (Curiel papers).

(٣) انظر على سبيل المثال A.B. Magil, israel in Crisis (New York, 1950).

ويشير هذا الكتاب الذي نشره الحزب الشيوعي الأمريكي إلى أن التنازل المفرط بشأن الإمكانات الثورية للعمال اليهود كان شائعاً بين غير الصهيونيين (على الرغم من أن Magil كان يهودياً، وأن «الانحرافات» الصهيونية كانت متفشية في منطقة نيويورك اليهودية في الحزب). والواقع، أنه حتى بعض العناصر من الحركة الشيوعية المصرية تبنا هذا المنظور (انظر أدناه، الفصل الرابع).

(٤) يمكن رؤية هذا المنهج في:

Walter Laqueur, Communism and Nationalism in the Middle East (London, 1961); G.Z. Yisra'eli (Laqueur's pseudonym), M.P.S. - P.K.P. - MAKI: Korot hamiflagab hakomunistit beyisra'el (Tel Aviv, 1951); Yehudah Lahav, The Soviet Attitude Towards the split in the Israeli Communist Party, 1964-1967, Hebrew University of Jerusalem Soviet and East European Research Center, Research paper no.39 (Jerusalem, June 1980); Leonard Binder, "The Failure of the Egyptian Left," Asian and African Studies 14 (1980): 20-34; Shimon Shamir, "The Marxists in Egypt: The Licensed Infiltration, Doctrine in practice", in The U.S.S.R and the Middle East, ed. Michael Confino and Shimon Shamir (Jerusalem, 1973), PP. 293-319.

والأعمال التي تضمنت بذور التركيز على السياق السياسي القومي لحركات الشيوعية في الشرق الأوسط هي:

Hanna Batatu, The Old Social Classes and the Revolutionary Movements of Iraq (Princeton, 1978); and Ervand Abrahamian. Iran Between Two Revolutions (Princeton, 1980).

وبالنسبة لمصر وفلسطين، فإن الأعمال التالية تعطي أولوية تحليلية للإطار القومي للعمل السياسي للشيوعيين:

Marie-Doninique Gresh, "Le P.C.F. et l'Égypte: 1950 - 1956" (Mémoire de maîtrise, Université de Paris I, 1976 - 77); Selma Botman, The Rise of Egyptian Communism, 1939 - 1970 (Syracuse, N.Y., 1988); and Musa Budeiri, The Palestine Communist Party 1919 - 1948: Arab and Jew in the Struggle for Internationalism (London, 1976).

(٥) هذا هو النقد القومي العربي للأحزاب الشيوعية العربية مثلما جسده عبد الحكيم دروزة، الشيوعية المحلية ومعركة القومية العربية (بيروت، ١٩٦٢). وفي فلسطين/ إسرائيل دارت إحدى الجادلات المتكررة حول ما إذا كان الشيوعيون اليهود أو العرب أممين «حقيقيين»، وأي المجموعتين ذات انحرافات قومية. وكان هناك ممن يرون أن اليهود أمميون والعرب قوميون:

Alain Greilsammer, Les Communistes israéliens (Paris, 1978); Berl Balri, Bama'avak al hakiyum hayebudi: Ledmuto shel Moshe sneh (Jerusalem, 1981); and Sondra Miller Rubenstein, The Communist Movement in Palestine and Israel, 1919- 1984 (Boulder, Colo., 1984).

وصورت دنيا نحاس، الحزب الشيوعي الإسرائيلي (لندن ١٩٧٦) وسميح سماره، العمل الشيوعي في فلسطين: الطبقة والشعب في مواجهة الكولونيالية (عكا، ١٩٨٠)، الشيوعية باعتبارها جزءاً من الحركة القومية العربية وأكدوا الدوافع الصهيونية للشيوعيين اليهود. ويقدم البديري، الحزب الشيوعي الفلسطيني، تركيزاً أكثر دقة وإحكاماً عن دينامية الصراع من أجل اتجاه أممي في ظروف جد صعبة. والقضية المماثلة في تاريخ الشيوعية المصرية هي ما إذا كان الشيوعيون اليهود قد قوضوا الطابع القومي للحركة بحكم «انحرافهم» الصهيوني. وبصفة عامة، فإن رفعت السعيد،

وهو مؤرخ غريز الإنتاج تتضمن أعماله، اليسار المصري والقضية الفلسطينية (بيروت، ١٩٧٤)، تاريخ المنظمات اليسارية المصرية، ١٩٤٠ - ٥٠ (القاهرة، ١٩٧٧)، منظمات اليسار المصري، ١٩٥٠-١٩٥٧ (القاهرة، ١٩٨٣)، تاريخ الحركة الشيوعية المصرية: الوحدة، الانقسام، الحل، ١٩٥٧ - ١٩٦٥ (القاهرة، ١٩٨٦) يدافع بشكل عام عن الشيوعيين اليهود ويتناول القضية بجرأة، مثلما يتوقع من كاتب يوجد لأعماله طابع التاريخ الرسمي لحدثو. وتتبنى سيره Perrault المثيرة للإعجاب عن هنري كوريل، Unhene à Part (باريس، ١٩٨٤) نفس النهج. وكتاب عبدالقادر ياسين، القضية الفلسطينية في فكر اليسار المصري (بيروت، ١٩٨١) أقل ثناءً على كوريل لكنه يوضح أن الشيوعيين اليهود لم يكونوا صهيونيين. أما سعد زهران، في أصول السياسة المصرية (القاهرة، ١٩٨٥)، ص ص ١٣٥ - ١٤٤، فإنه أكثر انتقاداً لدور اليهود في الحركة بصورة مثيرة للجدل، في حين يقدم محمد سيد أحمد، في مستقبل النضال الحزبي في مصر (القاهرة، ١٩٨٤) ص ص ١١٢ - ١١٥، ومقاله الذي كتبه رداً على نشر أوراق كوريل باللغة العربية، «اليهود في الحركة الشيوعية المصرية والصراع العربي الاسرائيلي»، الهلال ٦٦، عدد ٦ (يونيه ١٩٨٨): ٢١ - ٢٧، النهج الأكثر تقدماً اتساقاً مع مقتضيات المعالجة التاريخية، إزاء هذه القضية.

Perry Anderson, "Agendas for Radical History," *Radical History Review*, no. 36 (٦) (Sept. 1986), P.36.

(٧) للاطلاع على تحليل ثاقب لسوسيولوجيا المعركة لدى التصحيح التاريخية اليهودية انظر:
Zachary Lockman, "Original Sin," in *Intifada: The Palestinian Uprising Against Israeli Occupation*, ed. Zachary Lockman and Joel Beinin (Boston, 1989).
See Benny Morris, *The Birth of the Palestinian Refugee Problem, 1947- 1949* (٩) (Cambridge, 1988);

وكذلك المقالات التالية بقلم Morris :
The Crystallization of Israeli Policy Against a Return of the Arab Refugees: April-December, 1948. "Studies in Zionism 6, no. 1 (1985); "The Causes and Character of the Arab Exodus from Palestine: The Israel Defence Forces Intelligence Branch Analysis of June 1948," *Middle Eastern Studies* 22, no.1 (1986); "Operation Dani and the Palestinian Exodus from Lydda and Ramle in 1948," *Middle East Journal* 40, no.1 (1986); "Yosef Weitz and the Transfer Committees, 1948-49," *Middle Eastern Studies* 22, no.4 (1986); and "The Harvest of 1948 and the Creation of the Palestinian Refugee Problem," *Middle East Journal* 40, no.4 (1986). See also Avi Shlaim, "Husni Za'im and the plan to Resettle the Palestinian Refugees in Syria," *Journal of Palestine Studies* 15, no.4 (Summer 1986): 68-80; and idem, *Collusion Across the Jordan: King Abdullah, the Zionist Movement, and the partition of palestine* (New York, 1988).

ويحتوي كتاب Tom Segev, 1948: The First Israelis (١٩٨٦) أيضاً على فصل عن العلاقات (New York, 1986) العربية الاسرائيلية التي تؤيد بعض حجج فلابان.

(١٠) صبرى جريس، العرب في اسرائيل (بيروت، ١٩٦٨).
(١١) Jacob M. Landau, *The Arabs in Israel: A Political Study* (London, 1969).
(١٢) ELia Zureik, *The Palestinians in Israel: A Study in Internal Colonialism* (London, 1976); Ian Lustick, *Arabs in the Jewish State: Israel's Control of a National Minority* (Austin, Tex., 1980); Charles S. Kamen, *Afrer the Catastrophe: The Arabs in Israel, 1948-51*, "Middle Eastern Studies 23, no.4 (1987), and 24, no.1 (1988) (an expanded translation of "Aharei ha'ason: Ha'aravim hemedianat yisra'el, 1948- 1950," *Mahbarot lemehkar ulebikoret*, no.10 (Dec. 1948). For a personal account corroborating these scholarly studies, see Fouzi El-Asmar, *To Be an Arab in Israel* (London, 1975).

(١٣) للاطلاع على التفاصيل انظر:

وتأويلاتها لمقاطع مختارة، Moshe Sharell, Yoman ishi, 8 vols (Tel Aviv, 1975) 'israel's Sacred, وترجمة ليفياريوكاح

Israel's Sacred Terrorism (Belmont, Mass., 1988); Avi Shlaim, "Conflicting Approaches to Israel's Relations with the Arabs: Ben-Gurion and Sharett, 1953-1956," Middle East Journal 37, no.2 (Spring 1983): 180- 201; Ehud Ya'ari, "Mitzrayim vehafeda'in, 1953- 1956," Arab and Afro- Asian Monographs, no. 13 (Giv'at Haviva, 1975); Gabi Sharett, Ben-Gurion Umilhemet habrerah be- 1956," Medinah, mimshal veyahasim beinle'umiyim, no. 26 (1987): 1-27; Elmore Jackson, Middle East Mission: The Story of a Major Bid for peace in the Time of Nasser and Ben-Gurion (New York, 1983); Michael Scott Bornstein, "From Revolution to Crisis: Egypt-Israel Relations, 1952- 1956" (Ph.D. diss., Princeton University, 1986); Jean Mandelsta, "La Palestine dans la politique de Gamal Abdel Nasser, 1952- 1955" (Ph.D. diss., Université de Paris, 1970); Saadiq Touval, The Peace Brokers: Mediators in the Arab-Israeli Conflict, 1948- 1979 (Princeton, 1982).

(١٤) تم تحليلها وإن لم يخل ذلك من الإشكاليات في: La palestine dans la politique de Gamal Abdel Nasser. " Some are also discussed in Aharon Cohen, Israel and the Arab World (New York, 1970).

(١٥) حول الدور السياسي في إسرائيل انظر:

Yoram Peri, Between Battles and Ballots: Israeli Military in Politics (Cambridge, 1983).

(١٦) حسب خطاب بن جوريون في الكنيسة في ٢ كانون ثاني ١٩٥٦، والتي اقتبس في Mytalks with Arab Leaders (Jerusalem, 1979)، ص ٢٧٢، كان عدد الاسرائيليين الذين قتلهم وجرحهم المخبرون ١٣٧ في ١٩٥١ (١١١ على أيدي القوات التي تتخذ الأردن قاعدة لها)، ١٤٧ في ١٩٥٢ (١١٤ على أيدي القوات التي تتخذ الأردن قاعدة لها)، ١٦٢ في ١٩٥٣ (١٢٤ على أيدي القوات التي تتخذ الأردن قاعدة لها)، ٢٦٠ على أيدي تلك التي تتخذ مصر قاعدة لها، ١٨٠ في ١٩٥٤ (١١٧ على أيدي القوات التي تتخذ الأردن قاعدة لها)، ٥٠ على أيدي تلك التي تتخذ مصر قاعدة لها)، ٢٥٨ في ١٩٥٥ (٢٧ على أيدي القوات التي تتخذ الأردن قاعدة لها)، ١٩٢ على أيدي تلك التي تتخذ مصر قاعدة لها)، ويبدو أن هذه الأرقام تتضمن كل من الخسائر بين المدنيين والعسكريين. ومن الواضح أنه حتى القيام بالغارة الاسرائيلية على غزة في شباط ١٩٥٥، كانت معظم أعمال التخريب تأتي من الأردن، في حين وجهت إسرائيل انتقامها للأردن ومصر على حد سواء، أي أن ادعاء إسرائيل أنها هاجمت مصر في ١٩٥٦ لمنع أعمال الإرهاب والتخريب، لا يؤيده بيان بن جوريون عن مصادر وتوقيت مثل هذه الأعمال.

(١٧) هارتس، ٢٨ آب ١٩٥٢، ورد في:

A. Yisra'eli (Moshe Machover and Akiva Orr), Shalom, Shalom - ve'eim shalom: Yisra'el avav, 1948 61 Derusalem, 1961), P.161.

E.H. Hutegusin, Violent Truce: A Military Obsever Looks at the Arab- Israeli (١٨) Conflict, 1951-1955 (New York, 1956), PP.43-45.

وقد أنكر بن جوريون مسؤولية قوات الدفاع الاسرائيلية في خطاب له بالإذاعة في ١٩ تشرين أول ١٩٥٢، ورد في:

A. Yisra'eli, Shalom, shalom, P. 163, Kennett Love, Suez: The Twice Fought War (New York, 1969). P.57.

وللاطلاع على مسؤولية قوات الدفاع الاسرائيلية، انظر التاريخ شبه الرسمي للفرق شبه العسكرية -Sefer Hatzanha- nim (تل أبيب، ١٩٦٩)، ص ٧٧.

(١٩) قدم هذا التفسير لآثار غارة غزة: Eisen- Love, Stare; and Donald Neff, Warriors at Suez: Eisenhower Takes America into the Middle East (New York, 1981).

(٢٠) للاطلاع على ملخص محكم لهذه الأحداث انظر:

Rokoch, Israel's Sacred Terrorism, PP. 37-40.

وقد أكد أبري العاد وهو عميل اسرائيلي في هذه العملية في سيرته الذاتية، (Chicogo, 1976) Dechine of Honor، ان مدير الموساد، ايسار هرثيل الموالى لبن جوريون، قد كشف هذه العملية عمداً بغية إنهاء المحادثات المصرية الاسرائيلية غير المباشرة بشأن الحل السلمي للنزاع، التي كانت تجري آنذاك، وسواء قصد ذلك أم لا، فإن التخريب الاسرائيلي واقتضاحه قللا احتمالات الوصول لتسوية مصرية اسرائيلية.

Love, Suez, Neff, Warliordatsaez (٢١)

A. Yisra'eli, Shalom, Shalom. (٢٢)

Ben Gurion, Letters to Paula (London, 1971). في ١٩٣٧، رسالة إلى عاموس ٥٥ تشرين أول ١٩٣٧، في P.157.

وحول هذه النقطة انظر أيضا:

Baruch Kimmerling, Zionism and Territory: The Socio-territorial Dimensions of Zionist Politics (Berkeley and Los Angeles, 1983).

(٢٤) انظر على سبيل المثال:

Zachary Lockman, "The Left in Israel: Zionism vs. Socialism," MERIP Reports, no.49 (July 1976): 3-18; Peretz Merhav, The Israeli Left: History, Problems, Documents (San Diego, Calif., 1980); (Israeli Socialist Organization), "The Left in Israel," in The Other Israel: The Radical Case Against Zionism, ed. Arie Bober (New York, 1972).

(٢٥) في لقاء مع التلفزيون الاسرائيلي في صيف ١٩٨٧، قال حزر ان هذه الملاحظة كانت هي الشيء الوحيد الذي يأسف بشأنه فيما يتعلق بماضيه السياسي.

(٢٦) انظر على سبيل المثال تشخيصه لإضراب البحارة الوارد في الفصل الثالث، و

S. (aba) sh. (el) Yariv (David Ben-Gurion), Al hakomunizm vehatzionut shel hashomer hatza'ir (Tel Aviv, 1953).

Benedict Anderson, Imagined Communities: Reflections on the Origin and the spread of Nationalism (London, 1983).

Gareth Stedman Jones, Languages of Class: Studies in English Working Class History, 1932-1982 (Cambridge, 1983).

Antonio Gramsci, "The Modern Princ", in Selections from the Prison Notebooks, (٢٩) ed. and trans. Quentin Hoare and Geoffery Nowell Smith (New York, 1971). P. 151.

Tony Judt, Marxism and the French Left (Oxford, 1986), P.18. (٣٠)

Hayden White, "The Value of Narrativity in the Representation of Reality," in On Narrative, ed. W.J.T. Mitchell (Chicago, 1981), PP. 1-23. (٣١)

الفصل الثاني: إنشاء اسرائيل

Mordechai Bentov, The Case for a Bi-national Palestine: Memorandum Prepared by the Hashomer Hatzair Worker's Party of Palestime (Tel Aviv, Mar. 1946).

(٢) للاطلاع على مناقشة مثال،

The "crisis of the fifth aliyah" in 1929-31, see Elkanah Margalit, Hashomer hatza'ir: Me'edat ne'urim lemarksizm mahapkhani, 1913-1936 (Tel Aviv, 1985), PP.189-96.

Mazkirut mifleget po'alim hashomer hatza'ir, "Din veheshbom miyeshivat merkaz hamiflagah (27.11.47). "Yedi'ot, no.5 (Dec. 28, 1974), P.3, Hashomer Hatza'ir (٣)

archive (hereafter cited as HH) 90.10 (3).

- (٤) المرجع المذكور ص ١١.
- (٥) Al hamishmar (hereafter cited as AM), Jan. 25, 1948.
- (٦) Yedi'ot, no.5, P.12, HH 90.10 (3).
- (٧) المرجع المذكور، ص ص ١٥ - ١٦.
- (٨) "Matza'ha'ihud," HH 90.31 (1).
- (٩) "Hishtarfutani bamemshalah hazmanit (midiyunei hamerkaz ba-7 bemartz 1948)," Igeret lepe'ilim, no.1 (Mar. 16, 1948), HH 90.31 (2gimel).
- (١٠) Morris, "Crystallization of Israeli Policy," P. 86.
- (١١) Morris, "Yosef Weitz."
- (١٢) وقد حاج موريس بأن التقرير بخس (Morris, Causes and character) عمليات الطرد غير المباشر، والذي قدره بـ ٥ في المائة على الأقل. انظر ايضا مؤلفه "Operation Dans".
- (١٣) Aharom Cohen, "Mediniutenu ha'aravit betokh hamilhamah: Ptihah leberur beva'adah hapolitit," HH 90.10.10 (4); "Mediniutenu Klapei ha'aravim: Hahlatot hava'adah hapolitit me 15.6.48," Miyoman hamazkirut, no.4 (June 23, 1948), HH 90.31 (2 gimel).
- (١٤) Morris, "Crystallization of Israeli Policy," PP. 93, 104-6.
- (١٥) استجواب تسقى لوريا لبن جوربون وشيتريت، ١٢ تموز ١٩٤٨، رسالة ي.. بيتزويل إلى م. بنتوف، أ. تزيزلنج وم. أيريم، ٢ آب ١٩٤٨، رسالة تسقى لوريا لبن جوربون، ٣ آب ١٩٤٨، (١) HH 90. 32 alef.
- (١٦) لاحظ موريس في Causes and Character، ص ١٨، ح ١، أن تأشيرته بخط كوهين كانت على النسخة من تقرير قوات الدفاع التي رآها في الأوراق الخاصة لكوهين في أرشيف هشومير هتسعير: «أرسلت في ٤٨/٧/٨ واستلمت في ٤٨/٧/١١». وعندما طلبت رؤية هذه الوثيقة قيل لي إن إدارة الأمن الاسرائيلي حظرت على الأرشيف كشف هذه الوثيقة وإن السماح لموريس بالاطلاع عليها كان خطأ، وإن الاصل لا يزال سريا وممنوع الاطلاع عليه. ومن الواضح أن الوثيقة استبعدت من أوراق كوهين بعد نشر المقال.
- (١٧) Flapan, Birth of Israel, P. 114.
- (١٨) Aharon Cohen, "Nokhah hapinui ha'aravi," Le'ahdut ha'avodah 1, no1 (June 1948):45.
- (١٩) Aharon Cohen, "Hava navhir dvarim le'atzmenu: Sihah 'im haverim bemadim," Basha'ar, nos. 10 and 11 (Aug. 5 and 19, 1948).
- (٢٠) Ya'akov Hazan, speech in Tel Aviv, July 25-26, 1948, quoted in Yossi Amitay, "Mapam 1948- 1954: Emdot besugiyat araviyei eretz yisra'el" (M.A. thesis, Tel Aviv University, 1986), PP. 30-31. According to Morris, "Operation.
- وحسب كتاب موريس، «عملية داني»، ص ص ٨٨-٨٩، كانت التقارير الرسمية الاسرائيلية عن «تمرد» اللد الرملة التي اعتمد عليها حزان بلاك في هذه التفرقة، مبالغاً فيها لتبرير الطرد.
- (٢١) Morris, "Yosef Weitz," P.539.
- (٢٢) Morris, "Harvest of 1948," P.675.
- (٢٣) Amitay, "Mapam 1948 - 1959," P.41.
- (٢٤) ورد في المرجع المذكور ص ٣٧. وقد لاحظ اميتاي ويحق أن تابنكين كان أشد قلقا بشأن الأثر الأخلاقي على اليهود من قلقه على الظلم الذي حاق بالعرب.
- (٢٥) على سبيل المثال، جاليلي، ألون، سنيه، ريفتي، ورد في اميتاي، «المابام ١٩٤٨ - ١٩٥٤»، ص ص ١٩، ٤٤ - ٤٥، وكوهن، AM، ١٢ كانون ثاني ١٩٥٠.
- (٢٦) قرار مركز المابام، ٧ تشرين أول ١٩٤٨، في HH 90.31 (2 gimel).
- (٢٧) HH 95.10.10 (6), quoted in Amitay, "Mapam 1948- 1954," P.72.

Minutes of the 27th Mo'etza of Kibbutz Artzi, Dec. 10-12, 1948, HH (٢٨) محاضر. 5.20.5(4)

Yedi'ot hakibutz ha'artzi, Jan. and Feb.-Mar 1949. صورة نشرت في (٢٩) المرجع المذكور.

(٣٠) للاطلاع على تفاصيل انظر/

For details, see Budeiri, The Palestine Communist Party, PP. 162-65.

"Hahlatot have'idah ha-IX shel hamiflagah hakomunistit hafaestina'it, "Kol (٣١) ha'am (hereafter cited as KA), Sept. 23, 1945.

Me'ir Vilner, "Haderekh leshihur (mediniut hamiflagah hakomunistit hafaestina'it)," Oct. 1946, PP. 5, 42-43, Kibbutz Me'uhad archive (hereafter cited as KM) 35 Ve'idot 1.2.

Mishmar, Oct. 20, 1947. (٣٢)

"Komanestion (٣٤) للاطلاع على تفاصيل حول «الشيوعيين اليهود» (العبريون)، انظر الملف المصروح بالاطلاع عليه "Komanestion ivrim" في المكتبة الوطنية اليهودية (القدس)، مجموعة مخطوطات، مجلد ١٢٧٢، والذي يتضمن أوراق يهوديت بويز. وتستند أرقام العضوية إلى

"Communist Activity in Palestine, January 1-July 31, 1947," U.S.

National Archives (USNA) RG 84, Cairo Embassy General Records, 1947, 169/800-C.

(٣٥) للاطلاع على تفاصيل نشاط فرح وتأثيره على أعضاء الحزب. من الشباب المثقفين العرب في حيفا، انظر السيرة الذاتية لطوبى في KM35، أوراق توفيق طوبى.

Budeiri, The Palestine Communist Party, P.160. (٣٦)

Yehoshua Porath, "The National Liberation League, 1943-١٩٤٤، ص ١٦٤، المرجع المذكور، (٣٧) 1948," Asian and African Studies 4 (1968): 4.

والنصوص المتباينة بصورة طفيفة ترجع لاختلاف الترجمة للعبرية.

Budeiri, The Palestine Communist Party, PP. 212-13. (٣٨)

E.Tuma. "Report on Palestine," Shmu'el Mikunis and MAKI Papers, Arkhion (٣٩) Ha'avodah Vehehalutz (hercafter cited as AA) IV 104.91. The quote is from Ronald Storrs, Orientations (London, 1937), P.405.

(٤٠) والاقتباس من: "Report on Palestine by S.Mikunis," PP. 5,6-7, AA IV 104.34.

"First Meeting of All Delegations to the Empire Communist Parties Conference on (٤١) Palestine problems," P.2, AA IV 104.34.

"Intervention at the Meeting on Palestine and Unity of the party, 13 March 1947," (٤٢) AA IV 104.34.

The Communist Party of palestine, We Fight for Freedom: Evidence Given to the (٤٣) UNSCOP, Jerusalem, July 13 and 15, 1947, PP. 23,43, KM 35 P.K.P. 1941-1948.

KA, Oct. 12, 1947. (٤٤)

(٤٥) المرجع المذكور، ١٤ أكتوبر ١٩٤٧.

S.Mikunis, "For Genuine Independence," speech to the Central Committee meet- (٤٦) ing of Oct. 16, 1947, KA, Oct. 17, 1947; translated in Palestine (PCP) News, no. 10 (1947).

"Hoda'at have'ad hamerkazi shel hamiflagah hakomunistit," Nov. 30, 1947, AA (٤٧) IV 425.34.

"Hamandat habriti met!" May 15, 1948, AA IV 425.35. (٤٨)

- (٤٩) KA, July 22, 1948.
- (٥٠) "Mikhtav el hakader," Nov. 15, 1947, AA IV 104.95.
- (٥١) Arnold Krammer, *The Forgotten Friendship: Israel and the Soviet Bloc, 1947-53* (Urbana, Ill., 1974), PP. 77-78.
- وقد اكد المؤرخ العسكري منير باعيل في محاضراته في الاحتفال التذكاري بالذكرى الخامسة لوفاة ميكونس (معه لافون، تل ابيب، ٢٥ كانون ثانى ١٩٨٧) تقرير كريم عن دور ميكونس في ضمان المعونة العسكرية التشيكية وأكد أنه بدون هذه المعونة، ربما كان الإسرائيليون قد خسروا الحرب.
- (٥٢) الاتحاد، ١٩ تشرين أول ١٩٤٧.
- (٥٣) يستند هذا التقرير إلى تاريخ عصبة التحرر الوطنى الذى أعدته المنظمة فى الضفة الغربية قبل أن تصبح الحزب الشيوعى الأردنى: «قرارات اللجنة المركزية لعصبة التحرر الوطنى فى فلسطين»، أيار ١٩٥١. أعيد نشره فى سماره: «العمل الشيوعى»، ص ص ٣٤٧-٣٦٣. وتحتوى مجموعة مخطوطات المكتبة الوطنية اليهودية، المجلد ١٧٧٢، صندوق ٢٤، ملف ٢، على صورة موجزة بالإنجليزية للوثيقة التى أعدت لماكى. ولم يكن لاكير، فى الشيوعية والقومية، وجريسامر، الشيوعيون الاسرائيليون، فى حماسهما لبيان أن الشيوعيين العرب لم يكونوا أمميين، عادلين أزاء جدية الجدل داخل العصبة. وينبغى مقارنة تقريرهما بمؤلف البديرى، الحزب الشيوعى الفلسطينى، ص ص ٢٣٣-٢٣٤. ورواية طوبى للصراع الداخلى، التى وردت فى مؤلف سماره، العمل الشيوعى، ص ٢٩٢، جرى تصحيحها وتنسيقها، ربما لحماية سمعة اميل توما، الذى انضم لماكى فى ١٩٥١ فحسب.
- (٥٤) Potath, "The National liberation League," P.16.
- (٥٥) المرجع المذكور.
- (٥٦) "Qararat al-lajina al-markaziyya."
- (٥٧) kamen, "After the Catastrophe II," P.72.
- (٥٨) 'Mikhtav el hakader al hitpathut haligah leshihur le'umi," KM 35 Shonot, Haliga leshihur le'umi, 1943-48.
- (٥٩) Ka, jan. 23, 1948, quotation (slightly inaccurately) Al-jamahir, Jan. 18, 1948.
- (٦٠) Am, July 11, 1948; KA, July 11, 12, 1948; Amitary, "Mapam 1948- 1954," P.28.
- (٦١) "Qararat al-lajna al-markaziyya."
- (٦٢) "La situation à Haifa deux semaines après la conquête de la région arabe de la ville par la 'Haganan': Memorandum présenté à la Direction Populaire et au Quartier Général de la hagana par le Comité Central du parti Communiste israélien," KM 35 p.K.P. 1941- 1948. Kamon, "After the Catastrophe II," confirms that the charges in this memorandum were substantially correct.
- (٦٣) Z. Bernard (Dov Bar Nir) to Behor Shitrit, July 21, 1948, HH 90.32.
- (٦٤) KA, Aug. 20, 1948.
- (٦٥) المرجع المذكور، ١٩ آب ١٩٤٨.
- (٦٦) "Bayan ila al-shu'ub al-'arabiyya," Awa'il tishrin al-awwal, KM 35 Yehudi-'aravi.
- (٦٧) Quoted by Shmu'el Mikunis, "Haderekh lenitzahon," kA, Oct. 24, 1948.
- (٦٨) المرجع المذكور.
- (٦٩) يوسف درويش، رسالة إلى جمال عبد الناصر، ٢ كانون أول ١٩٥٦ (أوراق يوسف درويش)، يوسف درويش. لقاء، ١٢ أيار ١٩٨٦. وكان الكتاب هو Oho Heller, *La Fin du Judaïsme* (Paris, 1933) وترجم من أصل المانى.
- (٧٠) على سبيل المثال، أحمد صادق سعد (غير موقع) «كفاح فلسطين الوطنى الديمقراطى»، الفجر الجديد، ١٦ حزيران ١٩٤٥، «يقاوسون الهجرة إلى فلسطين»، المرجع المذكور، ٦ كانون أول ١٩٤٥ (أعيد طبعة من الاتحاد). انظر أيضا الضمير، ١٧ و ٢٤ تشرين أول ١٩٤٥، وبحول المظاهرات المتعددة الصهيونية فى ٢ تشرين ثانى ١٩٤٥، انظر مقالات ورسائل فى عدة أعداد لاعتة من الفجر الجديد.
- (٧١) لقاء مع أحمد صادق سعد، ٢٩ نيسان ١٩٨٦، وأحمد صادق سعد، فلسطين بين «مخالب الاستعمار» (القاهرة، ١٩٤٦).

ص ١١٣، ١١٤.

(٧٢) ياسين، القضية الفلسطينية، ٢٩ نيسان ١٩٨٦، ولقاء مع البيرت ارييه في، السعيد، اليسار المصري والقضية، ص ص ٢٩٤-٢٩٩، صوت الأمة، ٢٦ نيسان ١٩٤٧، الجماهير، ٢٣ حزيران ١٩٤٧.

(٧٣) شهدى عطية الشافعى وعبد المعبود الجبيلى، أهدافنا الوطنية (القاهرة، ١٩٤٥). وقدمت لطيفة الزيات بالمثل عرضاً مناوئاً للصهيونية بصورة معتدلة فى محاضرتها فى المنبر الثقافى لايسكرا، دار الابحاث العلمية، فى مطلع ١٩٤٦: «ماهى الصهيونية»، فى السعيد، اليسار المصري والقضية، ص ص ٩٥-٩٨.

(٧٤) "Le Problème Palestinien", Oct. 22, 1945-74.

(أوراق كورييل) ترجمت رفعت السعيد، اليسار المصري والقضية، ص ص ١٣٠ - ١٧٤). وعلى الرغم أن المؤلف غير واضح، فمن المؤكد تقريبا أنه كورييل، نظرا لأن النص الفرنسى موجود بين أوراقه.

(٧٥) "La lutte du Mouvement Égyptien Nationale (MELN) Puis du Mouvement Démocratique de Libération Nationale (MDLN) depuis leur fondation jusqu'à la déclaration de la loi martiale (Mai 1948)" (rapport adressé par Henri Curiel à ses camarades du MDLN en Septembre - Octobre, 1951?), unpaginated appendix to Henri Curiel, Pages autobiographiques (typescript, 1977).

(٧٦) لقاء مع رفعت السعيد، ٢٢ أيار ١٩٨٦.

(٧٧) "Les principales étapes de la lutte intérieure qui s'est déroulée autour du MDLN durant l'année: Mai 1947- Juin 1948, dite année de l'unité" (rapport adressé par Henri Curiel à ses camarades du MDLN à la fin de 1955), appendix to Pages autobiographiques, P.11.

(٧٨) قدم رؤوف عباس وعزب رياض خدمة كبيرة بنشر الترجمة العربية لمختارات كبيرة من أوراق كورييل، بما فيها سيرته الذاتية وجزء من رسائله وتقاريره إلى مصر، فى أوراق هنرى كورييل والحركة الشيوعية المصرية (القاهرة، ١٩٦٨)، مما جعل هذه الأوراق متاحة للرأى العام فى مصر لأول مرة، وتلخص المقدمة التى كتبها عباس ورياض الاتهامات التى وجهها إلى كورييل، رفاقة السابقون، وخصومه، ومنافسوه. وللأسف، فإنها تحتوى أيضا على مبالغاة وأخطاء كثيرة حول الحقائق والتفسيرات، بما يعكس المشاعر المعادية للصهيونية بلا تمييز (والتي قد لاتراعى التمييز بين العداء للصهيونية والعداء للسامية) السائدة حاليا بين المثقفين القوميين المصريين - وهو رد فعل مفهوم، وإن كان ضارا، لاتفاقية كامب ديفيد وفشلها فى تأمين الحقوق القومية للفلسطينيين. وليس هناك أدلة تؤيد ما يلحق إليه عباس ورياض بطريقة أكثر اثارة من إن تفتت حدثو فى ١٩٤٨، خطط له الشيوعيون اليهود (ص ٢٣) وأن كورييل كان متهما براحه المخربين اليهود الذين قبض عليهم فى تموز ١٩٥٤ وأن ذلك يبين أنه كان عميلا للمخابرات الاسرائيلية (ص ٦٩)، وللعلم، فإننى أنا «الباحث الاجنبى الشاب» (ص ٩) الذى أعطى نسخا من هذه الوثائق للبروفسور عباس. وحيث أنه اختار أن يشير إلى هويته بقوة، فيبدو أنه من الأفضل التخلّى عن إغفال اسمى الذى طالبت به أصلا. ولم يكن السبب فى طلبى هو أن اصداق كورييل فى باريس منعونى من اطلاق الغير على الوثائق، مثلما كتب عباس، موحيا بأن نشرها عملا تأمرىا، بل كان لأنى فضلت أن لا أبوء كنصير لحزب معين فى خلاقات كان من المحتم أن تنشب بين اليساريين المصريين نتيجة لنشر هذه الاوراق. والواقع أن نشرها أدنى لحوار موسع لها فى الهلال، خلال ١٩٨٨، . ولكتاب لبراهيم فتحي، هنرى كورييل ضد الشيوعية العربية: القضية الفلسطينية (القاهرة، ١٩٨٩)، والذى لم تتح لى فرصة بحث حججه بصورة كاملة قبل الانتهاء من هذا النص. وقد استنارت هذه المناقشة، على خلاف الحوارات السابقة حول القضية فى تاريخ الحركة الشيوعية المصرية، بتوافر الفرص أمام المتحاجين فى الحصول على مجموعات من الوثائق وكان هذا هو هدفى من جعل أوراق هنرى كورييل متاحة فى مصر.

(٧٩) الجماهير، ١٩ أيار ١٩٤٧.

(٨٠) المرجع المذكور، ١٩ تشرين أول ١٩٤٧.

(٨١) الوعي، ٢٠ كانون أول ١٩٤٧، صورته طبق الأصل فى دروزه، الشيوعية المحلية، تذييل.

(٨٢) الجماهير، ١٩ تشرين أول، ٢٣ تشرين ثانى، ٢١ كانون أول ١٩٤٧، ١٨ كانون ثانى، ٢٩ شباط ١٩٤٨.

(٨٣) لقاء مع السعيد، اليسار المصري والقضية، ص ٢٨٤.

(٨٤) هكذا كتب فى «رسالة للدكتور رؤوف عباس» التى ظهرت فى الطبعة العربية الثانية من كتاب Gilles Perrault, Un Homme à Part. ورد عباس على دفاع حزان عن كورييل والشيوعيين اليهود (فى رأى بطريقة غير مقنعة)

فى «هنرى كحوريل بين الأسطورة والواقع التاريخى»، الهلال، ٦٦، عدد ١١ تشرين ثانى ١٩٨٨، ٤٢-٤٧.
(٨٥) مصطفى طيبه، حول أوراق هنرى كوريل: مطلوب تقييم موضوعى للتاريخ الحديث، الهلال ٦٦، عدد ١١ تشرين ثانى ١٩٨٨، ص ٥٧.

(٨٦) رسالة محمود النبوى لحرر كول هاعام، أول ايلول ١٩٤٧، AAIV104.91
(٨٧) Curiel, Les Principales etapes. de la lutte, البيرت ارييه، لقاء، ٢ تموز ١٩٨٦، يوسف حزان، لقاء ٢٤ حزيران ١٩٨٦، ريمون ستامبولى ويوسف حزان، ورد فى Perrault, Un homme à part
(٨٨) Curiel, Pages autobiographiques إن الترجمة المتميزة لهذا المقطع من كتاب:

Perrault Un homme à part - A Man Apart: The life of Henri Curiel, Vol.1, p.146

تقدم نوعا من العداء ٢٢ أيار، ١٩٨٦.
(٨٩) Botmen, The Rise of Egyption Communism pp. 94-95.

(٩٠) رفعت السعيد، لقاء، ٢٢ أيار، ١٩٨٦.
(٩١) ورد فى دروزه، الشيوعية المحلية، ص ١٤٩ - ١٥٠.
(٩٢) أحمد صادق سعد، لقاء، ٢٩ نيسان ١٩٨٦، ريمون دويك، لقاء، ٢٦ حزيران ١٩٨٦.
(٩٣) أحمد صادق سعد، لقاء، ٢٩ نيسان ١٩٨٦، ريمون دويك، لقاء، ٢٦ حزيران ١٩٨٦.
(٩٤) حلمى ياسين، لقاء ٢٥ أيار ١٩٨٦.
(٩٥) كان هذا هو موقف ماكى من منتصف لآخر ١٩٤٨.

الفصل الثالث : الاقتصاد السياسى للهيمنة

(١) حسب رأى الباحثين الاسرائيليين ومنهم موريس، Birth of the Palestinian refictee problem، ص ص Xiv-Xviii، كيمولنج، Zionism and perritory، ص ١٢٣، وكامن "Aherei ha'ason"، ص ٩، فإن عدد القرى المهجورة (أى المدمرة) تراوح بين ٢٥٠ و ٢٧٠. بالإضافة إلى إخلاء مدن مجدل، بئر السبع، طبرية، صفد، بيسان، والقسم الغربى من القدس، من سكانها العرب، وقد جمع المؤرخ الفلسطينى عارف العارف قائمة تضم ٢٨٥ قرية دمرت، تشتت فى:

Uri Davis and Norton Mezvinshey, eds., Doucuments from israel, 1964-1973: Readings for a Critique of Zionism (Jondon, 1975) PP 43-54.

ويرجع معظم الفرق بين القوائم لاعتماد الباحثين الاسرائيليين على إحصاءات عن القرى غير مطبوعة، ١٩٤٦، جمعتها حكومة الانتداب، والتي لم تعترف رسميا بكل المحليات غير المأهولة.

(٢) الإحصاءات فى هذه الفقرة من:

Don peretz, Israel and the palestine Arabs (Washington,D.C.,1958),PP.140-47.

(٣) الدراسة النقدية الكلاسيكية لواردات رأس المال لاسرائيل هي، Glen Yago،

"Whatever Happened to the Promised Land? Capital Flows and the Israeli State,"

Berkeley Journal of Sociology 21 (1976): 117 - 46.

Michael Wolffsohn, Israel: Polity, Sociery, and Economy 1882-1986 (Atlantic (٤) Highlands, N.J.,1987), P.276.

وقد انخفض نصيب رأس المال المستورد من الولايات المتحدة لمستوى تاريخى بلغ ١٩ فى المائة خلال ٦١ - ١٩٦٥ لكنه تصاعد لما يزيد على ٨٠ فى المائة خلال بعض سنوات من السبعينيات والثمانينيات، مما جعل وولفشون يخلص إلى «من الصعب المبالغة فى أهمية الولايات المتحدة كمصدر لواردات رأس المال» (ص ٢٦٤).

Henry Rosenfeld and Shulamit Carmi, "The Privatization of Public Means: The (٥) State-made Middle Class and the Realization of Family Value in Israel," in Kinship and Modernization in Mediterranean Society, ed. J. G. perstiany (Rome, 1976), P.137n.

Wolfsohn, Israel, P. 263. (٦)

(٨) المرجع المذكور، ص ٢١٢.

Michael Shalev, "The Political Economy of Labor party Dominance and Decline in Israel" (forthcoming in a volume edited by T.J.Pempel to be published by Cornell University press).

Deborah Bernstein and Shlomo Swirsky, "The Rapid Economic Development of Israel and the Emergence of the Ethnic Division of Labour," British Journal of Sociology 33, no.1 (1982): 64-85.

Rosenfeld and Carmi, "The Privatization of Public Means." See also the statistical evidence of the social promotion of the (mainly Ashkenazi) veterans in Nadav Halevi and Ruth Klinov-Malul, The Economic Development of Israel (New York, 1969), p. 73.

Bernstein and Swirsky, "The Rapid Economic Development of Israel," P.74. يستند هذا الرقم الذي قدمه Halevi and Klinov-Malul, Economic Development of Israel.

وهي أعلى من الأرقام الرسمية بصورة طفيفة لأنها تتضمن العمال المحتملين في معسكرات اللاجئين الجديدة وتتضمن بعض التصحيح لنقص تعداد البطالة العربية.

This figure, given by Bernstein and Swirsky, "The Rapid Economic Development of Israel," P.74, is based on data published in Halevi and Klinov-Malul, Economic Development of Israel. It is slightly higher than the official figures because it includes potential workers in ma'abarot (new immigrant camps) and (apparently) some correction for undercounting of Arab unemployment.

Shimshon Bichler, "He'arot letkufat hatzena" (seminar paper, 1987), PP. 5-10. (١٢) For the orthodox view, see Halevi and Klinov-Malul, Economic Development of Israel, PP.272ff.; and Dom Patinkin, The Israeli Economy: The First Decade (Jerusalem, 1969), PP. 38-40.

Yish'ayahu Etkin, "Shishim shnot shvitah beyisra'el, 1921-1980" (M.A. thesis, Tel Aviv University, 1982), PP. 176-88. (١٣)

Tzvi Segal "Igud hayama'im, 1935 - 1953: Me'agudah mekomit le'igud artzi" (M.A. thesis, Tel Aviv University, 1976). (١٤)

Divrie haknesset, Dec. 14 1951. (١٥)

ورد في المرجع المذكور، ص ٨٨.

(١٦) كان قرار إسرائيل بالاعتراف بحكومة الصين الشعبية والاقتراح لصالح قبولها في الأمم المتحدة استثناء في هذا الاتجاه أملت استراتيجية التودد للدول الجديدة لآسيا. وعلى الرغم من أن هذه المبادرة نجحت في حالة بورما، فقد فشلت بصفة عامة ولم تستمر.

Shmu'el Mikunis, shvitah hayamaim, hahitpathut vchalekah, quoted in Segal, "Igud hayama'im," P. 180. (١٨)

Re'uven Kaminer and Dafna Kaminer, interview, August 31, 1985. (١٨)

Shalev, "Political Economy of Labor Party Dominance and Decline." (١٩)

KA, Feb. 16, 1958. (٢٠)

Election poster of Ahdut hapo'alim joint MAKI/LSP list, KM 35 Benitot le'igudim miktzo'iym vetotza'ortayhen, 1952 - 1972; Balti, Bama'avak al ha-kiyum hayehudi, P.25. (٢١)

MAKi. Hava'ad hamerkazi, Hozer, no.38 (Apr. 9, 1959), KM 35 Hitkatvut 1.5. (٢٢)

ربما تكون تلك هي المرة الأولى خلال عدة سنوات، لكنها لم تكن ظاهرة غير مألوفة في أوائل الخمسينيات.

(٢٣) اعتمادا على كتيبات وقعتها هذه الخلايا في:

KM 35 Hape'ilut besnif haifah, 1950 - 1961.

"Aryen," Histadrut Hashomer Hatza'ir beyisra'el, no. 5, quoted in S (aba) sh. (el) (٢٤)

Yariv, Al hakomunism vehatzionut, P. 3.

Eliyahu Kanovsky, The Economy of the Israeli Kibbutz (Cambridge, Mass., (٢٥)
1966), PP. 22, 41, 92 - 95, 138.

Amitay, "Mapam 1948 - 1954," PP. 143 - 44. (٢٦)

Kanovsky, Economy of the Israeli Kibbutz, P. 34. (٢٧)

(٢٨) اقيمت الكيبوتسات التابعة لكيبوتس ارتسى على الاراضى العربية السابقة بعد ١٩٤٨، بما في ذلك بارعام، باركانى،
بينت نيره كارميه، دبير، عين دور، حاعا تن، جازيت، جفعات عز، هرتيل، لاهاف، لهافوت حفيقا، ماجين، مجيدو، مى
عامى، مقيزر، ناحشون، نيرعوز، ريفاديم، ساعر، سعسع، شومرات، زكيم، وتشكل هذه القائمة والتي قد لاتكون كاملة
٢٠ في المائة من أعضاء كيبوتس ارتسى حاليا.

Jon Kinche and David Kimche, Both Sides of the Hill (London, 1960), PP. 82-84. (٢٩)

وقد برر التقرير الذى نشرته هشومير هتسجير الهجيم على أساس ان سعسع كانت ممرا للمتسللين من سوريا: انظر:

Sefer hashomer hatza'er (Merhavia, 1964), 3:74-76.

Morris, Birth of the palestinian Refugee Problem, P.230. (٣٠)

Diary entry for Jan. 16, 1949, in Kibbutz Sasa, the Secretariat, The Launching: (٣١)

Sasa's First Yeqr (Tel Aviv, 1951; repr. 1984), P.20.

(٣٢) المرجع المذكور، ٢١ يناير ١٩٤٩ ص ٢١.

Yak Matek, "The Mosque," in Sasa 35, 1949 - 1984: Founders' Gathering, July (٣٣)
6-8, 1984 (mimeograph, Sasa, 1984), P. 19.

S.L., letter to Sasa comrades in America, Jan. 13, 1949, in The Launching, PP. (٣٤)
17-18.

Diary entry, Feb. 8, 1949, in The Launching, P. 21. (٣٥)

(٣٦) المرجع المذكور ١٧ فبراير ١٩٤٩، ص ٢٦

(٣٧) تستند المعلومات عن لاهاف إلى HH 101.6، لقاء مع ديفيد شوشانى في ١٨٥ كانون أول ١٩٨٨، وافافى هناك
لمدة تسعة شهور في ٧٠ - ١٩٧١.

Mahmoud Abdel-Fadill, Development, Income Distribution, and Social Change in (٣٨)
Rural Egypt, 1952 - 1970 (Cambride, 1975), p.4.

وتستند الملخصات التالية للحركة الوطنية والتطورات السياسية بعد الحرب في المحل الأول على شهادى عطيه الشافعى،
تطوير الحركة الوطنية المصرية، ١٨٨٢ - ١٩٥٦ (القاهرة، ١٩٥٧)، طارق البشرى، الحركة السياسية في مصر
(القاهرة، ١٩٧٢)، عاصم احمد النسوقى، كبار ملاك الاراضى الزراعية ودورهم في المجتمع المصرى، ١٤ - ١٩٥٢
(القاهرة ١٩٧٥).

Anouar Abdekl - Malek, Egypt: Military Society (New York, 1968); Eric Davis,
Challenging Colonialism: Bank Misr and the political Economy of Industrialization
in Egypt, 1920 - 1941 (Princeton, 1983); and Joel Bein in and Zachary Lockman,
Workers on the Nile: Nationalism, Communism, Islam, and the Egyptian Working
Class, 1882 - 1954 (Princeton, 1988).

(٣٩) حول إضفاء طابع راديكالى على المثقفين الشبان، انظر كتاب اليونانى المصرى السابق فى الحركة الشعبية، Raoul
Makarius, La jeunesse intellectuelle d'Egypte au lendemain de la deuxième guerre
mondiale (Paris, 1960).

(٤٠) يتمثل التقرير الكلاسيكى عن التأييد الأمريكى للانقلاب فى كتاب مسؤول المخابرات الامريكية السابقة، ما يازكوبلند،
لعبه الأمم (لندن، ١٩٦٩)، وفى حين أن الشك ليس كبيرا فى صدق قصته، فإنه لايمكن التحقق منها بصورة كاملة لأن
ملفات السفارة الامريكية فى القاهرة حول هذا الموضوع، لم يرفع عنها الخطر بعده رغم أنه كان ينبغى إتاحتها

للاطلاع منذ عدة سنوات مضت.

(٤١) مذكرة تفسيرية لقانون الإصلاح الزراعي الصادر في ٩ ايلول ١٩٥٢ (ترجمة انجليزية من العربية منسوخة).

(٤٢) للاطلاع على التفاصيل انظر

Beinin and do'kman, Warkers an The Nile, PP. g, 1952.

(٤٣) من وجهة نظر السوق الرأسمالية، فإن فصل عامل بسبب تخفيض الإنتاج (مثلاً) ليس عملاً تعسفياً بيد أن العمال المصريين حكموا على هذا بمقياس مختلف، وقد استخدمت المصطلح الذي استعملوه في هذا الصدد.

(٤٤) خالد محي الدين، رسالة إلى جمال عبد الناصر، ٣١ اذار ١٩٥٢، نشرت في الاهالي، ٢٤ تموز ١٩٨٥، امين عز الدين، تاريخ الطبقة العاملة المصرية منذ نشوئها حتى سنة ١٩٧٠ (القاهرة، ١٩٧٨)، ص ص ٨١٧ - ٨٢٠.

(٤٥) لم نساعد كل النقابات عبد الناصر؛ فقد ساند بعض نقابات العمال في الغزل والنسيج والنقل، والتي لها تاريخ في نضال الجناح اليساري، - نجيب. انظر بنين - Beinin and do'kman, Wor Kers an Nile, PP. 437 - 43

(٤٦) ألف محمود عاطف، العمال والحركة العمالية في مصر: ١٩٤٢ - ١٩٦١ (رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، ١٩٨٥)، ص ص ٢٤٧، ٢٤٩ - ٢٥٠، فتحي كامل، مع الحركة النقابية في نصف قرن: صفحات من ذكريات فتحي كامل (القاهرة، ١٩٨٥)، ص ص ١٣٩ - ١٤٩؛ عز الدين، تاريخ الطبقة العاملة، ص ص ٨٢٠ - ٨٢٦.

(٤٧) تقرير عن ملف مكتب للأستاذ يوسف درويش المحامي (أوراق يوسف درويش)

(٤٨) يوسف درويش، رساله إلى جمال عبد الناصر، ٣ ايلول ١٩٥٦ و«أسماء المنظمين في المقاوم الشعبية - شبرا الخيمة (أوراق يوسف درويش) : المساء، ٩ كانون أول ١٩٦٥. ربما كانت هوية درويش اليهودية عاملاً آخر حرك الإجراء الحكومي ضده.

(٤٩) انظر على سبيل المثال، لطفى الخولى، «تأميم القناة والطبقة العاملة»، المساء، ٧ تشرين أول ١٩٥٦، ومحمد على عامر، «خط الدفاع الأول»، المساء، ٢٧ كانون أول ١٩٥٦.

(٥٠) فتحي كامل، أحمد فهم، سيد عبد الوهاب ندا، ونور سليمان، الطبقة العاملة في المعركة ضد الاستعمار (القاهرة، ١٩٥٧)، ص ٧ وكثير من الأحداث المذكورة في الفقرة الأولى من هذا القسم جرى وصفها في هذا الكتاب.

51. Patrick O'Brien, The Revolution in Egypt's Economic System (London, (٥١) 1966), P. 100.

(٥٢) تقرير الميزانية، ٥٧ - ١٩٥٨، ص ١٢، في المرجع المذكور، ص ١٠٢

(٥٣) انظر المساء، ٢٥ تشرين ثاني ١٩٥٧، للاطلاع على رسالة تنتقد مرعى حول هذه المسألة، ويفسر. Fer nand J. Tomiche, Syndicalisme et certains aspects du travail en République Arabe Unie (Égypte), 1900 - 1965 (Paris, 1974)

نشرت الرسالة على أنها دليل على حرية التعبير، لكن نقد وزير حكومي واحد لم يكن ظاهرة جديدة في الصحافة المصرية. وبالإضافة لذلك، فإنه في سياق مناقشة سياسية الحكومة العمالية، يتضح أن معارضة وزير لتشكيل نقابه أكثر أهمية من انتقاد عامل للوزير بسبب ذلك. وقد أنشئت نقابات عمال الزراعة في النهاية.

(٥٤) المساء، ٥ شباط ١٩٥٩.

O'Brien, Revolution in Egypt's Economic System, P. 103. (٥٥)

(٥٦) للاطلاع على ادلة احصائية عن تزايد المنازعات الصناعية انظر: Joel Beinin "Labor, Capital, and the State in Nasserist Egypt," International Journal of Middle East Studies 21, no. 1 (Feb. 1989).

(٥٧) المساء ٣٠ تموز، ٧ تشرين ثاني ١٩٥٧.

(٥٨) المرجع المذكور، ١٩ آب ١٩٥٨.

(٥٩) المرجع المذكور، ٢٨ آب ٥٧

(٦٠) المرجع المذكور، ٢ ايلول ١٩٥٧

(٦١) المرجع المذكور، ٢٠ كانون ثاني ١٩٥٨

(٦٢) طاهر العمري - أنا العامل، نشرة اتحاد نقابات الغزل والنسيج بجمهورية مصر، عدد ٣ (ربما ايلول ١٩٥٥)، ص ١٤

(٦٣) تتوافر ترجمة ملانمه لشعر بيرم التونسي، التي ظهرت أولاً بالانجليزية في كتاب نشره اليساريون المصريون في ١٩٩٤ لتعريف أفراد القوات البريطانية بمصر، في Botman, Rise of Egyptian Communism, PP.

(٦٤) للاطلاع على مناقشة لصير هذا المفهوم وتطبيقه في مصر انظر، Esmail Hosseinzadeh, Soviet Non-capitalist Development: The Case of Nasser's Egypt (New York, 1989).

(٦٥) «حكاية أول مايو، المساء» ٢١ مايو ١٩٥٧

Ahmed Abdalla, The Student Movement and National Politics in Egypt (London, 1985), PP. 101 - 10.

Abdel-Fadil, Development, Income Distribution and Social Change, PP. 23, 41- (٦٧) 49 ; idem. The political Economy of Nasserism: A Study in Employment and Income Distribution Policies in Urban Egypt, 1952 - 1972 (Cambridge, 1980), P. 33.

Hamied Ansari, Egypt: The Statted Society انظر وجود ثورة زراعية انظر (٦٨) (Albany, N. Y., 1986).

Gouda Abdel - Khalek, "The Open Door Economic Policy in Egypt: Its Contribu- (٦٩) tion to Investment and Equity Implications" in Rich and Poor States in the Middle East: Egypt and the New Arab Order, ed. Malcolm Kerr and Elsayyid Yassin (Boulder, Colo., 1982), PP. 263, 268.

الفصل الرابع : نافذة تتيح فرصة؟

(١) كان من هؤلاء السيدات لطيفة الزياد، ثريا أدهم، فاطمة زكي، انجي افلاطون، ايمى سيتون، واوديت حزان سولومون (والأخيرتان كانتا من اليهود).

(٢) محمد سيد أحمد، لقاء ١١ ايار ١٩٨٦ للاطلاع على مزيد من الحوادث حول أسلوب إيسكرا الاجتماعى، انظر the biographical sketch of Albert Arie in Selma Botman "Oppositional Politice in Egypt: The Communist Movement. 1936- 1954" (Ph. D. diss., Harvard University, 1984), PP. 505 - 6.

Curiel Pages autobiographiques, P. 54 and appendix, "Les principales étapes," P. (٣) 7.

Ibid., P. 55, and appendix, "Les principales étapes," PP. 5, 24. (٤)

Caffery to State, September 18, 1950, USNA RG 84, Cairo Embassy JGeneral (٥) Records, Records, 1950 - 52, 231/350. 21 (E - L).

ولم يقدم السفير كافرى دليلا يدعم هذا الادعاء الضمنى.

(٦) حلمى ياسين، لقاء ٢٦ ايار ١٩٨٦ ؛ محمود أمين العالم، لقاء ايار ١٩٨٦ ؛ فؤاد مرسى، لقاء ١٩ ايار ١٩٨٦.

(٧) فؤاد مرسى، لقاء ١٩ ايار ١٩٨٦.

(٨) المرجع المذكور.

"De l'élargissement," Mar. 31, 1951 (Curiel papers) (٩)

(١٠) تستند الأرقام عن حجم المنظمات إلى تقديرات قدمها عدد من الشيوعيين السابقين.

"Au C.C. du M. D. L. D. L. N.," May 25, 1953 (Curiel papers). (١١)

Bullettin d'études et d'information sur l'Égypte et le Soudan, no. 17(Aug. 1952). (١٢)

للاطلاع على رأى كوربيل الشخصى فى تنفيذ النظام الجديد على الرغم من تقييمه الواقعى لحزب الجيش، انظر أوراق كوربيل "H. C. Lettre àEgypte" Aug. 27, 1952

"Reports of Anti-jewish Activities in Egypt," Embassy to State, Apr. 21, 1954, (١٣) USNA RG 84, Cairo Embassy General Records, 1954, 258/350.21

(١٤) امين شاكر، سعيد عريان، على ادهم، حقيقة الشيوعية (القاهرة، ١٩٥٤)، ص ١٨٠. ظهر هذا المجلد فى اخترنا لك، وهى سلسلة كانت تشرف عليها الحكومة لتوجيه الإعلام الجماهيرى.

- (١٥) محمود أمين العالم، لقاء أول مايو ١٩٨٦
- (١٦) فيليب جلاب، لقاء ١٤ مايو ١٩٨٦
- (١٧) رفعت السعيد، لقاء ٢٢ مايو ١٩٨٦
- (١٨) فؤاد مرسى لقاء مايو ١٩٨٦
- (١٩) المرجع المذكور، استشهد فؤاد مرسى بنص كتابه من الذاكرة، حيث لا تتوافر أى نسخ من الأصل وقد عبر عن مشاعر مماثلة، رفعت السعيد، ومحمود أمين العالم، وفيليب جلاب.
- (٢٠) محمود أمين العالم وعبد العظيم أنيس، فى الثقافة المصرية (بيروت، ١٩٥٥)
- (٢١) Taha Husayn, The Future of Culture in Egypt (Washington, D. C., 1954).
- (٢٢) العالم وأنيس، فى الثقافة المصرية، ص ٦
- (٢٣) أحمد طه وعبد المنعم الفزالى، لقاءات فى مؤلف عبد العظيم رمضان «عبد الناصر وأزمه أذار (القاهرة، ١٩٧٦)، ص ٣٠٩ - ٣١٠، ٣٥١.
- (٢٤) للاطلاع على تفاصيل القضية انظر Gresh, "Le P. C. F. et l'Égypte" ; and perrault, Un homme à part, PP. 240 - 55.
- (٢٥) Perrault, Un homme à part, P. 255.
- (٢٦) كان من بينهم سيد سليمان الرفاعى ، وهو ميكانيكى بالقوات الجوية جنده كورييل للحركة الشيوعية مع المجموعة الأولى من المصريين فى ١٩٤٣ ، وقد تمسك بوفاء لخط كورييل عندما خلفه فى قيادة حدثو. وفى آب ١٩٥٣ ، انقسم الرفاعى من حدثو ليقود حدثو - التيار الثورى الذى رفض استمرار تأييد حدثو للانقلاب. وفى فبراير ١٩٥٤ ذكرت النشرة الداخلية لمجموعة رفاعى «أن الحركة الدولية تعتبر يونس عنصرا مشكوكا فيه» ورد فى "Apropos de l'article du 'cadre' du MSLN - CR" early 1954 [Curiel papers].
- (٢٧) "Résolution du groupe de Rome du MDLN à la suite de la création du PCEU; Au CC du PCEU - Juin 1955" (Curiel papers).
- (٢٨) "Correspondance et rapports concernant la cas de Jacques [another nom de guerre of Curiel]," 1955 - 56 (Curiel papers).
- (٢٩) Henri Curiel, Letter to Naomi Canel in prison, May 10, 1957 (Curiel papers).
- (٣٠) فى لقاء فى ٢٤ حزيران ١٩٨٦ ، عبر يوسف حزان عن تأييد حماسى لمشروع التقسيم (على الرغم من قبول المنظمة المتحفظ له) وفى ذلك الوقت، ربما كان رأيه قد اختلف عن أرائه فى ١٩٤٨ ، وبالإضافة لذلك، فقد كان حزان من أول أعضاء حدثو اليهود الذى تركوا مصر، ووصل لباريس فى ١٩٤٩ ، وبعد ذلك أصبح نفوذه ضعيفا.
- (٣١) صوت البروليتاريا، عدد ٢ (تشرين ثاني ١٩٤٨)، لسان حال «صوت المعارضة»، صورة جزئية فى دورته، ملحق للشيوعية المحلية، النص الكامل ص ١٥١ - ١٥٣ للاطلاع على عرض أكثر اكتمالا للخط العام لهذا الاتجاه انظر «هاهى المنظمة الشيوعية المصرية التى نرغب فى إقامتها»، وهى وثيقة برنامجية ربما كتبت فى أيار ١٩٤٨ ، وقد حصلت عليها وترجمتها السفارة الأمريكية فى القاهرة والوثيقة لا تتضمن اسم واضعها، لكن خطها يتسق مع خط صوت المعارضة، مشمش، حيث أن الإشارة الوحيدة إلى فلسطين كانت بيانان «الأحزاب والمنظمات الفاشية [أى مصر الفتاة والإخوان المسلمين] يتم تسليحها تحت بصر وتشجيع الرجعية والامبريالية (خاصة منذ أحداث ٢١ شباط ١٩٤٦ ، ومؤخرا تحت شعار الدفاع عن فلسطين)»
- (Controlled American Source to the Ambassador, Aug. 30, 1948, USNA RG84, Cairo Embassy General Records, 1948, 193/ 800C).
- (٣٢) لقاء مع محمد سيد أحمد فى:
- Botman, "Oppositional Politics in Egypt," P. 294. For further information on this tendency, see also PP. 289 - 94.
- (٣٣) Nouvelles d'Égypte, no. 8. (Oct. 31, 1953): 13 - 15.
- (٣٤) المرجع المذكور، عدد ١٩ (١٤ تموز ١٩٥٤): ٩ - ١١
- (٣٥) خالد [فؤاد مرسى]، تطور الرأسمالية وكفاح الطبقات فى مصر (القاهرة ١٩٤٩ أو ١٩٥٠)، ص ٤٨ - ٥٠، مستنسخة فى تذييل دروزه، الشيوعية المحلية. لا تتوافر نسخ كاملة من الأصل.
- (٣٦) راية الشعب، عدد ٣١ (١٩٥٢)، ورد فى دروزه، الشيوعية المحلية، ص ١٦٤.

- (٣٧) راية الشعب، ٣ نوفمبر ١٩٥٣، متسخة في دروزه.
- (٣٨) "Deux analyses - deux Politiques: da situation actuelle en Égypte" (أوراق رودنسون) وتأريخى الوثيقة يعتمد على دليل ضمني.
- (٣٩) البيرت ارييه، لقاء ٢ يولييه ١٩٨٦.
- (٤٠) ورد المراسلات بين الحزبين في
- "Mapam. Hamerkaz. Tik Ksharim im hamiflagah hakomunisit hayisra' elit (1948)," HH 90. 31 alef (1 bet).
- وقد نشرت مؤخرا بعض الخطابات بين قيادات الحزب في الصحف اليومية للحزب ونشراته الأخرى.
- (٤١) في نظام الاقتراع النسبي بالقائمة في إسرائيل، يختار الناخبون قائمة حزبية تضم ١٢٠ مرشحا. ويفوز المرشحون بمقاعد الكنيست بالتناسب مع الأصوات التي حصل عليها الحزب على الصعيد القومي وفق ترتيب ظهور أسمائهم في القائمة والقائمة المشتركة تضم مرشحين من حزبين بنظام ونسب محدودة.
- El' azar Peri, "Tzionut: Tnai lehazit me' uhedet," Igeret Lemasbir, Nov. 17, 1948, (٤٢) HH 90. 31 (2gimel).
- Aharon Cohen, speech at the Council of Kibbutz Artzi, Dec. 10-12, 1948, HH (٤٣) 5.20.5 (4).
- Peri, "Tzionut." (٤٤)
- Mifleget hapo' alim hame'uhedet, Sihah'im haboher [1949]. (٤٥)
- Hamahlakah Iepe'ulah'aravit, "Hozer el kol hevrei mapam haba'im bemaga' 'im' (٤٦) aravim,' Jan. 14, 1949, HH 90. 31 (2 bet).
- Mapam, Hamerkaz, "Bulitin hamahlakah lepe'ulah' aravit," nos. 5(Feb. 50, 1949) (٤٧) and 6 (Aug. 10, 1949); "Likrat mo'etzet hamiflagah (prakim leberur)-hartza'at Aharon Cohen be'ishur hamahlakah lepe'ulah' aravit," July 31, 1949; "Hozer le-hevrai hamo'etzah veva' adot snifim," Oct.4, 1949; all in HH 90. 31 (2alef).
- (٤٨) الاتحاد، ١٠ و ١٧ يناير، ١٩٤٩
- (٤٩) نص الخطاب منشور في حنا ابراهيم، محرر، حنا نقاره: محامي الأرض والشعب (عطا : ١٩٨٥)، ص ص ٢٢٢ - ٢٣٣، حيث قيل خطأ إنه ألقى في انتخابات ١٩٥١. وقد جاء الخطاب في الاتحاد في ٢٦ كانون أول ١٩٤٨.
- (٥٠) الاتحاد، ١٧ و ٢٤ كانون ثاني ١٩٤٩
- (٥١) تستند نتائج انتخابات الكنيست الثلاثة الأولى إلى:
- Israel, Halishkah hamerkazit Iestatistkah, Tatza'ot habehirot lakneset harishonah, hashniyah vehashlishit ulerashuyot hamiyot be 1950 ube-1955, Sidrat Pirsumim meyuhadim, no 51 (Jerusalem, 1957).
- Ze'ev Tzur, Bein shutafut le' oppozitziyah: She'elat shitufah shel mapam bamem- (٥٢) shalah, 1949 - 1954 (Efal, 1983), PP.7 -10.
- KA and AM, Apr. 5, 1949. (٥٣)
- KA, Feb. 21"; Mar. 24; Aug. 8; Sept. 14, 17, 1949. (٥٤)
- KA, Aug. 2, 1949 ; AM, July 7, 1949. (٥٥)
- KA, Apr. 28, 1949. (٥٦)
- AM, June 22, Sept. 6, 1949. (٥٧)
- Me'ir Vilner, Internatzionalizm proletari mul natzionalizm burgani, P. 19, KM 35 (٥٨) Ve' idot 1.3.
- Shmu'el Mikunis, "Ne'um hatshuvah levikuah haklali," Hahlatot, di vrei ptihah, (٥٩) tshuvah levikua, brakhot, P. 18, KM 35 Ve'idot 1.3.
- "Duah hava'ad hamerkazi shel MAKI leve'idah ha-11," Hahlatot, divrei ptihah, (٦٠) tshuvah levikuah, brakhot, P. 75, KM 35 Ve'idot 1.3.

- (٦١) اميل جيبى، لقاء ٢١ يولييه ١٩٧٨.
- (٦٢) KA, Mar. 9, 1949
- (٦٣) KA, June 13, 14, 1949, AM, June 16, 1949
- وكذلك في كتب اللجنة المركزية لماكي:
- "Hoda'at hava'ad hamerkazi shel hamiflagah hakomunistit hayisra'elit be'inyan hitzartfutam shel 28 hevrei 'Zilim' lemaki." 64. KA, Oct. 23, 1949.
- (٦٤) تستند أرقام العضوية إلى عدد الأصوات المقترحة للمندوبين في المؤتمر الثاني، وقد جاء أن سنيه وريفتن كانا يحظيان بتأييد ٢٥ - ٣٠ في المائة من المأبام في:
- A. U.S diplomatic dispatch - "Israel-Prague Trials," Dec. 27, 1952, USNA RG 84, Tel Aviv Embassy Classified General Records, 1950-52, MAPAM.
- El'azar Peri, Anahnu 've olam hamahapekhah (Tel Aviv, May 1, 1950). Ya'akov (٦٦)
- Aharon Cohen, وانظر ايضا: Riftin, "Anu vехаomunizm," AM, Apr. 30, 1950; and
- "Olam hamahapekhah vehatzionut," Mahbarot lemarksizm, no. 2 (Feb. 1951
- وتشكل هذه النصوص الكلاسيكية ليسار كيبوتس ارتس.
- (٦٧) على سبيل المثال، نظمت مظاهرة مشتركة أمام السفارة الامريكية في تل ابيب في الذكرى الثانية لنشوب الحرب الكورية في ٢٥ حزيران ١٩٥٢ (ورد في:
- reported in USNA RG 84, Tel Aviv Embassy General Records, 1950- 52, 6/ 350.21).
- (٦٨) "Likrat moe'tzet hamiflagah (prakim leberur): Hartza'at A. Cohen de'ishur hamah-lakah lepe'ulah 'aravit," HH 90.31 (2 alef); Aharon Cohen to Me'er Ya'ari, July 1, 1950, HH 90. 38 (2).
- (٦٩) "El tzirei hamoshav hashlishi shel mo'etzet mapam," HH90.31 (2alef). R. Bastuni (٦٩) to A. Cohen, Jan. 12, 1951; R. Bastuni to Y. Vashitz, Feb. 20, 1951- both in HH 95. 10.11 (7) E. Be'eri to R. Bastuni, Oct. 28, 1952, HH 90. 37 (7).
- (٧٠) El'azar peri, Bameh nivdalim shloshet hamatza'im zeh mizeh, Feb. 25, 1951, HH (٧٠) 90. 39(1).
- (٧١) "Cilui da'at shel have'idah harishonah shel hahativah ha'aravit, 13 - 14 April (٧١) 1951," HH90. 39(1).
- (٧٢) Mifleget hapo'alim hame'uhedet, Likrat ve'idat mifleget hapo'alim hame'uhedet: (٧٢) Hanahot leberur [Tel Aviv, 1951], P. 7.
- (٧٣) Hchazit lelikud hamiflagah, 'Al mah be'emet havikuah? HH 90. 39 (1). (٧٣)
- (٧٤) Matza' hamiflagah (the Haifa program) [Tel Aviv, 1951], P. 16. (٧٤)
- (٧٥) Davar, June 3, 1951 (٧٥)
- (٧٦) AM, Nov. 23, 1952. (٧٦)
- (٧٧) "Yeshivot hava'adah hapolitit vehamedinit," Nov. 23, 1952, HH90. 66 bet (8). (٧٧)
- (٧٨) Minutes of MAPAM's Eighth Council, Dec. 24, 1952, HH 90. 69 (1). (٧٨)
- (٧٩) Hativat hasmol bemifleget hapo'alime'uhedet, "Gilui de'at," Jan. 17, 1953, HH90. 37(5).
- (٨٠) ؟ (٨٠)
- (٨١) "Hoda'at hahativah ha'aravit," HH 90. 32 bet (5gimel). (٨١)
- (٨٢) Tzvi Lubliner to Snch, Berman, and Tubin, Jan. 21, 1953, HH 90. 31 alef (2 (٨٢) heh); Snah, Berman, Tubin, and Bastuni to Central Committec, Jan. 25, 1953, HH 90. 31 alef (1 bet).
- (٨٣) Snch, Berman, Rubin, and Bastuni, "El hevrei mo' etzet hamiflagah," Jan. 27, (٨٣)

1953, HH 90. 32 bet (5 gimel).

"Parashat mishpat Prag," Y. Riftin to M. Ya'ari, June 18, 1953, HH 95. 2.1 (84) (4dalet).

Y. Riftin and E. Peri to M. Ya'ari, July 27, 1953, HH 95.2.1 (4chet). (85)

Isser Harel, Bitahon vedemokratah (Tel Aviv, 1989), P. 214. (86)

AM, Jan. 8, 1953. (87)

(88) ورد هذا الرقم في نشرة ماكي الإعلامية، عدد ١٥٢ آذار، ١٩٥٣. وهو ينسق مع سجلات كيبوتس ارتي (في hh)

5.6[4] للاقتراع في الخمسة وثلاثين كيبوتسا الأول (من إجمالي سبعة وستين) بنظام القبائلي، والذي اقترح فيه

١٧، ٦ في المائة بلا أو امتنعوا ولم يتم الاحتفاظ بالنصف الثاني من السجل، ولكن حيث أن عين سثمر وشوفال، وكان

مهما عدد أكبر من الأصوات التي اقترعت بلا، في هذا القسم من القائمة، فإن ما مجموعه ٢٠ في المائة يقد معقولا

Tz. Lubliner to F. Ilanit, A. Lipsker, G. Levi, E. Peri, E. Preminger, S. Flapan, (89)

Y. Riftin, and H. Rubin, Jan. 18, 1954, HH 95. 2. 1(4tet).

Me'ir Ya'ari, Kibutz galuyot be'aspeklariah shel yamenu (Merhavia, 1954). (90)

"Hatza'ot beyeshivat hava'ad hapo'el shel hakibutz ha'artzi be'ein shemer hugshu (91)

al yedei El. Peri, " Jan. 27 - 28, 1954, HH 95.2.1 (4 tet).

Hashavu'a bakibutz ha'artzi, Apr. 16, 1954. (92)

El'azar Paeri, "Dvarim bemo'etzet hakibutz ha'artzi, Giv'at Havivah," Apr.3, (93)

1954, HH 95. 2.1 (4 tet).

(94) ورد في سمول، ١٨ شباط ١٩٥٤. وقد أيدت افتتاحية Am في ١٩ تشرين أول ١٩٥٣ بصورة غير مباشرة الغارة

مستخدمه لغة التشديد المميزه لاحدوث عافورا. وعبرت افتتاحية ٢٠ تشرين أول عن تحفظات معتدله لكنها لم تكذب

رواية بن جوريون للحادث وانتقدت الافتتاحياتان الأمم المتحدة لأنها انجازت ضد اسرائيل.

"Lesiyum haparaha ha'aguma," Hashavu'a bakibutz ha'artzi, Apr.9 1953. (95)

Quoted in smol lakibutz (supplement to Smol), July 7, 1953. (96)

"Parashat Har El," Oct. 27, 1955, HH 5.6 (4). (97)

Shmu'el Amir, interview, Aug. 21, 1985. (98)

Smol, Mar.30, 1953. (99)

(100) شموئيل امير (طرد من شوفال)، لقاء في ٢١ آب ١٩٨٦، يؤيدين كامنر وداقنا كامنر (طردا من ساعر)، لقاء ٢١ آب

١٩٨٥

(101) المرجع المذكور.

"Matza' hayesod shel mifleget hasmol hasotzialisti hayisra'eli," Smol, Apr. 16, (102)

1953.

Smol, Feb. 12, 1953. (103)

M. Vilner, "Im hakamat mifleget hasmol hasotzialisti beyisra'el," KA, May 22, (104)

1953.

Lecture notes (Shmu'el Amir Papers). (105)

Shmu'el Amir, لقاء في ٢١ اغسطس ١٩٨٥ مع، (106)

(107) ورد تقرير سنیه الخاص عن تطوره السياسي في عمله

Balti, Bama' avak al hakiyum hayehudi, وتبنى "palitical will", KA, Mar. 15, 1972.

منظورا لهذه الوثيقة بصور سنیه علای أن محرکة الأول هو الشعور القومي اليهودی خلال حياته كلها. وفي حين أن

هناك بعض الحقيقة في هذا الوصف، فإنه يفسر لماذا دافع سنين عن الولاء للاتحاد السوفيتي والارثوذكسية الماركسية

النظرية في الخمسينات وأوائل الستينات.. ومن الصعب الاعتقاد بأن مواقفه المتسقة خلال هذه السنوات لاتمثل

اقتناعاته العميقة.

Smol, Feb. 12, 1953. (108)

- (١٠٩) Balti, Bama'avak al hakiyum hayehudi, P. 21.
- (١١٠) Protocols of the Council of the Left Socialist Party, Jan. 15 - 16, 1954 (Shmu'el Amir Papers).
- (١١١) Moshe Sneh, Sikumin bashe'elah hale'umit le'or hamarksizm- leninizm (Tel Aviv, Aug, 1954).
- (١١٢) تعتمد روايتي لنشاط ماكي في الدفاع عن حقوق العرب أساسا على كثير من الكتيبات العربية في KM 35 Pe'ilut bemigzar' ha'aravi ، وبعض الصناديق الأخرى غير المحظورة أساسا من المواد العربية.
- (١١٣) إبراهيم، حنا نقاره، ص ٢٧٥، «لتسقط مؤامرة السلطات ضد قادة إضراب عمال الزيتون» لجنة منطقة عكا بماكي،
لتاريخ، KM 35 Kruzim le'igudim miktzo'iyim, 1950 - 1971
- (١١٤) انظر مثلا، ملصق الحائط الذي علته لجان مناطق الناصرة وحيفا - عكا ضد الطرد من مجدل في ١١٩ آب ١٩٥٠،
KM 35 pe'ilut bemigzar ha'aravi.
- (١١٥) رساله اميل توما لسكرتاريه ماكي في اكتوبر ١٩٥٥ KM 35 Zekhuyot hami'ut
- (١١٦) ha' aravi, 1950 - 1964, Hava'ad lehaganat zekhuyot ha'ukhlusiyah ha'aravit. KM 35 Pe'ilut nemigzar ha'aravi.
- (١١٧) الاتحاد، ٢٨ آذار، ١١ ابريل ١٩٤٩.
- (١١٨) A. Cohen, "Yoman shvitat ovdei hatabak" (1949), HH 95. 10.11 (6); I, Sept. 25, 1948.
- (١١٩) الاتحاد، ١٦ تشرين أول ١٩٤٩.
- (١٢٠) المرجع المذكور، ١٠ كانون أول ١٩٥٠.
- (١٢١) "Tivutal ha'isur al ve'idat Kongres hapoalim benatzeret," AWC leaflet, Sept. 24, 1950, 35 KM Zekhuyot hami'ut ha'aravi, 1950 - 1964, Kongres hapo'alim ha'aravim; I, Apr. 27, 1951.
- Hava'ad hamerkazi, Hozer, no.6 (July 7, 1952), KM 35 Hitkatvut (Mazkirut hava'ad hamerkazi -hozrim lamhozot ulesifim, 1950 - 1961) I.1; Letter of E. Drukman to AAPAM, July 14, 1952, KM 35 Hamahlakah hamiktzo'it hamerkazit (pniyot lemiflagot hahistadrut vehuleh); Hava'ad ha' artzi hatziburi lema'an histaziburi lema'an histadrut ahidah lekhol ha 'ovdim beyisra'el, KM 35 Va'adei pe'ulah, kruzim - 1952; Yeshivot hava'adah hamedinit, July 3, 1952, HH 90. 66 bet (8).
- (١٢٢) «إلى إخواننا العمال العرب»، كتيب للجنة ماكي في حيفا، ٢٢ شباط ١٩٥٥، KM35 ، أوراق طوبى، الاتحاد، ٢٢ كانون أول ١٩٥٥، ٢٢ كانون ثاني ١٩٥٦.
- (١٢٣) كتيبات مختلفة غير محظورة في
- KM 35 Yehudi- Aravi and Homer be'aravit; Halishkah ha' irgunit, Hozer, no. 12 alef, (Nov. 1952), KM 35 Hitkatvut I.1.
- (١٢٤) «نداء لعقد مؤتمر شعبي للمطالبة بإلغاء الحكم العسكري وأنظمة التصريح» في KM 35 pe'ulah bemigzar ha'aravi
- (١٢٥) أنظر مناظرة اليعيزر بنيري ضد ماكي في AM ، في ١٤ و ١٦ و ٢٠ كانون ثاني ١٩٥٥.
- (١٢٦) الاتحاد، ٢١ كانون ثاني ١٩٤٩
- (١٢٧) برنامج ماكي المعتمد في المؤتمر الثاني عشر، ٢٩ ايار - خزيان، ١٩٥٢، الفصل الثاني المادة ٦، ص ١٠٩ - ١١٤

الفصل الخامس : الأهمية في التطبيق

Acheson to Tel Aviv, May 2, 1949; Webb to Tel Aviv, June 1, 1949- both in (١) USNA RG 84, Tel Aviv Embassy General Records, Israel (1949) 3/ 350.21.

(٢) المصري ٢١٥ و ٢٢٠ يولييه ١٩٤٩.

(٣) انظر عبد القادر ياسين، حزب شيوعي، ظهوره إلى الحياة: شهادة تاريخية عن الحركة الشيوعية في قطاع غزة، ١٩٤٨ - ١٩٦٧ (بيروت، ١٩٧٨).

(٤) محمد سيد أحمد لقاء ١٤ تموز ١٩٨٩

Bulletin d'information sur l'Égypte et le Soudan, no. 1 (Feb. 15, 1951), and its (٥) successor, Bulletin d'études et d'information sur l'Égypte et le Soudan, no. 6 (June 20, 1951).

AM, July 21, 1950; and Mar. 20; Apr. 6, 27; May 1, 1951. (٦)

(٧) رفعت الحريري، حركة العمال في مصر، الاتحاد، أول أيار ١٩٥٠ وكان المصدر هو.

was W. J. Handley, "The Labor Movement in Egypt," Middle East Journal 3 (July 1949): 277- 92.

KA, Sept. 18, 1951; Menahem Dorman, Lamerhav, Dec. 9, 1955; Aharon Cohen, (٨) "Yusuf Hilmi," in Yad leyedidim - bama'avakam vehavanah yehudit -'aravit (Giv'at Haviva, 1982), PP. 60 - 61; AM, Oct. 19, 1951.

Emile Habibi, EKA, Sept. 21 1951; Haderekh, no. 3 (Dec. 1951): 16. (٩)

Bulletin d'études et d'information sur l'Égypte et le Soudan, no. 10 (Nov. 1951). (١٠)

(١١) تم إعادة تشكيل هذا الحوار من ملاحظات ومذكرات مجزأة في نوتة غير منظمة بدرجة كبيرة، KM35 أوراق توفيق طوبى

(١٢) في لقاء مع جيلاكوهين، ٢٢ فبراير ١٩٨٦ :

Henri Curiel, "Pour une lutte conséquente pour la paix" (1957), in Pour une paix juste au Proche- Orient (Paris, 1979), P. 45.

(١٣) يوسف حزان، لقاء ٢٤ يولييه ١٩٨٦.

Curiel, "Note sur les relations entre Israël et les pays Arabes" (Aug. 1953), in (١٤)

Pour une paix juste, PP. 30 - 31. The source of the Mikunis quote is a

الاستشهاد بمكيونس هو مناظرة ضد المابام في اعقاب طرد القسم اليساري في 7 Zu haderekh, mo. (١٩٥٢): ٢٢ ونص خطاب حدتو لماكي غير موجود.

(١٥) حسب الترجمة الفرنسية، فاتن مشروع برنامج حدتو في ١٩٥١ (والذي لم يعتمد رسميا ابدا) دعا «انشاء دولة عربية ديمقراطية في فلسطين وتطبيق قرارات الامم المتحدة في اكتوبر ١٩٤٧ فيما يتعلق بتقسيم فلسطين» (أوراق كورييل)

Curiel, "Note sur les relations entre Israël et pays Arabes," PP. 26 29, 33 - 34 (١٦)

Perrault, Un homme á part, P. 533. (١٧)

(١٨) يوسف حزان، لقاء ٢٤ يونيه ١٩٨٦ جيلاكوهينى، يونيه تموز ١٩٨٦.

Curiel, "Pour une lutte conséquente pour la pai," P. 46; "Eli Lobel," Khamsin, no. 7 (1980): 5 - 6.

A. K. [Amnon Kapeliuk], "Yousseouf Hilmi: Fighter for Peace," New Outlook 7, (١٩) no. 6(July - Aug. 1967): 27

In Curiel, Pour une paix juste, PP. 102 - 4. (٢٠)

"Hilukei hade'ot shebeinenu levein ha'oportunisim mesi'at 'degel ha'amelim' shel (٢١) hatzer hamalkhut," Zu haderekh, no. 10 (June 1954): 34 - 41.

Hami'lagah hakomunistit hayisra'elit, Hava'adah hamerkazit, Hama' avak lesa- (٢٢)

- lom be'artzot ha'araviot (Tel Aviv, June 243 , 1954).
- Perrault, Un homme à part, P. 534; Uri Avnery, My Friend, the Enemy (Westport, Conn., 1986., 1986), P. 30.
- Ahmad El Kodszy and Eli Lobel, The Arab World and Israel (New York, 1970). (٢٤)
- (٢٥) للأطلاع على وصف مركز على الذات ومفرط في الحساسية لهذه الاتصالات وأهميتها انظر: Avnery, My Friend, the Enemy.
- Anri Kuri'el [Henri Curiel], Al mizbeah hashalom (Jerusalem, 1982). (٢٦)
- Shimon Balas, Horef aharon (Jerusalem, 1984). (٢٧)
- (٢٨) يوسف ح. ان، لقاء ٢٥ يونيو ١٩٨٦.
- Full text in. A. W. Singham and Van Dinh, eds., From Bandung to : النص الكامل في: Colombo: Conferences of the Non-aligned Countries, 1955-75 (New York, 1976., PP. 8 - 9.
- Newsweek, May 30, 1955. Abdel Nasser's interview was reprinted in the govern- (٢٠) ment-sponsored daily Al-jumburiyyā on May 23, 1955.
- (٣١) رسالة من يوسف حلمي لجمال عبد الناصر، ٢٥ آذار ١٩٥٥ (نص منسوخ بالانجليزية نشرته مجموعة روما).
- (٣٢) ملاحظات حلمي ظهرت في كفاح شعوب الشرق الأوسط، عدد ٩، تشرين ثاني ١٩٥٥ (نشرت مجموعة روما)؛ ترجمت وأعيد نشرها في KA في ١١ أكتوبر ١٩٥٥، وفي كتيب
- (٣٣) نشرت بالعربية في كفاح شعوب الشرق الأوسط، عدد ٩ نوفمبر ١٩٥٥، وبالفرنسية كملحق لـ Nouvel- les d'Égypte، بدون تاريخ، عدد ٢ (أكتوبر ١٩٥٥).
- (٣٤) الأساس الرئيسي للمقارنة هو مقال الحزب الشيوعي المصري الموحد «القضية الفلسطينية» في كفاح الشعب (كانون ١٩٥٥)، ترجمت (في Nouvelles d'Égypte) إلى القضية الإسرائيلية da question israélienne، بدون تاريخ (حزيران ١٩٥٦). وربما كان القصد من مقال كفاح الشعب أن يكون رداً على أنشطة يوسف حلمي. انظر الفصل السادس أدناه للأطلاع على مزيد من التحليل والتعليق.
- (٣٥) السعيد، اليسار المصري والقضية، ص ٢٦٥
- damerhav, Dec 9, 1955 (٣٦)
- AM, Dec. 9, 1955. (٣٧)
- (٣٨) المرجع السابق.
- (٣٩) انظر القرار في الاتحاد، ٢٧ ديسمبر ١٩٥٥
- (٤٠) ليس من الواضح متى كان ماكي يتلقى مواد من مجموعة روما ومدى انتظام ذلك. وهناك مطبوعات عربية وفرنسية متناثرة في KM 35, Ychudi 'aravi, Homer al'Artzot' arav يرجع تاريخها في الأساس إلى ٥٧ - ١٩٥٩ والمواد من ٥٤ - ١٩٥٥ متناثرة في صنایق أخرى غير محظورة من المواد العربية.
- "Note concernant l'établissement des relations entré le PCEU et certains partis (٤١) ouvriers"(Oct. 6, 1956?) (Curiel Papers).

الفصل السادس: دعم السياسات القومية

- (١) تستند بيانات الانتخابات إلى
- Israel, Halishkah hamerkazit lesatistikah, Totza'ot habehirot lakneset harishonah, hashniyah vehashlishit
- Greilsammer, Les communistes israéliens, P. 187, based on an interview with (٢) Mikunis.
- (٣) أعد التسلسل الزمني من أجل المؤتمر الثالث عشر للحزب AA IVI 04. 19
- Nessia Shafran, Shalom lekha komunizm (Tel Aviv, 1983), P. 24. (٤)

For examples, see KM 35 Homer be' aravit. (٥)
On statism, see Mitchell Cohen, *Zion and State: Nation, Class, and Shaping of* (٦)
Modern Israel (Oxford, 1987), PP. 201 - 59.

(٧) المرجع المذكور، ص ٢٢٨ - ٢٤٩.

(٨) المادة الواردة في هذه الفقرة مأخوذة من

Joel Beinin, "The Communist Movement and Nationalist Political Discourse in
Nasirist Egypt," *Middle East Journal* 41, no. 4 (1987): 575 - 76.

(٩) ورد في حسن المصليحي، قصتي مع الشيوعية (القاهرة، ١٩٧٩)، ص ١٠٤.

"Deux analyses- deux politiques: La situation actuelle en Egypte" in Gresh, "Le P.
C. F. et l'Égypte," annexes, PP. 60 - 67; original in Rodinson papers.

(١١) نشر في Le minde, June 19, 1956.

(١٢) يوسف حلمي، خطاب إلى جمال عبد الناصر، كفاح شعوب الشرق الاوسط، عدد ٩ نوفمبر ١٩٥٥.

Quoted in Communist Party of Israel, *Information Bulletin*, no. 1 (17) (May (١٢)
1955).

KA, Apr. 22, 24; May 6, 1955. (١٤)

(١٥) الاتحاد، ٢٠ مايو ١٩٥٥

Emile Habibi, *Internatzionalizm proletari mul sotzial shovinizm: Tshuvah lehasatat* (١٦)
"al hamishmar: al ma'avakah shel hamiflagah hakomunistit hayisra'elit neged hadi-
ku'i hale'umi (Tel Aviv, [1955]). Of course, judged by the standads of the hege-
monic Zionist discourse, this pamphlet was an unrestandards of the hegemonic Zi-
onist discourse, this pamphlet was an unrestrained expression of nationalist
extremism, since it demanded recognition of the national rights of the Palestinian
Arabs. KA Oct. 6. 1955.

(١٧)

Full text in Keesing's *Contemporary Archives*, Jan. 21 - 28, 1956, P. النص الكامل في (١٨)
14655.

KA, Jan. 20, 27, 1956. (١٩)

KA, Dec, 27, 1955 KA, Jan. 27, 1956, ١٤ - ١٦، (٢٠) قرارات اللجنة المركزية في

KA, Jan. 27, 1956. (٢١)

(٢٢) الاتحاد، ٣١ يناير ١٩٥٦

Greilsammer, *les companisles israéliens*, P. 214 (٢٣)

(٢٤) المرجع المذكور، بيد أن جريلسمان لم يكن يقرأ العربية، ولا يحوى كتابه، ما يشير إلى أنه درس فعلا محتويات
الاتحاد.

(٢٥) المرجع المذكور، ص ٢٦، ١٩٦٠.

KA, Oct. 11, 1953. (٢٦)

للاطلاع على حجج معاملة انظر ٢٠ اكتوبر ١٩٥٢ (بشأن قبيبه)؛ و١٨ مارس ١٩٥٤ (بشأن معاليه عكرايم)؛ و٢٣ ابريل
١٩٥٤ (بشأن تحالين، والاتحاد، ١٩ اذار ١٩٥٤ (بشأن معاليه فكريايم).

"La question israélienne," *Nouvelles d'Égypte*, n. s. no. 5 (June 1956). (٢٧)

Curiel, letter to Egypt, July 22, 1957, in *Pour une poix juste*, PP. 84- 85. (٢٨)

(٢٩) المرجع المذكور

Moshe snch, "Hakol lerna'an hizuk hashalom, hakol loma'an hakhshalat britot ha- (٣٠)
milhamah," *Zu haderekh*, no. 14 (Nov. 1955): 3-12.

New York Times, Oct. 6, 1955; في (٣١) انظر حوار

Love, Suez, P. 98. Ya'ari, *Mitzrayim vchafeda'in*. (٣٢) وانظر ايضا

- "Bekohenu leholel et hatmurah," AM, July 8, 1955. (٢٢)
- (٢٤) انظر على سبيل المثال، خطاب ريفتي في الكنيسة في ديسمبر ١٩٥٢، والذي ناقش فيه قيبييه، انطلاقاً من النية في «مساعدة الحكومة على الخروج من مأزقها».
- AM, May 4, 8; June 29, 1951; Oct. 19, 1953; Apr. 4, 1954; Mar. 2, May 22, 1955. (٢٥)
- AM, July 22, 1955. (٢٦)
- E. L. M. Burns, Between Arab and Israeli (New York, 1963), p. 101. (٢٧)
- Moshe Dayan, Diary of the Sinai Campaign (London, 1966), P. 12. (٢٨)
- Richard Weintraub, "Bein hametzarim," Hedim, no. 48 (Jan. 1956): 3 - 8 (٢٩)
- Mifleget hapo'alim hame'uhedet, Hamerkaz, Lekonenut bithonit, mini al hamilha- (٤٠)
mah, nyutraliyut uma'avak al hashalom: hahlatot merkaz mapam meyom
19.1.1956 (Tel Aviv, Feb. 1956).
- Touval, Peace Brokers, PP. 106- 33. (٤١)
- Love, Suez, P. 107. (٤٢)
- AM, Oct. 1, 12, 14, 19, 28, 29, 1956. (٤٣)
- (٤٤) المرجع المذكور، ٣٠ أكتوبر ١٩٥٦
- "Hahlatot hava'adah hamedinit shel mifleget hapo'alim hame'uhedet beshe'elot ha- (٤٥)
sha'ah," Nov. 26, 1956, HH 90. 34 (1).
- AM, Jan. 24, 30; Feb. 3, 4, 7, 8, 1957. (٤٦)
- (٤٧) المرجع المذكور، ٢٤ فبراير ١٩٥٧
- (٤٨) المرجع المذكور، ٧ مارس ١٩٥٧
- "L'ennemi principal est l'impérialisme," Nouvelles d'Égypte, n. s., no. 5 (June 1956): 3; Arabic original in Rodinson papers. (٤٩)
- "Activités progressistes dans la littérature, le cinéma et l'art," Nouvelles d'Égypte, (٥٠)
n. s., no. 3 (Apr. 1956).
- "La question israélienne," Nouvelles d'Égypte, n.s., no. 5 (June 1956): 13. (٥١)
- (٥٢) المرجع المذكور، ص ١٦
- (٥٣) انظر إشارة كورييل إلى مواقف السوريين في:
- Pour une paix juste, P. 93.
- "Le ier Mai: Commémoration de la lutte des ouvriers," Nouvelles d'Égypte, n. s., (٥٤)
no. 5, June 1956.
- (٥٥) روز اليوسف، ٢٣ أبريل ١٩٥٦، ص ٨
- (٥٦) المساء، ٦ أكتوبر ١٩٥٦
- (٥٧) الافتتاحية، المرجع المذكور، ١١٥ أكتوبر ١٩٥٦
- (٥٨) رسالة من اللجنة (بالعربية)، ٩ آب ١٩٥٦
- KM 35, pe'ilut bemigzar ha'aravi, Pirsumim vehomer pnimi mehamiflagot hakom-
unistiot be'artzot'arav.
- Yusuf Hilmi, "Nida'jadid ila al -sha'b al-isra'ili," KM35, Pe'ilut bemigzar (٥٩)
ha'aravi, Pirumim vehomer pnimi mehamiflagot hakomunistiot be'artzot'arav.
- (٦٠) كما وردت في Le monde, Aug. 5-6, 1956.
- Hilmi, "Nida'jadid" (٦١)
- (٦٢) مصطفى طيبي، رسائل بيجن إلى حبيبته (القاهرة، ٧٨-١٩٨٠)، ١: ٢٠١-٢٠٦.
- (٦٣) أحمد الرفاعي وعبد المنعم شنتلة، أيام الانتصار (القاهرة، ١٩٥٧)؛ بيان إلى الشعب المصري من اللجنة الوطنية
للمقاومة الشعبية (أوراق يوسف المدرك)؛ أمينه شفيق، لقاء ١٧ مايو ١٩٨٦.

- (٦٤) المساء ٩ ديسمبر ١٩٥٦
- (٦٥) المرجع المذكور، ٩ يناير ١٩٥٧
- (٦٦) المرجع المذكور، ١٠ يناير ١٩٥٧
- (٦٧) المرجع المذكور، ١ نوفمبر ١٩٥٦
- (٦٨) المرجع المذكور، ٣ ديسمبر ١٩٥٦
- (٦٩) Curiel, "Apropos des relations israélo-arabes," in Pour une poix juste, PP. 88 - 99; letter to Naomi Canel in prison, June 7, 1957 (Curiel papers).
- (٧٠) "Lettre aux camarades," Aug. 25, 1957 (Curiel papers).
- (٧١) فؤاد مرسى، لقاء ١٩ أيار ١٩٨٦ (٧٢) المساء ١١ آذار ١٩٥٧
- (٧٢) انظر ليلي الجبالي (عضو الحزب الشيوعي المصري الموحد، مأساة فلسطين تكشف سياسة أمريكا، المساء، ١ أيار ١٩٧٥، وفيليب جلاب (عضو سابق في الراية)، ١٥ أيار، يوم فلسطين، المساء ١١ أيار ١٩٥٨
- (٧٤) يوسف درويش، لقاء ١٢ أيار ١٩٨٦
- (٧٥) حلمي ياسين، لقاء ٢٥ أيار ١٩٨٦
- (٧٦) محمود أمين العالم، لقاء ١٠ تموز ١٩٨٦ وحسب ما يقول اليرت اربييه (لقاء ٣ تموز ١٩٨٦) فقد طابت التقرير بطرد اليهود من الحزب كلية، ومن الواضح أن هذا كان في الأصل بطلب الراية. وكان عبد العظيم انيس منتمياً لكل من المتحد والراية، وهي مسأله أثارت بعض الذعر عندما افترضه الراية كأحد مرشحيها للمكتب السياسي للحزب المتحد.
- (٧٧) «خطاب إلى المكتب السياسي»، ١٢ يناير ١٩٥٨: «قرار حل الحزب الشيوعي»، الأسبوع الثاني من آذار ١٩٥٨ (أوراق كورييل).
- (٧٨) فؤاد مرسى، لقاء ١٩ مايو ١٩٨٦.
- (٧٩) السعيد، تاريخ، ١٩٠٧ - ١٩٦٥، ص ٨٧ - ٨٨. إن حقيقة أن هذا القرار قد اتخذ عملياً من قبل المتحد قبل إتمام الوحدة مع حزب العمال والفلاحين الشيوعي، تثبت سلامة هذا الحكم.
- (٨٠) «خطاب إلى المكتب السياسي».
- (٨١) "Lette sur la nature du régime nasserien et le rôle de Nasser" (text in Arabic), Sept. 20, 1956; "Analyse (très court) de l'intervention Francoanglaise," Jan. 1957; "Lettre à Philippe," Feb. 14, 1957, and "Lettre à Noemie Canel en Prison," May 10, 1957 (Curiel Papers).
- (٨٢) حلمي ياسين، لقاء ٢٥ مايو ١٩٨٦
- (٨٣) فؤاد مرسى، لقاء ١٩ مايو ١٩٨٦
- (٨٤) احمد صادق سعد، لقاء ٢٩ ابريل ١٩٨٦: حلمي ياسين، لقاء، أيار ١٩٨٦ وقد أكد فؤاد مرسى دور سبزو الحاسم في محادثات الوحدة، لقاء ١٩ مايو ١٩٨٦.
- (٨٥) "Les peuples arabes sur la voie de l'indépendance: la lutte des communistes égyptiens pour l'unité," French trench translation of article in L'unità, Dec. 5, 1957 (Rodinson papers).
- (٨٦) لا يزال أعضاء التيارات الثلاثة المكونه للحزب الشيوعي المصري يختلفون حول حجم كل تيار في وقت الوحدة. وفي رأي أن تقسيم المقاعد في اللجنة المركزية الموحدة يعكس بدقة الحجم النسبي لكل منها. والرقم الإجمالي لعدد أعضاء الحزب هو أفضل تقدير توصلت له.
- (٨٧) حياة الحزب (النشرة الداخلية للمتحد)، عدد ١ آب ١٩٥٧، ورد في السعيد، تاريخ ١٩٥٧ - ١٩٦٥، ص ٥٣.
- (٨٨) "das positions générales de Communistes Égyptiens", Documents d'Égypte, mo2 (Oct. 1927) (ترجم من الوحدة)
- (٨٩) «بيان إلى الشعب عن الوحدة»، ٢٨ يناير ١٩٥٨، ورد في السعيد، تاريخ ٥٧ - ١٩٦٥، ص ١٣٦.
- (٩٠) عبد المنعم الغزالي، اسرائيل قاعدة للاستعمار وليست أمة (القاهرة، ١٩٥٨)
- (٩١) خالد، «الماركسية، النظرية الحية»، حياة الحزب، عدد ٢ (سبتمبر ١٩٥٧): ٢ - ١٢ (أوراق رودنسون).
- (٩٢) المساء، ١٢ سبتمبر ١٩٥٧
- (٩٣) Ba'ti, Bama'avak al hakium hayehudi, PP. 49 - 50

- (٩٤) إميل حبيبي، لقاء ٢١ يوليو ١٩٨٧
- (٩٥) حانوخ بنذاخ إلى اللجنة المركزية لماكي، ٢٠ نيسان ١٩٥٦ المكتبة الوطنية (القدس)، مجموعة مخطوطات، مجلد ١٢٧١، صندوق ٢٤ - ٢، ملف ٨٢. وتستند كل المعلومات عن حانوخ. ومجموعته لهذه المجموعة.
- (٩٦) ملاحظات توفيق طوبى على تقرير روث لويتش إلى اجتماع اللجنة المركزية في ١٧ نيسان ١٩٥٧، حول الوضع التنظيمي للحزب (بالعربية)، KM35 أوراق طوبى.
- (٩٧) نسخ من رسالة وزعت بصورة شخصية في KM35 Homer be'aravit، وظهرت نسخة عبرية في -Zu hade-rekh، عدد ١٨ يناير ١٩٥٧: ٢٩ - ٣٣.
- (٩٨) قرار المكتب السياسي، KM، ٤ يناير ١٩٥٧.
- (٩٩) تقرير اجتماع اللجنة المركزية في ٢٤ - ٢٧ كانون ثاني ١٩٥٧، المرجع المذكور، ٢٩ يناير ١٩٥٧.
- (١٠٠) المرجع المذكور، ٣٠ يناير ١٩٥٦ كما يبين هذا المقال أن ادعاء روبنشتاين في: The Communist Movement in Palestine and Israel P. 331. أن ماكي كان يؤيد الحرب في الأصل هو ادعاء غير صحيح.
- (١٠١) «فليسقط الإرهاب»، ليقف التآمر على الطيبة وقرى المثلث» (التاريخ يحدده دليل ضمنى) KM35 Homer be'aravit
- (١٠٢) Zu haderekh, mo 17 (١٩٥٦ أكتوبر): ١٨، نسخة العربية في الاتحاد، ١٨ سبتمبر و٢١ أيلول و٢٥ سبتمبر ١٩٥٦. وتستند الاشارات للاضافات والتصحيحات لهذه الاطروحات إلى اضافة لنسخة Zu haderekh التي رجعت إليها. وقد نشرت في الاتحاد في ٩ ابريل ١٩٥٧، وكذلك في KA
- (١٠٣) Me'ir Edelstein, "Lepilug bemaki beshnat 1965," in Me'asef, no. 5 (Mar. 1973): 166.
- (١٠٤) Letter of Fu'ad Khuri to the Political Committee in English. Sept. 1. 1956. KM 35 Ve'idot 2.4
- (١٠٥) أوجد عضو عربي غير محدد الهوية في اللجنة المركزية (١)، حبيبي أو طوبى والأرجح أنه طوبى لأن النص بالعبرية ممتاز وكانت عبرية طوبى أفضل من عبرية حبيبي) موقف ميكونس في ورقة للنقاش قبل نشر أطروحات KM 35 Ve'idot 2.4
- (١٠٦) Zu haderekh, mo 17 (Oct. 1956): 10
- (١٠٧) إضافات للقسم أ، فقرة ٧
- (١٠٨) الاتحاد، ٢٠ مايو ١٩٥٧
- (١٠٩) توضيحات وإضافات للفصل ٣، «العلاقات العربية الاسرائيلية»
- (١١٠) Hamiflagah hakomunistit hayisra'elit, Hava'adah hamerkazit, Have'idah ha-13 shel hamiflagah hakomunistit hayisra'elit, Tel Aviv -Yafo 29. 5-1. 6. 1957 (Tel Aviv, 1957), P. 180.
- (١١١) المرجع المذكور.
- (١١٢) التقريران من ٢٠ مايو ١٩٥٧
- (١١٣) "Mikhtav hozar shva'ad hamerkazi," Sept. 11, 1957, KM 35 Zekhuyot hami'ut haaravi, 1950-64, Hava'ad lehaganat zekhuyot ha'ukhlusiyah ha'aravit.
- (١١٤) Ha'aretz, Oct. 28, 1957; I, Oct. 28, 1957. Edelstein, "Lepilug bemaki," تمحيص الخطاب الصهيوني القائم على الهيمنة، وقبل أدله هارترس دون نقاش. Jerusalem Post, Feb. 11, 1958. (١١٥)
- AM, Be'eb. 7, 14, 1958. (١١٦)
- (١١٧) Balti, Bama'avak al hakiyum hayehudi, PP. 60-61; Shaftan, Shalom lekha Kom-
- unizm, P. 192. There is an interesting contradiction between these للاهتمام بين هذين التقريرين. فقد كرر، شافران، الذي لم يكن بوصفه عضوا شابا في عصبة رابطة الشباب الشيوعي مطالعا على معلومات مباشرة يعول عليها عن الحادث، أشد مزاعم الصحافة الاسرائيلية تطرفا، وهي أن الشيوعيين العرب كانوا يناقشون تكوين حزب مستقل وبدء حرب عصابات بالأسلوب الجزائري. وربما كان «بالتى» باعتباره عضوا

في اللجنة المركزية، في وضع يتيح له معرفة ما حدث. وقد زعم فقط أن الشيوعيين العرب القياديين اجتمعوا لمناقشة القضايا السياسية فيما بينهم، وهو ما يعد انتهاكا للمركزية الديمقراطية، لكنه لا يعتبر تهديدا لأمن إسرائيل. وفي رسالة إلى في ١٤ شباط ١٩٨٩، كتب ازيون كابلوك: "بقدر ما أتذكر كانت مصادر من داخل المابام، أي من عناصر معادية لماكي. وأتذكر على وجه اليقين، أن يوسف خميس عضو الكنيست والذي توفي مؤخرا، كان من بينهم. وهذا لا يعني أن المعلومة لم تكن سليمة. ومع ذلك، ربما كانت هناك مصالح حزبية. ومن الصعب على أن أعتقد أنه ورد ذكر حرب عصابات في الجليل ... ربما كان هناك شخص ما يفكر بصوت مرتفع وأطلق هذه العبارة".
Edelstein, "Lepilug bemaki," P. 166; Greilsammer, Les communistes israéliens, (١١٨) P.206.

(١١٩) KA, Feb. 11, 14, 1958.

(١٢٠) إميل حبيبي، لقاء ٢١ تموز ١٩٨٧.

(١٢١) للاطلاع على التعبير عن الرأي اليهودي في ماكي المؤيد جدا لعبد الناصر الجمهورية العربية المتحدة، انظر مقال ميكوش في KA، ١٤ آذار ١٩٥٨.

(١٢٢) Greilsammer, Les communistes israéliens, P. 204.

وحيث أن جريلسماير لم يعرف أي تفاصيل عما نشر في الاتحاد، فإنه لا يعول على أحكامه. وبالمثل فإن تأكيده (ص ٢٣٤) أن الخط الأيديولوجي للاتحاد وKA بعد كفر قاسم قد تباعد بصورة كبيرة وأن الاتحاد أصبحت في مطلع الستينات صحيفة قومية متطرفة لا يمكن قبوله. إن لتفسير جريلسماير جذوره في الافتراض الاسرائيلي الشائعة بأن الإصرار النضالي على الحقوق القومية لعرب فلسطين هو تطرف قومي.

(١٢٤) الاتحاد وKA، ١١ فبراير ١٩٥٨.

(١٢٤) AM, Feb. 12, 1958

(١٢٥) الاتحاد، ٧ فبراير ١٩٥٨.

(١٢٦) إن أفضل وصف لهذه الأحداث بالانجليزية يرد في:

Walter Schwarz, The Arabs in Israel (London, 1959) PP 15 FF.

وهناك مزيد من التفاصيل في "Gelui da'at leda'art hakahal," May 25, 1958, KM 35 Parshiot, وهناك مزيد من التفاصيل في Me'ora'ot natzeret 1958.

(١٢٧) KA, May 4, 1958.

(١٢٨) أوحسب، Balti, Bama'avak al hakiyum hayehudi, PP. 62-63.

فإن هذا القرار اتخذ بدون موافقة اللجنة السياسية أو السكرتارية، ومن ثم فقد اعتبره عملا مغامرا. ومع ذلك، فإن ادعاءه بأنه كلف ماكي أصوات العرب في الناصرة ليس له أساس.

(١٢٩) انظر مثالا افتتاحية KM، ١١ يونيو ١٩٥٨، ومقال أهارون مجيد في لمخاف، ٢٠ يونيو ١٩٥٨، مقال شبتاي تبيت في هارتس، ٧ ايار ١٩٥٨. وكان من بين آخرين دعوا لإلغاء الحكم العسكري، الشاعر ناتان التمران، ب. برنشتاين، قائد الحزب الصهيوني العام، والحزب التقدمي.

(١٣٠) "Ha'emet al me'ora'ot ha-1 bemai benatzret," MAKI Central Committee, May 1958, KM 35 Parshiot, Me'ora'ot natzeret 1958.

(١٣١) "Dustur al-Jabha al-sha'biyya fi isra'il," KM 35 Zekhuyot hami'ut ha'aravi, 1950-1964, Hehazit ha'amamit.

(١٣٢) رفضت الحكومة الترخيص لأعضاء الجبهة الشعبية بحضور الاجتماع التأسيس في الناصرة، ومن ثم عقدت اجتماعات منفصلة في الناصرة وفي عكا. وفي ٢ تشرين أول ١٩٥٨، رفضت الحكومة تسجيل الجبهة الشعبية كرابطة قانونية. بالنسبة لتقارير التحرش بمناضلي الجب، انظر A, July 7, Oct 12, 19, 1958. وقد أكد النجاح السياسي للجبهة رتصاعد مكانة ماكي في المجتمع العربي نتيجة لنشاطه في الجبهة، أحد خصوم ماكي السياسيين في الجبهة، صبري جبريس (العرب في إسرائيل، ص ١٢٦).

الفصل السابع: انتصار القومية

١ - المعلومات في الفقرات التالية تستند للقاءات مع محمود أمين العالم، أول مايو ١٩٨٦ : أبوسيف يوسف، ٩ مايو ١٩٨٦

- ١ : محمد سيد أحمد، ١١ مايو ١٩٨٦، ١٠ يونيو، ١٩٨٦؛ فؤاد مرسى، ١٩ أيار ١٩٨٦ : أحمد الرفاعي، ٢٩ مايو ١٩٨٦؛ والسعيد، تاريخ ١٩٥٧ - ١٩٦٥، ص ١١٤ - ١٥٠، رفض كمال عبد الحليم إجراء حوار معه.
- (٢) أحمد الرفاعي، لقاء ٢٩ أيار ١٩٨٦؛ محمد سيد أحمد، لقاء ١٠ حزيران ١٩٨٦.
- (٣) رد المكتب السياسى إلى السادات، «حول الاتحاد القومى: رد على السيد أنور السادات»، ١٩ أيلول ١٩٥٨، أعيد طبعة فى السعيد، تاريخ ١٩٥٧ - ١٩٦٥، ص ٢٨٧ - ٣٠٦.
- (٤) «حقيقة الأزمة التى تعرض لها حزبنا والتى تهدد بتصفيته تصفيه كاملة»، آخر أغسطس أو أوائل سبتمبر ١٩٥٨، ورد فى السعيد، تاريخ ١٩٥٧ - ١٩٦٥ ص ١٢٧ وحتى السعيد، والذي يدافع بصفه عامة عن رفاقه السابقين، ينتقد الأربعة على صياغة موقفهم بطريقة تترك مجالا لهذا التفسير.
- (٥) نشرت الوثائق المتعلقة بالتحقيق فى وفاته، فى رفعت السعيد، الجريمة (القاهرة، ١٩٨٤).
- (٦) لن نتابع قصة الأرض هنا للاطلاع على تقرير متعاطف، انظر جريس، العرب فى اسرائيل، ص ١٣٠ - ١٤٠؛ للاطلاع على مناقشة تعكس المنظور الاسرائيلى الرسمى انظر لاندوا، العرب فى اسرائيل، ص ٩٢ - ١٠٧.
- (٧) فتحى عبد الفتاح، شيوعيون وناصريون (القاهرة، ١٩٧٥، عبد العظيم انيس، رسائل الحب والحنن والثورة (القاهرة، ١٩٧٦)، إلهام سيف النصر، فى معتقل ابو زعبل (القاهرة، ١٩٧٧)؛ طاهر عبد الحكيم، الأقدام العارية (بيروت، ١٩٧٨)؛ طيبة، رسائل سجين إلى حبيبته.
- (٨) اصدر ابو سيف يوسف، حتى تم القبض عليه فى ٢٣ ديسمبر ١٩٦٠، هو وأعضاء آخرون فى الحزب الشيوعى المصرى الذين ظلوا مطلقى السراح إدانات حادة للنظام، انظر على سبيل المثال، كتيبا وقعه ابو سيف يوسف، اسماعيل الهدوى، واحمد سالم، يدين المعاملة الوحشية للمسجونين الشيوعيين، نشر فى الاخبار (بيروت) ١١ ديسمبر ١٩٦٠، وترجم كملحق لكتاب Adel Mon tasser, "La répression anti-démocratique en République Arabe Unie," Les temps modernes, no 183 (July 1961): 184 - 90.
- (٩) الحكيم، الأقدام، احمد صادق سعد، لقاء ٢٩ ابريل ١٩٨٦.
- (١٠) عبد الفتاح، شيوعيون وناصريون، ص ٢٥١.
- (١١) ابو سيف يوسف، لقاء ٩ مايو ١٩٨٦.
- (١٢) Richard Lowenthal, :Russia, the One-Party System, and the Third World, Survey (London), no. 58 (Jan. 1966): 45; Walter Laqueur, The Struggle for the Middle East: The Soviet Union in Tthe Mediterranean, 1958- 1968. (London, 1969), PP. 201 -3, 208- 12; Shamir, "The Marxists in Egypt", Binder, "Failure of the Egyptian Left,"
- (١٣) ابو سيف يوسف، لقاء ٩ مايو ١٩٨٦.
- (١٤) Parti Communiste d'Égypte, Comité central, "Pour assurer l'adoption de la voie non-capitaliste, pour l'écrasement des forces de la contre-révolution, pour l'unité des forces, de toutes les forces du progrès et du socialisme," Aug. 19, 1964, PP. 6, 7.
- وقد أعاطنى أبو سيف يوسف نسخة من هذه الوثيقة، وأكد أن النسخة الفرنسية أمينة فى نقل الأصل العربى غير المتوافر.
- (١٥) استنخت القرارات فى السعيد تاريخ ٥٧ - ١٩٦٥، ص ٣٢٣ - ٣٢٨، ٣٢٠ - ٣٤٨.
- (١٦) Mifleget hapo'alim hame'uhedet, Hahlatot have'idah hashlishit shel hamiflagah (Haifa, Jan. 3-6, 1958), P. 13.
- (١٧) المرصاد ٢٥ يناير ١٩٥٨. إن الادعاء الرسمى عن وجود اثنين وثلاثين الف عضو فى المابام فى وقت المؤتمر الثالث للحزب مبالغ فيه بصورة مضحكة. فقد أورد الحزب أن عشرة آلاف اشتركوا فى المناقشات - وهى إشارة أكثر واقعية لقوة المابام الحقيقة، رغم انه من المحتمل أن يكون حتى هذا الرقم يتضمن كل أعضاء الكيبوتسات، الذين ربما اشترك جزء منهم فقط فى المناقشة السياسية وقد تم تضخيم العدد الأجمالى لمندوبى المؤتمر بمقدار الربع، حيث تم تعيين كل أعضاء مركز الحزب كمندوبين بالإضافة إلى ٦٤٠ مندوب منتخب، وهو إجراء قلل من وزن الأعضاء العرب وبقياء اليسار فى الحزب.
- (١٨) المرصاد، ٩ يناير ١٩٥٨
- (١٩) المرجع السابق، ١٦ يناير ١٩٥٨

Hamahlakah lepe'ulah aravit, Bulitin informativi, no. 1 (May 19, 20 1958), HH (٢٠) 90. 34(1).

AM, Apr. 18, 1958. (٢١)

New Outlook 1, no. 8 (Mar. 1958): 3 - 4; and Haim Darin- Drabkin, انظر افتتاحية: (٢٢) "Israel and the Arab Unions," New Outlook 1, no. 9 (Apr. 1958): 3 -8, 15.

Rustum Bastuni, "Jewish-Arab Agreement Is Possible," New Outlook 1, no. 10 (٢٣) (May 1958): 41 -45; Na'im Makhoul, "A Just peace," New Outlook 1, no. 12 (July -Aug. 1958): 35-38.

Simha Flapan, "Palestinian Arabs at the Crossroads," New Outlook 1, no. 10 (٢٤) (May 1958): 46 -51; Eli'ezer Be'eri, "A Just Peace' Must Be Just," New Outlook 1, no. 12 (July - Aug. 1958): 39 - 40, 59.

Simha Flapan, "One More Step Is Needed," New Outlook 2, no. 5 (Jan. 1959): 9 (٢٥) -13.

(٢٦) أدى التعبير في «نيو أوت لوك» عن الاستعداد للسماح بعودة بعض اللاجئين إلى استقلاله بعض أعضاء هيئة التحرير. ودفع جولدا ميئر إلى المطالبة باستبعاد المابام من الوزارة، في حين ادعت عل همشار أن المقالات في الصحيفة تمثل آراء كاتبيها فقط، انظر الاتحاد ٢٠ سبتمبر ١٩٦٠.

(٢٧) يوس فرج، مقدمه في تاريخ العرب الاجتماعي (تل أبيب، ١٩٦٢)

(٢٨) الاسمر، أن تكوين عربيا في اسرائيل، ص ٦٣ - ٧٢

(٢٩) الاتحاد، ١٥ تموز ١٩٥٨، خاصة افتتاحية اميل حبيبي

(٣٠) انظر المرجع المذكور، ٢ و ٩ يناير ١٩٥٩.

(٣١) المرجع المذكور، مارس ١٩٥٩، هعولام هيه، ١ يناير ١٩٥٩.

(٣٢) رسالة من قلتر لطوي، ٧ يناير ١٩٥٩، ومحتويات، أوراق طوي KM35

(٣٣) الحزب الشيوعي الاسرائيلي، نشرة إعلامية، عدد ٢ - ٣ فبراير - مارس ١٩٥٨

(٣٤) KA, July 28, 1959

(٣٥) الاتحاد، ١٨ آب ١٩٥٩، KA, Aug. 24, 1959

(٣٦) AM, Aug. 30, 1959

(٣٧) اميل حبيبي، حديث الشهر، الجهاد، عدد ٢ فبراير ١٩٦٠: ١ - ٢

(٣٨) راشد حسين «إلى حنا ابو حنا»، الفجر، نيسان ١٩٥٩، ص ١٩ - ٢٣؛ شرحه،

"The Middle East Between Nasser and Kassem: The Case Against Kassem," New Outlook 2, no. 9 (June 1959): 37-40.

(٣٩) المرصاد، ١٥ اكتوبر ١٩٥٩.

(٤٠) على سبيل المثال، «إمطة اللثام عن حزب المابام: مسرحية زجيلة»، شباط ١٩٥٩: «وأهل الكهف الجدد» (ليس هناك تاريخ لكن من الواضح أنها مسرحية انتخابية)

(٤١) ماكى، لجنة منطقة المثلث، كتيب موجة لسكان الطيره ٢٠ تشرين ثاني ١٩٥٩ KM 35 pe'ilut nemigzar ha'aravi.

(٤٢) كان هذا هو يوسف الموحى، رئيس مجلس العمل في حيفا ومنافس بيرس في الحرس الفتى للماباي، والذي انتقد

آراء بيرس بشدة، ورد في M. Cohen, Zion and State, P. 225

(٤٣) للاطلاع على تقرير تفصيلي عن الأصوات التي حصل عليها ماكى في المجتمع العربي انظر «الجماهير العربية

تحدى الإرهاب في الانتخابات وتتمسك بحزبنا الشيوعي رغم التضليل والرشوة والتهديد من الداخل والخارج»،

الاتحاد، ٦ تشرين ثاني ١٩٥٩ ويركز هذا المقال على الاقتراع في المجتمع العربي ويهمل الاقتراع على المستوى

القومي، وهو دليل على سعى الحزب لاستغلال المشاعر القومية العربية في الحملة.

(٤٤) Shmu'el Mikunis, "Nekudot lesihot ha-tz.k." Nov. 11, 1959, AAIv

(٤٥) تعليقات اجرا، بورشتاين وسنيه وآخرين في هذا الاجتماع في المرجع المذكور.

(٤٦) قرار اجتماع اللجنة المركزية في ١٥ - ١٧ مارس ١٩٦١، الاتحاد، ٢٤ اذار ١٩٦١.

- (٤٧) الاتحاد، ٢١ مارس، ١٩٦١.
- (٤٨) المرجع المذكور، ١١ نوفمبر ١٩٦٠: ٧ فبراير، ٣ مارس، ١٩٦١، ابراهيم، حنا نقاره، ص ص ٢٨٨ - ٢٨٩: جريست، العرب في اسرائيل، ص ٨٢.
- (٤٩) الاتحاد، ٢١ مارس ١٩٦١.
- (٥٠) المرجع المذكور، ٦، ٢٥ ابريل ١٩٦١.
- (٥١) Shmu'el Mikunis, report to the Central Committee, KA, Mar. 24, 1961.
- (٥٢) "Rashei haprakim likrat have'idah ha-14," Zu haclerekh, no. (Apr. 1961): 10.
- (٥٣) موشى سنيه، لقاء في معاريف، ٢١ مايو ١٩٦١.
- (٥٤) ادعى بالى (Bama'avak al ha kiyam hayehundr P. 87)، أن حبيبي وطوبى وخميس ناضلوا في اللجنة الدائمة للمؤتمر لاستبعاد الإشارة إلى «الاعتراف المتبادل»، وهذا كالعادة لم يقدم دليلا يؤكد هذا لكنه الادعاء مريب لأنه لو كانت لدى قادة الحزب العرب أية نية لمعارضة هذه اللغة، فإن المؤتمر نفسه (كما يعرف بالتى) هو آخر مكان يمكن أن يأملوا في كسب هذا الصراع فيه وقد تكشف موقف بالتى السياسى نفسه بادعائه أن كل الإشارات التى كان يمكن تفسيرها على أنها انتهاك لوحدة الأراضي اسرائيل قد استبعدت من تقرير اللجنة المركزية إلى المؤتمر وفى حين ان هذا ربما كان يمثل رغبته هو، فالواقع أن التقرير استخدم نفس اللغة فى أطروحاته، إن اسرائيل ينبغي أن تكون مستعدة «لتحويل حدود وقف إطلاق النار المؤقتة من خلال اتفاق متبادل، إلى حدود دائمة للسلام» مما يترك المجال مفتوحا لتغيير ممكن فى الحدود، انظر
- Hamiflagah hakomunistit hayisra'elit, Hava'adah hamerkazit, Have'idah ha-XIV, Tel Aviv- Yafo, 31.5-3. 6 1961 (Tel Aviv, 1961), P. 36.
- (٥٥) «الطريق لتسوية العلاقات الاسرائيلية العربية»، الاتحاد، ٢١ نيسان ١٩٦١، انظر ايضا «الأممية البروليتارية... من مقومات نصر سبيل الحزب الشيوعى الاسرائيلى»، الاتحاد، ٣٠ ايار ١٩٦١.
- (٥٦) Hamiflagah hakomunisit hayisra'ekit, Have'idah ha-XIV, PP. 205-6.
- أكد ميكونس فى اجتماع للجنة السياسية بعد المؤتمر أن خورى أيد خط التقرير انظر: "Protokolim miyeshivot hamerkaz vechalishkah, yuni 1961-yanu'ar 1963," meeting of Nov. 26, 1961. AA IV 104. 55.
- (٥٧) Sh. Mikunis, "Sikum hadiyun al matza'habehirot," Political Committee meeting, June 19, 1961, QQIV 104. 55.
- (٥٨) "Hukumat Bin Ghuryun tathbit mujaddadan siyasat' wa-la laji" (leaflet), July 1961, AAIV 425. 45.
- (٥٩) "Protokolim miyeshivot hamerkaz vechalishkah," Political Committee meeting, July 2, 1961, AAIV 104. 55.
- (٦٠) المرجع المذكور، ٢١ - ٢٢ أغسطس ١٩٦١.
- (٦١) الليحازر فيلار، لقاء ٣ أغسطس ١٩٨٧. انظر ايضا مقالات فايلر فى KA التى تمجد الحزب الايطالى.
- (٦٢) "Protokolim miyeshivot hamerkaz vechalishkah," Political Committee meeting, Nov. 26, 1961, AAIV 104.55.
- (٦٣) Shafran, Shalom lekha komunizm, P. 139.
- (٦٤) Brit hono'ar hakomunisti hayisra'eli, hir nashirah: Kovetz shirei am umoledet, shirei amal uma'avak veshirei amim (Tel Aviv, 1961).
- (٦٥) Shafran, Shalom lekha komunizm, PP. 121, 137-39.
- (٦٦) Yehoshu'a Irga at the Eighteenth Plenum of the Central Committee, Jan. 19, 1965, AA IV 104. 29,
- (٦٧) "Protokolim miyeshivot hamerkaz vechalishkah," Political Committee meeting, Aug. 16, 1961, AA iV 104. 55.
- (٦٨) المرجع المذكور، ٢١ - ٢٢ أغسطس ١٩٦١.
- (٦٩) المرجع المذكور، أول نوفمبر ١٩٦١.

- (٧٠) المرجع المذكور، ٢٠ يونيو ١٩٦٣، انظر ايضا مقال سنه في KA، ١٦ أغسطس ١٩٦٣
- "protokolim miyeshivot hamerkaz vehalishkah," Political Committee meeting, (٧١) Aug. 25, 1963.
- KA., Sept. 5, 1963. (٧٢)
- Balti, Bama'avak al hakiyum hayehudi; Greilsammer, Les Communistes Israéli- (٧٣) ens; Edelstein, "Lepilug bemaki beshnat 1965"; Eli Rekh, "Leshe'elat hayahasim bein yehudim ve'aravim bemaki," Medinah, mimsbal veyahasim beinle'umiyim, no. 27 (1987): 67 - 95; Lahav, Soviet Attitude Towards the Split in the Israeli Communist Party.
- R.R Kaminer "Opinion A and Opinion B: the inner Par- وقد رجعت ايضا إلى ورقة غير مطبوعة هي- ly SDebae Communist Party of Israel, 1965"
- والذي لم يستخدم نفس مصطلحات المرجع مثل العمل المذكور عاليه. ومذكرات ميكونس واردة في:
- E. Vilenska, "Avodaenu ha'igud mikzo'i vehapoli'i bamkomo avodah," KM 35 (٧٤) Hava'ad hamerkazi (Mikhavim veyeshivo), 1957 - 1965.
- "Din veheshbon al pe'ula snif haifa beshna 1963," KM 35 Mazkiru, Inyanim sho- (٧٥) fim 1963.
- "Din veheshbon va'ad mehoz haifa al bizu'a okhni hape'ulah lehodahim marz- (٧٦) dezember 1962," KM 35 Mehoz haifa.
- Elana Kaufman, "The Electoral Basis of the Communist Party (RAKAH) انظر (٧٧) Among the Arabs in Israel" (ph. D. diss., UCLA, in progress).
- "Totza'o arzio labehiro leve'ida po'alei binyan basheah ha'aravi," AA IV 219. (٧٨) 108; Lamerhav, Feb. 2, 1965.

الفصل الثامن: خاتمة

- (١) يستند البيان التالي إلى تسجيل للاجتماع
- "Hasih at bein mishlahat maki umishlaha hakomumisi hayardeni," 35KM, Yehu - aravr, Homer al' arza artzot. ونسخ أخرى للتسجيل في أوراق شميونيل ميكونس. وفي بعض النسخ، فإن أسماء المشاركين العرب مبينة، وفي نسخ أخرى غير مبينة. وقد تم التأكد من تفاصيل الاجتماع من لقاء مع اميل حبيبي، ٢١ يوليو ١٩٨٦.
- (٢) للاطلاع على مثال امريكي انظر
- Magil, Israel in Crisis
- Samir Amin, The Arab Nation: Nationalism and Class Struggle (London, 1978.), P. (٣) 109.
- (٤) عبد الفتاح، شيوعيون وناصريون، ص ٢٦٧.
- Mark Cooper, The Transformation of Egypt (Baltimore, 1982.) (٥)
- Gramsci, "The Study of Philosophy," in Selections from his prison note-books, P. (٦) 365.
- (٧) المرجع المذكور، ص ٢٣٦.

□□□

التسلسل الزمني للأحداث

- أواخر ١٩٤٣ - انقسام عصبة التحرر الوطني عن الحزب الشيوعي الفلسطيني.
- ١٩٤٥ - إنشاء مؤتمر العمال العرب.
- سبتمبر ١٩٤٦ - الفجر الجديد تعيد تنظيم نفسها باعتبارها الطليعة الشعبية للتحرر.
- أواخر ١٩٤٦ - إنشاء العصبة اليهودية المعادية للصهيونية.
- يونيه ١٩٤٧ - اندماج الحركة المصرية للتحرر الوطني مع ايسكرا لتكوين الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني (حدثو).
- ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ - الجمعية العامة للأمم المتحدة تصوت على تقسيم فلسطين.
- ديسمبر ١٩٤٧ - الحزب الشيوعي الفلسطيني يصبح الحزب الشيوعي لأرض اسرائيل، ثم الحزب الشيوعي الاسرائيلي (ماكي).
- يناير ١٩٤٨ - اندماج حزب عمال مشومير متسعير وحادوت معافودا - بوعلى تسيون لتكوين المابام.
- ١٥ مايو ١٩٤٨ - إعلان دولة اسرائيل، الغزو العربى.
- يونيه ١٩٤٨ - الانقسامات فى حدثو تبدأ.
- ٢٢ أكتوبر ١٩٤٨ - توحيد عصبة التحرر الوطني وماكى.
- يناير ١٩٤٩ - انتهاء حرب فلسطين فى ١٩٤٨ - ٤٩، إجراء الانتخابات لأول كنيست.
- منتصف ١٩٤٩ - تكوين الديمقراطية الشعبية بوحدة الطليعة للتحرر ومجموعات أصغر.
- ديسمبر ١٩٤٩ - تأسيس الراية.
- فبراير ١٩٥٠ - طرد هتري كوريل من مصر وإنشائه لجموعة روما عند وصوله لباريس.
- يونيه ١٩٥١ - المؤتمر الحزبى الثانى للمابام، تدعيم الكتل داخله.
- ٣٠ مارس ١٩٥١ - إجراء الانتخابات للكنيست الثانى.
- نوفمبر - ديسمبر ١٩٥١ - إضراب البحارة الاسرائيليين.
- مايو ١٩٥٢ - المؤتمر الثانى عشر لماكى.
- ٢٢ يوليه ١٩٥٢ - انقلاب الضباط الأحرار.
- ٧ سبتمبر ١٩٥٢ - إعدام زعماء إضراب كفر النوار.
- يناير ١٩٥٢ - طرد سنه والقسم اليسارى من المابام، التطهير فى الكيبوتسات.
- أكتوبر ١٩٥٢ - تكوين الحزب الاشتراكي اليسارى.
- أكتوبر ١٩٥٤ - عبد الناصر يوطد حكمه.
- يوليه ١٩٥٤ - القبض على مخربين يهود فى مصر، فرنسا تبدأ بتزويد اسرائيل بالاسلحة.
- أغسطس ١٩٥٤ - احدثت معافودا - بوعلى تسيون تنقسم عن المابام.
- سبتمبر ١٩٥٤ - الحزب الاشتراكي اليسارى ينضم لماكى.
- أكتوبر ١٩٥٤ - التصديق على اتفاقية الجلاء الانجليزية المصرية.
- فبراير ١٩٥٥ - تكوين الحزب الشيوعي المصرى الموحد.
- ٢٨ فبراير ١٩٥٥ - الغارة الاسرائيلية على غزة.
- ابريل ١٩٥٥ - مؤتمر باننونج.
- ٢٦ يوليه ١٩٥٥ - إجراء الانتخابات للكنيست الثالثة.
- نوفمبر ١٩٥٥ - المابام وحادوت معافودا ينضمان للحكومة للمرة الأولى.
- فبراير ١٩٥٦ - المؤتمر العشرون للحزب الشيوعي للاتحاد السوفيتى.
- ٢٣ يوليه ١٩٥٦ - تأميم قناة السويس.
- ٢٨ سبتمبر ١٩٥٦ - مصر تعلن شراء الأسلحة التشيكية.
- ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ - نشوب حرب السويس / سيناء، مذبحه كفر قاسم.
- ٣٠ يناير ١٩٥٧ - تشكيل الاتحاد العام لنقابات مصر.
- مارس ١٩٥٧ - الديمقراطية الشعبية تصبح حزب العمال والفلاحين الشيوعي.
- ابريل - مايو ١٩٥٧ - المؤتمر الثالث عشر لماكى.
- يونيه ١٩٥٧ - اندماج الحزب الشيوعي المصرى الموحد والراية لتشكيل الحزب الشيوعي المصرى المتحد.

- ٣- ٦ يناير ١٩٥٨ - المؤتمر الثالث للمابام.
- ٨ يناير ١٩٥٨ - حزب العمال والفلاحين الشيوعى ينضم للمتحد لتكوين الحزب الشيوعى المصرى.
- أول فبراير ١٩٥٨ - إعلان الجمهورية العربية المتحدة.
- مايو ١٩٥٨ - حل مجموعة روما.
- ١٤ يوليه ١٩٥٨ - انقلاب بقيادة عبد الكريم قاسم يطيح بالنظام الهاشمى فى العراق.
- آخر ١٩٥٨ - انقسام الحزب الشيوعى المصرى - حدثو من الحزب الشيوعى المصرى.
- أول يناير ١٩٥٩ - اعتقالات جماعية للشيوعيين المصريين.
- ٣ نوفمبر ١٩٥٩ - إجراء الانتخابات للكنيسة الرابعة.
- مايو - يونيه ١٩٦١ - المؤتمر الحزبى الرابع عشر لماكى.
- ١٥ أغسطس ١٩٦١ - إجراء الانتخابات للكنيسة الخامسة.
- فبراير ١٩٦٢ - سياسة اقتصادية جديدة فى اسرائيل، موجة إضرابات للرد عليها.
- ٢٣ مارس ١٩٦٢ - اعتماد ميثاق العمل الوطنى فى مصر.
- ١٦ يونيه ١٩٦٢ - ليفى اشكول يحل محل بن جوريون كرئيس لوزراء اسرائيل.
- يوليه ١٩٦٢ - صدامات على الحدود السورية الاسرائيلية، بدء انقسامات ماكى.
- ابريل ١٩٦٤ - إطلاق سراح آخر الشيوعيين المصريين من السجون.
- مارس - ابريل ١٩٦٥ - حل الحزب الشيوعى المصرى حدثو والحزب الشيوعى المصرى.
- أغسطس ١٩٦٥ - الانقسام فى ماكى، تشكيل راکاح.



Glossary

الهستدروت - اختصار للمصطلح العبري هاستدروت هاكلايت شل هعوفديم هعبرييم بأيرتس اسرائيل «أي الاتحاد العام للعمال (اليهود) في (أرض) اسرائيل. اتحاد للنقابات انشاء العمال الصهيونيون في ١٩٢٠ بشبكة واسعة النطاق من المؤسسات الاقتصادية والثقافية، وقد سمح للعرب بالعضوية الكاملة فيه في ١٩٦٥.

الكيبوتس - مستوطنة زراعية جماعية.

كيبوتس ارتسى الاتحاد الوطني لكيبوتسات هشومير هتسعير.

كيبوتس مئوحد - اتحاد الكيبوتسات الموحد التابع لاحدوت هعافودا (انظر ما سبق).

الكنيست - البرلمان الاسرائيلي.

بوعلى تسيون - بوعلى تسيون سمول - يسار حزب عمال صهيون. تشكيل ماركسي صهيوني صغير اتحد مع احدوت هعافودا في ١٩٤٦ ثم انضم للمابام في ١٩٤٨.

البالماح - نخبة القوة الضاربة في الهاجاناه (انظر ما سبق).

اليسوف - الاستيطان اليهودي في فلسطين.

احدوت هعافودا - متنوعه لماعان احدوت هعافوداه - حركة اتحاد العمل. كان أولا قسما في المابام، وفي ١٩٤٤ - ٤٦، ومرة ثانية في ١٩٥٤ - ٦٨، كان حزبا مستقلا، في الفترة ١٩٤٨ - ٥٤، كان مكونا من مكونات المابام، ومنذ ١٩٦٨، مكونا في حرب العمل.

عالياء - حركة الهجرة الصهيونية إلى فلسطين/ اسرائيل.

ارتس اسرائيل - المصطلح العبري لأرض اسرائيل.

الهاجاناه - الميليشيا التي أنشأها الهستدروت - (انظر أدناه) خلال فترة الانتداب على فلسطين.

هشومير هتسعير - الحارس الشاب. حركة شبابية صهيونية على النطاق العالمي تم تثقيف أعضائها للهجرة لاسرائيل والانضمام للكيبوتسات، واستخدم الاسم أيضا للإشارة لكيبوتس ارتسى (انظر أدناه).

حزب عمال هشومير هتسعير - نشأ في ١٩٤٦ باندماج كيبوتس ارتسى (انظر أدناه) وحليفه الحضري، العصبة الاشتراكية.



ببليوغرافيا
محفوظات وأوراق خاصة

Shmu'el Amir papers, el Aviv

Henri Curiel papers, Paris (courtesy of Joyce Blau)

أوراق يوسف درويش (القاهرة)

Hashomer Haza'ir archive, Merkaz e'ud vehaker shel hashomer haaza'ir, Giv'a
Haviva, Israel

Jewish Naional Libray, Jerusalem, Manuscrip collecion vol. 1272 - includes

"Komunisim Ivrim" and he Yehudi Buber papers

MAKI papers, Yad Yabenkin Kibbuz Me'uhad archive, Efal, Israel

Shmu'el Mikunis and MAKI papers, Arkhion ha'avodah vehahaluz, Lavon Insie
for Labor Researchm, el Avivv

أوراق يوسف المنرك (مجاملة من رفعت السعيد)

Maxime Rodinson papers, Paris

U. S. National Archives

Diplomatic Pos Files-(RG84)

Cairo Embassy General and Classified Records, 1947 - 54

Tel Aviv Embassy General and Classified Records, 1947 - 54

State Department Cemral Files

Egyp, Internal Affairs, 1945 - 49, 1950 - 54

Palesine and Israel, Inernal Affairs, 1954- 49, 1950 - 54

مقابلات

يوسف الغازي، بات يام، ٧ أغسطس ١٩٨٧

محمود أمين العالم، القاهرة، مايو ١٩٨٦

شيمونيل امير، تل أبيب، ٢١ أغسطس ١٩٨٦

البيرة أرييه، القاهرة، ٣ يولييه ١٩٨٦

جبالكوهرين، تل أبيب، ٢٢ يولييه ١٩٨٦

يوسف درويش، القاهرة، ١٢ اسيار و ١٠ يونيه ١٩٨٦

اديب ديمتري، باريس، ٢٤ يونيه ١٩٨٦

ريمون دويك، باريس، ٢٦ يونيه ١٩٨٦

البعيرز نايلر، ياد حانا، ٢ أغسطس ١٩٨٧

فيليب جلاب، القاهرة، ١٤ مايو ١٩٨٦

إميل حبيبي، يافا، ٢١ يولييه ١٩٨٦

يوسف حزان، باريس، ٢٤ يونيه ١٩٨٦

رنوفن ودافناكامين، القدس، ٣١ أغسطس ١٩٨٦

ميشيل كامل، باريس، ١٧ يونيه ١٩٨٦

امنون كابلوك رسالة من موسكو، ١٤ فبراير ١٩٨٩

باك ماتيك، سعو، ١٦ أغسطس ١٩٨٥

قؤاد مرسى، القاهرة، ١٩ مايو ١٩٨٦

أحمد الرفاعي، القاهرة، ٢٩ مايو ١٩٨٦

أحمد صادق سعد، القاهرة، ٢٩ ابريل ١٩٨٦

رفعت السعيد، القاهرة، ٢٢ ايار ١٩٨٦
 أمينه شفيق، القاهرة ١٧ ايار، ١٩٨٦
 دايد شوشاني، لامث، ١٨ كانون أول ١٩٨٨
 محمد سيد احمد القاهرة، ٣٠ نيسان، ١١ ايار و ١٠ حزيران ١٩٨٦، و٤ تموز ١٩٨٩.
 حلمي ياسين، القاهرة، ٢٥ ايار و٤ تموز
 أبو سيف يوسف، ٩ ايار ١٩٨٦

- Amitay, Yossi. "Mapam 1948 - 1954: Emdot besugiyat aaraviyei eretz yisra'el," M. A. hesis, el Aviv Universiy, 1986.
- عاطف، ألفت محمود، «العمال والحركة العمالية في مصر: ١٩٤٢ - ١٩٦١»، رسالة ماجستير، جامع القاهرة، ١٩٨٥
- Bornsetein, Michael Sco. "From Revolution o Crisis: Egyp0Israel Relaions, 1952 - 1956." ph. D. diss., Princeon Universty, 1986.
- Botman, Selma. "Oppostiional Poltiics in Egypt: he Communist Movement, 1936 - 1954." ph. D. diss., Harvard Universiy, 1984.
- Curiel, Henri. Pages autobiographiques. typescript. 1977.
- Etkin, Yish'ayahu. "Shishim shno shvitah beyisra'el, 1921 - 1980." M. A. hesis, el Aviv Universty, 1982.
- Geffner, Ellen Joyce K. "Attitudes of Arab Editorialiss in Israel, 1948 - 1967: An Analysis of Al-ittihad, Al-mirsad, and Al-yawm." ph. D.. diss., University of Muichigan, 1973.
- Gresh, Marie -Dominique. "Le P. C.F. e l'Égypte: 1950 - 1956." Mémoire de maîtrise, Universié de Paris I, 1976 - 77.
- Kaminer, R. R. "Opinion A and Opinion B: he Inner Party Debate in the Commu-nist Party of Israel, 1965." typescript, [1984].
- Kaufman, Elana. "the Electoral Basis of he Communist Pary (RAKAH) Among the Arabs in Israel." pg. D. diss., UCLA, inprogress.
- Mandelstam, Jean. "Le Palestine dans la poltique de Gamal Abdel Nasser, 1952 - 1955." ph. D. diss., Université de paris, 1970.
- Parti communiste d'Égypte, Comtié central. "Pour assurer l'adoption de voie non capitalise, pour l'éraesment des forces de la conrte- révolution, pour l'unié des forces, de oues les forces du progrès e du socialtsme." Phoocopy, Cairo, Aug. 19, 1964.
- "Sasa 35, 1949 - 1984: Founder's Gahering, July 6 - 8, 1984." Mimeo, 1984.
- Segal, zvi. "Igud hayama'im, 1935- 1953: Me'agudah mekomi le'igud artzi." M.A. hesis, el Aviv Universiy, 1976.
- Shalev, Michael\ "he Political Economy of Labor Party Dominance and Decline in Israël." Forthcoming in a volume edited by. T. J. Pempel to be published by Cornell University Press.

دوريات

Al hamishmar
 Bulletin d'études e d';information sur l'Egypte e le Soudan
 Bulletin d'informtaion sur l'Égypt e lee Soudan
 Communist Party of Israel Information Bulletin

الضمير Documents d' Égypte
 الفجر

الفجر الجديد
الاتحاد
الجمامير
كفاح شعوب الشرق لاوسط

Kol ha'am
Lamerhav

المرصاد
المساء

New Outlook
Nouvelles d'Égypte
Smol

الطلبة

Yedi'o hakibutz ha'artzi
Zu haderekh (and its predecessor Haderekh)

كتب ومقالات

رؤف عباس «هنري كورييل بين الأسطورة والحقيقة التاريخية» الهلال ٦٦، عدد ١١ تشرين ثاني ١٩٨٨
فتحي عبد الفتاح، شيوعيون وناصريون. القاهرة ١٩٧٥

Abdalla, Ahmed. The Sudan Movemen and National Poliics in Egypt. London, 1985.

Abdel -Fadil, Mahmoud. Development, Income Distribution, and Social Change in Rural Egypt, 1952 - 1970. Cambridge, 1975.

he Poliical Economy of Nasserism: A Sudy in Employmen and Income Disribuit Policies in Urban Egypt, 1952 - 1972. Cambridge, 1980.

Abdel -Khalek, Gouda." the Open Door Economic Policy in Egypt: Its Conribuion to Investment and Equity and the New Arab Order, edited by Malcolm Kerr and El- SayyidYassin. Boulder, Colo., 1982.

Abdel -Malek, , Anouar. Egypt: Military Society. New York, 1968.

Abrahamian, Ervand Iran Between Two Revolutions Princeton, 1980.

Abu Ghosh, Subhi. "Communism in an Arab Village." In Texts and Responses: Studies Prsented to Nahum Glatzer on the Occasion of His Seventieth Birthday by His Students, editd by Michael A. Fishbane and R. Flohr. Leiden, 1975.

Aharonson, Sholomo, and Dan Horovita. "Ha'astrategiyah shel tagmul mevukar: Hadugmah hayisra'elit" (The strategy of controlled retaliation: The case of Israel)./ Medina, mimshal, veyahasim beinle'umiyim 1, no. 1 (Summer 1971).

محمود العالم وعبد العظيم انيس، في الثقافة المصرية روبيروت، ١٩٥٥.

Amin Samir The Arab Nation: Nationalism and Class Struggle London, 1978.

طاهر العميري، أنا العامل، نشرة اتحاد نقابات الغزل والنسيج بجمهورية مصر، عدد ٢ سبتمبر ١٩٥٥

Anderson Benedict. Imagined Communities: Reflections on the Origin and the Spread of Nationalism. Lonson 1983.

Anderson, Perry. "Agendas for Radical History." Radical History Review, no. 36 (Sept. 1986).

عبد العظيم انيس، «رسائل الحب والحزن والثورة» القاهرة ١٩٧٦

Ansari, Hamied. Egypt: The Stalled Society. Albany, N. Y., 1986.

- Avnery, Uri. *My Friend, the Enemy*. Westport, Conn., 1986.
- Bakr, ' Abd al-Wahhab. *Adwa'ala al-shuyu'i fi misr, 1921 - 1950* (Light on communist activity in Egypt) Cairo, 1983.
- Balas, Shimon. *Horef aharon* (Last winter). Jerusalem, 1984.
- Balti, Berl. *Bama'avak al hakiym hayehudi: Ledmuto shel Moshe Sneh* (In the struggle for Jewish existence: For the image of Moshe Sneh). Jerusalem, 1981.
- Bar-Siman-Tov, Yaacov. "Ben-Gurion and Sharett: Conflict Management and Great Power Constraints in Israeli Foreign Policy" *Middle Eastern Studies* 24, no. 3 (July 1988).
- Batatu, Hanna. *The Old Social Classes and the Revolutionary Movements of Iraq*. Princeton, 1978.
- Beinin, Joel. "The Communist Movement and Nationalist Political Discourse in Nasirist Egypt." *Middle East Journal* 41, no. 4 (1987).
- "Israel at Forty: The Political Economy/ Political Culture of Constant Conflict." *Arab Studies Quarterly* 10, no. 3 (Fall 1988).
- "Labor, Capital, and the State in Nasserist Egypt, 1952 - 1961." *International Journal of Middle East Studies* 21, no. 1, Feb. 1989.
- Beinin, Joel and Zachary Lockman *Workers on the Nile Nationalism, Communism, Islam, and the Egyptian Working Class, 1882 - 1954*. Princeton, 1988.
- Ben-Gurion, David *Letters to Paula*. London, 1971.
- My Talks with Arab Leaders*. Jerusalem, 1972.
- Ben Naim, Yizhar. "Hashomer hatza'ir vera'ayon hadule'umit, 1942 - 1947" (Hashomer Hatza'ir and the binational idea). *Me'asef* 15 (1985).
- Bentov, Mordechai. *The Case for a Bi-national Palestine: Memorandum prepared by the Hashomer Hatzair Workers' party of Palestine Tel Aviv, Mar 1946*.
- Bernstein, Deborah, and Shlomo Swirsky. "The Rapid Economic Development of Israel and the Emergence of the Ethnic Division of Labour" *British Journal of Sociology* 33, no. 1 (1982).
- Binder, Leonard. "The Failure of the Egyptian Left." *Asian and African Studies* 14 (1980).

طارق البشري، الحركة السياسية في مصر، ١٩٤٥ - ١٩٥٢، القاهرة ١٩٧٢.
 - « قراءات مصرية في أوراق هنري كورييل ». الهلال ٦٦، عدد (٤ نيسان ١٩٨٨).

- Al-Bisri, Tariq. *Al-haraka al-siyyasiyya fi misr, 1945-1952* (The political movement in Egypt). Cairo, 1972.
- . "Qira'a misriyya fi awraq Henri Kuriyal" (An Egyptian reading of the papers of Henri Curiel). *Al-hilal* 66, no. 4 (Apr. 1988).
- Bober, Arie, ed. *The Other Israel: The Radical Case Against Zionism*. New York, 1972.
- Botman, Selma. *The Rise of Egyptian Communism, 1939-1970*. Syracuse, N.Y., 1988.
- Brit hano'ar hakomunisti hayisra'eli. *Shir nashirah: Kovetz shirei am umoledet, shirei amal nma'avak veshirei anim* (Let's sing: A collection of songs of the people and the homeland, songs of labor and struggle, and international

- songs). Tel Aviv, 1961.
- Budeiri, Musa. The palestine Communist Party, 1919-1948: Arab and Jew in the struggle for Internationalism. London, 1979.
- Burns, E.L.M. Between Arab and Israeli. New York, 1963.
- Bzozah, Hanoch. Dvarim levikuah (Matters for argument). Tel Aviv, 1956.
- Cohen, Abner. Arab Border Villages in Israel. Manchester, Eng., 1965.
- Cohen, Aharon. "Hava navhir dvarim le'atzmenu: Sihah'im haverim bemadim" (Let's clarify things for ourselves: A conversation with comrades in uniform). Basha'ar, nos. 10 and 11 (Aug. 5 and 19, 1948).
- . Israel and the Arab World. New York, 1970.
- . "Ma'amak hapo'alim vekohot hakidmah bamizrah ha'avavi" (The working class and the forces of progress in the Arab east). Reprinted from Al hamishmar, April 6, 27; May 1, 1951.
- . "Nohah hapinui ha'aravi" (In view of the Arab evacuation). Le'ahdut ha'avodah 1, no. 1 (June 1948).
- . "Olam hamahapehah vehatzionut" (The world of revolution and Zionism). Mahbarot lemarksizm, no. 2 (Feb. 1951).
- . Yad leyedidim - Bama'avakam leshalom vehavanah yehudit-"aravit (A hand to friends - In their struggle for Jewish-Arab Understanding). Giv'at Haviva, 1982.
- Cohen, Mitchell. Zion and state: Nation, Class, and the shaping of Modern Israel. Oxford, 1987.
- Cooper, Mark. The Transformation of Egypt. Baltimore, 1982.
- Copeland, Miles. The Game of Nations. London, 1969.
- Curiel, Henri. Awraq Hinri Kuriyal wa'l-haraka al-shuyu'iyya al-misriyya (The papers of Henri Curiel and the Egyptian communist movement). Introduction by ra'uf Abbas; translated by 'Lzzat Riyad. Cairo, 1988.
- . Pour une paix juste au proche-Orient. Paris, 1979. Published in Hebrew as Al mizbeah hashalom. Jerusalem, 1982.
- Czudnowski, Moshe M., and Jacob M. Landau. The Israeli Communist Party and the Elections for the Fifth Knesset, 1961. Stanford, 1965.
- الحكيم دروزه، الشيوعية المحلية ومعركة العرب القومية. بيروت، ١٩٦٣.
- Darwaza, al-Hakam. Al-shuyu'iyya al-mahalliyya wa-ma'arakat al-'arab al-qawmiyya (Local communism and the Arab national battle). Beirut, 1963.
- Davis, Eric. Challenging Colonialism: Bank Misr and the Political Economy of Industrialization in Egypt, 1920-1941. Princeton, 1983.
- Davis, Uri, and Norton Mezvinsky, eds. Documents from Israel, 1967-1973: Readings for a Critique of Zionism. London, 1975.
- Dayan, Moshe. Diary of the Sinai Campaign. London, 1966.
- عاصم أحمد الدسوقي، كبار ملاك الأراضي الزراعية ويبرهم في المجتمع المصري. القاهرة، ١٩٧٥.
- Ebon, Martin. "Communist Tactics in the Middle East." Middle East Journal 2, no. 3 (July 1948).
- Edelstein, Me'ir. "Lapilug bemaki beshnat 1965" (Toward the split in MAKI in 1965). Me'asef. no. 5 (Mar. 1973).

- El-Ad, Avri, *Decline of Honor*. Chicago, 1976.
- El-Asmar, Fouzi. *To Be an Arab in Israel*. London, 1975.
- "Eli Lobel." *Khamsin*, no. 7 (1980).
- El Kodsý, Ahmad, and Eli Lobel. *The Arab World and Israel*. New York, 1970.
- بولس فرح، مقدمة في تاريخ العرب الاجتماعي. تل ابيب، ١٩٦٢. ابراهيم فتحي، هنري كورييل ضد الحركة الشيوعية العربية: القضية الفلسطينية. القاهرة ١٩٨٩.
- Flapan, Simha. *The Birth of Israel: Myths and Realities*. New York, 1987.
- Flores, Alexander. "The Arab CPs and the palestine problem." *Khamsin*, no. 7 (1980).
- Ghali, Waguih. *Beer in the Snooker Club*. New York, 1987.
- عبد المنعم الغزالي، اسرائيل، قاعدة للاستعمار وليست أمه. القاهرة، ١٩٥٨.
- Gramsci, Antonio. *Selections from the Prison Notebooks*. Edited and translated by Quentin Hoare and Geoffrey Nowell Smith. New York, 1971.
- Greilsamer, Ilan. "Tziyunei derekh leshivato shel Moshe Sneh Latzionut" (Pathmarks for Moshe Sneh's return to Zionism). *Medinah memshal veyahsim beinle'umiyim* 10 (Spring 1977).
- Greilsammer, Alain (Ilan Greilsamer). *Les communistes israéliens*. Paris, 1978.
- اميل حبيبي. «حديث الشهر». الجديد ٧، عدد ٢ شباط
- Habibi, Emile.
- . *Internatzionalizm proletari mul sotzial shovinizm: Tshuvah lehasatat "al hamishmar" al ma'avakah shel hamiflagah hakomunistit hayisra'elit neged hadiku'i hale'umi* (proletarian internationalism against social chauvinism: An answer to Al hamishmar's incitement against the struggle of MAKI against national oppression). Tel Aviv, (1955).
- Habiby (Habibi), Emile. *The Secret Life of Saeed, the Ill-fated Pessoptimist: A Palestinian Who Became a Citizen of Israel*. New York, 1982.
- Halevi, Nadav, and Ruth Klinov-Malul. *The Economic Development of Israel*. New York, 1968.
- Harel, Isser. *Bitahon vedemokratiah* (Security and democracy). Tel Aviv, 1989.
- Heller, Otto. *La fin du judaïsme*. Paris, 1933/.
- Hobsbawm, Eric. "Problems of Communist History." *New Left Review*, no. 4 (Mar.- Apr. 1969).
- Hosseinzadeh, Esmail. *Soviet Non-capitalist Development: The Case of Nasser's Egypt*. New York, 1989.
- Husayn, Taha. *The Future of Culture in Egypt*. Washington, D. C., 1954.
- Hutchison, E. H. "Violent Truce" A NMilitary Observer Looks at the Arab-Israeli Conflict, 1951-1955. New York, 1956.
- حنا ابراهيم، محرر. حنا نقاره: محامي الأرض والشعب عكا، ١٩٨٥.
- يوسف ادريس. البيضاء، القاهرة، ١٩٨٢.
- Ibrahim, Hanna, ed. *Hanna Naqqara: Muhami al-ard wa'l-sha'b* (Hanna Naqqara: Lawyer of the land and the people). Acre, 1985.
- Ismael, Tareq Y. "The Communist Movements in the Arab World." In *Law, Personalities, and Politics of the Middle East: Essays in Honor of Majid Khadduri*, edited by James Piscatori and George S. Harris. Boulder, Colo., 1987.

- أحمد اسماعيل، «حوار مع مارسيل إسرائيل: الحركة التقدمية المصرية ليست من صنع الأجانب». أدب ونقد، عدد ٤٠ (أغسطس ١٩٨٨).
- Isma'il, Ahmad. "Hiwar ma'a Marsil Isra'il: Al-haraka al-taqaddumiyya al-misriyya laysat min san'al-ajanib" (Dialogue with Marcal Israel: The Egyptian Progressive movement is not the work of foreigners). *Adab wa-naqd*, no., 40 (Aug. 1988).
- Israel. *Halishkah hamerkazit Iestatistikah. \Totza'ot habehirot lokneset harishonah, hashniyah vehashlishit ulerashuyot hamekomiyot be-1950 ube-1955* (Results of the elections for the First, Second, and Third knessets and for local authorities in 1950 and 1955). *Sidrat pirsu meyuhadim*, no. 51. Jerusalem, 1957.
- Totza'ot habehirot lakneset hahamishit (Results of the elections for the Fifth Knesset). *Sidrat pirsumim meyuhadim*, no. 166. Jerusalem, 1962.
- عز الدين اسماعيل، تاريخ الطبقة العاملة المصرية منذ نشأتها حتى سنة ١٩٧٠. القاهرة، ١٩٨٧.
- Jackson, Elmore. *Middle East Mission: The Story of a Major Bid for peace in the Time of Nasser and Ben -Gurion*. New York, 1983.
- صبري حريس، العرب في إسرائيل، بيروت، ١٩٦٨.
- Judt, Tony. *Marxism and the French Left*. Oxford, 1986.
- Kamen, Charles S. "After the Catastrophe: The Arabs in Israel, 1948-51." *Middle Eastern Studies* 23, no.4 (1987); 24, no.1 (1988).
- "Aharei ha'ason: Ha'aravim nemedinat yisra'el, 1948-1950" (After the catastrophe: The Arabs in Israel). *Mahbarot lemehkar ulebikoret*, no. 10 (Dec. 1984).
- فتحى كامل، مع الحركة النقابية في نصف قرن: صفحات من ذكريات فتحى كامل. القاهرة، ١٩٨٥.
- فتحى كامل أحمد فهم، سيد عبد الوهاب ندا ونور سليمان. / الطبقة العاملة في الحركة ضد الاستعمار. القاهرة ١٩٥٧.
- Kanovsky, Eliyaht. *The Economy of the Israeli Kibbutz*. Cambridge, Mass., 1966.
- Kenan, Amos. *The Road to Ein Harod*. London, 1987.
- Kibbutz Sasa. *The Secretariat. The Launching: Sas'a First Year*,. Tel Aviv, 1951; repr. 1984.
- Kimche, Jon, and David Kimche. *Both Sides of the Hill*. London, 1960.
- Kimmerling, Baruch. *Zionism and Territory: The Socio-territorial Dimensions of Zionist Politics*. Berkeley and Los Angeles, 1983.
- Krämer, Gudrun. *The Jews in Modern Egypt, 1913-1952*. Seattle, 1989.
- Krammer, Arnold *The Forgotten Friendship: Israel and the Soviet Bloc, 1947-23*. Urbana, Ill., 1974.
- Lahav, Yehudah. "The Soviet Attitude Towards the Split in the Israeli Communist Party, 1964-1967." Hebrew University of Jerusalem, Soviet and East European Research Center, Research Paper no. 39. June 1980.
- Landau, Jacob M. *The Arabs in Israel: A Political Study*. London, 1969.
- Laqueur, Walter. *Communism and Nationalism in the Middle East*. London, 1961.
- The Struggle for the Middle East: The Soviet Union in the Mediterranean, 1958 -*

1968. London, 1969.
- Lockman, Zachary. "The Left in Israel: Zionism vs. Socialism." MERIP Reports, no. 49 (July 1976).
- "Original Sin." In *Intifada: The Palestinian Uprising Against Israeli Occupation*, edited by Zachary Lockman and Joel Beinin. Boston, 1989.
- Love, Kenneth. *Suez: The Twice Fought War*. New York, 1969.
- Lowenthal, Richard. "Russia, the One-Party System, and the Third World." *Survey* (London), no. 58 (Jan. 1966).
- Lustick, Ian. *Arabs in the Jewish State: Israel's Control of a National Minority*. Austin, Tex., 1980.
- Magil, A. B. *Israel in Crisis*. New York, 1950.
- Makarius, Raoul. *La Jeunesse intellectuelle d'Égypte au lendemain de la deuxième guerre mondiale*. Paris, 1960.
- Margalit, Elkanah. "Binationalism: An Interpretation of Zionism, 1941- 1947". *Studies in Zionism* 4 (Oct. 1981).
- Hashomer hatza'ir: Me'edat ne'urim lemarksizm mahapkhani, 1913- 1939 (Hashomer Hatza'ir: From youth group to revolutionary Marxism). Tel Aviv 1985
- حسن المصليحي قصتي مع الشيوعية القاهرة، ١٩٧٩
- Merhav, Peretz. *The Israeli Left: History, Problems, Documents*. San Diego, Calif., 1980.
- Hamiflagah hakomunistit hayisra'elit. Hava'adah hamerkazit. Hama'avak lesalom be'artzot ha'aravot (The struggle for peace in the Arab Countries). Tel Aviv, June 23, 1954.
- Have'idah ha-13 shel hamiflagah hakomunistit hayisra'elit, Tel Avivyafo 29. 5-1.6. 1957 (The Thirteenth Congress of MAKI). Tel Aviv, 1957.
- Have'idah ha-XIV, Tel Aviv-Yafo, 31.5-3.6.1961 *(The Fourteenth Congress of MAKI). Tel Aviv, 1961.
- Mifleget hapo'alim hame'uhedet. Hahlatot have'idah hashlishit shel hamiflagah (Decision of the Third Pard Pary Congress). Haifa, Jan. 3-6, 1958.
- Likrat va'idat mifleget hapo'alim hame'uhedet: Hanahot leberur (Toward the congress of the United Workers'Party: Assumptions for clarification). [Tel Aviv, 1951].
- Matza'hamiflagah. [Tel Aviv, 1951].
- Sihah'im haboher. [1949].
- Hamerkaz. Lekonenut bithonit, mini'at hamilhamah, nyutraliut uma'avak al hashalom: Hahlatot merkaz mapam 19.1.1956 (For security preparedness, prevention of war, neutralism, and the battle for peace: Decisions of the MAPAM Center). Tel Aviv, Feb. 19546.
- Mikunis, Shmu'el. *Besa'ar tekufot* (In stormy times). Tel Aviv, 1969.
- Montasser, Adel. "La répression anti- démocratique en République Arabe Unie." *Les temps modernes*, no. 183 (July 1961).
- Morris, Benny. *The Birth of the Palestinian Refugee Problem, 1947 - 1949*. Cambridge, 1988.

"The Causes and Character of the Arab Exodus from Palestine: The Israel Defence Forces Intelligence Branch Analysis of June 1948." *Middle Eastern Studies* 22, no. 1 (1986).

"The Crystallization of Israeli Policy Against a Return of the Arab Refugees: April-December, 1948." *Studies in Zionism* 6 no. 1 (1985).

"The Harvest of 1948 and the Creation of the Palestinian Refugee Problem." *Middle East Journal* 40, no. 4 (1986).

"Operation Dani and the Palestinian Exodus from Lydda and Ramle in 1948." *Middle East Journal* 40, no. 1 (1986).

"Yosef Weitz and the Transfer Committees, 1948 - 49." *Middle Eastern Studies* 22, no. 4 (1986).

خالد محيي الدين، رسالة إلى جمال عبد الناصر، ٢١ مارس ١٩٥٢. الأولى، ٢٤ تموز ١٩٨٥
الياس مرقص، تاريخ الأحزاب الشيوعية في الوطن العربي بيروت ١٩٦٤

Nahhas, Dunia. *The Israeli Communist Party*. London, 1976.

Neff, Donald. *Warriors at Suez: Eisenhower Takes America into the Middle East*. New York, 1981.

O'Brien, Patrick. *The Revolution in Egypt's Economic System*. London, 1966.

Patinkin, Don. *The Israeli Economy: The First Decade*. Jerusalem, 1969.

Peretz, Don. *Israel and Palestine Arabs*. Washington, D. C., 1958.

Peri, El'azar. *Anahnu'veolam hamahapehah* (Us and the world of revolution).

Tel Aviv, May 1, 1950.

Peri, Yoram. *Between Battles and Ballots: Israeli Military in Politics*. Cambridge, 1983.

Perrault, Gilles. *Un homme à part*. Paris, 1984. published in English as *A Man Apart: The Life of Henri Curiel* vol. 1.. London, 1987.

Porath, Yehoshua. "The National Liberation League, 1943 - 1948." *Asian and African Studies* 4(1968).

عبد العظيم رمضان، عبد الناصر وأزمة مارس، القاهرة، ١٩٧٦.

Rekhsess, Elie. "Jews and Arabs in the Israeli Communist Party." In *Ethnicity, Pluralism and the State in the Middle East*, edited by Milton J. Esman and Itamar Rabinovich. Ithaca, N. Y. 1988.

"Leshe'elat hayahasim bein yehudim ve'aravim bemaki" (On the question of relations between Jews and Arabs in MAKI). *Medinah, mimshal, veyahasim bein-le'umiyim*, no. 27 (1987).

احمد الرفاعي وعبد المنعم شتة، أيام الانتصار القاهرة ١٩٥٧.

Riftin Ya'akov. "Anu vehakomunizm" (Us and Communism). *Al hamismar*, Apr. 30, 1950.

Rodinson, Maxime. *Israel and the Arabs*. Hamondsworth, Eng., 1968.

Marxism and the Muslim World. London, 1979. Rokach, ivia. *Israel's Sacred Terrorism*. Belmont, Mass., 1980.

Rosenfeld, Henery, and Shulamit Carmi. "The Privatization of Public Means: The State-made Middle Class and the Realization of Family Value in Israel."

In *Kinship and Modernization in Mediterranean Society*, edited by J. G. perstany. Rome, 1976.

- Rubenstein Sonder Miller. The Communist Movement in Palestine and Israel, 1919 - 1984. Boulder, Colo., 1984.
- S. [aba] sh. [el] Yariv [David Ben-Gurion]. Al hakomunizm vehatzionut shel hashomer hattza'ir (On the Communism and Zionism of Hashomomer Hattza'ir). Tel Aviv, 1953.
- صادق. سعد، فلسطين بين مخالب الاستعمار القاهرة، ١٩٤٦ رفعت السعيد، الجريمة، القاهرة ١٩٨٤
امين شاكر، سعيد العريان وعلى ادهم. حقيقة الشيوعية. القاهرة، ١٩٥٤
- Shalev, Michael. "Jewish Organized Labor and the Palestinians: A study of State/Society Relations in Israel." In The Tsraeli State and Society: Boundaries and Frontiersm, edited by Baruch Kimmerling. Albany, N. Y., 1989.
- Shamir, Shimon. "The Marxists in Egypt: The 'Licensed Infiltration' Doctrine in Practice." In The U. S.S.R. and the Middle East, edited by Michael Confino and Shimon Shimon Shamir. Jerusalem, 1973.
- Shammas, Anton, Arabesques. New Yory, 1988.
- Sharett, Moshe. Yoman ishi (Persinal diary). 8 vols. Tel Aviv,, 1978.
- Sheffer, Gabi, "Sharet, Ben Gurion umilhemet habreah be - 1956" (Sharett, Ben-Gurion, and the war of choice in 1956). Medmah, mimshal veyahasim bein-le'umiyim, no. 26 (1987).
- Shlaim, Avi. Collusion Across the Jordan: King Abdallah the Zionist Movement, and the Partition of Palestine. New York, 1988.
- "Conflicting Approaches to Israel's Relations With the Arabs: Bengurion and Sharett, 1953-1956." Middle East Journal 37, no. 2 (Spring 1983).
- "Husni Za'im and the Plan to Resettle the Palestinian Refugees in Syria. " Journal of Palestine Studies 15, no. 4 (Summer 1986).
- Singham, A. W., and Tran Van Dinh, eds. From Bandung to Colombo: Conferences of the Non-aligned Countries, 1955 - 75, New York, 1976.
- Sneh, Moshe. Sikumin Bashe'elah hale'umit le'or hamarksizm - leninizm (Conclusions on the national question in light of Marxism- Leninism). Tel Aviv, Aug. 1954.
- Stedman Jones, Gareth. Languages of Class: Studies in English Working Class History, 1932 - 1982. Cambridge, 1983.
- Storrs, Ronald. Orientations. London, 1937.
- مصطفى طيبة. حول أوراق هنري كورييل مطلوب تقييم موضوعي للتاريخ الحديث الهلال، ٦٦، عدد ١١ نوفمبر ١٩٨٨
رسائل سجين إلى حبيبته جزاءن، القاهرة ١٩٨٧ - ١٩٨٠
- Tomiche, Fernand J. Syndicalisme et certains aspects du travail en Réublique Arabe Unie (Égypte) 1900 - 1965. Paris, 1974.
- Touval, Saadia. The Peace Brokers: Mediators in the Arab O Israeli Conflict, 1948-1979. Princeton, 1982.
- Tzur, Ze'ev. Bein shutafut le'opozitziah: She'elat shitufah shel mapam bamemshalah, 1949 - 14954 (Between partnership and opposition: The question of MAPAM's participation in the government). Efal, 1983.
- Volfenson, Avraham. Kahpl -lavam: Toldot ha'prientaziah hapro-sovietit beyisrael (blue- White-red: History of the pro-Soviet prientation in Israel). Tel Aviv, 1983

- Weintraub, Richard. "Bein Hametzarim" (Between the straits). Hedim, no. 48 (Jan. 1956).
- White Hayden. "The Value of Narrativity in the Representation of Reality." In *On Narrative*, edited by W. J. T. Mitchell. Chicago, 1981.
- Wolffsohn, Michael. *Israel: Polity Society, and Economy 1882 - 1986*. Atlantic Highlands, N. J., 1987.
- Ya'ari, Ehud. *Mitzrayim vehafeda'in, 1953-1956 (Egypt and the fedayeen)*. Arab and Afro- Asian Monographs, no. Giv'at haviva, 1975.
- Ya'ari Me'ir. *Kibutz haluyot be'aspeklariah shel yamenu (The ingathering of the exiles in the mirror of our times)*. Merhavia, 1954.
- Yago, Glenn. "Whatever Happened to the Promised Land? Capital Flows and the Israeli State." *Berkeley Journal of Sociology* 21 (1976).
- عبد القادر ياسين. حزب شيوعي ظهره إلى الحائط: شهادة تاريخية على الحركة الشيوعية في قطاع غزة ٤٨ - ١٩٧٦
بيروت، ١٩٧٨.
- القضية الفلسطينية في فكر اليسار المصري، بيروت ١٩٨١.
- Yishai, Yael. "Integration of Arabs in an Israeli Party: The Case of MAPAM< 1948 - 54." In *Zionism and Arabism in Palestine and Israel*, edited by Elie Kedourie and Sylvia FG. Haim London, 1982.
- Yisra'eli, A. [Moshe Machover and Akiva Orr] *Shalom, Shaloen-ve'ein shalom: Yisra'el arav, 1948-1961 (Peace,, Peace -and there is no peace: Israel and the Arabs)*. Jerusalem, 1961.
- Yisra'eli, Amihud. "Hamahapekhah hata'asukit bemigzar hami'utim beyisra'el (The employment revolution in the minority sector in Israel). *Hamizrah hehaddash* 26, no. 3-4 (1976).
- Yisra'eli, G. Z. [Walter Laqueur] *M. P. S-P. K. P. -M.AKI: Korot hamiflagah hakomunistit beyisra'el (S. W. P-P.C.P.- MAKI: History of the Communist Party in Israel)*. Tel Aviv, 1951.
- سعد زهران في أصول السياسة المصرية. القاهرة، ١٩٨٥.
- Zureik, Elia . *The Palestinians in Israel: A Study in Internal Colonialism*, London, 1979.

رقم الايداع ١٩٩٦/٧٩٩٦

الترقيم الدولي 977-221-065-7 I.S.B.N

هذا الكتاب

هو كتاب فريد، فهو أول كتاب يتحدث عن موقف الماركسيين المصريين والاسرائيليين من النزاع العربى الاسرائيلى منذ نشأته. وهى قضية دارت عنها روايات كثيرة، ولكن كتاب جويل بينن هو كتاب علمى جاد يحتوى على كمية هائلة من الوثائق والوقائع واللقاءات التى حصل عليها المؤلف بجهد شاق فى مصر واسرائيل وباريس.

والمؤلف جويل بينن أستاذ فى التاريخ بجامعة ستانفورد بولاية كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية وهو يتحدث العربية بطلاقة ويعرفها قراءة وكتابة. وقد صدر له قبل ذلك كتاب «الانتفاضة الفلسطينية» بالاشتراك مع زخارى لوكرمان

وهو ينعرض فى هذا الكتاب لتطور مواقف اليسار فى مصر واسرائيل والخلافات بين فصائله المختلفة بالنسبة للموقف من قضية السلام والحر والصراع فى كل من البلدين بين التوجه الآه والتوجه الفومى داخل قوى اليسار فى البحث عن للنزاع فى الشرق الأوسط

